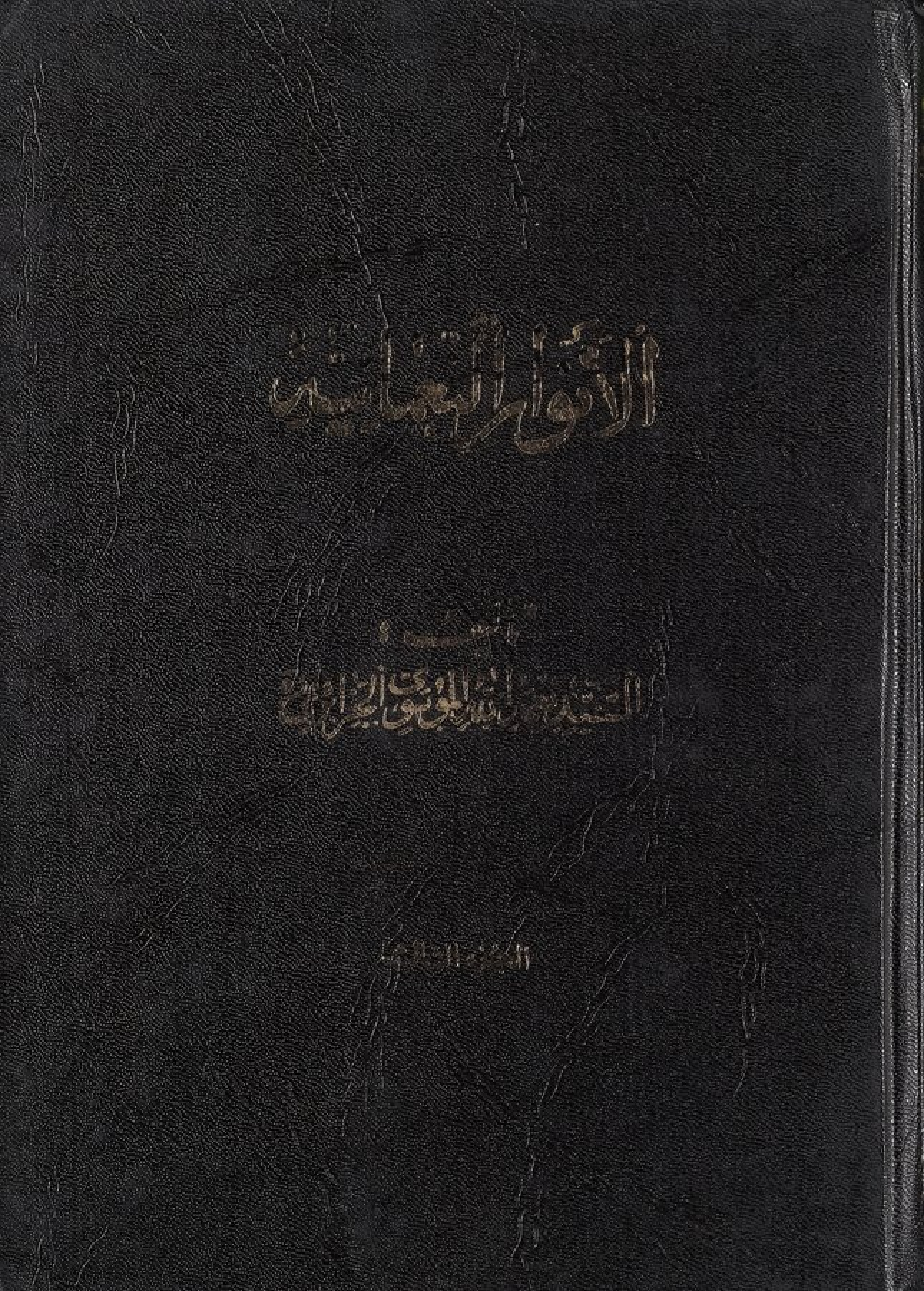


الأنوار النعمانية

تأليف

السيد نعمة الله الموسوي الجزائري

الجزء الأول


31

Princeton University Library
32101 047147960

N. al-Jazā'irī

الجزء الثالث

الأنوار النعمانية

تأليف

العالم الجليل المحدث المتبحر السيد نعمة الله الموسوي الجزائري ره

المتوفى سنة ١١١٢

بنفقة

الحاج محمد باقر كتابچي حقيقت
سوق شيشه گرخانه
تبريز

الحاج سيد هادي بني هاشم
سوق المسجد الجامع
ايران

مطبعة «شركت چاپ»

بسم الله الرحمن الرحيم

(نور يكشف عن احوال الغيبة)

وفيه اقسامها المحظورة والجايزة وذكر التوبة منها وعلاجه وما يلحقه من المناسبات

إعلم وفقك الله تعالى ان الغيبة من أعظم الكبائر وقد توعد عليها النار ومع هذا فهى ذنب قد طمت بليته الخاص والعام وقد احترز واعن غيره ولم يحترز واعنه وذلك لأمور

احدها الغفلة عن تحريمه و ما ورد فيه من الوعد والوعيد والايات والروايات وهذا هو السبب الاول لأهل الغفلات

وثانيها انّ مثل هذه المعصية لايخلّ بمراتب الناس ولا يسقط محلّهم عندهم لخفاء هذا النوع من المنكر على من يرومون المنزلة عنده من اهل الجهالات وايضا فانّ الناس كلهم فى بلاء من هذه المصيبة ولووسوس اليهم الشيطان ان اشربوا الخمر اوزنوا بالمحصنات ما أطاعوه لظهور فحشه عند العامة ولو راجعوا عقولهم لوجدوا انّ الغيبة أشدّ نكالا وعذابا وتقبيحاً من ذنوب كثيرة خصوصا ممّا كان حقه لله تعالى وحده

وثالثها موافقة النّاس فى مجالسهم كما سيأتى بيانه ان شآء الله تعالى

وامّا تعريفها فى الاصطلاح فقد ذكر له اثنان احدهما مشهورى وهو ذكر الانسان

حال غيبته بما يكرهه نسبته اليه مما يعد نقصاً في العرف بقصد الانتقاص والذم، وثانيها و هو الذى عوّلنا عليه في شرح الصحيفة انها التعرض لإنسان معيّن وما فى حكمه بما يكون فيه بحيث لو سمعه لغضب ويعد فى العرف نقصاً ويكون قاصدا لذلك النقص سواء كان ذلك التعرض بالقول اوالاشارة او الكناية اوالكتابة، والتقييد بالمعين لإخراج مثل قولك فى هذا البلد رجل فاسق فانه لايكون غيبة الا اذا علم بالقرينة، وقولنا او فى حكمه ليدخل قولك اما زيد فاسق و اما عمرو و فاسق فانه اما غيبة لاحدهما كما قيل ويترتب عليه ذنب واحد و اما غيبة لكليهما فيكون عليه ذنبان و هو الاصح لغضبهما عند سماع هذا القول، واخراج مثل هذا القول عن الغيبة كما قيل به فاسد، و قولنا بمايكون فيه لإخراج البهتان والتهمة فانهما أشد ذنبا من الغيبة، و التقييد بكونه نقصاً لإخراج مثل نسبة عبادة او نحوها الى غايب بحيث لو سمعها لغضب فانه لايعد غيبة

و قولنا و يكون قاصداً لذلك النقص لاخراج ذكر العيب عند الطبيب مثلا او لإستدعا المرحمة من السلطان فى حق الزمن و الاعمى بذكر نقصانهما فانه لايعد غيبة و قال النبى صلى الله عليه وآله تدرون ما الغيبة ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وان لم يكن فيه فقد بهته، و ذكر عنده رجل فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وآله اغتبتم صاحبكم فقالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ماليس فيه فقد بهتموه ، و قد شبهت فى القرآن بلحم الميتة(١)

بناء على تجسم الاعمال بل الاحوال و الصفات و الملكات الانسانية والاعتقادات القلبية بحقيقتها وجوهرها، كما هو ظاهر الايات والروايات ليس فى الاية الشريفة تشبيه الغيبة بأكل لحم الميتة كما تخيله المصنف ره تبعاً لجمع كثير من المفسرين بل حقيقة هذا العمل الشر و واقعه انما هو لحم ميت تأكله .

وكل عمل خير صدر عن الانسان تجده صورة جميلة بحسب حقيقة ذلك العمل وواقعه تؤنس بها فى قبره وكل عمل شر صدر منه تجده صورة قبيحة مؤلمة تؤذيه فى قبره فالنميمة عقرب يلسعه والسعاية أفعى تلدغه وأكل مال اليتيم ظلماً نار تأكله فى بطنه والغيبة لحم ميت تأكله وهكذا سائر الاعمال والافعال التى تصدر فى هذه النشأة من الانسان لها واقع وحقيقة موجودة فى باطن هذه النشأة ولبها وملكوتها وتظهر تلك الحقايق للانسان ☸

فقال ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احد كم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكر هتموه

وقال النبي ﷺ كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وعنه ﷺ إياكم والغيبة. فان الغيبة أشدّ من الزّنا ان الرّجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وانّ صاحب الغيبة لايغفرلـه حتى يغفرله صاحبه، وقال ﷺ مررت ليلة أسرى بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم ، فقلت يا جبرئيل من هولاء ؟ فقال هولاء يغتابون النّاس

☆ اذا انكشف له باطن هذه الدنيا وارتحل الى الاخرة قال تعالى : يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون (سورة الروم آية : ٧) وقال تعالى : ووجدواما عملوا حاضراً ولايظلم ربك احداً (سورة ١٨=٤٩) وقال تعالى : انما تجزون ما كنتم تعملون (سورة ٥٢=١٦) ولاحذف هنا ولاتقدير كما يتخيله بعض المفسرين بل الجزاء نفس العمل و قال تعالى : ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً (سورة ٤=١٠) وفي الحديث يقول جل شأنه : يوم القيامة للعباد اعمالكم ردت اليكم ولكن بجوهر ها وحقايقها ويأتي القرآن يوم القيامة شافعاً مشفعاً أو شاكياً الى ربه ممن هجره اولم يحفظه ومن قرأ سورة لااقسم وكان يعمل بها بعثها الله تعالى معه من قبره في احسن صورة تبشره وتضحك في وجهه حتى يجوز الصراط وبعض السور تصير صورة جميلة تؤنسه في قبره وكذا سائر اعماله الحسنة وعباداته الواجبة والمستحبة تؤنسه وتبقى معه في قبره يعني في عالم البرزخ الى يوم بعثه ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون (سورة ٣٠=٧) و يدعى المؤمن للحساب فيتقدم القرآن امامه في أحسن صورة فيقول : يا رب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه اذا تهجد فارضه كما أرضاني فيقول العزيز الجبار : ابسط يمينك فيملاءها من رضوان الله ويملاء شماله عن رحمة الله ثم قال هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد فكلما قرأ آية صعد درجة كما يستفاد ما ذكرناه كله من الاحاديث والسنة الثابتة عن اهل البيت عليهم السلام

وقد ورد في الحديث انه تعالى يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً ينهشن لحمه وتكسرن عظمه يترددن عليه كذلك الى يوم يبعث . وفي اربعين الشيخ البهائي قدس سره و يسلط عليه حيات الارض . و في الكافي عن الصادق عليه السلام ان الله يسلط عليه تسعة و تسعين تنيناً لو ان واحداً منها نفخ على الارض ما انبتت شجراً أبدا وروى في كتب اهل السنة هذا المضمون بهذا العدد الخاص أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله ☆

ويقعون فى أعراضهم وقال صلى الله عليه وآله لا تغتابوا المسلمين ولا تتبّعوا عوراتهم فانّه من تتبّع عورة اخيه تتبّع الله عورته يفضحه فى جوف بيته

وخطب صلى الله عليه وآله ذات يوم فذكر الرّبا وعظّم شأنه فقال انّ الدّرهم يصيبه الرّجل من الرّبا أعظم عندالله فى الخطيئة من ستّ وثلثين زنية يزنيها الرّجل، وفى حديث آخر يزنيها الرجل بمحارمه فى جوف الكعبة ، ثم قال وانّ أربى الرّبا عرض الرّجل المسلم وروى

☆ وروى الشيخ المفيد قدس سره بسنده عن ابى اسحق الهمدانى عن اميرالمؤمنين سلام‌الله عليه انه ولى محمدبن أبى بكر مصر وكتب له كتاباً وأمره ان يقراه على اهل مصر ونقله الشيخ المفيد ره برمته فى كتابه الامالى وفيه ما هذا لفظه الشريف :"وان المعيشة الضنك التى حذر الله منها عدوه عذاب القبر انه يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة و تسعين تنيناً فينهشن لحمه ويكسرن عظمه يترددن عليه كذلك الى يوم يبعث لو ان تنيناً منها نفخ فى الارض لم تنبت زرعاً ابداً اعلموا ياعبادالله ان انفسكم الضعيفة و اجسادكم الناعمة الرقيقة التى تكفيها اليسير يضعف عن هذا فان استطعتم ان تنزعوا الاجساد وانفسكم مما لاطاقة لكم ولاصبر لكم عليه فاعملوا بما احب الله واتركوا ما كره يا عبادالله ان بعد البعث ما هو أشد من القبر الخ انظر الامالى ص ١٥٥ ط النجف

وينبغى التأمل و امعان النظر فى قوله عليه السلام : ينهشن لحمه و يكسرن عظمه يترددن عليه كذلك الى يوم يبعث فان اللحم والعظم الموجود فى هذا البدن العنصرى يضمحل ويتلاشى فى التراب ويفنى بالكلية فى أدنى مدة فما هذا اللحم الذى ينهشه التنين والعظم الذى يكسره الى يوم يبعث ولاشك ان الظاهر من قولهم عليه السلام ان ذلك اللحم والعظم باقيان الى يوم الحشر حتى ان تسعة و تسعين تنيناً يترددن عليه وينهشن لحمه و يكسرن عظمه الى يوم القيامة فيظهر من قولهم سلام الله عليهم هذا احوال البدن المثالى البرزخى وانه مثل هذا البدن العنصرى فى تمام احواله وشؤنه وهو كذلك كما يستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام الا انه جسم رقيق شفاف أثيرى سيال أخف والطف من الهواء هو برزخ بين الجسم المادى الثقيل والروح المجرد الخفيف كما تحقق وبرهن عليه فى محله

ويقال ان التخصيص بهذا المدد (أعنى تسعة وتسعين) فلعل عدد هذه الحيات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد والحقد وسائر الاخلاق والملكات الردية فانها تتشعب تتنوع انواعاً كثيرة وهي بعينها حيات في تلك النشأة والدنيا غلاف الاخرة ☆

انه صلى الله عليه وآله أمر بصوم يوم وقال لا يفطرنّ أحد حتّى آذن له، فصام النّاس حتّى اذا أمسوا جعل الرجل يجئ فيقول يارسول الله ظللت صائماً فاذن لي لأفطر فاذن له و الرّجل والرجل حتّى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين و انهما تستحيان أن تأتياك فاذن لهما ان تفطرا، فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فقال انهما لم تصوما و كيف صام من ظلّ هذا اليوم يأكل لحوم النّاس ؟ اذهب فمر هما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا فرجع اليهما فأخبر هما ؛ فاستقا ئا ، فقاءت كلّ واحدة منهما علقة من دم، فرجع الى النّبي صلى الله عليه وآله فقال والّذي نفس محمّد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار

و في رواية انّه لمّا أعرض عنه جاءه بعدذلك وقال يا رسول الله انّهما والله لقد ماتتا اوكادتا ان تموتا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إيتوني بهما، فجاء تا ، فدعى بقدح فقال لأحدهما قيئي فقاءت من قيح ودم صديد حتّى ملأت القدح ، وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك ، فقال انّ هاتين صامتا عمّا أحل الله لهما و أفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما على الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم النّاس ، وروى أنّه من أكل لحم أخيه في الدّنيا قرب اليه لحمه في الآخرة ، فقيل له كل ميتا كما أكلته حيّا ، فيأكله و يكلح ، ولمّا رجم رسول الله صلى الله عليه وآله الرّجل في الزّنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب، فمرّ النّبي صلى الله عليه وآله معهما بجيفة فقال انهشا منها ، فقالا يا رسول الله تنهش جيفة؟ فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه

وقال الصادق عليه السلام الغيبة حرام على كلّ مسلم، وانّها لتأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب ، وقد أوحى الله عزّوجلّ الى موسى بن عمران انّ المغتاب اذا تاب فهو

---

* وقشرها والاخرة هي اللب والحقيقة و هي موجودة حالا في باطن الدنيا كما يشير اليه قوله تعالى : يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون (سورة ٣٠=٧) نعم الاخرة داخلة في الدنيا دخول الرقيقة في الحقيقة والمعنى في اللفظ والروح في الجسم والهيولى مع الصورة . انظر الفردوس الاعلى ص ٢٧١ ط ٢ تبريز .

ويدل على ما ذكرناه ما نقله المصنف ره بقوله وروى انه صلى الله عليه واله الخ وقوله في رواية انه لما أعرض عنه الخ وغيرهما من الاخبار التي نقلها

آخر من يدخل الجنّة ، وان لم يتب فهو اول من يدخل النّار، وروى عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال من اغتاب مسلما أومسلمة لم يقبل الله صلوته ولا صيامه أربعين يوما وليلة الاّ ان يغفرله صاحبه ، ومن اغتاب مسلما فى شهر رمضان لم يوجر على صيامه

وقال عليه السلام يؤتى بأحد يوم القيمة يوقف بين يدى الله ويدفع اليه كتابه فلايرى حسناته، فيقول الهى ليس هذا كتابى ، فانّى لا أرى فيه طاعتى، فيقال له انّ ربّك لايضلّ ولا ينسى ، ذهب عملك باغتياب النّاس ثمّ يؤتى بآخر فيدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة ، فيقول يا الهى ما هذا كتابى فانّى ما عملت هذه الطّاعات ، فيقال انّ فلانا اغتابك فد فعت حسناته اليك ، وقال عليه السلام كذب من زعم انّه ولد من حلال وهو يأكل لحوم النّاس بالغيبة اجتنب الغيبة فانّها إدام كلاب اهل النّار

وقال عليه السلام عذاب القبر من النّميمة والغيبة والكذب، وروى ان عيسى عليه السلام مرّ والحواريّون على جيفة كلب ، فقال الحواريّون ما أنتن ريح هذه ، فقال عيسى عليه السلام ما أشدّ بياض أسنانه ، كأنّه ينها هم عن غيبة الكلب و ينبّههم على انّه لايذ كر من خلق الله الاّ أحسنه ، وقد قيل فى السبّب الموجب للتّشديد فى أمر الغيبة وأنّها أعظم من كثير من المعاصى هواشتمالها على المفاسد الكلّية المنافية لغرض الحكيم سبحانه، بخلاف باقى المعاصى فانّها مستلزمة لمفاسد جزئيّة، وبيان ذلك ان المقاصد المهمّة للشارع إجتماع النّفوس على همّ واحد وطريقة واحدة ، وهى سلوك سبيل الله بساير وجوه الا وامر والنّواهى ، ولا يتّم ذلك الا بالتعاون والتّعاضد بين أبناء النّوع الإ نسانى ، وذلك يتوقّف على اجتماع همّهم وتصافى بواطنهم ؛ واجتماعهم على الألفة والمحبّة حتّى يكونوا بمنزلة عبد واحد فى طاعة مولاه ، ولن يتّم ذلك الاّ بنفى الضّغاين والأحقاد والحسد ، و كانت الغيبة مفرقة بينهم فكانت مستلزمة لنقيض غرض الشارع من خلق العالم وما فيه

وامّا تفصيل أقسامها فهى كما عرفت ألتّعرّض للمؤمن بما يكرهه بنقصان ، و ذلك النّقصان إما فى بدنه ، او نسبه اوخلقه بضم الخاء ، او فعله، اوقوله .اودينه . اودنياه اوثوبه ، اوداره ، اودابته ، وقد أشار الصادق عليه السلام الى ذلك مجملا بقوله وجوه الغيبة يقع

بذكر عيب فى الخلق ، والفعل ، و المعاملة ، والمذهب ، والجهل ، وأشباهه ، فالبدن كذكرك فيه العمش والحول والعمى وجميع مايكرهه من الأوصاف

و اما النّسب فان يقول أبوه زان اوفاسق او حايك او اسكاف او نحو ذلك ممّا يكرهه كيف كان ، واما الخلق فأن يقول انّه سيّىء الخلق خسيس متكبّر شديد الغضب و نحو ذلك ، واما افعاله المتعلّقة بالدّين فكقولك سارق متهاون بالعبادات ليس بارّاً بوالديه ، واما المتعلّقة بالدّنيا فكقولك قليل الأدب ، متهاون بالنّاس كثير الأكل اذا دخل المجلس يجلس فى غير موضعه ، واما فى ثوبه فكقولك انّه واسع الكمّ ، طويل الذّيل وسخ الثّياب ونحو ذلك ، وهذا لايكون مقصورا على اللّسان بل يجرى فى الكناية والاشاره والغمز والرّموز ، و من ذلك ما روى عن عايشة انهّا قالت دخلت علينا إمرأة ، فلمّا ولّت أومأت بيدى اى قصيرة ، فقال صلى الله عليه وآله إغتبتها ، ومن ذلك تقليد الأعرج فى مشيته ، او كما يمشى الغير بل هو أشد من الغيبة ، لأنّه أعظم فى التّصوير و التّفهيم ، و كذلك الغيبة بالكتاب فانّ الكتاب كما قيل أحد اللّسانين ، ومن ذلك كما قاله الشّهيد الثّانى طاب ثراه ذكر المصنّف شخصاً معيّنا و تهجين كلامه فى الكتاب الا ان يقترن به شئى من الأعذار المحوجة الى ذكره كمسائل الاجتهاد الّتى لا يتّم الغرض من الفتوى و اقامة الدّليل على المطلوب الاّ بتزييف كلام الغير ونحو ذلك ، ويجب الاقتصار على مايندفع به الحاجة

و قد بقى افراد خفية من الغيبة ، الفرد الاول ممّا يستعمله أهل العلم و المعرفة المرائين ، فأنّهم يفهمون المقصود على صنعة أهل الصّلاح ويظهرون التّعفّف عن الغيبة ولا يدرون ، لجهلهم انّهم جمعوا بين اثمين الرياء والغيبة ، وذلك مثل ان يذكر عنده إنسان فيقول الحمدلله الّذى لم يبتلينا بحبّ الرّياسة او بحبّ الدّنيا ، او يقول نعوذبالله من قلة الحياء او من سوء التّوفيق ، او نسئل الله ان يعصمنا من كذا ، بل مجرّد الحمد على شيئى اذا علم إتّصاف المحدث عنه بما ينافيه ونحو ذلك ، فانّه يغتابه بلفظ الدّعا وسمة أهل الصّلاح ، وانّما قصد ان يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والريا

ودعوى الخلاص من الرّذايل وهو عنوان الوقوع فيها

الثّاني ان يقدم من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر فى العبادات ولكن قد اعتراه فتور و ابتلى بما نبتلى به كلّنا وهو قلّة الصبر ، فيذكر نفسه بالذّم و مقصوده ان يذمّ غيره وان يمدح نفسه بالتّشبّه بالصّالحين فى ذمّ أنفسهم ، فيكون مغتابا مرآئيا مزكّيا نفسه ، فيجمع بين ثلاث فواحش ، و هو يظن لجهله انّه من الصّالحين المتعفّفين عن الغيبة ، هكذا يلعب الشّيطان بأهل الجهل اذا اشتغلوا بالعلم او العمل من غير ان يتفطّنوا الطريق ، الثّالث ان يذكر ذاكر عيب الإنسان فلا يتنبّه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ماأعجب هذا حتّى يصغى الغافل الى المغتاب ويعلم مايقوله فيذكر الله ، ويستعمل اسمه آلة فى تحقيق خبثه وباطله وهو يمنّ على الله بذكره جهلا وغرورا

الرابع ان يقول جرى لصاحبنا او صديقنا كذاتاب الله علينا وعليه ، يظهر الدّعاء له والتّألم والصّداقة والصّحبة والله مطّلع على خبث سريرته ، و هو لا يدرى انّه قد تعرّض لمقت أعظم ممّا يتعرّض له الجهّال اذا جاهروا بالغيبة ، الخامس الإصغاء الى الغيبة على سبيل التّعجب فانّه انّما يظهر التّعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة ، فيزيد فيها لإستخراج الغيبة منه بهذا الطريق ، فيقول عجبت ممّا ذكرته ما كنت أعرف من فلان ذلك ، يريد بذلك تصديق المغتاب و استدعاء الزّيادة منه باللّطف والتّصديق بها غيبة بل الإصغاء اليها بل السكوت عندسماعها ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله المستمع أحد المغتابين وذلك انّ أحدهما يتكيّف لسانه بها والاخر يتكيّف سمعه بها ، فالمستمع لايخرج من إثم الغيبة الاّ بأن ينكر بلسانه ، فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه ولوقال بلسانه اسكت و هو يشهى ذلك بقلبه فذلك نفاق و فاحشة أخرى زائدة لاتخرجه عن الإثم مالم يكرهه بقلبه

وقد روى عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال من أذلّ عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره أذلّه الله يوم القيمة على روس الأشهاد (الخلائق خ) وقال صلى الله عليه وآله من ردّ عن عرض أخيه بالغيب

كان حتما على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيمة ، و قال ﷺ من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حتما على الله ان يعتقه من النّار،وروى الصّدوق ره باسناده الى رسول الله ﷺ قال من تطوّل على أخيه فى غيبة سمعها منه فى مجلس فردّها عنه ردّ الله عنه ألف باب من الشّرّ فى الدّنيا والاخرة ، وان هو لم يردّها وهو قادر على ردّها كان عليه كوزرمن اغتابه سبعين مرّة .

و امّا العلاج الّذى يمنع الإنسان عن الغيبة فاعلم انّ مساوى الأخلاق انّما تعالج بمعجون العلم والعمل وانّما علاج كل علّة بمضادّ سببها فلنذكر اسباب الغيبة اوّلا ثمّ نذكر علاج كفّ اللّسان عنها على وجه يناسب علاج تلك الأسباب ، فنقول جملة ما ذكروه من الأسباب الباعثة على الغيبة عشرة أشياء ، وقدأشار الصادق عليه السلام اليها إجمالا بقوله الغيبة تتنوّع بعشرة أنواع، شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشفه والتّبرى من عيب وسوء ظنّ وحسد وسخريّة وتعجّب وتبرّم وتزيّن

وامّا تفصيلها فأوّلها تشفى الغيظ و ذلك اذا جرى سبب غضب فاذا هاج الغضب تشفى بذكر مساويه وسبق اللّسان اليه بالطّبع ان لم يكن دين وورع (ديّنا وورعا)، وقد يمنع من تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن ويصير عقدا ثانياً ، فيكون سبباً لذكر المساوى ، فالحقد والغضب هما البواعث العظيمة على الغيبة ، الثّانى موافقة الأقران و مجالسة الرفقاء و مساعدتهم على الكلام فانّهم اذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى انّه لو أنكر اوقطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم، ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظنّ انّه مجاملة فى الصّحبة ، وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة فى السّراء والضّراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوى

الثّالث ان يستشعر من انسان انّه سيقصده ويطول لسانه او يشهد عليه بشهادة فيبادر قبل ذاك ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته، وفعله او يبتدى بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروّج كذبه بالصّدق الأوّل ويستشهد به ويقول ما من عادتى الكذب فانّى أخبرتكم بكذا و كذا من أحواله فكان كما قلت ، الرّابع ان ينسب الى شيئى فيريدأن

يتبرّیء منه فيذكر الّذی فعله وكان حقّه ان يبرّی نفسه ولا يذكر الذی فعلهولاينسب غيره اليه اويذكر غيره بأنّه كان مشار كاله فی الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه

الخامس إرادة التّصنّع و المباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك ، و غرضه ان يثبت فی ضمن ذلك فضل نفسه و يوهم انّه أفضلمنه ، او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك، السادس الحسد وهو انّه ربمّا حسد من ثنی النّاس عليه ويحبّونه فيريد زوال تلك النّعمة عنه فلا يجد سبيلااليه الاّ بالقدحفيه فيريدأن يسقط محلّه عند النّاس حتی يكفّوا عن إكرامه والثّناء عليه

السّابع أللّعب و الهزل و المطايبة و تزيين الوقت بالضّحك فيذكر غيره بما يضحك النّاس علی سبيل المحاكاة والتّعجب والتعجيب ، الثّامن السّخرية والإستهزاء إستحقار اله فانّ ذلك قد يجری فی الحضور فيجری ايضا فی الغيبة ، ومنشأه التّكبّر و إستصغارالمستهزأبه ، التّاسع وهو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص، وهو أن يغتمّ بسبب ما يبتلی به أحد فيقول يا مسكين فلان قد غمّنی أمره ، ويذكر سبب الغم ويكونصادقا فی إغتمامه و يلهيه الغم عن ذكر اسمه فيذكره بما يكرهه فيصيربه مغتابا فيكون غمّهو رحمته خيرا ، و لكن ساقه الی شرّ من حيث لايدری ، والتّرحّم والتّغمّم ممكن من دون ذكر اسمه و نسبته الی ما يكره فيهيّجه الشيطانعلی ذكر إسمه ليبطل به ثواب إغتمامه و ترحّمه

العاشر الغضب لله تعالی فانّه قد يغضب علی منكر قارفهفيظهر غضبه ويذكراسمه علی غير وجه النّهی عن المنكر وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه علی ذلك الوجه خاصّة ، وهذا ممّا يقع فيه الخواصّ ايضا فانّهم يظنّون انّ الغضب اذا كان لله تعالیٰ كانعذرا كيف كان وليس كذلك

و امّا علاجات هذه الامور فهی أمران مجمل ومفصّل،امّا الاوّل فبأن يعلم انّه تعرّض لسخط الله تعالی و نقل حسناته الی ميزانغيره ويشتغل فی تدبيرعيوب نفسهعن عيوب غيره وانكان ذمّا خلقيّا فالذّم له ذمّ للخالق ، من ذمّ صنعة فقد ذمّ الصّانع ، قال رجل

لبعض الحكماء يا قبيح ، فقال ما كان خلق وجهى الىّ فأحسنه ، وروى أنّ نوحاً عليه السلام مرّ على كلب أجرب فقال ما هذا الكلب ؟ فنطق الكلب وقال يا نوح هكذا خلقنى ربّى فان قدرت أن تغيّر صورتى بأحسن من هذه الصّورة فافعل ؛ فتندم «فندم» على ماقال وبكى على هذه المقالة أربعين سنة فسمّاه الله نوحاً و كان اسمه عبد الملك او عبدالجبّار

واما الثّانى فهو ان ينظر الى السّبب الباعث له على الغيبة ويعالجه ، فانّ علاج العلّة يقطع شينها وقد عرفت الأسباب الباعثة ، اما الغضب فيعالجه بأن يقول ان أمضيت غضبى عليه لعلّ الله تعالى يمضى علىّ بسبب الغيبة إذ نهانى عَنها ، وقال صلى الله عليه وآله إنّ لجهنم بابا لايدخله الاّ من شفى غيظه بمعصية الله تعالى ، و قال صلى الله عليه وآله من كظم غيظا و هو يقدر ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيّره فى أىّ الحور شاء و فى بعض كتب الله يابن آدم أذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك حين أمحق، واما الموافقة فبأن تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه فى رضاء المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقّر غيرك وتحقّر مولاك فتترك رضاه لرضا هم الاّ ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لايوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغى ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذ ذكروه بالسّوء فانّهم عصوا ربك بأفحش الذنوب و هو الغيبة

واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فيعالجه بأن يعرف انّ التعرض لمقت الخالق أشدّ من التعرض لمقت الخلق و انت بالغيبة متعرّض لسخط الله تعالى يقيناً ، ولا تدرى أنك تتخلّص من سخط النّاس أم لافتخلص نفسك فى الدّنيا بالتوهم وتهلك فى الاخرة و تخسر حسناتك بالحقيقة و تحصل ذم الله تعالى اك نقدا وتنتظر دفع ذمّ الخلق نسية وهذا غاية الجهل والخذلان

واما عذرك كقولك انّى ان أكلت الحرام ففلان يأكل وان فعلت كذا فلان يفعل وان قصرت فى كذا من الطاعة ففلان مقصّر و نحو ذلك فهذا جهل لأ نّك تعتذر بالإقتداء بمن لايجوز الاقتداء به ، فانّ من خالف أمر الله تعالى لايقتدى به كائنا من كان ، ولو دخل غيرك النار و أنت تقدر على ان تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة و زيادة معصية

اضفتها ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى الغير تردّى نفسه من الجبل فهى ايضا تردّى نفسها ، ولو كان لها لسان و صرّحت بالعذر وقالت الغير أكيس منّى و قد اهلك نفسه فكذلك افعل لكنت تضحك جهلها ، وحالك مثل حالها ثمّ لاتتعجّب ولاتضحك من نفسك

واما قصدك المباهاة وتزكية النّفس بزيادة الفضل بأن تقدح فى غيرك فينبغى ان تعلم انّك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله تعالى وأنت من إعتقاد النّاس فضلك على خطر وربما نقص إعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب النّاس (١) فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما

واما الغيبة للحسد وهو جمع بين عذابين لأنّك حسدته على نعمة الدّنيا وكنت معذّبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت اليه عذاب الاخرة فكنت خاسراً فى الدّنيا فجعلت نفسك خاسراً فى الآخرة لتجمع بين النّكالين ، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت اليه حسنتك فاذاً أنت صديقه وعدوّ نفسك ، اذلا تضره غيبتك وتضرّك وتنفعه لا نتقال حسناتك اليه او سيئآته اليك ، فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة و ربّما يكون حسدك وقدحك فيه سبب إنتشار فضله ، فقد قيل* وإذا أراد الله نشر فضيلة ، طويت أتاح لها لسان حسود* وقد جاء فى الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام انّ من اغتابك فهو أصدق أصدقائك وذلك انّه رجّحك على نفسه بأن رضى بدخول النّار ورضى لك بدخول الجنّة فمن آثرك على نفسه فهو الصديق ، وفى حديث آخر انّه أتعب نفسه بالصّيام والقيام و وضع ذلك فى طبق مغشّى وأرسله اليك هديّة بدل ما اغتابك فكيف لايكون صديقك وقال رجل لعابد انّى قدرقّ قلبى لك هذا اليوم ورحمك ، فقال ممّ ؟ فقال من استغابة النّاس لك ، فقال سمعت منّى يوما انّى استغبت أحداً منهم ، فقال لا ، فقال إذن فارحمهم فهم محلّ الرّحمة

اما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند النّاس با خزاء نفسك عند الله تعالى وعند

(١) (ثلبه ثلباً) عابه ولامه . اغتابه ، سبه . طرده

الملئكة ، فلو تفكّرت فى حسرتك وخجلتك و خزيك يوم تحمل سيّئآت من استهزأت به وتساق به الى النّار لأدهشك ذلك عن إخزاه صاحبك، ولو عرفت حالك لعرفت انّك انت المضحكة فانّك سخرت به عند نفر قليل و عرضت نفسك لأن يأخذ بيدك فى القيامة على ملأ من النّاس ويسوقك تحت سيّئاته كما يساق الحمار الى النّار مستهزئا بك وفرحاً بخزيك، واما الرحمة له على إثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم المرحوم فتصير أنت المرحوم لا هو اذ حبط أجرك ونقصت حسناتك

واما الاعذار المسوّغة للغيبة فقد حصرها الأصحاب رضوان الله عليهم فى عشرة، الأوّل التظلّم كأنّ يتظلّم من قاض ظلمه عند من يرجو منه إزالة ظلمه ، فانّه يجوز له ان ينسب القاضى الى الظّلم ، اذ لا يمكن استيفاء حقّه الاّ به فقد قال صلى الله عليه وآله لصاحب الحق مقال وقال مطل الواجد يحلّ عقوبته وعرضه

الثّانى الاستعانة على تغيير المنكر وردّ العاصى الى منهج الصّلاح . وهذا يرجع الى النّية والقصد

الثالث الاستفتاء كما تقول للمفتى قد ظلمنى أبى وأخى فكيف طريقى فى الخلاص والاولى هنا التّعريض بأن يقول ما قولك فى رجل ظلمه أبوه أو أخوه ، وقد روى انّ هندا قالت للنّبى صلى الله عليه وآله انّ أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفآخذ من غير علمه ؟ فقال خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف ، فذكرت الشحّ والظّلم ولم يزجرها صلى الله عليه وآله اذ كان قصدها الاستفتاء

الرابع تحذير المسلم من الوقوع فى الخطر والشرّ ونصح المستشير فاذا رأيت متفقّها يتلبّس بما ليس من أهله فلك ان تنبّه الناس على نقصه وقصوره عمّا يؤهّل نفسه له (١) و كذا اذا رأيت رجلا يتردّد الى فاسق يخفى أمره وخفت عليه من الوقوع بسبب

---

(١) أيها السيد المصنف ره لو كنت فى هذا الزمان لرأيت ان تنبيه الناس على نقص من ليس له اهلية المرجعية والفتوى وايقاظهم انه قاصر عما يؤهل نفسه له لنقصان

الصحبة فيما لا يوافق الشرع فلك ان تنبهم على فسقه مهما كان ، و كذلك اذا كان في العبد عيب فلك ان تحدثه بعيوبه ولكن تقتصر في كل عيب على محل الحاجة ولاتذكر العيب الاخر الذى لا مدخل له فى التحذير،قال النبى صلى الله عليه وآله أترعوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس أذكروه بما فيه تحذره الناس ، وقال صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت قيس حين شاورته فى خطابها أما معاوية فرجل مملوك لامال له ، و أما أبوجهم فلا يضع العصا عن عاتقة

✡ في ورعه وتقواه او للشك في اجتهاده وكونه أهلا بان يعمل بفتواه == صار من اصعب الامور واهم المطالب في المجتمع المذهبي لكثرة الاغراض الدنيوية والنيات الممقوتة وقلة الورع والتقوى بل عدم وجودهما في بعض من يدخل نفسه فى زمرة اهل الخبرة والعلم من ذوى المطامع والاغراض الفاسدة والمقاصد المشؤمة

وأضف الى ذلك انه ما اكثر المدعين للفقاهة و الاجتهاد في هذا الزمان التعيس جهلا بانفسهم و بهذا المقام وما اكثر المخدوعين بهم جهلا او لغرض والغرض يعمى ويصم وحقاً اقول ومافى الحق مغضبة : انه ضاعت الموازين الشرعية والمعيار الصحيح فى تعيين المرجع الدينى فى زماننا هذا وقد تداخلت الايدى الظالمة والسياسة الغاشمة و عمالها الجائرة فى البلاد الايرانية في تعيين المرجع للتقليد وقد كثرت الدعايات الخبيثة والاصوات المنكرة والاقلام المستأجرة في هذه الجرائد السوداء فى تعيين المرجع الدينى فى هذه البلاد

(وما افسد الناس الا الملوك) (وأحبار دين و رهبانها)

ولذا قد يلتبس الامر على العوام و يشتبه المطلب عليهم فى معرفة المجتهد الذى يجب عليهم تقليده والاذعان بفتواه فلابدلهم من التثبت والتحقيق فى هذا المقام والرجوع فى تعيين المرجع الدينى للتقليد الى تشخيص اهل الورع والتقوى من اهل الخبرة والعلم والاجتهاد من العلماء لا الرجوع الى كل من يدعى العلم و يتشبه باهله ويعمل فى شؤن دينه لميل نفسه و غرضه الفاسد وليس له معرفة بتشخيص من له ملكة الاجتهاد عن غيره وبعد معرفته انه هل هو أعلم أم لا ؟

وقد ذكر الشيخ الشهيد قدس سره فى كتابه الذكرى فى مقدمته ثلاثة عشر شرطاً للفقيه

الخامس الجرح والتّعديل للشاهد و الرّاوى ، و من ثمّ وضع العلماء كتب الرّجال وذكروا أسباب الجرح لكن يشترط ان يكون القصد فيه صحيحاً

السادس ان يكون المقول فيه مستحقاً لذلك لتظاهره بسببه كالفاسق المتجاهر بفسقه بحيث لا يستنكف من ان يذكر بذلك الفعل الّذى يرتكبه ، فيذكر بما هو فيه لا بغيره ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له ، وظاهر الخبر جواز غيبته وان استنكف من ذكر ذلك الذّنب وان يكون معنى الحديث انّ من نزع جلباب الحياء لا غيبة له يعنى انّ ما يقال فيه لا يدخل فى الغيبة ولا يطلق عليه لفظها لا أنّها غيبة جايزة ، وفى جواز اغتياب مطلق الفاسق إحتمال ناش من قوله صلى الله عليه وآله لا غيبة لفاسق وردّ بمنع اصل الحديث، وبحمله على فاسق خاص ، أو بحمله على النّهى وان كان بصورة الخبر، وهذا هو الأجود الاّ ان يتعلّق بذلك غرض دينى ومقصد صحيح يعود على المغتاب بأن يرجو إرتداعه عن معصيته بذلك، فيلحق بباب النّهى عن المنكر

السابع ان يكون الانسان معروفا باسم يفصح عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول ذلك، فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التّعريف ولا نّه صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهوراً به

الثامن : لو إطّلع العدد الّذين تثبت بهم الحدّ او التّعزير على فاحشة جاز ذكرها عند الحكّام بصورة الشّهادة فى حضرة الفاعل وغيبته ولا يجوز التّعرّض اليها فى غير ذلك

والعجب أن بعض القاصرين ينكر وجوب تقليد الاعلم فلو ارخينا عنان القلم فى اثبات هذا المطلب وبيانه لطال الكلام و قد ذكرنا تفصيل ذلك فى رسالة الاجتهاد والتقليد واثبتنا وجوب تقليد الاعلم فراجع

واليه تعالى نفزع فى اصلاح هذه الشؤن الدينية ونسأله تعالى ان يحفظ اهل دينه من العثرات والزلات فى هذه العصور التعيسة وقد اصبحنا اليوم واصبح فيه المسلمون فى مشاكل عويصة ومصائب كثيرة ولا يحل تلك المشاكل ولا يزيل تلك المصائب ولا يرد تلك البلايا والرزايا الا التوجه لله تعالى والرجوع الى الايمان الراسخ والتمسك بالقرآن الكريم والعمل عليه والله الموفق

الاّ ان يتجه فيه أحد الوجوه الاخرى

التاسع قيل اذا علم اثنان من رجل معصيته شاهداها فأجرى أحدهما ذكرها في غيبة ذلك العاصي جاز لأنه لايؤثر عند السامع شيئا وان كان الأولى تنزيه النفس واللسان عن ذلك لغرض من الأغراض المذكورة خصوصا مع إحتمال نسيان المقول له لتلك المعصية او خوف إستتارها عنهما

العاشر اذا سمع احد مغتابا لآخر و هو لا يعلم إستحقاق المقول عنه للغيبة ولا عدمه قيل لايجب نهي القائل لإمكان إستحقاق المقول عنه فيحمل فعل القائل على الصحة مالم يعلم فساده لأن ردعه يستلزم إنتهاك حرمته وهو أحد المحرمين، والأولى التنبيه على ذلك الى ان يتحقق المحتاج منه لعموم الأدلة و ترك الإستفصال فيها و هو دليل إرادة العموم حذرا من الإغراء بالجهل ، ولأن ذلك لوتم لتمشى فيمن يعلم عدم إستحقاق المقول عنه بالنسبة الى السامع لإحتمال إطلاع القائل على ما يوجب تسويغ مقاله وهو يهدم قاعدة النهي عن الغيبة ، وهذا الفرد مستثنى من جهة سماع الغيبة ، وبالجملة فأمر الغيبة في غاية الإشكال وعلى الله الإتكال ، بقي الكلام في كفارة الغيبة

اعلم انّ الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعل ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته ، وينبغي ان يستحله وهو حزين نادم والاّ فالمرائي قد يطلب المحالة فيكون عليه ذنب آخر، وقد ورد في كفارتها حديثان احدهما قوله صلى الله عليه وآله كفارة من اغتبته ان تستغفر له ، و في حديث آخر كلما ذكرته ، و معنى قوله كلما ذكرته يعني كلما ذكرته على طريق الغيبة ، او كلما عنّ في خاطرك او جرى ذكره على لسانك بعد المحالة الأولى ؛ الثاني قوله صلى الله عليه وآله من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها (فليتحللها خ) منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولادرهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فيزيد على سيئاته ، وجمع بين الحديثين شيخنا الشهيد الثاني قدس الله روحه بحمل الإستغفار على من لم يبلغ غيبة المغتاب فينبغي الإقتصار على الدعاء له والاستغفار لأنّ

فى محالته إثارة للفتنة وجلباً للضغائن ، وفى حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه لموت او غيبة ، وحمل المحالة على من يمكن التوصل اليه مع بلوغه الغيبة ، أقول و يمكن الجمع بينهما بوجهين

احدهما انّ الاستغفار له كفّارة معجلة تكون مقارنة للغيبة والمحالة متأخرة عنه غالبا فيجب عليه المبادرة بذاك لعدم توقفه على التمكن وعدمه والمحالة اذا تمكن بعدهذا فيكون الواجب إثنين لا واحدا كما هو مذكور فى القول الأول

الثانى حمل الاستغفار له على الاستحباب، والواجب انما هو المحالة لاغير ، واذا جاء الى المغتاب فينبغى ان لا يظهر له الكلام الذى إغتابه خوفا من إثارة الشحناء وتجديد العداوة، بل يقول له ياأخى الك علىّ حقوق عرضية وأريد تحالنى منها ونحو ذلك من العبارات المجملة ، ويستحب للمعتذر اليه قبول العذر والمحالة إستحباباً مؤكدا، قال الله تعالى خذ العفو الاية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا جبرئيل ما هذا العفو ؟ فقال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطى من حرمك

وروى عن بعضهم انّ رجلا قال له قد اغتابك فلان ، فبعث اليه طبقا من الرطب و قال بلغنى انك قد أهديت الىّ حسناتك فأردت ان أكافيك عليها ، فاعذرنى فانى لا أقدر ان أكافيك على التمام، ولا فرق بين غيبة الصغير والكبير والحىّ والميت والذكر والانثى ، وليكن الاستغفار والدعاء على حسب ما يليق بحاله ، فيدعو للصغير بالهداية وللميت بالرحمة و المغفرة ونحو ذلك، ولايسقط الحق باباحة عرضه للناس لأنه عفو عما لم يجب ، وقد صرّح الفقهاء بأن من أباح قذف نفسه لم يسقط حقه من حدّه ؛ وما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أيعجز أحدكم ان يكون كأبى ضمضم ، كان اذا خرج من بيته قال اللهمّ انى تصدقت بعرضى على الناس ، معناه انى لا أطلب مظلمته فى القيامة ولا أخاصم عليها لا (١) انّ غيبته صارت بذلك حلالا، ويجب النيّة لها كباقى الكفارات

(١) فى بعض النسخ المطبوعة (الا) وهو غلط واضح

(نور يكشف عن الحسد والنميمة ولواحقهما)

اعلم ان الحسد من أعضل (١) الأدواء وأكبر المعاصي وأفسدها للقلب ، و كفى به شرّا انّه أوّل خطيئة عصى الله تعالى بها ، وذلك هو حسد ابليس لأبينا آدم عليه السلام فاستمرّت تلك البليّة الى يوم القيمة ، و قد أمر الله نبيّه بالاستعاذة منه فقال و من شرّ حاسد اذا حسد ، بعد ان استعاذ من الشيطان والسّاحر فأنزله منزلتهما ، وقال صلى الله عليه وآله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب (٢)

وقال صلى الله عليه وآله ستّة يدخلون النّار قبل الحساب بستّة ، الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبيّة ، والدّهاقين بالكبر ، والتجّار بالخيانة ، و أهل الرستاق بالجهالة ، والعلماء بالحسد ، وفي حديث آخر انّ الحسد عشرة أجزاء منها تسعة بين العلماء وواحد في النّاس و لهم من ذلك الجزء الحظّ الأوفر ، وقال عليه السلام لايخلو المؤمن من شيطان يغويه ، و منافق يقفو أثره ، و مؤمن يحسده ، امّا انّه أشدّ عليه ، و ذلك انّه يقول القول فيه فيصدق

وعن داود الرقّي قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول إتّقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا انّ عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرايعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه و معه رجل من أصحابه قصير ، و كان كثير اللزوم لعيسى فلمّا انتهى عيسى الى البحر فقال بسم الله بصحّة يقين منه فمشى على ظهر الماء ، فقال الرّجل القصير حين نظر الى عيسى جاز بسم الله بصحّة يقين منه فمشى على الماء و لحق بعيسى عليه السلام فدخله العجب بنفسه ، فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا أمشي على الماء فما فضله عليّ ، قال فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له ماقلت ياقصير؟ قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب ، فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الّذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ماقلت فتب الى الله تعالى ممّا قلت قال

(١) اى من أعيا الادوآء

(٢) حسد المرء يأكل الحسنات = وان اعتاد كسبها سنوات

فتاب الرّجل وعاد الى مرتبته الّتى وضعه الله فيها ، فاتّقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا ، وكاد الحسد ان يغلب القدر ، وقال الصّادق عليه السلام انّ المؤمن يغبط ولا يحسد ، وانّ المنافق يحسد ولا يغبط ، و فى خبر معاذ الطّويل انّ صلوة الحاسد تردّ من السّماء الخامسة ، و قال الصادق عليه السلام الحاسد مضرّ بنفسه قبل ان يضرّ با لمحسود كابليس أورث بحسده له اللّعنة ولآدم عليه السلام الاجتباء والهدى والرّفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء ، فكن محسودا ولاتكن حاسدا فانّ ميزان الحاسد أبدا خفيف بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد ، ومايضرّ المحسود الحسد ، والحسد يهيّج خمسة (١) اشياء

احدها إفساد الطّاعات ، لما عرفت من انّه يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب ، والثّانى فعل المعاصى والشّرور ، والثّالث التّعب والغم من غير فايدة بل مع كل ورز ، والرّابع الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد ولا ينصر على عدوّ ، و كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله عن عباده ، و كيف ينصر على أعدائه وهم عبادالله الّذين ساق اليهم النعم لتأهّلهم لها

فان قلت قد ظهر من هذه الأخبار والكلمات انّ الحاسد لايضرّ المحسود ولايكون حسده باعثا لزوال نعم الله سبحانه فكيف يجمع هذا مع قوله عليه السلام كاد الحسد ان يغلب القدر ، فانّ ظاهره انّ للحسد تأثيرا شديدا فى أمر المحسود و زوال النّعمة عنه ، قلت وجه الجمع انّ الحاسد و ان كان سبباً فى زوال تلك النّعمة عن المحسود كتأثير العين الصّائبة الاّ انّه ينقل المحسود من نعمة حقيرة الى نعمة جزيلة؛ امّا فى الدّنيا بأن يكون الحاسد مثلا سبباً فى زوال نعمة تأتى المحسود من بعض إخوانه ، فأوقع الحاسد أمورا منعت من وصول تلك النّعمة اليه كما يتفق فى كثير من الاوقات ، فاذا كان كذلك ساق الله سبحانه تلك النّعمة اليه من محلّ أخر بناء على ما عرفت من انّ الرّزق مقسوم ؛ و من قوله عليه السلام لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتّقوا الله واجملوا فى الطّلب ، و امّا فى

---

(١) كذا فى النسخ

الأخرة والأمور المتعلّقة بها فقد يكون حسد الحاسد باعثا لإرتقاء درجات المحسود كما فى حكاية ابليس لآدم عليه السلام فانّه انّما ارتقى الى درجة الاصطفاء والعصمة بأعماله العظيمة التى وقعت بعد الحسد اذا عرفت هذا

فاعلم انّه قد بقى هنا أمور، الأوّل حقيقة الحسد هو إنبعاث القوة الشهويّة الى تمنّى مال الغير اوحاله الّتى هو عليها وزوالها عن ذلك الغير وهو مستلزم لحركة القوة الغضبيّة ، ولذلك قال على عليه السلام الحاسد مغتاظ على من لاذنب له ، وقد اتفق العقلاء على انّ الحسد مع انّه رذيلة عظيمة للنّفس فهو من الأسباب العظيمة لخراب العالم اذا كان الحاسد كثيرا ما يكون حركاته وسعيه فى هلاك أرباب الفضائل وأهل الشرف والأموال الّذين تقوم بوجودهم عمارة الأرض ، اذ لا يتعلّق الحسد بغيرهم من اهل الخسة والفقر

وامّا الغبطة المحمودة فهى انّك لا تتمنى زوال تلك النّعمة عنه ولكنّك تشتهى لنفسك مثلها كما قال الصّادق عليه السلام انّا نغبطكم يا اهل العراق على الأرز

الثّانى فى الأسباب المثيرة للحسد وقد حصروها فى سبعة ، العداوة ؛ والتّعزز ، والتّكبر ، والتعجّب ، والخوف من فوت المقاصد ، وحبّ الرياسة و خبث النّفس وبخلها فانّه انّما يكره النّعمة عليه امّا لأنّه عدوّه فلا يريد له الخير ، وهذا لا يختصّ بالامثال وامّا لأنّه يخاف ان يتكبّر بالنّعمة عليه وهو لا يطيق إحتمال كبره وعظمته لعزّة نفسه وهو المراد بالتّعزز ، وامّا ان يكون فى طبعه ان يتكبّر على المحسود و يمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتّكبّر ، واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا و يتعجّب من فوز مثله بمثل تلك النّعمة و هو التّعجّب ، واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصّل به الى مزاحمته فى أغراضه ، واما ان يكون لحبّ الرياسة الّتى تبتنى على الإختصاص بنعمة لا يساوى فيها ، واما ان لا يكون بسبب من هذا الأسباب بل بخبث النّفس وشحّها بالخير لعباد الله

وقد أشار سبحانه الى السّبب الأوّل بقوله وإذا عنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم والى الثّالثة بقوله لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، اى كان لا يثقل

علينا الانقياد لأنهم قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم ، والى الرابعة بقوله قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا ، و أعظم الأسباب فساد الخامس والسادس لتعلقهما غالبا بعلماء السوء ومناط الخامس يرجع إلى متزاحمين على مطلوب واحد ومن هذا الباب تحاسد الضرات(١) في التزاحم على مقاصد الزوجية

الثالث في بيان الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب ، اعلم ان الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلب الا بالعلم والعمل ، والعلم النافع لمرض الحسد هو ان يعلم يقينا ان الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين ولا ضرر به على المحسود فى الدنيا ولا فى الدين بل ينتفع بعقبها(فيه) ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لامحالة وما أحسن ما قيل

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذى يكمد

لازلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد

وفي الحديث ان اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه، أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض، هذا مجمل الكلام فى الحسد

واما النميمة فهى نقل قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان تكلم فيك بكذا و كذا سواء كان نقل ذلك بالقول ام بالكتابة ام بالإشارة والرمز ، و ذلك النقل كثيرا ما يكون متعلقه نقصانا او عيبا فى المحكى عنه موجبا لكراهته وإعراضه عنه فيكون راجعا الي الغيبة ايضا، فقد جمع بين معصية الغيبة والنميمة ، وهى من المعاصى العظيمة لأنها توجب العداوة بين الأحباب وتهدم حصول الألفة بين الأقارب والانساب ومن ثم قال سبحانه هماز مشاء بنميم ، وقال عتل بعد ذلك زنيم، قال بعض العلماء دلت هذه الأية على ان من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولدزنا لأن الزنيم هوالدعى ، وقال تعالى فى إمرأة نوح ولوط فخانتا هما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلاالنار

---

(١) ضرة المرأة امرأة زوجها و هما ضرتان جمع ضرائر ويقال : بينهم داء الضرائر اى الحسد

مع الداخلين ، و كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان ، و إمرأة نوح تخبر بأنه مجنون ، و عنه عليه السلام ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي ، قالت سعد من دخلني ، قال الجبار جل جلاله و عزتي و جلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس ، لا يسكن فيك مدمن خمر ، ولا مصر على الزنا ، ولا قتات و هو النمام ، ولا ديوث ، ولا شرطي ، و لا مخنث ؛ ولا قاطع رحم ، ولا الذي يقول علي عهد ان لم أفعل كذا و كذا ثم لم يف به

وروى ان موسى عليه السلام استسقى لبني اسرائيل حين أصابهم قحط ، فأوحى الله تعالى انى لا أستجيب لك ولا لمن معك و فيكم نمام قد أصر على النميمة ، قال موسى عليه السلام من هو يا رب حتى نخرجه من بيننا؟ فقال يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا بأجمعهم فسقوا ، و روى ان رجلا أتبع حكيما سبعمأة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال انى جئتك للذى آتاك من العلم ، أخبرني من السماء و ما أثقل منها ؛ وعن الأرض وما أوسع منها ، وعن الحجارة وما أقسى منها ، وعن النار وما أحر منها ؛ و عن الزمهرير وما أبرد عنه ، وعن البحر وما أغنى منه ، وعن اليتيم و ما أذل منه ، فقال البهتان على البرى أثقل من السموات ؛ والحق أوسع من الأرضين ، والقلب القانع أغنى من البحر ، والحرص والحسد أحر من النار ، والحاجة الى القريب اذا لم ينجح أبرد من الزمهرير ، و قلب الكافر أقسى من الحجر ، والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم

وفي بعض الكتب ان رجلا أراد أن يشترى عبدا فقال له صاحبه انه لا عيب فيه سوى النميمة، فقال لا علي من نميمته ، فاشتراه فبقى عنده ، فأتى يوما لإمرأة مولاه فقال مولاى لا يحبك فان قدرت ان تأخذى شعرة من لحيته حتى أقرأ عليها شيئا من الأسماء والتعويذات فانه يعود الى محبتك ؛ فرضيت وقالت اذا نام أقطع من لحيته شعرة بالموسى فأتى الى مولاه و قال يا مولاى ألواجب علي ان أنصحك اعلم ان امرأتك أظهرت لى انها تريد أن تذبحك اذا نمت بالموسى ، فان لم تصدق فتناوم هذا اليوم حتى تنظر ما تفعل فلما تناوم أقبلت المرأة و معها الموسى تريد قطع الشعرة، فلما دنت الى الرجل قام و

وأخذ لها السيف فضربها به حتى قتلها ، فسمع أهلها فأتوا الى الرجل وقتلوه و ثارت الفتنة بين القبائل حتى قتل منهم أناس كثيرة، ومن هذا أحل الله الكذب فى الاصلاح بين الناس و بغض الصدق فيه . فقال عليه السلام المصلح ليس بكذاب ، مع ان الكذب من أقبح المعاصي حتى انه سئل عليه السلام ان المؤمن هل يزنى ؟ فقال ان المؤمن يزنى ويلوط ويسرق ويشرب الخمر ويفعل الكبائر لكنه لايكذب ، فجعل الكذب أعظم من هذه الذنوب والوجه فيه ظاهر ، و هو ان المفسدة التى تترتب عليه أعظم من غيرها ، فان بها سفك المهج وخوض اللجج كما عرفت ، قال بعض المحققين كل من حملت اليه النميمة فعليه ستة أمور :

الاول ان لايصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة، قال الله تعالى ان جاء كم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة

الثانى ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله ؛قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر، الثالث ان يبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عندالله ؛ الرابع ان لاتظن بأخيك السوء بمجرد قوله، لقوله تعالى إجتنبوا كثيرا من الظن ، بل يتثبت حتى يتحقق الحال

الخامس ان لايحملك ماحكى لك على التجسس والبحث لقوله تعالى ولاتجسسوا؛

السادس ان لا ترضى لنفسك بما نهيت النمام عنه فلا تحكى نميمته فتقول فلان قد حكى لى كذا و كذا فتكون به نماما ومغتاباً وقد تكون قد أتيت بما عنه نهيت ؛ وروى ان رجلا أتى امير المؤمنين عليه السلام يسعى اليه برجل، فقال يا هذا نحن نسأل لما قلت، فان كنت صادقا مقتناك . و ان كنت كاذبا عاقبناك ، وان شئت ان نقيلك أقلناك ، قال أقلنى يا امير المؤمنين . وروى ان حكيما من الحكماء زار بعض اخوانه فأخبره بخبر عن غيره ؛ فقال له الحكيم قد أبطأت فى الزيارة وأتيتنى بثلاث جنايات ، بغضت الى أخى ؛ وشغلت قلبى الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة

خاتمة هذا النور فى ذكر ذى اللسانين وهو الذى يتردد بين الاثنين سيما المتعادين

ويكلّم كلّ واحد منهما بكلام يوافقه، وقلّ ما يخلو عنه من يشاهد متعادين ، و ذلك عين النّفاق ، وهو من الكبائر المتوّعد عليها النّار ، وروى عمّار بن ياسر عن النّبي صلّى الله عليه وآله من كان له وجهان في الدّنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة ، وروى الصّدوق ره باسناده الى على عليه السلام قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله يجيء يوم القيمة ذوالوجهين دالعا لسانه في قفاه و آخر من قدّامه يلتهبان نارا ثمّ يلهبان جسده ، ثمّ يقال هذا الّذى كان في الدّنيا ذا وجهين وذالسانين يعرف بذلك يوم القيمة ، ويتحقّق كونه ذا اللّسانين كما قال شيخنا الا جلّ الشّيخ زين الدّين ره بأمور :

منها أن ينقل كلام كلّ واحد الى الاخر وهومع ذلك نميمة وزيادة ، فانّ النّميمة يتحقّق بالنّقل من أحد الجانبين فقط ؛ و منها ان يحسن لكلّ واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه وان لم ينقل بينهما كلاما، ومنها ان يعد كلّ واحد منهما بأن ينصره ويساعده، ومنها ان يثنى على كلّ واحد منهما في معاداته ، وأولى منه ان يثنى عليه في وجهه واذا خرج من عنده ذمّه ، والذى ينبغي له إمّا ان يسكت أو يثنى على المحقّ منهما في حضوره وغيبته و بين يدى عدوّه . ولا يتحقّق اللّسانان بالدخول على المتعادين ومجاملة كلّ واحد منهما مع صدقه في المجاملة ، وانّ الواحد قد يصادق المتعادين ولكن صداقة ضعيفة لاتصل الى حدّ الأخوّة، اذلو تحقّقت الصّداقة لاقتضت معاداة العدوّ كما هو المشهور من انّ الأصدقاء ثلاثة الصّديق،وصديق الصديق،وعدوّ العدوّ ، والاعداء ثلاثة العدوّ وعدوّ الصّديق ، وصديق العدوّ

فان قيل كثيرا ما يتّفق لنا إختلاف اللّسانين مع الأمراء و أعداء الدّين فهل يكون ذلك داخلا في النّهي والنّفاق كما ورد من انّه سئل بعض الصّحابة انّا ندخل على أمرائنا فنقول القول فأذاخرجنا قلنا غيره، قلنا ان كان القائل مستغنيا عن الدّخول على الأمير و عن مخالطة العدوّ الدّينى واختار الإجتماع معه والصّحبة له اختيارا طلبا للجاه والمال زيادة على القدر الضّرورى فهو ذولسانين و منافق كما ذكره الصّحابى ، و عليه يحمل الخبر، وان كان محتاجاً الي ذلك إتّقاء ضرورة فهومعذور لاحرج عليه ، فانّ

اتقاه الشر جائز ، قال ابو الدرداء انا لنبش في وجوه أقوام وأن قلوبنا لتبغضهم ، و وروى انه مر رجل على النبي صلى الله عليه وآله فقال بئس رجل العشيرة ، فلما دخل عليه أقبل عليه فقيل له في ذلك ، فقال ان شر الناس الذي يكرم إتقاء شره ، وأكثر التحقيقات التي في هذين النورين قد أخذنا من كلام شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه .

(نور في الكبر والفخر وعلاجاتهما وما يناسب ذلك)

اعلم وفقك الله تعالى ان الغرض الذاتي من خلق الإنسان انما هو الإطاعة والقيام بوظائف العبودية ، قال تعالى :

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون، وليس المثل الا كمولى يشتري عبدا فانه ليس العلة في شرائه الا ان يأتي برسوم العبودية ولوازمها ، وحينئذ فارتقاؤه في درجات الكمال انما يكون بارتقائه في درجات العبودية سواء كان نبيا اوغيره ، ومن هذا فضلت مرتبة العبودية على مرتبة النبوة والرسالة ، فقال تعالى مخبرا عن غاية قرب نبيه و تمام التنويه باسمه سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (١) و لم يقل في هذا المقام أسرى برسوله ، مع انها الحالة التي إمتاز بها عن سائر الأمة

(١) يعني ان الله تعالى بنفسه أسرى بنبيه ص وتوجه بذاته على طلبه وفي مجيه وذهابه كمن طلب ضيفاً و استقبل بنفسه اليه مجيأ وذهابا من الابتداء الى الانتهاء وهيأله طعاماً وتحفاً وانعاماً بيده لعلو شأنه ورفعة مكانه عنده فمن اسراه السلطان الجليل واهتم بنفسه في مسيره فهو أشرف وافضل ممن لم يسر به والحاصل ان اسرائه ص طلبه وامره تعالى تعظيماً له وانما قال سبحانه اسرى بعبده ذلك اشارة الى انه تعالى هوالمسرى به ليعلم ان الامر من عنده تعالى هبةالهية وعناية ربانية تبعث له بما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وادخل باء المصاحبة في قوله بعبده ليفيد انه تعالى صحبه في مسراه صحبة بالالطاف والعناية والاسعاف والرعاية والاضعاف ويشهد به قوله اللهم انت ☆

و وجه ذلك انّ العبوديّة نسبة بين العبد و مولاه والرّسالة نسبة بين النّبي و أمّته وهي كونه رسولا اليهم، ولاريب في أشرفيّة النّسبة الأولى لمكان طرفيها، ولأنها النّسبة المقصودة بالذّات ، وأما الرّسالة وماشابهها فهي نسبة عرضيّة لاذاتيّة ، و من ذلك كانت الأولى هي المقدّمة في الوجودين فانّه عزّ و جلّ لم يرسله الى الأمة الاّ بعد أربعين سنة ، وهي مدة سيره في تحصيل كمال العبوديّة فانه ترقى فيها حتى أخبر عنه بقوله فكان قاب قوسين أو أدنى ، و لمّا كمل في تلك الدّرجة أهبطه منها الى درجة سافلة وهي الرسالة ، فقال عزّ من قائل انّا أنزلنا اليكم ذكرا رسولا ، ففي قوله أنزلنا إشارة الى هذا الانزال المعنوى وهومن درجة الى درجة ، وليس المراد الانزال الحسّي لانّه لم يكن في السّماء حتى ينزل الى الأرض بل كان بين ظهرانيهم وما كان أشق هذا الانزال عليه لانّه كان في الدّرجة الأولى يحاكي جناب القدس في عالم الملكوت ، و قد صار في الثّانية متكلّما مع أجلاف قريش وجهّالهم الذين يقولون أجعل الالهة إلهاً واحدا إنّ هذا لشيئي عجاب ، فانّهم كانوا يعبدون ثلاثمائة وستّين صنما ، و لمّا أنزل صلى الله عليه وآله اليهم أمرهم بالتوحيد فاظهروا هذا التّعجّب من قوله ، وقد حصل له من ردّهم عليه مقالته تعب عظيم وألم جسيم، وتعب القلب أشدّ من ضرب السّيوف لأنّه من ربّي اربعين سنة في حجر جبرئيل عليه السلام وكان المعلّم له ربّ الملكوت(١) فأدّبه بآدابه ،و اطّلعه على مراتب

✡ الصاحب في السفر فقوله أسرى بعبده صريح في تخصيص الرسول بمصاحبته مصاحبة الرضوانية والتفضيل والتعظيم

وعبودية النبي اشرف من رسالته لانه بالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة بالعكس ولهذا قدم في اشهد ان محمداً عبده ورسوله

(١) اتفقت الامامية على انرسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن متعبداً بشريعة من تقدمه من الانبياء قبل بعثته في مدة اربعين سنة بل جميع ما تعبد به كان شرعا له وكان من اول الامر مأموراً بالتستر وعدم الاظهار معتزلا في غار حراء مشغولا لعبادة الله تعالى الى ان بعثه الله تعالى بالرسالة ودعوة الناس كافة الى الله تعالى والاقرار بنبوته فصدع بما كان مأموراً به ✡

جبروته ، ثمّ تنزل من هذا كلّه حتّى أمر بمعاشرة أجلاف العرب وأهل ترك الأدب مع فرط روحانيـّته ولطافة قد سيـّته كان عليه هذا أثقل من الجبال الرواسى لولا أمره سبحانه له بمثله

وفى الروايات انّ سليمان عليه السلام لما أراد تأديب الهدهد أمر به فحبس مع الحدأة فى قفص واحد ، فلمّا راى حاله معها طلب من سليمان ان يخرجه من القفص و ان يعذّ به فى كلّ ما أراد من أنواع العذاب فقد كان أخفّ عليه ، ومـن هنا قال سبحانه من تدخل النّار فقد أخزيته ، ولم يقل فقد أحرقته اوعذّبته ، وذلك انّ الخزى عذاب الرّوح والاحراق

☆ قال شيخ الطائفة الشيخ محمد بن الحسن الطوسى النجفى شيخ الامامية على الاطلاق فى كتابه النفيس (عدة الاصول) ما هذا لفظه : عندنا ان النبى ص لم يكن متعبداً بشريعة من تقدمه من الانبياء لاقبل النبوة ولا بعد ها و ان جميع ما تعبد به كان شرعاله ويقول اصحابنا انه(ص) قبل البعثة كان يوحى اليه بأشياء تخصه و كان يعمل بالوحى لا اتباعا لشريعة .

واما الفقهاء فقد اختلفوا فى ذلك والمتكلمون فالذى ذهب اليه اكثر المتكلمين من اهل العدل وهو مذهب ابى هاشم وابى على انه لم يكى متعبدا بشريعة من تقدمه وان جميع ما تعبد به كان شرعاله دون من تقدمه (ا ه) ومراده من الفقهاء والمتكلمين هو فقهاء اهل السنة ومتكلميهم كماهو ظاهر وقال قدس سره ايضاً بعدما نقلناه

والذى يدل على ما ذهبنا اليه اجماع الفرقة المحقة لانه لااختلاف بينهم فى ذلك واجماعها حجة على ما نستدل عليه ان شاء الله ويدل على ذلك ايضاً ما ثبت بالاجماع من انه (ص) من افضل من جميع الانبياء ولايجوز ان يؤمر الفاضل باتباع المفضول على مادللنا عليه فى غير موضوع فان قيل : فمن اين يعلم انه كان قبل البنوة افضل من سائر الانبياء قيل : لم يخص احد تفضيله على سائر الانبياء بوقت دون وقت فيجب ان يكون افضل فى جميع الاوقات ويدل على ذلك ايضاً انه لوكان متعبداً بشريعة من تقدمه فاما بان يكون شرعا لذلك المتقدم ويكون فى حكم المؤدى عنه فكان يجب ان لايضاف جميع الشرع اليه كما لا يضاف الشرع الى من يؤدى عنه (ص) لما كان مؤدياعنه وفى علمنا باضافة جميع الشرع اليه دليل على انه لم يكن متعبداً بشرع من تقدمه . الى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى من الاستدلال ودحض بعض الشبهات انظر ج ١ ص ٦٠=٦٤ ط هند ☆

عذاب على البدن وعذاب الرّوح أشدّ و أفظع لو كانوا يشعرون ، وروى ايضا انّه سئل عليه السلام عن الحمل الثّقيل يحمله الرجل على رأسه فلا يثقل عليه كثيرا و يرى الرجل المكروه يجلس على بعد من الانسان ويكون ثقله و مشقّته عليه أعظم من ذلك الحمل الثقيل فقال عليه السلام انّ الحمل الثقيل يحمله البدن والرجل المكروه تحمله الروح وهى ألطف من البدن وأرقّ ، فما تحمله الروح أشقّ عليها ممّا يحمله البدن ، وفى الاخبار ان من الذّنوب ذنوبا قدتناهت فى العظم فلا يكفّرها الاّ الهمّ والغمّ والصّبر على المصائب و ذلك لانّه عذاب على الروح فيكون مكفّر الذنوب البدن او شهواته الحيوانيّة واذا تحقّقت هذا

فاعلم ان النّاس كلّهم بل كلّ أصناف المخلوقات متساوون فى العبوديّة لأنّ مولاهم واحدفهم من قبيل ان يكون سلطان عنده أنواع من العبيد فليس للأبيض ان يفخر

☆ وقال الشهيد النشابورى ره فى كتابه روضة الواعظين : اعلم ان الطائفة قد اجتمعت على ان رسول‌الله (ص) كان رسولا نبيا مستخفياً يصوم ويصلى على خلاف ماكانت قريش يفعله مذ كلفه الله‌تعالى فاذا أتت اربعون سنة امرالله عزوجل جبرئيل (ع) ان يهبط اليه باظهار الرسالة و ذلك فى يوم السابع والعشرون من شهرالله الاصم الخ انظر ص ٦٥ ط قم

اقول الادلة الدالة على ماذكرناه من‌عدم كون النبى(ص) قبل البعثة متعبداً بشرع من تقدمه من الانبياء وان‌جميع ما تعبدبه منذ اربعين سنةكان شرعاً له من الايات‌الشريفة والاحاديث المروية عن اهل البيت عليهم‌السلام كثيـرة يطول الكلام بذكر ها مضافا الى الادلة العقلية المذكورة فى‌محلها .

واما القول بان النبى(ص)= العياذ بالله = كان قبل البعثة منذ اربعين سنةعلى امر قومه وطريقتهم وانه ما كان يعبدالله تعالى ولم يتعبد بالفروع وكان فى مدة اربعين سنة خالياً من العبادات الشرعية الفرعية

فالتفوه به واسناده اليه صلوات الله عليه و آله كاد ان يكون كفراً كما صرح به المحقق الاردبيلى قدس سره الذى لم تسمح الزمان بمثله في بعض حواشيه على تفسير الكشاف فراجع

على الاسود فى اصل العبوديّة ، ومن هذا جاء فى الحديث انّ الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام اذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيرا منه، فجعل موسى عليه السلام لايتعرّض أحداً الاّ وهولايجسر ان يقول انّى خير منه، فنزل عن النّاس وشرع فى أصناف الحيوانات حتّى مرّ بكلب أجرب ، فقال أصحب هذا فجعل فى عنقه حبلا ثمّ مرّ به ، فلمّا كان فى بعض الطّريق شمّر الحبل و أرسله ، فلمّا جاء الى مناجاة الربّ سبحانه قال يا موسى اين ما أمرتك به؟ قال يا ربّ لم اجده، فقال تعالى وعزّتى وجلالى لوأتيتنى بأحد لمحوتك من ديوان النبوّة ، فهذا الحديث و ما روى فى معناه منزّل على ما ذكرناه ، والاّ فلاخلاف فى انّ كلّ نبى بعث فى زمان فهوأفضل و اشرف من أهل زمانه و كذلك النّاس يتفاوتون فى الفضل والشّرف على قدر خدمتهم لمولاهم، فيكون هذا الشّرف عارضيّا و مع هذا فلا ينبغى للعبد ان يفتخر على غيره به و ذلك لانّه شئى قد ألزم به وهو واجب عليه ، فينبغى له ان يكل الفخر والمدح الى مولاه بأن يكون هوالذى يباهى به ويظهر شرفه

وفى الحديث ان الله تعالى يباهى الملئكة و يفاخرهم بأقوام ، منهم رجل صارفى قفر من الأرض ليس معه أحد فيقوم يؤذّن ويقيم للصلوة فيقول سبحانه أنظروا يا ملئكتى الى عبدى هذا قام يذكرنى فى هذه الفلاة من الأرض ، ورجل قام الى صلوة اللّيل فأخذه النّعاس وهو ساجد فيقول سبحانه أنظروا الى عبدى روحه عندى فى قبضتى وبدنه ساجد لى ورجل لم يقم لصلوة اللّيل لعارض ، ثمّ اذا جاء النهار قام يقضيها ، الى غير ذلك فيكون المولى هو المادح لهم والمثنى عليهم ، و لهم الفخر الواقع فى نفس الأمر ، وفى الدّيوان المنسوب الى مولينا امير المؤمنين عليه السلام

النّاس من جهة التّمثال اكفاء	أبوهم آدم و الأمّ حواء
فان يكن لهم فى أصلهم شرف	يفاخرون به فالطّين والماء
ما الفخر الاّ لأهل العلم انّهم	على الهدى لمن استهدى أدلاّء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء

نعم اذا أراد الانسان بيان أحواله اذا كانت مجهولة لغرض من الأعراض الشّرعية جاز له وان كان فيه عبارات الفخر ، لكن لايكون الفخر والكبر مقصودين له كما كان يستعمله قدماء علمائنا من ذكرهم مدائحهم ومعالى مناقبهم فى كلّ العنوان ، و من هذا جاء فى الحديث قوله صلى الله عليه وآله انا خير الخلق ولافخر؛ وأنا أفصح العرب ولافخر، الى غيرذلك ومقصوده عليه السلام إظهار بيان شئى من شأنه عند جهّال الناس لا الفخر ، ولهذا بالغ فى نفيه بلا الجنسيّة ، والكبروالفخر ليسا من مساوى الأخلاق بل من أشرف الصّفات والحالات وهما من صفات الاكرام له سبحانه و تعالى ، وممّا إختصّ به فلا يجوز لأحد ان ينازعه فى أخصّ صفاته

قال ابوجعفر عليه السلام العزّ رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئا منه أكبّه الله فى جهنّم ، وفى الحديث القدسى العزّ ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنيهما أدخله نارى ولا أبالى ، فهما بالنسبة إلى الصفات ذم لأنّهما ثوبان مغصوبان قد لبسنا هما والثوب المغصوب يحرم إستعماله فى جميع الأحوال ، و لهذا ساوى سبحانه بينهم فى أغلب الاحوال حتّى قال صلى الله عليه وآله أبناء آدم كأسنان المشط لايفضل بعضهم بعضا، ويكون هذا اشارة الى ماقدّمناه من انّ المراد المساواة فى أصل العبودية ، و يجوز ان يكون هذا الحديث منزّلا على إرادة المؤمنين والمسلمين ، كما قال صلى الله عليه وآله ما ترك الايمان لذى شرف شرفا، فانّهم كانوا يتكبّرون ويفخرون فى أعصار الجاهليّة حتى بلغ بهم الحال الى ان الرجل العظيم منهم اذا كان له بنت إنتظر بها حتّى اذا بلغت مبالغ النساء زيّنها وحلاّها بأنواع الحلىّ والحلل وأخذها الى المقابر وحفر لها قبرا ودفنها فيه و هى فى عالم الحيوة ، وذلك لانّه ليس لها كفوّ بزعمه حتّى يزوّجها منه ، فنفى سبحانه هذه المقالة عليهم بقوله واذا المؤدة سئلت بأىّ ذنب قتلت

و قد حكى عمر بن الخطاب (١) فيما روى عنه انّه قال أدركني الرقّة على

(١) لايخفى انه قد يقال ان والد الخليفة كان حطابا جامعاً للحطب عن الصحارى كما اشار بهذا المعنى عمرو بن العاصى فيما نقله ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرح نهج البلاغة ☆

ابنة لي في أعصار الجاهليّة ، وذلك انّي أمرت بأن يحفر لها قبر لأدفنها فيه ، فلمّا أتيت بها الى القبر ، كان الحفّار يخرج التّراب من القبر فتناولت منه التّراب ، فعلّق بعض التّراب بلحيته ، فأخذت البنت تنفضه منها فرفقت لها ، ثمّ دفنتها و هي حيّة ، فلمّا جاء الاسلام أبطل تلك الامور وعطّلها ، حتّى انّه صلى الله عليه وآله صعد المنبر يوما وذكرما كانوا به يتفاخرون ويتكبّرون فقال انّه موضوع تحت قدمي الى يوم القيمة ، ولم ينزل من المنبر حتّى زوّج بنت صفية ابنةعبدالمطلب من المقداد مع انّه كان أفقر النّاس حالا وأقلّهم -

☆ قال كتب عمر الى عمروبن العاص وهو عامله في مصر : اما بعد فقد بلغني انه قدظهر لك مال من ابل وغنم وخدم وغلمان ولم يكن لك قبله مال ولا ذلك من رزقك فأنى لك هذا الخ ثم ذكر جواب عمروبن العاص اليه وان عمر كتب الى عمر وللمرة الثانية الى ان قال : وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة ليشا طرك على ما في يديك فلما قدم اليه محمد اتخذ له طعاماً و قدمه اليه فأبى ان ياكل فقال مالك لا تأكل طعامنا قال انك عملت لي طعاما هو تقدمة للشر ولو كنت عملت لي طعام الضيف لأكلته فابعد عني طعامك واحضرلي مالك فلما كان الغدو أحضر ماله جعل مسلمة يأخذ شطراً و يعطي عمرو شطرا فلما راى عمروما حاز محمد من المال قال يا محمد اقول قال قل ما تشاء قال لعن الله يوماً كنت فيه واليا لابن الخطاب والله لقد رأيته ورأيت أباه وان على كل واحد منهما عباءة قطوانية مؤتزرا بها ما تبلغ مأبض ركبتيه وعلى عنق كل واحدمنهما حزمة من حطب وان العاص بن وائل لفي مزررات الديباج فقال محمد ايها يا عمر وفعمر والله خيرمنك واماأبوك وأبوه ففي النار الخ وصورة أخرى لهذه القضية وفيها : فغضب عمروبن العاصي فقال : يامحمد بن سلمة قبح الله زماناً عمروبن العاصي لعمر بن الخطاب فيه عامل والله اني لأعرف الخطاب يحمل فوق راسه حزمة من الحطب و على ابنه مثلها وما منهما الا في نمرة لاتبلغ رسغيه و الله ما كانَ العاصي بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزرواً بالذهب قال له محمد : اسكت والله عمر خير منك واما ابوك وأبوه ففي النار ، والله لولا الزمان الذي سبقته فيه لا ألفيت معقل شاة يسرك غزرها و يسترك بكرها فقال عمرو : هي عندك بأمانة الله فلم يخبر بها عمر

انظر شرح النهج لابن ابى الحديد ج ٣ ص ١٠٤ ط مصر والغدير ج ٦ ص ٢٧٣ ط طهران

مالا ، وقد ساوى بينهم في أعزّ الامور وأنفسها وهو أمر الدّماء ، فقال صلى الله عليه وآله المسلمين اخوة تتكافادماءهم و يسعى بذمّتهم ادناهم ، فاذا كان دم السّلطان والكنّاس على حدّ سواء يقتل هذا بهذا فانّى للسلطان والفخر والتّكبّر على الكنّاس

وامّا حطّ دية العبيد عن الاحرار فلكون الغالب فيهم النّشو والنماء على ملل الكفر وحالاتهم ، وأمّا نقصان المرأة عن الرجل فلنقصان عقلها ودينها ، امّا العقل فهوانّ شهادة إمرأتين شهادة رجل واحد ، وامّا الدّين فهو ان المرأة تمكث زمانا لاتصلّى فيه ولاتصوم لمكان حيضها ، وايضا فانّ الانسان اذا تفكّر في مبادى أحواله وأواخر ها ذلّت عنده نفسه و لم يدخلها في ميدان الفخر والكبر ، ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام ابن آدم انّى لك والفخر فانّ أوّلك جيفة و آخرك جيفة وفي الدّنيا حامل الجيف ، ولينظر ايضا الى أحوال هذه الجيف فانّها ليست كجيف الحيوانات ، امّا الجيفة الاولى فهي المني فقد غلّظ الشّارع نجاستها حتّى فهم بعض الأصحاب من تغليظه انّ تطهير الثياب والأبدان منها يحتاج الى الغسل مرّتين ، كما ورد في إزالة البول ايضا وانّها يخرج من طريقين نجسين بالبول فيكون حاله ضمّ نجاسة الى نجاسة ، و امّا الجيفة الأخيرة وهي ميتته فانّها أخسّ و أخبث من ميتة الكلب والخنزير ؛ وذلك ان كلّ من مسّ ميتة الكلب لم يوجب الشّارع عليه غسلا و امّا من مسّ جلد الميّت فقد أوجب عليه تطهير كلّ بدنه مبالغة في خبث جيفته وفي اجتناب النّاس له ، حتى يعتبر الأحياء برؤية الأموات ، وقد ألقى ايضا على الميّت من الرّيح المنتنة مالم يلقه على ميتة شئى من الحيوانات لما ذكر من العلّة ، واما جيفته وهو في عالم الحيوة فهي اظهر من ان تذكر ، و حاله في الدّنيا أخسّ من حمار قد حمل جوالقا من العذرة

و العجب انّه لو مرّ على مثل هذا الحمار لتنفّر منه وبعد عنه ولعن الحمار و شتم صاحبه ولم يتفكّر في انّ هذا البلاء الذي قد أصاب الحمار انّما هو منه والاّ فالحمار أنّى له والعذرة ، فهما قدتراوحا على الجوالق ، فقد كان الحامل له اوّلا هذا الرّجل الظّريف الذي يقبض الان على أنفه منه ، ثم لمّا عجز عن حمله ولم يطقه رمى ذلك الجوالق على

الحمار الفقير فأخذه الحمار ليبعده عنه ، فذلك الجوالق قد تراوح عليه حماران إن كنت تعقل ،

وقدرأيت بخط شيخنا الشيخ بهاء الدين قدس الله زكي تربته هذين البيتين وهما من قوله

وثورين أحاطا بهذا الورى فثور الثريا وثور الثرى
فهم (وهم) فوق هذا ومن بين ذا حمير مسرحة فى القرى

ولعمرك انهم اخس من الحمير والثيران ، فقد حكى سبحانه عن جماعة قصروا فى القيام بوظائف العبودية فقال وان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا، وذلك ان الأنعام تهرب من الضار لها وتقبل على من قصد ايصال النفع اليها بخلاف الانسان فانه يهرب عمن قصد نفعه وهو الذى رباه صغيراً ورزقه كبيراً ، ويقبل عن من أراد ضرره وهم شياطين الجن والانس ، فقد قال سبحانه والله يدعوالى دار السلام و انت تهرب عمن يدعوك الى دار السلم و تقبل على من يدعوك الى طبقات النيران ، وفى الحديث ان اهل النار اذا دخلوها دخل الشيطان فيوضع له منبر من نار و يلبس ثيابا من نار ، كما قال سبحانه فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار، فيرقى فوق المنبر ثم يأخذ فى السخرية والاستهزاء على من تحت منبره ، ، فتضج أهل النار بلعنه وسبه، فيقول لهم أنصتوا الكلامى ، فيقول أيها الجهال ان الله تعالى أرسل اليكم مائة ألف نبى وأربعة وعشرين ألف نبى يدعونكم الى تلك الجنة العالية فلم تقبلوا قولهم وأنادعوتكم وحدى الى هذه النار الشديدة العذاب فأطعتمونى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم

وإما لأن الأنعام تعرف بيت صاحبها فتغدوا عليه وتروح وتسرح وتجىء فحالها أحسن من حالك، وذلك انك تهرب من المساجد والبيت والكعبة ومن أولياء الله وأحبائه وإما لأن الأنعام قد قامت بوظايف ما خلقت له فان الثور انما خلق للحرث والفرس للركوب ونحو ذلك، ولم يحصل منها تقصير فى هذه الغايات، واما انت فانما خلقت للعبادة ولم تأت بشئ منها فهى أهدى منك و أحسن حالا، ولو تفكرت أيها الفاخر المتكبر لرأيت ان

اول من سبقك بهذه الخصلة القبيحة هو امامك الشّيطان حيث أبى عن السجود بقوله له خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فانّه نظر الى انّ جوهر النّار يطلب جهة العلوّ والطين يطلب جهة السفل فيكون أشرف من الطّين ، وقد غلط فى هذا ايضا فانّ النّار وان ارتفع سنانها فى الهوى وشبّت لكنّه لحظة واحدة ثمّ لايحصل منها بعد الاّ الرماد الّذى لا ينتفع به ، و أمّا التّراب فهو وان كان موضوعا تحت الاقدام لكنّه بسبب هذا التّواضع قد صار مادة لأنواع الورد و الريحان و كلّ خير فهو اذن أشرف من النّار وأنفع منها ، فقد غلط فى القياس كما سبق تحقيقه، وقد تقدّم فى وظائف الصّلوات انّ الله سبحانه انّما جعل موسى كليمه لأنّه كان اذا فرغ من الصّلوة عفرّ خدّيه على التّراب ، فانظر الى شرف التّراب كيف ترقت بسببه الانبياء الى مراتب القدس ومكالمة الحقّ

وروى انّ الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام فقال أتدرى لم رزقتك النبوّة ؟ فقال يا رب انت أعلم بهمنى، فقال تذكر اليوم الّذى كنت ترعى الغنم بالموضع الفلانى فعدت شاة فعدوت خلفها ، فلمّا لحقتها لم تضربها وقلت أتعبتنى و أتعبت نفسك ، فحين رأيت منك تلك الشّفقة على ذلك الحيوان رزقتك النبوة ، وبالجملة فليس الفخر والشّرف الاّ لمن شرّفته الطّاعة ، كما قال فى الحديث القدسى ليس الشّريف الاّ من شرّفته طاعتى

وفيه ايضا انّ النّاس يطلبون أشياء فى أشياء فلا يجدونها لأنّى وضعتها فى غيرها يطلبون العلم فى الوطن فلا يجدونه لأنّى وضعته فى الغربة ، ويطلبون الغنى فى جمع المال فلا يجدونه لأنّى وضعته فى القناعة ، ويطلبون العزّ بخدمة السّلطان فلا يجدونه لأنّى وضعته بخدمتى، ومن هذا قال سبحانه ان أكرمكم عندالله أتقاكم ، ولم يقل انّ أكرمكم أتقاكم ، إشارة الى ما حققناه من انّ الفخر والشّرف انّما ينبغى ان يكون هو الّذى يفعله بالانسان و ينشر مدايحه ويرقّيه فوق درجات المعالى من غير ان يكون الانسان هو المتولّى لذلك ، وناهيك بالتّكبّر ذما بعد النّاس عن صاحبه بالذلّ فهولا يحبّهم وهم لا يحبّونه وذمّه على ألسنة الخلائق وانّ الله يبتليه فى أغلب الاوقات بالذلّ والهوان، فانّ الصادقين عليهم السلام

قدمثلوا الدّنيا ببيت سقفه مخفوض(١) فالدّاخل اليه لابدّ له من ان يطأطأ رأسه عند الدخول ومن رفع رأسه تلك الحالة شجّه السّقف وأخرج دمه ورمى بعمامته من فوق راسه و فضحه بين الاقران الّذين كان يريد التّرفّع اليهم

و جاء عن الصادق عليه السلام انّه قال لبعض تلاميذه يوما أيّ شيئ تعلّمت منى ؟ قال يامولاى ثمان مسائل ، قال عليه السلام قصّها علىّ لأعرفها، قال الأولى رأيت كلّ محبوب يفارق محبوبه عند الموت فصرفت همّى الى من لا يفارقنى و هو فعل الخير ، قال أحسنت والله الثّانية رأيت قوما يفخرون بالحسب و آخرين بالمال والولد واذاً ذلك لافخر ، ورأيت الفخر العظيم قوله تعالى انّ اكرمكم عندالله أتقاكم ، فاجتهدت ان أكون عندالله كريماً قال أحسنت والله الثّالثة قال رأيت النّاس فى لهوهم وطربهم وسمعت قوله تعالى وامّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى فانّ الجنّة هى المأوى ، فاجتهدت فى صرف الهوى عن نفسى حتى استقرّت على طاعة الله تعالى ، قال أحسنت و الله ، الرابعة قال رأيت كلّ من وجد شيئا يكرم عنده إجتهد فى حفظه ، وسمعت قوله تعالى من ذا الّذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم ، فأحببت المضاعفة ولم أرأ حفظ ممّا يكون عنده ، فكلّما وجدت شيئا يكرم عندى وجّهت به اليه ليكون ذخرا لى وقت حاجتى اليه قال أحسنت والله

الخامسة قال رأيت حسد النّاس بعضهم لبعض : وسمعت قوله تعالى نحن قسمنا معيشتهم بينهم فى الحيوة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضا سخريّا ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون ، فلمّا عرفت انّ رحمة الله خير ممّا يجمعون ما حسدت احداً ولا تأسفت على ما فاتنى، قال أحسنت ، السادسة قال رأيت عداوة (الناس يعاندون) الناس بعضهم لبعض فى دار الدنيا ، وسمعت قول الله تعالى انّ الشّيطان لكم عدوّ مبين فاشتغلت بعداوة الشّيطان عن عداوة غيره ، قال احسنت ، السابعة قال رأيت كدح (٢) الناس

(١) خفضه خفضاً ضد رفعه (٢) كدح ـ كدحاً فى العمل : جهد نفسه فيه و كدحتي يؤثر فيها . كدح لعياله ؛ كسب اكتدح لعياله ؛ سعي و كسب الرزق

واجتهادهم فى طلب الرزق وسمعت قوله تعالى وما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريدان يطعمون انّ الله هو الرزّاق ذو القوّة المتين، فعلمت انّ وعده حق وقوله صدق فسكنت الى قوله و وعده ورضيت بقوله واشتغلت بماله عليّ عمالى عنده قال أحسنت والله، الثّامنة قال رأيت قوماً يتّكلون على أبدانهم وقوما على كثرة أموالهم وقوماً على خلق مثلهم وسمعت قوله تعالى ومن يتّق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكّل على الله فهو حسبه انّ الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيئى قدرا، فاتّكلت على الله و زال إتكالى عن غيره، فقال والله انّ التّورية والانجيل والزبور والفرقان وساير الكتب مشحونة بهذه المسائل

واعظم اسباب التّكبّر الغنى وجمع الأموال، وروى انّ اول من سكّ الدّراهم والدنانير النمرود، فأوّل درهم ودينار سكّهما الصّايغ أخذهما الشّيطان وقبّلهما ووضعهما على عينيه، وقال أنال ما أريد من النّاس بهذين، فكان كما قال، ومن هنا قال عليه السلام انّ الله يبغض الشّيخ الزانى، والفقير المتكبّر، وذلك لعدم وجود الداعى فيهما وهو الشّهوة والمال، وفى بعض التّواريخ انّه قد سئل الفضل بن يحيى بن البر مكى (١) عن سبب التّكبّر الذى كان يفعله مع النّاس ومن أين أخذه، فقال أخذته من فلان و هو رجل من أقارب الخليفة، وذلك انّ الخليفة جعلنى عاملا على قم وتوابعها و كان لى من يكرهنى

(١) هو وزير الرشيد العباسى وأخوه فى الرضاع واستوزره الرشيد مدة قصيرة ثم ولاه خراسان سنة (١٧٨) ه واقام فيها الى ان فتك الرشيد بالبرامكة سنة (١٨٧) ه

وقدحصل لآل برمك فى دولة بنى العباس عزعظيم وجاه عريض وثروة طائلة ومناصب عالية وصارت بايديهم ازمة الملك وانقادت لهم الدولة.

والبرامكة يرجعون فى انسابهم الى الفرس واصلهم من خراسان و هم نظرا الى اصلهم المجوسى وتعصبهم الممقوت كانوا من المعاندين للاسلام باطنا ولكن تظاهروا بالتدين به ظاهراً ولذلك سعوا عندالرشيد فى قتل الامام الكاظم (ع) فان الامام (ع) كان اصل الدين وأسه وحجة الله وخليفته فى أرضه ومن بيته بزغ شمس الرسالة والنبوة ونظراً الى الضغائن الخبيثة فى قلوبهم سعوا بعده فى حق ابنه الامام الرضا (ع) ايضا ☆

عند الخليفة ، فقالوا له ينبغي ان تأخذ منه خراج هذه السنة قبل ان يمضى الى قم فأتتنى غلمان الخليفة و الخراج كان مالا جزيلا فقال لي أبى إمض الى فلان و قل له انّ أبى يقرأ عليك السلام وتقول القصّة كذا و كذا، فان حصل شئ تقرضنا حتّى نأتى بالخراج فمضيت اليه ووجدته جالسا وحده متكيا على محجر ، فسلّمت عليه ولم ينظر الىّ فتندّمت على المجيء اليه ؛ فقلت له ما قال لى ابى فلم يكلّمنى فخرجت ولم أحك ماجرى لأبى ،

✿ ولكن الرشيد لم يقبل ذلك منهم وكان الرضا (ع) يدعو عليهم فاستجاب الله تعالى دعاءه في حقهم وخذلهم واخزاهم ونقم الرشيد عليهم وبهذا السبب زالت النعمة عنهم وسعى الرشيد في ابادة كبريائهم ، قال رسول الله (ص) : (من اعان ظالماً على ظلمه سلطه الله عليه)

عن موسى بن مهران كما في عيون اخبار الرضا (ع) للصدوق ره ، قال سمعت جعفر بن يحيى يقول : سمعت عيسى بن جعفر يقول لهارون حيث توجه من الرقة الى مكة: اذكر يمينك التي حلفت بها في آل ابي طالب فانك حلفت ان ادعى احد بعد موسى الامامة ضربت عنقه صبرا وهذا على ابنه يدعى هذا الامر ويقال فيه مايقال في أبيه فنظر اليه مغضباً فقال: وماترى ؛ تريد ان اقتلهم كلهم؟ قال موسى بن مهران :فلما سمعت ذلك صرت اليه فاخبرته فقال (ع) مالى ولهم لايقدرون الىّ على شيئ (ا ه)

وعن صفوان بن يحيى قال: لما مضى ابوالحسن موسى بن جعفر (ع) وتكلم الرضا(ع) خفنا عليه من ذلك فقلت له ، انك قد اظهرت أمراً عظيماً و انا نخاف من هذا الطاغى فقال ليجهد جهده فلا سبيل له علي قال صفوان : فاخبرنا الثقة ان يحيى بن خالد قال للطاغى (هو هارون) هذا على ابنه قد قعد وادعى الامر لنفسه فقال : ما يكفينا ما صنعنا بأبيه؟ تريد ان نقتلهم جميعا ولقد كانت البرامكة مبغضين على بيت رسول الله (ص) مظهرين لهم العداوة (ا ه) اقول لم تكن عداوتهم لاهل البيت (ع) الا لان الاسلام ظهر من بيتهم و الدولة الاسلامية قضت على الدولة المجوسية و ابادتهم والبرامكة كانوا يعرفون ان أساس الاسلام وحقيقته انما هو في البيت النبوى الخالد ولذا كان من نياتهم المقوتة محو هذا البيت ومحقه و ارادوا ان يطفؤا نورالله بافواههم و نياتهم وحيلهم و لكن أبى الله الا ان يتم نوره ولو كانت البرامكة للاسلام كارهين

عن محمد بن الفضيل قال : لما كان في السنة التي بطش هارون بآل برمك بدأ بجعفر بن يحيى و حبس يحيى بن خالد ونزل بالبرامكة ما نزل كان ابوالحسن عليه السلام

فلمّا کان قدمضی ساعة واذاً الجمال محملة بتلك الأموال معها غلمانه، واذاً هی تفی بالخراج وفوقه ، فأوصلناها الی خزانة الخلیفة، فلمّا جمعت الخراج أتیت بها الی بغداد حملت الجمال تلك الاموال وتقدّمتها فرأیته جالساً علی تلك الهیئة فلما رأی الجمال قال ماهذه الجمال؟ فقلت هذه الاموال الّتی استقرضها أبی منك ، فقال انّی کنت خزّاناً لأبیك ؟ خذأ موالك وامض، فلم یکلّمنی غیر هذه الکلمة، فأتیت بالاموال فأعجبنی تکبّرهم لأنه مشفوع بالکرم

و امّا حال المتکبّر فی الاخرة فهو شنیع فظیع ، قال علیه السلام یحشر المتکبّرون یوم القیمة بصورة الذرّ تطأهم الخلائق بأرجلها حتّی یفرغ الله من الحساب، فهذا الهوانَ والذلّ بازاء ماراموه فی الدّنیا من الفخر والکبر ولم یحصّلوه

بقی الکلام فی معناه وفی تحقیقة فقد روی الکلینی (ره) فی الصّحیح مسنداً الی محمّد بن مسلم عن أحدهما علیه السلام قال لا یدخل الجنة من کان فی قلبه مثقال حبّة من خردل من الکبر، قال فاسترجعت ، فقال مالك تسترجع ؟ قلت لماسمعت منك ، فقال لیس حیث تذهب انّما هو الجحود ، و قال الصادق علیه السلام الکبر أن تغمص (١) النّاس و تسفه الحق وقال رسول الله صلّی الله علیه وآله ان أعظم الکبر غمص الخلق وسفه الحقّ ، قال قلت وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال یجهل الحقّ ویطعن علی أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله تعالی ردائه وعن عمر بن یزید عن ابیه قال قلت لأبی عبدالله علیه السلام انّنی آکـل الطعام الطّیّب ، وأشمّ الریح الطیّبة ، وأرکب الدابّة الفارحة ، ویتبعنی الغلام ، فتری فی هذا شیئا من التجبّر فلا أفعله ، فأطرق ابو عبدالله علیه السلام ثمّ قال انّما الجبّار الملعون من غمص النّاس

☆ واقفاً بعرفة یدعو ثم طأطأ رأسه فسئل عن ذلك فقال : انی کنت ادعوالله تعالی علی البرامکة بما فعلوا بابی(ع) فاستجاب الله لی الیوم فیهم فلما أنصرف لم یلبث الایسیراً حتی بطش بجعفر ویحیی وتغیرت احوالهم (ا هـ) انظر عیون اخبار الرضا (ع) ج ٢ ص ٢٢٥ ط قم

قلت هذه نکبتهم فی الدنیا ولعذاب الآخرة أشد وأخزی

(١) غمصه احتقره . رجل غمص عیوب

جهل الحق ، قال عمر فقلت اما الحق فلا أجهل والغمص لا أدرى ما هو ؟ قال من حقر النّاس وتجبّر عليهم فذلك الجبّار، والغمص بالغين المعجمة والصّاد المهملة هو تحقير النّاس ، أقول دلّت هذه الاخبار على ان الكبر المتوعد عليه هو تحقير الناس وعدم قبول الحق فيدخل فى هذا أمور

الأوّل ما يقع فى مناظرة بين أرباب العلم فانّ الغالب من أحوالهم انّه يريد كل واحد منهم إفحام خصمه ليترفّع عليه فى المجالس ، واذا ظهر له انّ كلام خصمه حق ردّه ولم يقبله منه لئلا يظهر للناس انّه قد أفلج، فمثل هذا المناظر يدخل فى تعريف هذا المتكبّر ولانّه ردّ الحق بعد ما ظهر له انّه حق ، وايضا فقد حقر قائله حيث زعم النّاس انّه هذا الرجل المبطل هو المحقّ وذلك المحقّ هو المبطل

ومن هنا كان المولى الصّالح العالم عبدالله التّسترى اذا سأل التّقى الورع المولى احمد الاردبيلى عن مسئلة وتكلّما فيها سكت الأردبيلى فى أثناء الكلام ، او قال حتّى أراجعها فى الكتب ، ثمّ أخذ بيد التّسترى ويخرجان من النّجف الأشرف الى خارج البلد فاذا إنفردا قال المولى الاردبيلى هات يا اخى تلك المسئلة، فيتكلّم فيها ويحققها الاردبيلى على ما يريد المولى التسترى ، فيسئله فيقول يا اخى هذا التحقيق لم لا تكلّمت به هناك لمّا سئلتك؟ فيقول له انّ كلامنا كان بين النّاس ، ولعل كان فيه تنافس وطلب الظفر منك او منّى والان لا أحد معنا الاّ سبحانه

الثّانى فى التواضعات بأن يقوم لبعض النّاس على وجه التّعظيم ولا يقوم للبعض الاخر على وجه التّحقير بأن يخطر بباله انّ هذا لايستأهل التعظيم والقيام له ، امّا لوكان بعض النّاس يتوقّع التّعظيم والاخر لا يتوقّعه ولا يطلبه من ذلك الرّجل بل ربّما شاق عليه تواضعه له فالظّاهر انّ تركه له لايعد من باب التكبّر والفخر ؛ وكذا فى باب السّلام والتحيّات فانّ كثيرا من النّاس اذا تلاقوا مع اخوانهم لايبتدؤنهم بالسّلام عمدا وقصدا و يحقّرونهم و يبخلون عليهم بالسلام، ويطلبون ان يكون المبتدى بالسّلام هو ذلك الرجل الذى حقروه ، مع قول النّبى صلى الله عليه وآله يا على كلّ من لقيته فسلّم عليه ، و قوله صلى الله عليه وآله انّ

من المنجيات من عذاب الله تعالى إفشاء السلام ، وقوله انّ البخيل من بخل بالسّلام ، و ما ورد من انّ ثواب المسلّم أكثر من ثواب الرادّ للسلام مع انّ الأول مستحب والثانى واجب ، فهذا من المواضع المستثناة من القاعدة الكليّة وهى انّ ثواب الواجب أزيد من ثواب المستحبّ ، ومن المستثنى ايضاً إنظار المعسر وإبراؤه من الدين ، فانّ الأول واجب والثّانى مستحبّ ، والثّانى يفضل على الأول فى الثّواب

ومنها الصلوة المعادة بالجماعة بالنسبة الى الاولى؛ وقد عدّ منها الصّلوة فى الاماكن الشّريفة و البقاع فانّه أفضل من الصّلاة فى غيره ، قال شيخنا البهائى (ره) و يمكن المناقشة فى حكاية إنظار المعسر فانّ الواجب عدم مطالبته سواء حصل فى ضمن الانظار اوالابراء لكن حصوله فى ضمن الابراء أفضل الواجبين ، وقس عليه المناقشة فى حكاية الصّلوة فى البقاع الشريفة بل هى فيه أظهر انتهى، أقول يمكن رفع المناقشة بأن الواجب فى المعسر ليس هو عدم المطالبة مطلقا بل عدم المطالبة الى وقت الايسار فالواجب انّما هو هذا الفرد ، و امّا عدم المطالبة مطلقا فليس هو بواجب بل مستحب فيدخل فى جملة الأفراد ، وامّا المناقشة فى الأخير فجوابها انّ مراد القائل بها انّ الصّلوة النّافلة فى الأماكن الشّريفة تفضل على الصّلوة الواجبة فى غيرها كما وردت به الأخبار ، وليس المراد به الصلوة الواجبة الواقعة فى البقاع الشّريفة كما لايخفى ، وقد روى الشّيخ ره فى الصّحيح عن معاوية بن عمّار قال قلت لأبى عبدالله عليه السلام رجلان إفتتحا الصّلوة فى ساعة واحدة فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته اكثر من دعائه، ودعا هذا فكان دعاؤه أكثر من تلاوته ، ثمّ انصرفا فى ساعة واحدة فأيّهما أفضل ، قال كلّ فيه فضل كلّ حسن ، قلت انّى قد علمت انّ كلاّ حسن وانّ كلا فيه فضل ، فقال الدعاء أفضل أما سمعت قول الله عزّ وجلّ وقال ربّكم أدعونى أستجب لكم انّ الّذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ، هى والله العبادة هى والله أفضل الحديث ، وقد جعل بعضهم هذا الفرد الخاصّ من جملة الأفراد المستثناة فردّ عليه شيخنا البهائى طاب ثراه بقوله ما تضمنّه من تفضيل الدّعاء على قراءة القرآن فى الصّلوة لايدلّ على تفضيل المستحبّ على الواجب فلعل المراد

بالقرائة ما عدا القرائة الواجبة ان قلنا باستحباب السورة او المراد بالدعاء القنوت ان قلنا بوجوبه وان اريد بالقراءة والدعاء الواقعان بعد الصلوة فى تعقيبها فلاإشكال، هذه كلامه ولايخفى ما فيه اذا لقول بوجوب القنوت نادر، كما ان القول باستحباب السورة خلاف المشهور، وقد خطر بالبال جواب عن أصل السؤال ، وحاصله انّ قراءة السورة وان وصف بالوجوب من حيث حصول القراءة فى ضمنها لكنّها توصف بالإستحباب ايضا من حيث الطول والقصر وغيرهما من الاعتبارات ، و من ثمّ قال الأصحاب رضوان الله عليهم تبعاً للأخبار يستحبّ قراءة سورة كذا فى صلوة كذا فهى من حيث انّها سورة طويلة توصف بالحكمين الوجوب والاستحباب لكن كلّ واحد باعتبار فيكون عليه السلام قدفضل الدعاء المستحب على قراءة السورة مثلالكن لامن حيث الوجوب وجهته ، بل من جهة الاستحباب و اعتباره اذ السورة الطويلة مثلا يثاب عليها صاحبها مرّتين ، مرّة لحصول الواجب فى ضمنها و مرة أخرى بكونها أطول من غيرها فتكون مستحبة ،وبالجملة فهوتفضيل مستحبّ على مثله ، وهذا كلام وقع فى البين فلنرجع الى تمام كلامنا السابق فنقول

انّه قد تعارف فى بعض البلاد ان يسلّم زيد مثلا على عمرو إبتداءً فلو ترك عمرو الابتداء بالتسليم نظراً الى الرسوم المتعارفة لامن جهة التحقير فالظاهر انّه لابأس به، نعم قد فوّت على نفسه مزيد الثواب ، والعلة فى توفير ثواب المسلّم على المجيب انّ المسلّم هو السبب فى تحصيل الثواب للمجيب فمن هذا زاد عليه

الامر الثالث فى الجلوس في المجالس والتصدّر فيها وتحقير الفقير بحيث لايرضى الغير بجلوسه فى قرب منه ، كما روى عن الصادق عليه السلام قال جاء رجل موسر الى رسول الله صلى الله عليه وآله نقيّ الثوب فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجاء رجل معسر درن (١) الثوب فجلس الى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله خفت ان يمسك من فقره شيئى، قال لا قال خفت ان يصيبه من غناك شيئى ، قال لا ، قال فخفت ان يوسخ ثيابك ، قال لا، قال فما حملك على ماصنعت؟ فقال يارسول الله انّ لى قريناً (بنا) يزيّن لى كلّ

(١) درن درناً الثوب : علاه الوسخ . الدرين الثوب البالى

قبيح ويقبح لى كلّ حسن ، فقد جعلت له نصف مالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للمعسر أتقبل؟ قال لا ، فقال له الرجل ولم؟ قال أخاف أن يدخلنى ما دخلك ، فهذا ايضا نوع من أنواع العجب وأفراده

الأمر الرابع فى المحاورات و المكالمات ، فانّ كثيرا من النّاس من يعبّر عن نفسه بالعبارات الموجبة للتعظيم والتّكبّر كأن يقول انا أمرت وأنا نهيت الى غير ذلك من العبارات الظّاهرة فى الفخر والتّعظيم ، وقد روى انّ رجلا جاء الى النّبى صلى الله عليه وآله فدقّ عليه الباب ، فقال من بالباب ؟ فقال أنا فغضب صلى الله عليه وآله من قوله ، فخرج وهو يقول من القائل أنا و هى لا تليق الاّ بالله الّذى يقول أنا الجبّار أنا القهّار أنا الخالق ، ثمّ قال صلى الله عليه وآله انّ فى رأس كلّ واحد من النّاس سلسلتين ، فواحدة من رأسه الى العرش و طرفها فى يدملك جالس هناك ، والاخرى تنتهى الى تحت الأرض و طرفها فى يدملك هناك ايضا ، فاذا تواضع لله قال الله سبحانه للملك الّذى فى العرش قد تواضع فلان فارفعه بين النّاس حتّى تكون مرتبته الى العرش ، واذا تكبّر قال الله سبحانه للملك الاخر اخفضه بين الناس واهبط درجته حتّى ينتهى حاله الى ما تحت الثّرى

الأمر الخامس فى تبختره فى المشى إمّا بأن يضرب الأرض برجله كأنّه يريد أن يخرقها ، او يمشى الهوينا (١) متبخترا متخيّلا فى المشى جاذباً عنقه، وربّما قلب عمامته فوق وجهه كما يفعله المتكبّرون ، كأنّه يريد ان يبلغ السماء حتّى انّ الأرض تخاطبه وتقول يا متكبّر تمشى على وجهى بهذه الطريقة فأنا أتقاضى منك اذا وصلت الى بطنى ، فاذا مات قالت له الأرض هذا الكلام ايضا ، ثمّ تضغطه ضغطة شديدة حتّى تخرج مخّ راسه من تحت أظافير رجليه ، و روى انّ ذا النّون المصرى راى (رجلا) عبدا اسود متّزراً بازار يتبختر عند البيت فى جماعة من أتباعه ، فقال من أنت وما هذا التّبختر ؟ قال كيف لا أتبختر و أنا عبد ملك مكة ، قال ذو النّون فأنا بالتّبختر أولى لى منك فانّى عبد ملك النّاس ويوم الدّين ، وبالجملة فأنواع التّكبّر كثيرة واكثرها يرجع الى القصد

---

(٢) الهوينا التؤدة والرفق . وهى تصغير الهونى والهونى تأنيث الاهون

والنّية ، وكلها تشترك فى ذلك العذاب الشّديد نعوذ بالله من سيئات الأعمال ومساوى الأخلاق

(نور يكشف عن تحريم معونة الظالمين مطلقا)

إعلم أيدك الله وسدّدك والى كلّ خير وفقك وأرشدك انّ المقصود من ايجاد هذا العالم انّما هوالتّعاون على البّر والتّقوى وقضاء مآرب بعضهم بعضا حتّى يتمّ أمر الاجتماع والايتلاف ، و من ثمّ وردالحثّ على مثل هذا حتّى فى الامور القليلة ، فقال سبحانه ويل للمصلّين الّذينهم عن صلوتهم ساهون ، الّذين هم يراؤن ، ويمنعون الماعون ؛ والمراد بالماعون الالات الّتى يحتاج اليها الجيران والمؤمنون مثل الّظروف و الفروش والفأس والمسحاة وغيرها ، فقرن من منع جيرانه و إخوانه من إعارة هذه الامور بالمرائى الذى جعل له الويل ، وهو واد فى جهنم ، وفى ظاهره دلالة علـى وجوب إعارة هذه الالات ، و حيث إنعقد الاجماع على الاستحباب قلنا به والاّ فالقول بـا لوجوب لايخلو من وجه خصوصا اذا استلزم الهوان به و قصد تحقيره و مـذلّته ، فانّ القول بتحريم المنع قوى جدّا؛ لما عرفت فى النّور السابق، ولاريب انّ الظلم والتّعدّى ممّا يخلّ بنظام نوع الانسان ؛ إذ فيه تفريق ما اجتمع ومن ثم وقع فى الشّرع الأمر بالأخذ على يدى الظالم فقال صلى الله عليه وآله أنصر أخاك ظالما كان او مظلوما ، فقيل يا رسول الله ننصره مظلوماًفما بالنا ننصره ظالما ؟ فقال خذوا على يديه و امنعوه عـن الظلّم فهذا نصرتكم لأخيكم ، و كما حرّم الظلم حرّم معونة الظالمين أمّا الذى له مدخل فى الظلم فقد انعقد الاجماع على تحريمه ، مثل ان يكون صاحب سيف أوسوط عند الظالمين ، أويكون يكتب لهم المظالم او يبعثونه فى تحصيلها، الى غير ذلك ، أمّا الّذى لامدخل له فى الظلم كا لخيّاط يخيط لهم ثيابهم والبنّاء يبنى لهم المنازل، اوالنجّار اوالحدّاد و نحوهم فالمشهور بين الاصحاب هوعدم تحريمه، وناقشهم فيه شيخنا البهائى طاب ثراه وذهب الى تحريم معونة الظالمين

مطلقا ، وهوالذی اخترناه فی شرح الصحیفة ، ولنذکر هنا بعضا من الدلائل -

منها قوله تعالی ولاتر کنوا الی الّذین ظلمو افتمسّکم النّار،فالر کون هومطلق المیل سواء کان بالقلب أو اللسان او الاعضاء والجوارح أو المعونة او نحوها ، فاذا کان بالقلب کان فیه موادّة الظالم ، وقد أخبرسبحانه عن أقوام ونعی علیهم هذه الزلّة فقال یوادّون من حادّ الله ، ولاریب انّ الظّالم ممّن نصب الحرب مع الله تعالی ، واذاکان باللّسان اوبغیره من الأعضاء کان فیه مع الموادة الاعانة المحرمة، فیکون قد أتی بحرامین مغلّظین ، وقد نفی سبحانه فی هذه الایة معونة الظالمین مطلقا ، وعقّبها بدخول النارعلی طریق العذاب ، اذلم یقل ولا تر کنو الی الّذین ظلموا فتدخلو النّار ، وذلك انّ دخول النّار لایستلزم مسّها والعذاب فیها

روی شیخنا الکلینی طاب ثراه عن الوصّا فی قال سمعت اباجعفر علیه السلام یقول انّ فیما ناجی الله عبده موسی علیه السلام قال انّ لی عبادا أبیحهم جنّتی وأحکمهم فیها ، قال یاربّ ومن هولاء الّذین تبیحهم جنّتك و تحکمهم فیها ؟ قال من أدخل علی مؤمن سرورا ، ثمّ قال انّ مؤمنا کان فی مملکة جبّار فولع به ، فهرب منه الی دار الّشرك ، فنزل برجل من أهل الّشرك فأظلّه وأرفقه وأضافه، فلمّا حضره الموت أوحی الله عزّ وجلّ الیه وعزّتی وجلالی لوکان لك فی جنّتی مسکن لأسکنتك فیها ، ولکنّها محرّمة علی من مات بی مشر کا ، و لکن یانار هیدیه ولاتؤذیه ، ویؤتی برزقه طرفی النهار قلت: من الجنة؟ قال من حیث شاء الله (١) وقوله هیدیه

(١) ومما یجدر التنبیه علیه هنا هو ان المصنف ره قد ذکر سابقاً فی الجزء الثانی من هذا الکتاب ص ٢٩٧ خبراً مرسلا بقوله : روی ان رجلا مومناً قد اخافه سلطان بلاده فلحق ببلاد الکفار فاضافه رجل کافر الخ والخبر الذی ذکره هنا قریب المضمون مع ذلك الخبر المذکور ولعله نقله بالمعنی هناك

وقد ذکرنا سابقاً القاعدة المستفادة من القران الکریم والسنة الثابتة اعنی قاعدة الموافات وان استحقاق الثواب مشروط بالموافاة علی الایمان وان الشرك یحبط الاعمال ویبطلها فکیف یستحق المشرك ومن مات علی الکفر شیئا من جزاء بعض اعماله فی الاخرة فلابد من توجیه هذا الخبر کما ذکرنا فی الموضع الذی او عزنا الیه ☆

على ما في القاموس معناه أصلحي أحواله ، فهذا قد دخل النّار ولم تمسّه ، فانظر الى عظم شأن المؤمن عندالله سبحانه حيث أدخل المشرك الكافر جنّته لأجل ضيافة المؤمن مرّة واحدة، فمن أحبّ المؤمن و أضافه وكساه وخدمه كيف يكون حاله عندالله سبحانه و تعالى

وروى عن الصادق عليه السلام قال انّ الله يأمر بادخال جماعة الى النّار ، ويقول لمالك يا مالك قل للنّار لاتحرق لهم أيديا لأنّهم كانوا يرفعونها الى أوقات الصّلوات ؛ وقل للنّار لاتحرق لهم وجوها لأنّهم كانوا يسبغون الوضوء، وقل للنّار ولاتحرق لهم أرجلا لأنّهم كانوا يمشون بها الى المساجد، فيأتى اليهم مالك فيقول لهم يا أشقياء ما كانت أعمالكم ألّتى دخلتم بها النّار؟ فيقولون انّا كنّا نعمل لغير الله، فتخطف النار قلوبهم ، فهؤلاء ايضا لا تمسّ النّار لهم أبدانا

ومنها ما رواه الشيخ في الحسن عن بن ابى يعفور قال كنت عند ابى عبدالله عليه السلام اذ دخل عليه رجل من أصحابه ، فقال له أصلحك الله انّه ربّما أصاب الرجل منّا الضّيق او الشّدة فيدعى الى البناء فيبنيه او النّهر يكريه والمسناة يصلحها (١) فما تقول في ذلك؟

☆ ولايخفى ما في عبارة المصنف ره : (ادخل المشرك الكافر جنته لاجل ضيافة المؤمن الخ من المسامحة فان الخبر صريح بان الجنة محرمة على من مات مشركا اللهم الا ان يكون مراده من الجنة هو محله من النار التي يؤتى فيها برزقه

نعم يدل الخبر على ان ذلك الكافر دخل النار و لكنها لاتؤذيه وهذا بظاهره محل تأمل فانه لا ينفع مع الكفر عمل كما في الاخبار وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب انظر ج ٢ من صفحة (٢٩٧) الى صفحه (٣٠١) وتدبر

(٢) كريت النهر كريا من باب رمى حفرت فيه حفرة جديدة والمسناة بضم الميم مايقال له بالفارسية (مرز) ويقال ان ما يكون ازيد ترابا منه ومن التحجير هو المسناة وكيت شددت والوكاء بالكسر والمد ما يشد به راس القربة ونحوها. واللابتان للمدينة الحرتان اى الارضان الواسعتان في جنبى المدينة تكتنفانها وجدنا بعبارات منها : ما بين ظل عائر ووعير وهما جبلان عظيمتان . والمراد من هذه العبارة: انى لااحب ان اعمل لهم عملا قليلا مثل عقد ☆

فقال ابو عبدالله عليه السلام ما أحب أنى عقدت لهم عقدة ، او وكيت لهم وكاء و انّ لى ما بين لابتيها لا ولا مدة بقلم ؛ انّ أعوان الظالمين يوم القيمة فى سرادق من نار حتّى يحكم الله بين العباد ، وهذا صريح فى تحريم إعانتهم بالمباحات فان شدّا لوكاء وأمثاله ممّالامدخل له فى الظلم كما قاله العلماء فى المثال

ومنها ما رواه الكلينى قدس الله روحه عن على بن ابى حمزة قال كان لى صديق من

✿ عقدة اوشد و كاء والحال ان يكون لى ما بين لابتى المدينة من الملك والمال عوضاً عن هذا العمل اليسير فكيف بغير تلك الحال . وفى نسخة الحدائق والوسائل بزيادة كلمة (لا) بعد قوله لابتيها الا انه ليس فى الكافى وعلى تقدير وجودها = كما انها موجودة فى المتن فى النسخ التى وقفنا عليها = تاكيد للنفى المذكور بقوله : ما أحب وقوله : ولامدة الواو للعطف ولا لاعادة النفى ومدة اما مفعول لقوله أحب اومفعول مطلق والتقدير ما أحب أنى مددت لهم مدة بقلم لهم عوضاً عما بين لابتيها

والمدة بالفتح غمس القلم فى الدواة مرة للكتابة . وسرادق معرب (سرا پرده) كما فى الوافى للعلامة القاشانى ره وقال الجواليقى فى كتابه (المعرب) : السرادق فارسى معرب واصله بالفارسية «سرادار» وهو الدهليز قال الفرزدق :

تمنيتهم حتى اذا ما لقيتهم تركت لهم قبل الضراب السرادقا

قوله : سرادار قال المحقق احمد محمد شاكر أبى الاشبال : هكذا فى النسخ المخطوطة بألف قبل الدال وألف بعدها وضبط بفتح السين والراء والدال فى(م) و فى (ب) سردار بدون ضبط وبحذف الالف الاولى قوله : و هو الدهليز . قال المحقق المذكور : هكذا فسره الجواليقى و هو غير جيد قال فى اللسان ، السرادق : ما أحاط بالبناء والجمع سرادقات ثم نقل عن الجوهرى قال : السرادق واحد السرادقات التى تمدفوق صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو سرادق

والكلمة قرآنية قال تعالى فى سورة الكهف آية ٢٩ (انا أعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها) ولم يزعم احد فيما رأيت انها معربة الا الجواليقى هنا والراغب فى المفردات قال : «فارسى معرب وليس فى كلامهم اسم مفرد ثالثه ألف وبعده حرفان». والكلمة عربية قال ابن دريد فى الجمهرة (٣=٢٣٢) ، وسردق البيت : جعل له سرادقا وذكر شاهداً من شعر الاعشى . وفى اللسان . «وبيت مسردق بضم الميم وفتح السين» ✿

كتّاب بني أميّة ، فقال إستاذن لي على ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ،فاستأذنت له فاذن له ، فلمّا دخل و سلّم جلس ، ثمّ قال جعلت فداك انّي كنت في ديوان هولاء القوم فأصبت من دنيا هم مالا كثيرا وأغمضت في مطالبه ، فقال ابو عبدالله عليه السلام لولا انّ بني أميّة وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لماسلبونا حقّنا ، ولو تركهم النّاس وما في أيديهم ما وجدوا شيئا إلاّ ما وقع في أيديهم الحديث وهو شامل للمباح والمحرّم بل والمستحبّ ايضا لمكان قوله ويشهد جماعتهم ؛ وقد أغرب العلاّمة (ره) في التّذكرة حيث إستدل بهذه الأخبار على ماذهب اليه من تخصيص التّحريم بمعونتهم بالمحرّم

ومنها ما رواه أهل كتب الرجال عند ترجمة صفوان بن مهران روى الكشّي عن الحسن بن على بن فضال قال حدّثني صفوان بن مهران الجمّال قال دخلت على ابي الحسن الأول عليه السلام ، فقال لي يا صفوان كلّ شيئي منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا ، فقلت أيّ شيئي جعلت فداك ؟ قال إكراك جمالك من هذا الرجل ، يعني هرون ، فقلت والله ما أكريته أشرا ولا بطرا ولا للصيد ولا للهوّ ، ولكن أكريته لهذا الطّريق يعني طريق مكّة ؛ ولا أتولاّه بنفسي ولكن أبعث معه غلماني ؛ فقال لي يا صفوان أيقع كراك عليهم قلت نعم جعلت فداك ، قال فقال لي أتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراك ؟ قلت نعم ؛ قال فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم ؛ ومن كان منهم كان ورد النّار ؛ قال صفوان فذهبت وبعت جمالي عن آخرها فبلغ ذلك الى هرون ؛ فدعاني فقال لي يا صفوان بلغني انّك بعت جمالك؟ قلت نعم ، فقال ولم؟ قلت أنا شيخ كبير وانّ الغلمان لايقوم بالأعمال ؛ فقال هيهات هيهات انّي لأعلم من أشار عليك بهذا انّما أشار إليك بهذا موسى بن جعفر ؛ قلت مالي و لموسى بن جعفر؛ فقال دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك ؛ وهذا الحديث أبلغ من الأخبار

✿ وسكون الراء وفتح الدال على بناء اسم المفعول وهو ان يكون أعلاه و اسفله مشدوداً كله وقد سرق البيت ثم ذكر بيت الاعشى ولكن نسبه لسلامة بن جندل ١٠ انظر (المعرب) ص ٢٠٠ ط مصر ١٣٦١ ه

السابقه فانّه بظاهره يعطى تحريم معونتهم حتّى فى الامر الواجب كسفر مكّة وأمثاله (١)

و منها ماسنح بالبال وهو انّ الامور الّتى ذكروها وقسّموها قسمين وجعلوا منها ماله مدخل فى الظّلم، ومنها ما ليس كذلك ليس على ماينبغى فانّ الامور الّتى ذكروها ممّا لها مدخل فى الظّلم كلّها ، وذلك انّ الخياطة والبنائيّة ونحو هما من الامور الّتى جعلوها من القسم الثّانى لوتركها أهلها لأقلع الظّالمون عمّاهم فيه ، وذلك انّ الخيّاط

---

(١) معونة الظالمين فى ظلمهم حرام بالادلة الاربعة وهو من الكبائر و اما معونتهم فى غير المحرمات فظاهر كثير من الاخبار حرمتها ايضا لكن المشهور عدم الحرمة حيث قيدوا المعونة المحرمة بكونها فى الظلم والاقوى التحريم مع عد الشخص من الاعوان فان مجرد اعانتهم على بناء المسجد ليست محرمة الا انه اذا عد الشخص معمارا للظالم او بناء له ولو فى خصوص المساجد بحيث صار هذا العمل منصباً له فى باب السلطان كان محرماً ويدل على ذلك جميع ما ورد فى ذم اعوان الظلمة و اما العمل له فى المباحات لاجرة او تبرعاً من غير ان يعد معيناً له فى ذلك فضلا من ان يعد من اعوانه فالاولى عدم الحرمة للاصل وعدم الدليل عدا ظاهر بعض الاخبار مثل رواية ابن ابى يعفور ورواية صفوان ابن مهران الجمال و غيرها كما نقلها المصنف (ره) و لكن الباحث المنقب يعلم عند التحقيق ان شيئا منها لاينهض دليلا لتحريم العمل لهم على غير جهة المعونة اما رواية ابن ابى يعفور فلان التعبير فيها فى الجواب بقوله : ما احب ظاهر فى الكراهة و اما قوله (ع) : ان اعوان الظلمة الخ فهو من باب التنبيه على ان القرب الى الظلمة والمخالطة معهم مرجوح لان المخالطة تؤدى الى عده من اعوانه من كثرة العمل و غيره والا فليس من يعمل لهم الاعمال المذكورة فى السؤال خصوصاً مرة او مرتين خصوصاً مع الاضطرار معدوداً من اعوانهم

واما روية صفوان فالظاهر منها ان نفس المعاملة معهم ليست محرمة بل من حيث محبة بقائهم وان لم تكن معهم معاملة ولا يخفى على الفطن العارف باساليب الكلام ان قوله (ع) ومن احب بقائهم كان منهم لايراد به من احبهم مثل محبة صفوان بقائهم حتى يخرج كرائه بل المراد حبهم من انفسهم و كونهم من ولاة الجور والظلم بل هو من باب المبالغة فى الاجتناب عن مخالطتهم حتى لا يفضى ذلك الى صيرورتهم من اعوانهم وان يشرب القلوب حبهم لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها ✡

لو ترك خياطة ثياب الظالمين والبنّاء ترك بناء منازلهم لبقوا بلا منزل ولا ثياب و كذا باقى الحرف وأهل الكسب، فدلّ على انّ كلّ هذه الامور ممّا لها مدخل فى الظّلم لكن بعضها أقرب الى الظّلم من بعض ؛ كالكتابة فى ديوانهم فانّها أقرب الى الظّلم من الحدادة والخياطة ، ومن ثمّ صارت الكتابة معونة فى العرف دون الثّانية والاّ فالكلّ من واد واحد مع انّك قد عرفت انّ الامور التى جعلوها من القسم الثّانى يجب تحريمها من جهة أخرى ايضا وهى أنّها مستلزمة لوداد من حادّ الله ورسوله فهو حرام على كلّ وجه، ومنها انّه يرد على التّخصيص إعتراض وهو انّ إعانة كل أحد بالمحرّم محرّمة سواء كانت إعانة الظالمين أم غيرهم ، بل فعل المحرّم فى نفسه حرام سواء كان اعانة او غيرها

قال شيخنا البهائى (ره) وأما ما ينقل عن بعض الأكابر من انّ خيّاطا قال له انّى أخيط للسلطان ثيابه فهل ترانى داخلا بهذا فى أعوان الظلمة؟ فقال الدّاخل فى أعوان الظّلمة من يبيعك الابر والخيوط وأمّا انت فمن الظّلمة أنفسهم فالظّاهر انّه محمول على نهاية المبالغة فى الإحتراز عنهم والاجتناب عن تعاطى أمورهم والاّ فالامر مشكل جدا إنتهى .

أقول وعلى ما ذكرناه لايكون هذا من باب المبالغة ولا من نهايتها لأن بيّاع الأبر والخيوط اذا علم انّ الخيّاط يخيط ثياب الظّالم لايجوز لـه ان يبيع منه ، ولو أصرّ النّاس كلّهم على هذا لتعطّلت أمور الخياط فترك الخياطة ، واذا ترك الخياطة أقلعوا

☆ قال الشيخ الاعظم الانصارى قدس سره بعد التصريح بما ذكرناه ملخصا ما هذا لفظه : (وقد تبين مما ذكرنا ان المحرم من العمل للظلمة قسمان احدهما الاعانة لهم على الظلم والثانى ما يعد معه من اعوانهم والمنسوبين اليهم بان يقال هذا خياط السلطان وهذا معماره واما ما عدا ذلك فلا دليل معتبر على تحريمه (ا ه)

والقارى الخبير بعد الاحاطة بما ذكرناه تعرف مواضع النظر فى كلمات المصنف (ره) و انه خلط بين ما يستفاد منه الكراهة وبين ما يستفاد منه الحرمة وتعرف ايضا النظر فى ما ذكره المصنف (ره) بقوله: وقد اغرب العلامة ره فى التذكرة حيث إستدل بهذه الاخبار الخ

عن الظّلم و عزلوا أنفسهم عمّا لیس لهم من المناصب الجلیلة ، وروی عن النّبی صلّی الله علیه وآله
قال اذا کان یوم القیمة نادی مناد أین الظلمة و أشباه الظّلمة حتّی من بری لهم قلماً او لاق لهم دواة (۱) قال فیجتمعون فی تابوت من حدید ثمّ یرمی بهم فی جهنّم ، اذا تحقّقت هذا کلّه فاعلم انّه قدبقی الکلام فی مقامین

الاول فی تحقیق معنی الظالم الّذی یحرم معاونته مطلقا او علی وجه ، فنقول المفهوم من الکتاب والسنّة انّ الظالم إطلاقات ، منها إطلاقه علی الکفّار والمشرکین قال سبحانه ألا انّ الکافرین هم الظّالمون ، و منها إطلاقه علی کل من خالف مذهب الامامیّة حیث انّهم ظلموا علیّاً علیه السلام حقّه بقولهم انّ غیره أفضل منه ، وترتیبهم الخلفاء علی ما ذکروه ، ومنها إطلاقه علی حکّامهم وسلاطینهم حیث ظلموا الائمة علیهم السلام مناصبهم وظلموا الرعیّة وظلموا أنفسهم ایضا، فأبوبکر وعمر وعثمان من الظالمین بالامور المذکورة کلّها ، و منها إطلاقه علی کل سلاطین الجور الّذی لم یکن لهم إذن من الامام علیه السلام لاعموماً ولا خصوصا کالمجتهدین وان کان اولئك السلاطین من الشّیعة فانّهم قدحکموا بالجور لابالعدل ، ومنها إطلاقه علی کل من یحکم بجور سواء کان فی الأحکام الشرعیّة ام غیرها سواء کان منّا او منهم ، فیدخل فیه القضاة وأهل الفتوی من الفریقین.

و منها إطلاقه علی البالغ فی إنتهاك الذنوب حیث انّه ظلم نفسه، وآیات القرآن متکثّرة بهذا الإطلاق کقوله الاّ من ظلم نفسه ، وقوله الّذین ظلموا أنفسهم الی غیر ذلك، فیدخل فیه جمیع أهل المعاصی من جمیع فرق الاسلام وان کان من الشّیعة ، والشّایع فی العرف إطلاقه علی أهل الحکم الّذین یحکمون بالجور سواء کانوا منّا او من غیرنا وسواء کان حکمهم فی الاحکام الشّرعیّة ام فی الاحکام العرفیّة، فیکون مخصوصا فی الحکّام والقضاة ، ولا یبعد إرادة المعانی کلّها فانّك قد عرفت ما ورد من الأخبار الواردة فی عقاب من أعان تارك الصّلوة او سلّم علیه او تبسّم فی وجهه و کذا شارب الخمر وقاطع الرّحم وغیر ذلك من الذنوب المغلّظة، وحینئذ فیحرم إعانة کل هولاء بما یسمّی إعانة عرفا کما

(۱) لقت الدواة اصلحت مدادها.

قاله بعض المحقّقين او بكلّ ما أطلق عليه الاعانة لغة كما هو الأولى ، وفى هذا بليّة عامّة لعموم البلوى به ؛ و ذلك ان قضاة الشّيعة خصوصا فى هذه الاعصار الغالب عليهم الجهالة بالاحكام الشرعيّة وأخذ الرشاوى والعمل بالأحكام موافقا لمن كان لهم اليه ميل من الخصمين ، فقد شاهدنا بعض القضاة اذا وردت عليه الدعوى يحكم بها بعد أخذ الرشوة ؛ فقال له رجل من الصّلحاء لوانّ هذا الخصم الاخر أعطاك أكثر من ذلك الرجل كيف كنت توجه له الحكم، قال لو أعطانى أكثر لكان قلت كذا و كذا ، فصوّرصورة لم تكن تخطر على خاطر الشّيطان، وقد يكون القاضى رجلا يتجنّب الرشاوى لكن ليس له أهليّة الفتاوى فى الاحكام ، فهذا ايضا من قضاة الجور وان قضى بحقّ اتّفاقا ، بل ولو قضى بحق من وجه الكتاب الفقهى لأنّ المشهور بين علمائنارضوان‌الله عليهم انّه لايجوز تقليد الميت ، فانّ الخلاف موجود فى أكثر مسائل الفقه ، ولو طالع كتابا آخر كان قدراى مذهباً آخر وهلّم جرّا، بل ولو طالع كتابا آخر لصاحب هذا الكتاب لوجدالاختلاف كما لا يخفى على من تتبّع كتب العلامة قدس الله روحه ، فانّه قلّما ذهب فى كتابين الى إجتهاد واحد بل له فى كتاب واحد اجتهادات مختلفة

وبالجملة فاعانة مثل هولاء القضاة معونة الظالمين ايضا، ومن جملة إعانتهم الاختلاف الى مجالسهم الّذى يحصل منه ترويج أقوالهم وإقبال عوام النّاس عليهم قائلين لولم يكن هذا القاضى من أهل هذا المنصب لما قصده فلان وجلس معه ولم ينكرعليه ، ومن الاعانة ايضا السّعى له عند السّلطان او من نصبه لنصب القضاة و كذا قرضه الدّراهم ليستعين بها على إتمام أموره ، ومن الاعانة المحرّمة الاختلاف اليه فى الدعاوى وأخذ الأموال بحكمه و ان كان حقّا ، روى شيخنا الكلينى عن عمر بن حنظلة قال سئلت ابا عبدالله عليه‌السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة فى دين او ميراث فتحا كما الى السّلطان او الى القضاة أيحلّ ذلك؟ قال من تحا كم اليهم فى حق او باطل فانّما تحا كم الى الطّاغوت ، و ما يحكم له فانّما يأخذ سحتاوان كان حقا ثابتا له ، لانّه أخذ بحكم الطّاغوت وقد أمر الله أن يكفر به ، قال الله عزّ وجلّ يريدون ان يتحا كموا الى الطّاغوت و قد أمروا ان

يكفروابه، قلت كيف يصنعان؟ قال ينظر ان من كان منكم ممّن قدروى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا، و عرف أحكامنا فليرضوابه حكما فانّى قد جعلته عليكم حاكما فاذا حكم بحكم فلم يقبله منه فانّما إستخفّ بحكم الله وعلينا ردّ؛ والرادّ علينا الرادّ على الله، وهما على حدّ الشّرك بالله، قلت فان كان كلّ واحد اختار رجلا من أصحابنا فرضيا ان يكونا النّاظرين في حقّهما فاختلفا فيما حكما وكلاهما اختلف في حديثكم قال الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث؛ واورعهما ولا يلتفت الى ما يحكم به الاخر؛ قال قلت فانّهما عدلان مرضيّان عند أصحابنا لا يفضل واحد (لا نفضل واحداً) منهما على صاحبه، قال فقال ينظر الى ما كان من روايتهم عنّا في ذلك الّذى حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشّاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فانّ المجمع عليه لاريب فيه، وانّما الامور ثلثة أمر بيّن رشده فيتّبع، وأمر بيّن غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ علمه الى الله تعالى والى رسوله صلّى الله عليه وآله، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله حلال بيّن وحرام بيّن؛ و شبهات بين ذلك، فمن ترك الشّبهات نجى من المحرّمات؛ و من أخذ الشّبهات إرتكب المحرمات وهلك من حيث لايعلم

قلت فان كان الخبران عنكم مشهورين قدرواهما الثّقات عنكم، قال ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب و السنّة وخالف العامّة فيؤخذ به و يترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنّة و وافق العامّة، قلت جعلت فداك أرأيت ان كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنّة و وجدنا احدالخبرين موافقا للعامّة والاخر مخالفا لهم بأيّ الخبرين يؤخذ؟ قال ما خالف العامّة ففيه الرشاد، قلت جعلت فداك فان وافقهما الخبران جميعاً قال ينظر الى ما هم اليه أميل حكّامهم وقضاتهم فيترك و يؤخذ بالاخر؛ قلت فان وافق حكّامهم الخبرين جميعاً، قال ان كان ذلك فارجه حتى تلقى امامك فانّ الوقوف عند الشّبهات خير من الاقتحام في الهلكات

وقوله عليه السلام قد روى حديثنا وقوله حلالنا وحرامنا وان كان مصدراً مضافا فيفيد العموم الّا انّ القرينة دالّة على انّ المراد بعض الأحاديث لكن ليس المراد الأحاديث

المتعلّقة بخصوص تلك الدعوى، بل المراد ما يتعلّق بالاحكام غيرها ايضا ؛ وذلك مثل رواة الحديث فى الصدر السالف ، وفايدة روايته للأحاديث العمل بها فى تلك الدعوى الواردة عليه ، فلو كان ممّن روى الأحاديث لكن لم يعمل بها إعتبارا بالاغراض الدنيويّة كان من قضاة الجور ايضا ، وقوله عليه السلام فانّى قد جعلته عليكم حاكما ممّا استدل به الأصحاب على انّ المجتهدين منصوبون من قبله عليه السلام للقضاء فهم وكلاؤه والمعبّرون عنه فى هذه الاعصار

اقول بل فيه دلالة ايضا على انّ من روى الأحاديث وعرف مواقعها كان له منصب القضاء وان لم يكن مجتهدا بالمعنى الجديد للمجتهد؛ فانّ المعنى المعروف منه فى الصدر السالف هو بذل جهده وطاقته فى دراية الاحكام و الاطلاع عليها حتّى ان قول الحلبيّين (ره) بوجوب الاجتهاد عينا يرجع الى هذا لا الى الاجتهاد الاصطلاحى كما لا يخفى (١)

(١) هذا الكلام من المصنف (ره) مبنى على مذاقه الاخبارى فانه ليس للمجتهد معنى جديد وقديم فان المراد من المجتهد هو من زاول الادلة ومارسها واستفرغ وسعه فيها حتى حصلت له ملكة وقوة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعى من تلك الادلة ولا فرق فى ذلك بين الزمن السالف و اللاحق نعم ان الاجتهاد فى الزمن الغابر كان خفيف المؤنة سهلا لقرب العهد من زمن صاحب الرسالة المقدسة وتوفر القرائن لتحصيل الحكم الشرعى وامكان السؤال عن العترة الطاهرة المفيد للعلم ولكن كلما بعد العهد من زمن صاحب الرسالة و عترته الطاهرة واختفت القرائن صار الاجتهاد صعباً والحائز لتلك المرتبة السامية قليلا و يحتاج الاجتهاد الى مزيد مؤنة و استفراغ واسع و مشقة كثيرة ومزاولة علوم عديدة وما ذكره المصنف (ره) : (ان من روى الاحاديث وعرف مواقعها كان له منصب القضاء وان لم يكن مجتهداً بالمعنى الجديد للمجتهد) كلام شعرى فان قوله (ع) : من كان منكم ممن قد روى حديثنا و نظر فى حلالنا وحرامنا = يدل على عدم كفاية رواية الاحاديث و معرفة مواقعها فقط فى التصدى لمنصب القضاء بل لابد من النظر فى الحلال والحرام ولايكون النظر الا ممن حصل له ملكة يقتدر بها على النظر والاستنباط والحكم المستنبط من الادلة ان كان على موضوع كلى فهو الفتوى وان كان على موضوع جزئى فهو القضاء والحكومة والقضاء ☆

وقوله عليه السلام المجمع عليه من أصحابك الظاهر انّ المراد بهذا الاجماع الاتفاق فی نقل الرواية لا الاتّفاق فی الفتوی کما ذهب اليه جماعة من الاصحاب بقرينة ما سيأتی، ولأنّ الکلام انّما هی فی تعارض الروايات وترجيحها لافی تعارض الاقوال

و قوله عليه السلام و شبهات بين ذلك الظاهر انّ المراد بالشّبهات هنامّا تعارض فيه الدليـلان من غير إهتداء الی التّرجيح بيهما کما يقع کثيرا فـی کتب الحديث ، و قوله عليه السلام ما خالف العامّة ففيه الرشاد ممّا لاريب فيه حتی انّه روی انّ رجلا من اهل الاهواز کتب اليه عليه السلام وهو فی المدنية انّه ربّما أشکل علينا الحکم فی المسئلة التی يحتاج اليها ولا تصل الأيدی اليك فی کل وقت فماذا نصنع ؟ فکتب اليه عليه السلام اذا کان الحال علی ما ذکرت فأت القاضی البلدوسله عن تلك المسئلة ، فما قال لك فخذبخلافه

☆ فی الحقيقة عبارة عن تشخيص الموضوعات ولذا يحتاج الی ملکة و قريحة و عبقرية فذة وذکاء وحدة ذهن و سرعة فی الخاطر اکثر مما تحتاجه الفتوی واستنباط الاحکام الکلية بکثير ولو تصدی له غير الحائز لمرتبة النظر والاستنباط و غير الواجد لملکة الاجتهاد مع اجتماع سائر الشرائط اللازمة فيه کما فصل فی محله کان ضرره اعظم من نفعه وخطاؤه اکثر من صوابه واما تصدی غير المجتهد العادل الذی له اهلية الفتوی فهو عند الامامية من اعظم المحرمات واکبر الکبائر الموبقة بل هو علی حد الکفر بالله تعالی فان الحکومة بين الناس والتصدی لولاية القضاء بينهم عند الامامية نيابة عن صاحب الرسالة والامامة ومرتبة من الرياسة العامة وخلافة الله فی الارضين قال تعالی : (يا داود انا جعلناك خليفة فی الارض فاحکم بين الناس بالعدل) قال امير المؤمنين (ع) : يا شريح قد جلست مجلسا لايجلسه الانبی او وصی نبی او شقی .

فکيف يدعی الاسلام من يتصدی للقضاء فی هذه المحاکم الرسميه (العدلية) وهولم يتعلم الا نبذة يسيرة من علم الحقوق واخذ شهادة رسمية لنفسه من بعض هذه المدارس الرسمية الفاقدة للفضائل کلها من دون احراز مرتبة الاجتهاد و من غير حصول ملکة الاستنباط له بل يحکم علی ما يريد و يفعل ما يشاء ولذا ضاعت الحقوق وشاع الظلم و ارتفع العدل والامة الايرانية حياری سکـاری وليس سبب ذلك الا الامة انفسهم فانهم أموات فی صورة الاحياء والی الله المشتکی

فان الخیر (الحق خ) فی خلافهم

وقوله عليه السلام ینظر الی ماهم علیه أمیل (اه) مشکل بالنظر الینا وذلك انّ أعصارهم علیهم السلام مختلفة فقد کان فی عصر کل امام و زمان کلّ سلطان من سلاطین الجور من فتاوی الفقهاء الاربعة ومن یحذوحذوهم قول واحد وقد خفی علینا فی هذه الاعصار المشهور من تلك الأقوال فی أزمانهم، فانّ أقاویل ابی حنیفة قدکانت مشهورة فی أعصار بعض الخلفاء و أقوال مالك کانت مشهورة فی بعض الاعصار ایضا وکذا أقوال الشافعیّ و الحنبلی فمن ثمّ احتاج حمل الأخبار علی التقیّة الی تفحّص تامّ عن أقوال الفقهاء الأربعة الّتی کانت مشهورة فی أعصار ذلك الامام عليه السلام الّذی نقل الحدیث عنه، فالمجتهد یحتاج الی الاطّلاع علی هذا وان کان متعسّراً، وقوله عليه السلام فارجه، الهاء ضمیر المفعول ای أخّر ذلك الامر حتی تلقی إمامك ، و فی حدیث آخر قال اذا کان ذلك فأیّهما أخذت به من باب التّسلیم وسعك ، وجه الجمع بینهما إمّا ان یحمل هذا علی ما اذا کان الإمام عليه السلام ظاهرا یتمکّن من الوصول الیه کما یدلّ علیه قرینة المقال وذاك (لك) علی مثل هذه الاعصار، واما ان یحمل هذا التّأخیر علی ما اذا کانت الأخبار الواردة فی المعاملات و حقوق النّاس ، والأخذ بأیّهما شاء یکون محمولا علی احکام العبادات ، وهذا هو الّذی فهمه شیخ الطائفة (ره) وجعله وجها للجمع بین هذین الخبرین؛ وامّا ان یحمل الارجاء علی ما اذا أمکن الاحتیاط فیه کأکثر مسائل العبادات ،والأخذ بأیّهما شاء علی ما اذا لم یکن فیه ذلك ؛ کما اذا تردّد الحکم بین الوجوب والتّحریم، وبالجملة فالقاضی یحتاج الی إطلاع علی کلّ ما فی هذا الحدیث ومن لم یکن کذلك لم یکن أهلا للقضاء ، فلا یجوزان یجعل قاضیاً و لا یجوز التّحاکم الیه ، بل ولا الجلوس عنده، روی الشیخ قدس الله روحه عن محمّد بن مسلم قال مرّ بی ابو جعفر عليه السلام وابو عبدالله عليه السلام وانا جالس عند قاض بالمدینة فدخلت علیه من الغد ، فقال لی ما مجلس رأیتك فیه أمس؛ قال قلت جعلت فداك انّ هذا القاضی لی مکرم فربّما جلست الیه ، فقال لی وما یؤمنك ان تنزل اللّعنة فتعمّ من فی المجلس

وامّا السّلاطین والامراء الجائرون سواء کانوا من العامة او الخاصة فالتردّد الیهم

و الأختلاف الی مجالسهم اذا لم یکن لضرورة شرعیة فیه المعاونة والوداد، والحضور أوقات حکم الظلم فقد اشتمل علی ثلاث محرمات مغلظة

الامر الثانی فی جواز أکل طعامهم وقبول عطایاهم، اعلم ان المنقول من اطوار الأئمة علیهم السلام أنهم کانوا یأکلون طعامهم ویقبلون أموالهم، وقد ذکر الفقهاء رضوان الله علیهم ان عطایا الحکام حلالة علی الأخذ لها و ان کان الاثم علی الحکام؛ کما قال علیه السلام لك المهنا وعلیهم الوزر، نعم قیدوها بما اذا لم تعلم بعینها انها من مال فلان، أقول قد دلت الاخبار الکثیرة علی ان ما یأخذه السلاطین الجور باسم الخراج والمقاسمة وان کان أقل او اکثر من القدر الواجب الذی یأخذه الامام یجوز شراؤه من العمال وان کان عند صاحبه وعلل فی الروایة بأنك اذا لم تأخذه انت لم یرجعوه الی صاحبه بلا بأس لشرائه منهم و قبول عطیته منهم وان علم صاحبه؛ نعم اذا أخذ الحاکم والسلطان شیئا زائدا علی القدر المقرر کالجرائم و نحوها فاذا أعطاها أحدا لایجوز له أخذها، وحینئذ فقولهم جوائز الظالم حلال اذا لم تعلم بعینها ان أراد وابه الجوائز التی یعطونها الناس ویأخذونها من مال الخراج فالظاهر جواز أخذها وان علم صاحبها بعینه، ولافرق بین الجائر من الطرفین بل ذهب شیخنا الشهید الثانی قدس الله روحه الی ان ما یأخذه السلطان الجائر منهم اقرب الی الحل والأباحة مما یأخذه الجایر منا، وذلك انهم یزعمون ان الاولی الأمر المأمور باطاعتهم فی الکتاب العزیز فی قوله تعالی أطیعوا الله وأطیعوا الرسول وأولی الأمر منکم هم السلاطین والحکام فهم یجب اطاعتهم عندهم ویجب دفع مال الخراج الیهم فکلما یأخذونه من الرعایا یزعمون انه حلال علیهم والرعیة ایضا تعتقد انه یجب علیهم دفعه الیهم فالأخذ والمأخوذ منه یزعمون انه حلال

وقد قال علیه السلام دینوهم بما دانوا به انفسهم ای الزموهم وعاملوهم بما اعتقدوا حقیته فی دینهم کاخوانهم من الیهود والنصاری فان الجزیة اذا أخذت منهم أجریت علیهم (علیها) احکامهم بخلاف ما یأخذه سلطان الشیعة من الرعایا فانه یعتقد انه ظالم یأخذه، و کذلك اعتقاد المأخوذ منهم من رعایا الشیعة، ولو اعتقد ذلك السلطان انه حلال له لم یکن

من الشّیعة الامامیّة لانّ اولی الامر المأمور باطاعتهم انّماهم الأئمة المعصومون من آل محمّد صلّی الله علیه وآله ، وامّا فی هذه الأعصار فلمّا لم یکن الامام علیه السلام ظاهرا کان نوابّه وقوّامه هم الفقهاء والمحدّثون بما عرفت فی مقبولة عمر بن حنظلة من قوله علیه السلام فی شأن من روی احادیثهم وعرف حلالهم وحرامهم فانّی قد جعلته علیکم حاکما وحرم (تحریم) الرّد علیه وعدم قبول قوله فالاخذ هنا وإ المأخوذ منه یعتقدان انّ هذا المأخوذ باسم الخراج والمقاسمة حرام، لکن اکثر الأصحاب رضوان الله علیهم نظروا الی إطلاق الاخبار اوعمومها الواردة باباحة ما یعطیه الجائر من غیر فرق بین ان یکون من الشّیعة اومن غیرهم فأطلقوا الحکم نعم یمکن ان یقال انّ عمّال السّلطان اذا لم یأخذوا الاّ ما تعارف أخذ السّلطان لهمن الخراج والمقاسمة کان بالنسبة الیهم اقرب الی الاباحة ، وذلك لأنّهم اذا لم یأخذوه من الرّعایا بعث السّلطان من یأخذه غیر ذلك العامل فهو بمنزلة ما یعطیه السّلطان لغیرهم لکن این یوجد مثل هذا العامل قبّح الله الجمیع، وذلك انّ اهل الجور من الحکّام والقضاة لو عزلوا أنفسهم ورفعوا أیدیهم عن هذه المناصب لوجب علی الامام علیه السلام ان یظهر حتی لا تعطل أمور المسلمین ولا یختل نظام الکون ، لکن لمّا جری نظام الدّنیا و تمشی علی هذا الوجه وان کان اکثره علی البطلان تأخّر أمره علیه السلام الی ان یأذن الله سبحانه به عجلّه الله فرجه بحق محمّد واله

نور یکشف عن الکذب وعن عظم خطره وعن توابعه ولواحقه

إعلم وفّقك الله تعالی ان الکذب من أعظم الذنوب حتّی انّه قد روی انّ المؤمن یزنی ویلوط ویسرق ، و یشرب الخمر لکنّه لایکذب ، فیکون قبحه فی الشّرع أشدّ من قبح الزّنا وشرب الخمر ، وروی عنه صلّی الله علیه وآله انه قال المؤمن اذا کذب من غیر عذر لعنه سبعون ألف ملك ، وخرج من قلبه نتن حتّی یبلغ العرش فتلعنه حملة العرش و کتب الله علیه

بتلك الكذبة سبعين زنية أهونها كمن يزني مع امّه

روى الكلينيّ طاب ثراه في الصّحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال ان الله تعالى جعل للشرّ أقفالا وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب، والكذب شرّ (أشرّ خ) من الشراب، وذلك لأنّ المفاسد المترتّبة على الكذب أزيد من مفاسد الشّراب، لأنّ الكذبة الواحدة ينشأ منها إهراق الدّماء بغير حق ونهب الأموال ولأنّ الغالب في الكذب وروده في حق النّاس والشّراب حق الله سبحانه وهو بالعفو اولى واحرى، ولأنه يسلب الايمان ويمنعه من الاستقرار في القلب والشّراب انّما يمنع من قبول الصّلوة اربعين يوماً لمكان بقائه في الجوف هذه المدة، قال امير المؤمنين عليه السلام لايجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه، ولأنّ الكاذب قد لايصدق في القول فتختلّ أموره بل أمور غيره لانّه يحتاج اليه في الشهادات و الاقرارات والوكالات والمعاملات؛ و قال عليه السلام ينبغي للرجل المسلم ان يجتنب مواخاة الكذب، فانّه يكذب حتّى يجيء بالصدق فلا يصدّق

وامّا شارب الخمر فتوبته اذا احتيج اليه في هذه الامور ان يقول أستغفر الله و يظهر النّدامة، والكذّاب لو قال هذا لم يصدّق، و يحصل الرّيب لحاكم الشّرع عند أداء الشّهادة ونحوها، و شهادة المرتاب فيه لاتقبل شرعا، لأنّ النّتيجة الحاصلة من الكذب انّما هي البخل لأنّ أقوى دواعي الكذب وأسبابه انّما هو دناءة الهمّة والحرص والخسّة، والنّتيجه الحاصلة من الشّراب انما هو علوّ الهمّة وإعانة النّاس بأنواع العطايا وان كان عطاء في غير محلّه لكنّه أولى من البخل، وقد يصل الى المستحقّ أحيانا، و لأنّ الغالب على أهل الشّراب الخجالة والحياء من النّاس لعلمهم بقبيح ذنبهم، والكذّاب عند نفسه ليس خجلا ولاله حياء من النّاس ولاندامة، و لأنّ الشّراب ربّما يتداوى به عن بعض الامراض كما أشير اليه في قوله سبحانه ومنافع للنّاس؛ ومن ثمّ جوّز بعض فقهائنا التّداوي به عند الضّرورات، والّذي يرجّح في النّظر هو عدم جواز التّداوي بالمحرّمات لقوله عليه السلام ما جعل الله الشفاء في حرام قطّ وما في معناه، و مادلّ من الاخبار على جواز التّداوي به محمول على التّقيّة، وامّا الكذب فليس فيه سوي محض

الضرر مع أن شارب الخمر قرن بعابد الصنم فى قوله تعالى إنّما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، وقدّم فيه الخمر للإهتمام بتحريمه

وقال عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ، ومن بات سكرانا بات عروساً للشيطان ، وقال صلى الله عليه وآله والذى بعثنى بالحق نبياً انّ شارب الخمر يموت عطشانا ، ويمكث فى القبر عطشانا ؛ ويبعث يوم القيمة عطشانا ، وينادى واعطشاه ألف سنة ، فيؤتى بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب ، فينضح وجهه وتتناثر أسنانه وعيناه فى ذلك الاناء فليس له بدّ من ان يشرب فيصهر مافى بطنه ، ومن كان فى قلبه آية من القرآن ثمّ صبّ عليه الخمر يأتى كل حرف يوم القيمة فيخاصمه بين يدى الله عزّ و جلّ ، ومن كان له القرآن خصماً كان الله له خصماً ومن كان الله له خصماً كان فى النّار

وقال عليه السلام من بات سكرانا عاين ملك الموت سكرانا ، ودخل القبر سكرانا ، فوقف بين يدى الله سكرانا ، فيقول الله تعالى مالك ؟ فيقول أنا سكران فيقول الله تعالى أبهذا أمرتك اذهبوا به الى السكران ، فيذهب الى جبل فى وسط جهنّم فى عين تجرى مدّمة (١) ودماً ولا يكون طعامه وشرابه الا منه ، وعنه عليه السلام من أطعم شارب الخمر لقمة من الطعام او شربة من الماء سلّط الله عليه فى قبره حيات وعقارب طول أسنانها مائة ذراع وأطعمه من صديد جهنم يوم القيمة ، ومن قضى حاجته فكأنّما قتل ألف مؤمن ، اوهدم الكعبة ألف مرة ، ومن سلّم عليه لعنه سبعون ألف ملك ، وقال عليه السلام لعن الله شارب الخمر ، و عاصرها وساقيها ، وحاملها ، والمحمول عليها

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من احد يبيت سكرانا الا كان للشيطان عروساً الى الصباح فاذا أصبح وجب عليه ان يغتسل مـن الجنابة ، فان لم يغتسل لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، ولا يمشى على وجه الارض أبغض الى الله من شارب الخمر ، وقـال عليه السلام من سلّم على شارب الخمر ، او عانقه او صافحه أحبط الله عليه عمل أربعين سنة

فان قلت اذا كان هذا حاله فكيف صار غيره أقبح منه فى العرف العام، قلت الذنب اذا

(١) بالكسر وتشديد المهملة ما يجتمع فى الجرح من القيح الغليظ منه

كان مأنوساً كثير الاستعمال ربمّا ارتفع قبحه من الانظار بخلاف غيره من المعاصي، ولذا ترى اللواط مع انه أفحش الذنوب غير قبيح في بعض بلاد أهل الخلاف لإطباق الأكثر على فعله مع انّه حرام عندهم، و لهذا لم يجعل الشّارع للكذب حدّا شرعيا كالشّراب ونحوه اذهو كثير في محاورات النّاس، و ايضا فإثباته لايخلو من نوع إشكال، وذلك ان الكاذب يمكنه التّخلّص من كذبه بوجوه كثيرة مع قوله عليه السلام ادرؤا الحدود بالشّبهات

واعلم انّ الكذب على قسمين، جليّ وخفيّ، فامّا الجلي فهو أقسام اوّلها الكذب على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام، وهذا يقع على وجوه، الوجه الأوّل ان يقول قال الله كذا، وقال الرسول كذا، وقال الامام كذا؛ فيكذب عليهم في حكم شرعي او غيره، وهذا يقع من علماء السّوء كثيرا، ولقد كذّب على النّبي صلى الله عليه وآله في حيوته وبعد موته حتّى وضعوا من الاكاذيب أديانا مختلفة، وليت شعري ما كان دين النّبي، أهو دين أبي حنيفة؟ ام الشّافعيّ أم المالكي ام الحنبلي؟ ولا يقدرون ان يقولوا انّ دينه كان واحدا منها نعم يمكنهم ان يقولوا انّ دين ابي حنيفة كان نقيض دين النّبي صلى الله عليه وآله لأنّه كان يجلس في مسجد الكوفة و يقول في فتواه قال عليّ و أنا أقول، و دين عليّ هو دين النّبي صلى الله عليه وآله بلاريب، وهذا الوجه من الكذب يقع من كلّ أحد حتّى من المؤمنين والشّيعة

الوجه الثّاني ما اعتاده النّاس في المحاورات من قولهم الله يعلم، والرسول او الامام انّي مافعلت ذلك الشيء، او فعلته وهو كذب، ومن هذا روى انّ الرجل اذاقال الله يعلم وهو كاذب يقول الله سبحانه للملئكة يا ملائكتي أنظروا الى عبدي لم يجد أحدا اعجز مني يحيل هذه الكذبة عليه حتّى أحالها على علمي، فأنا أفعل به كذا و كذا من الهوان و العذاب

الوجه الثّالث ان يكذب ثمّ يروّج كذبه بالحلف بالله او النبيّ اوالامام عليه السلام وهذا يقال له الكذب بالله وهو الّذي يذر الدّيار بلاقع من أهلها، وهوحالقة الدّين يعني انّه يحلق الدّين و يمحوه كما يمحو الموسى الشّعر، و في الرواية لا تحلف بالله لا صادقا ولاكاذبا، نعم روى في حديث آخر انّ الدّعوي اذا كانت ثلثين درهماً و احتاجت الى

اليمين فله الخيار فى الحلف وان كانت أقل فلا يحلف ، والو جهان الاولان بل الثلثة هى الّتى تضر بالوضوء والّصوم، روى الشيخ (ره) انّ ابى بصير قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول الكذبة تنقض الوضوء وتفطر الّصائم ، قال قلت هلكنا ؛ قال ليس حيث تذهب انما ذلك الكذب على الله و على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الائمة عليهم السلام ، ومنه ذهب الشيخان و المرتضى الى انه مفسد للصوم و يجب به القضاء والكفارة ، وامّا الوضوء فقال الّشيخ قدّس الله روحه المراد انه ينقض كماله و ثوابه ، و وجهه الّذى يستحق به الثواب ، وما صار اليه المرتضى (ره) لايخلو من وجه لما رواه الشيخ ، عن سماعة قال سألته عن رجل كذب فى شهر رمضان ، فقال قد أفطرو عليه قضاؤه وهو صائم يقضى صومه و وضوئه اذا تعمّد ، والحمل على الاستحباب غير محتاج اليه ؛ لعدم وجود المعارض

القسم الّثانى الكذب على النّاس لغرض من الاغراض الدنيويّة ، بل قدلايكون لغرض كمن اعتاده فكأنّه طبع عليه و هذا هو الّذى ورد فيه انّه ينقض الدّين والمروّة ويذهب ماء الوجه ولعذاب الاخرة أشدّ نكالا لو كانوا يعلمون

القسم الّثالث الجايز المشروع و هو كما سبق اذا ترتّب عليه غرض أخروى كاصلاح ذات البين بل لا يسمّى كذبا ، قال الصادق عليه السلام الكلام ثلثة ، صدق ، و كذب ؛ وإصلاح بين الناس ؛ قيل له جعلت فداك ما الاصلاح بين النّاس ؟ قال تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا و كذا خلاف ما سمعت منه،ويجوز الكذب فى الحرب لمخادعة العدوّ ، وكان على عليه السلام فى حرب صفّين لمّا يركب ينادى بأعلى صوته والله لأقتلنّ معوية ، ثم يقول سرّاً انشاء الله ؛ فقال له رجل كان من خواصّه كيف هذا يا امير المؤمنين ؟ قال الحرب خدعة ، انّ عسكرى اذا سمع هذا الكلام منّى جدّوا فى الجهاد لعلمهم بأنّى لم أكذب ، ثمّ أقول خفية انشاء الله سبحانه، مع انّ قسمه عليه السلام على قتل معوية سيكون فى زمن ظهور المهدى عليه السلام ، فانّه يخرج معاوية ويقتله قتلات متعدّدة ،و كذلك الكذب على الزوجة ، فانّه جائز ايضا اذا و اعدها بوعد ثم لم يف به ، روى الكلينى نوّرالله ضريحه عن عيسى بن

حسان قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول كل كذب مسئول عنه صاحبه يوما الا كذب في ثلثة ، رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه ، او رجل أصلح بين اثنين يلقى هذا غير ما يلقى هذا يريد بذلك إصلاح ما بينهما ، او رجل وعد أهله شيئا وهو لا يريد أن يتم لهم

وقال لي يوماً واحد من مشائخي المجتهدين وكان كثير المطايبة والمزاح يابني ينبغي لصاحب الزوجة ان يكون فخذه وجفن عينه منه في ألم شديد، وذلك انه اذا أراد الخروج من المنزل قالت له إمرأته هات لنا الشيء الفلاني ؛ فيضع يده على عينه للوعدة لها، فاذارجع الى المنزل ولم يأت بشئ قالت له اين الشيء الفلاني؟ فعند ذلك يضرب يده على فخذه ؛ ويقول انى نسيت ولم أذكر ؛ فيكون هذان العضوان منه في الالم دائما

القسم الثاني هو الكذب الخفي وتحقيقه يتوقف على تمهيد مقدمة ؛ وهي ان الله عز شأنه قد كلف العباد في عالم الارواح وعالم الاشباح وقبلوا تكاليفه وسيما هذا العالم فانهم ذاكرون له ويدعون في ذلك النسيان؛ كما قال ابن عباس سميت إنسانا لأنك ناسي ؛ وهو نسيانه لماجرى في عالم الارواح ؛ وجملة التكاليف هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ؛ وأعظمها الاوامر والنواهي ، ومن دخل تحت قلم التكليف فقدأقر ظاهرا وباطنا بالتزام الشرايع ولوازمها من الاحكام، فالصادق في هذا الاقرار من بقي على حالة واحدة ولم يتلوث بمخالفة الاوامر والنواهي؛ومن تلوث فيها وارتكب مايخالف إعترافه الاول فقد كذب نفسه في ذلك الاعتراف وفي قوله أتوب الى الله فان أتوب معناه ارجع اليه عما فعلته ؛ فمن قال هذه الكلمة في هذا اليوم وارتكب شيئا من النواهي في غد فقد كذب وهذا الكذب أقبح من غيره حيث انه كذب مع الله وملئكته الكاتبين وأنبيائه المقربين وعباده الصالحين

ومن هذا جاء في الحديث ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وطلب منه ان يأمره بأنفع الاعمال فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله اصدق ولاتكذب واعمل من المعاصي ماشئت، فاستعجب

الرجل من هذا القول وقبله، فلمّا رجع قال انّ النّبى صلى الله عليه وآله لم ينهى الاّ عن الكذب فأنا آتى فلانة و كانت امرأة جميلة ؛ فلمّا مضى الى بيتها ليزنى بها تفكّر فى نفسه و قال اذا خرجت من عندها ولقينى أحد وسئلنى أين كنت وما كنت تعمل؟ فان صدقته فى القول صار أمرى عظيما ، وان كذبت فقد نهيت عنه ، فرجع الى منزله ، ثمّ طلب ان يفعل ذنبا آخر وفكّر مثل هذا فاقلع عن جميع المعاصى

اذا عرفت هذا فاعلم انّ من الكذب الخفى ما نواجه ربّنا والمطّلع على سرائرنا وضمائرنا كلّ يوم، وأقلّه عشر مرّات ؛ وذلك انّا نقف بين يديه ونقول الحمد لك أيّها المربّى لنا الرّحمن الرّحيم بنا ؛ المالك لأمورنا فى يوم الوفود عليك ، فنحن نخصّك بالعبادة ، ونخصّك بالاستعانة بك ، فنحن لانعبد غيرك ولا نستعين الاّ بك ؛ والعبادة هى الإطاعة والانقياد فانظر وتفكّر وقل كيف أصدق فى هذا المقال وانا أطيع غيره ممّن نهانى عن إطاعتهم والانقياد لهم ؛ ومن جملتهم عدوّه و عدوّك الشّيطان ، فالمصرّ منّا على إطاعته وهم الأكثرون خصوصا حال الصّلوة كيف يكون صادقا فى ايّاك نعبد ، ومن جملة معبوديك نفسك الأمّارة بالقبائح الّتى لا تقصر عن الشّيطان و هواك المردى لك ؛ ومن الجملة ايضا معبوديك من أهل الدّنيا كالسّلطان والحاكم وعمّالهما وعبيدهما وعبيد عبيدهما و كلابهما ودوابّهما وإمائهما ومن تتوهّم إنتسابه اليهما، فما اكثر ماجعلت لربّك من الشركاء والمعبودين، ولقد أحسن ابن عباس حيث قال فى قوله تعالى ولاتتخذّوا إلهين اثنين انّه تعالى نهاك عن الاثنين و انت إتّخذت الالوف فما أقلّ حياك ، ومن معبوديك ايضا القصّاص عليك ، كماقال عليه السلام من استمع الى قائل فقد عبده ؛فان كان يحدّث عن الله فقد عبدالله، وان كان يحدث عن الشيطان فقد عبد الشيطان؛ والمراد بتحديثه عن الشيطان نقله الحكايات الكذب اوهجاء المؤمنين او غيبتهم او نحو ذلك، فما تعارف فى هذه الاعصار من نقل حكايات أهل القصص الّتى وضعوها كقصة رستم، وعنتر ؛ وحمزة؛ وأشباهها فالسّامع لها عابد للشّيطان ، ولعلّك تظنّ ان العبادة انّما هى الصلوة وأضرابها وهذا ظنّ غلط فانّك قد سمعت قوله تعالى فى شأن أهل الكتابين إتّخذوا أحبار هم و رهبانهم أربابا

من دون الله ، قال عليه السلام : والله ما صلوا لهم ولا صاموا لهم ولو دعوهم اليهما ما قبلوا ولكن أحلّوا لهم حراما ؛ وحرموا عليهم حلالا فقبلو أقوالهم ، فمن ثمّ قال انّهم أربابهم

وقال تعالى أفمن اتّخذ إلهه هواه ، فقد جعل سبحانه إرادات النّفس وأمنيّاتها الباطلة إلهاً ، فأنت أيّها المصلّي اذا كان لك كلّ هؤلاءالالهة والمعبودين كيف لم تجر على مواجهة واحد منها بالكذب ، و ما تجرّئت الاّ علـى جنابه تعالى تقول لا أعبدالاّ أنت ولا أطيع أحـدا سواك ، فكأنّك ظننت انّ هـذا أعجز من جميع آلهتك حتّى خصصته بالكذب عليه دون باقي آلهتك ، ويجوز ان يكون الوجه فيه انك قصرت عبادتك الصادقة عليها ، وذلك انّها و ان كان آلهة متعددّة الاّ أنّها ترجع الى أصل واحد حتّى القصّاص الّذى يقصّ عليك الأباطيل

فقد روى انّ النّبى صلّى الله عليه وآله لمّا أتى بالقرآن معجزة وفيه القصص الماضية والإخبارات قال كفّار قريش انّا نقدر على مثل هذا ، وكان جماعة منهم يخرجون فى التّجارات الى بلاد العجم فسمعوهم يحكون عن عنتر وأمثاله ؛ فكتبوا تلك القصص وعرّبوها و أتوابها الى مكّة ليعارضوابها قصص القرآن ، فنزل قوله تعالى ذامّا لهم: ومن النّاس من يشترى لهو الحديث ليضلّ به عن سبيل الله ، فقد كانوا يبذلون الأمـوال لمن ينقل اليهم قصّة من تلك القصص الكاذبة ليفتنوا النّاس عن متابعة النّبى صلّى الله عليه وآله بأن هذا القرآن ليس باعجاز، للقدرة على الاتيان بمثله ، وأنّى لهم ذلك

وامّا قولك ايّاك نستعين على طريق الحصر فأنت أكذب فيه من الاوّل ، لأنّك اذا رجعت الى وجدانك وحالاتك ترى انّك تستعين غيره فى كل أمورك ؛ وتجعله سبحانه آخر من تستعين به ، فانّك اذا جبهت من عندالمخلوقين و أيست من الاستعانة بهم بعد ما التمستها رجعت وقلت الحكم لله نستعين بالله ، وهذا احد معانى قول مولانازين العابدين عليه السلام فى دعاء الصّحيفة اللّهم يـا منتهى مطلب الحاجات ، ولـو استعنت به اوّلا كفاك مهمّاتك ولم يحوجك الى امثالك

ونقل الثّقاة انّ محمود بن عمر الخوارزمى لمّا صنّف تفسيره الكشّاف حمله و

أتى به الى الغزالى ليمدّه بالألطاف والانصاف ، فلمّا جلس عنده ونقل له سبب مجيئه اليه قال له الغزالى كيف فسّرت ايّاك نستعين ، فقال قلت انّ تقديم المفعول يفيد الانحصار فقال اذاً أنت من علماء القشر ، فرجع الخوارزمى نادماً على ما فعل ؛ ولو تأمّلت بهذا الكذب الخفى لوجدته أضرّ بأحوالك من ذلك الكذب الجلى ، و ذلك انّ هذا يمنعك من قبول الطّاعات ومن التّأهّل للقيام على بساط المناجات ويورثك الحسرة والنّدامة ، ويوردك المهالك يوم القيمة ، ولو أنصفت من نفسك لعلمت انّك لو واجهت واحداً من النّاس وقلت له انا لا أتردّد الاّ الى بيتك ولا لى صديق سواك مع علمك بأنّه يعلم انّك تردّد الى كلّ أحد أكثر من تردّدك الى بيته ، ولك اصدقاء كثيرون سواه لكنت عند نفسك خجلا من هذا الكذب الّذى واجهت به صديقك تستحيى ان تواجهه به مرّة أخرى بعد مضىّ زمان طويل ؛ و أنت هيهنا اذا كان أوّل النّهار قلت ايّاك نستعين و ما مضى من النّهار الاّ اقلّه حتى جاء وقت الظّهر فقمت بين يديه وقلت ايّاك نستعين وانت قبل ذلك القول و بين هذين القولين رجعت فى مهمّاتك الى غيره واستعنت بعاجز مثلك على تمشيتها وما علمت انّ امورك كلّها بيده سبحانه يمضيها على حسب إرادته و مشيّته ومن استعنت بهم فانّهم عباد مسخّرون بتوفيقه تعالى لقضاء حوائجك ليس حالهم الاّ كحال قلم الكريم الذى كتب لك به النّوال والعطا ، فشرعت تمدح القلم وتستعين به وتركت الاستعانة بذلك الرّجل الكريم، ما صدر هذا الاّ من جهل و قلّة تأمّل و قصر نظر فى عميقات الامور

وفى الحديث القدسى انّ الرجل اذا أعجلته الحاجة فخفّف من صلوته لتدار كها قال اللّه سبحانه وتعالى أنظروا يا ملئكتى الى عبدى كيف خفّف صلوته ليتدارك حوائجه أيظنّ انّ قضاء حوائجه بيده ، وانّما قضاء حوائجه الىّ ؛ وقد أوحى الله يا دنيا اخدمى من خدمنى ؛ وفى الحديث انّ السّارق كلّ السارق من سرق من صلوته ، وذلك بتخفيفها وحذف شىء من واجباتها ، وقد دخل رسول الله ﷺ المسجد فراى رجلا يصلى ويستعجل فى صلوته فقال نقر كنقر الغراب ، لئن مات هذا الرجل ليموت على غير سنّتى

و تفكر ايضا بأنه اذا طلبك رجل من اخوانك لقضاء حاجة من الحاجات فقبلت إلتماسه ؛ فأسرعت في الاتيان بها على الوجه الذي أرادها منك ، ثم في أثنائها خطر على بالك ان لى بعض الحوائج ، فشرعت فى تمام تلك الحاجة على غير الوجه الذى أراده منك وهو بمرئى منك ومسمع أما كان ذلك الصديق يغضب منك ويعتب عليك ، و يقول لك يا أخى هذه اللحظة الواحدة ما كنا نستحقها عندك ولو أرجعت الينا أغراضك وحوائجك لكنا نقضيها لك أحسن من قضائك أنت لها، فقد فوت حاجتك وحاجتنا ، فأنت قد أغضبت صديقك وعطلت حاجاتك ما هذا الاسفه ، وقلة رشد

(نور يكشف عن الربا واحكامه ولواحقه)

إعلم و فقك الله تعالى ان الله سبحانه قد رغب فى القرض و جعل ثوابه أزيد من ثواب التصدق ، و ذلك ان الروايات جاءت ان الصدقة الدرهم منها بعشر ، و درهم القرض ثمانية عشر ، و ذلك ان درهم القرض يرجع الى صاحبه فيقرضه مرة أخرى و يوسع به على مؤمن آخر، ومن هنا جائت الايات والاخبار مؤكدة بتحريم الربا فقال سبحانه فى سورة البقرة الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، وقال أحل الله البيع وحرم الربا

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الربا سبعون جزء أيسرها مثل ان ينكح الرجل أمه فى بيت الله الحرام ؛ يا على درهم ربا أعظم عندالله من سبعين زنية كلها بذات محرم فى بيت الله الحرام ، وقال بلفظ آخر للربا سبعون بابا أهونها عندالله كالذى ينكح امه ، وقال عليه السلام كل رباء شرك ، وقال عليه السلام كل ربو أعظم عندالله تعالى من سبعين زنية كلها بذات محرم، وقال عليه السلام لعن الله الربا وآكله، ومو كله؛ و كاتبه، وشاهديه ، وقال امير المؤمنين عليه السلام معاشر الناس الفقه ثم المتجر ، والربا فى هذه الدنيا أخفى من دبيب النمل على الصفا

و قال عليه السلام من لم يتفقه فى دينه ثم اتجر إرتطم فى الربا، ثم ارتطم؛ وهذا كله انما جاء من قبل طلب الاحسان و هوالقرض ، فيكون تحريم الربا سوطا يسوق الناس الى القرض وتعاطيه

وقال الصادق عليه السلام الربا ربـاء ان رباء يو كل؛ ورباء لا يو كل ، فأما الرباء الذى يو كل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب ، أى الجزاء أفضل منها ، فذلك الرباء الذى يؤكل، وهوقوله تعالى وما أتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلايربوا عندالله ، و اما الذى لا يؤكل فهو الذى نهى الله تعالى عنهُ ، وأوعد عليه النار ، وقد تعارف عند بعض الناس لدفع الربا بعض الحيل الشرعية ولا بأس به لقوله عليه السلام فى جواب من سئل عن مثل هذا نعم الشىء الفرارمن الحرام الى الحلال ، خصوصا من مثل هذا الحرام الذى قال فيه عليه السلام لعن الله الرباء وآكله، وموكله، وكاتبه ، وشاهديه فشرك بينهم ، فى الاثم حسما لمادة الفساد

واعلم انّ الربا يجرى فى اكثر ما يحتاج اليه الانسان من الغلات والدراهم وما دخل تحت الكيل والوزن ويكون على طريق التفاضل ، والزيادة الحكمية عندهم كالزيادة العينية فى التحريم، وقد استثنوا من هـذا الحكم جواز ابتياع درهم بدرهم مع اشتراط صياغة خاتم استناداً الى مـا رواه الشيخ ، عن ابى الصباح قال سئلت ابا عبدالله عليه السلام عن الرجل يقول للصائغ صغ لى هذا الخاتم ، و أبدل لك درهما طازجاً بـدرهم غلة ، قال لابأس ، وقد عمل بها الشيخ (ره) فى البيع المذكور وعدّاها الى اشتراط غير الخاتم ؛ و كذلك ابن ادريس إلا انه نظر الى انّ الصياغة ليست زيادة عينية والممتنع فى الربا هى خاصة، قال شيخنا الشهيد قدس الله روحه وأجود ما نزلت عليه الرواية انها تضمنت ابدال درهم طازج بدرهم غلة مع شرط الصياغة من جانب الغلة ؛ ومع ذلك لا يتحقق الزيادة لأنّ الطازج على ما ذكره بعض أهل اللغة و الفقهاء الدرهم الخالص والغلة غيره وهى المغشوش ، وقد يطلق على المكسرة و لكن هنايتم مع التفسير الأول لأنّ الزيادة الحكمية مع المغشوش وهى تقابل بما زاد فى المغشوش، هذا كلامه (ره) وقد

تكلّمنا على ايضاح معنى هذا الحديث وعلى كلام اصحابنا هذا فى شرحنا على تهذيب الحديث بما لامزيد عليه ، ولنقتصر هنا على بعضه فنقول

انّ هذه الرّواية لاتصلح سندا لما قالوه من الحكم الجزئى المخرج عن القاعدة الكلّية بل القاعدة على حالها من تحريم الزيادة الحكمية مطلقا ؛ وذلك لوجوه: الأوّل انّ ظاهر هذا الخبر كون مثل هذا قد وقع بلفظ التّبديل وهو نوع مراضاة يتعاطاه النّاس فى معاملاتهم ومحاوراتهم فليس هو بيعاً حتى يجوز فيه مثل هذا

الثّاني انّ قوله أبدل لك درهما طازجا بدرهم غلة ظاهر فى انّ الدّرهم الطّازج انّما هو من مال الصّايغ والدّرهم الغلة من مال الرّجل الّذى يقول ، وهذا كما يقال فى العرف اكتب لى هذا الكتاب وأبدل لك كتاب الشّرايع بكتاب الارشاد ، فانّه صريح فى انّ كتاب الشّرايع انّما هو من مال الكاتب لامن مال القائل ، و كتاب الارشاد من مال القائل؛ وحينئذ فدرهم الغلّة انّما هو الدّرهم العتيق المكسر لكنّه بالوزن يزيد على الدّرهم الطّازج الّذى هو معرّب تازه (١) كما هو المتعارف فى هذه الاعصار و غيرها من انّ الدّرهم العتيق يزيد بالوزن على الدّراهم الجديدة وتفاوت الوزن هو الّذى يدعو على تجديد الدّراهم اوتغييرها عن هيئتها الأولى ، وحينئذ فتفاوت الدّراهم الطّازج وهو كونه جديد الضرب رائجا فى المعاملات مرغوبا اليه يقابل تلك الزيادة العينية الّتى فى الدّراهم العتيق الّذى هو درهم الغلّة ، فتكون الزيادة العينيّة بازاء الزّيادة الحكميّة والدّرهم مقابل الدّرهم فلا تفاضل بينهما

الثالث ان المعهود المتعارف هو انّ الدّرهم الجديد انّما هو عند الصّايغ لاعند

---

(١) قال ابن الاثير فى النهاية : فى حديث الشعبى قال لابى الزناد تأتينا بهذه الاحاديث قسية وتأخذها منا طازجة القسية الرديئة والطازجة الخالصة المنقاة وكانه تعريب (تازه) بالفارسية وقريب منه فى (المعرب) للجوالقى وقال الطازجة النقية الخالصة وهى اعراب (تازه) و فى مجمع البحرين فى الحديث الدراهم الطازجية بالطاء غير المعجمة والزاء والجيم اى البيض الجيدة وكانه معرب (تازه)

غيره فهو يريد يبدله بذلك الدرهم الثقيل الوزن ، ويوضح هذا المعنى انّ الشيخ (ره) فى التهذيب قد روى خبرا قبل هذا من الصحيح ، عن الحلبىّ قال سئلت اباعبدالله عليه السلام عن الرجل يستقرض الدّراهم البيض عددا ثمّ يعطى سودا وزنا ، وقدعرف انّها أثقل ممّا أخذ ، و تطيب نفسه ان يجعل فضلها له ، فقال لابأس اذالم يكن قد شرط له ، لو وهب له كلّها صلح له ، فانّ الظّاهر انّ المراد بالدّراهم البيض هى الجديدة الطّازجية والسّود هى الغلّة المقابلة لها ، وقد صرّح بأن السّود أثقل وزنا منها و انّها تعطى بدل القرض لأجل مقابلة الاحسان بالاحسان

نور يكشف عن الكفر وعن حقيقة الشرك واقسامه وتوابعه المتعلقة به

إعلم انّ الكفر فى اللّغة هو السّتر و منه قيل للّيل كافر لأنّه يستر ما أظهره نور النّهار ، وقيل للكافر لأنّه سترما أنعم الله تعالى عليه من المعارف الالهيّة والأنوار الربّانيّة والنعم الجليّة والخفيّة ، وأمّا فى اصطلاح فقهائنا رضوان الله عليهم فالكافر من جحد ما علم من دين الاسلام ضرورة ؛ كمن أنكر الصلوة او الصّوم والحجّ ونحوها أمّا من أنكرما علم من دين الشيعة بالضرورة لامن دين الاسلام كتقديم اميرالمؤمنين عليه السلام بالخلافة والفضيلة و تكفير من تخلّف محلّه فهو ليس بمؤمن لكنّه لايخرج عندهم عن الاسلام الّذى عليه المناكحات والطّهارات وإحقان الدّماء والاموال ، وأما فى اصطلاح أهل البيت عليهم السلام فالكفر يطلق على أمور

روى الكلينى طاب ثراه عن الزّبيرى عن ابى عبدالله عليه السلام قال قلت أخبرنى عن وجوه الكفرفى كتاب الله عزّ وجلّ ، قال الكفر فى كتاب الله عزّ وجلّ على خمسة اوجه فمنها كفرالجحود ، والجحود على وجهين ، فالكفر بترك ما امرالله تعالى ، و كفرالبراءة

و كفر النعم ، فامّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبيّة ؛ وهو قول من يقول لا ربّ ولا جنّة ولا نار ؛ و هو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدّهريّة ، وهم الذين يقولون و ما يهلكنا الا الدّهر وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبّت ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون ، قال الله ان هم الا يظنّون انّ ذلك كما يقولون ؛ و قال انّ الّذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون يعني بتوحيد الله فهذا أحد وجوه الكفر ، و امّا الوجه الاخر من الجحود على معرفته فيه فهو ان يجحد الجاحد وهو يعلم انّه حقّ قد استقر (استيقن) عنده وقد قال الله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما و علوّا و قال الله عزّ و جلّ وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جائهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين فهذا تفسير وجهي الجحود

والوجه الثّالث من الكفر كفر النعمة وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان هذا من فضل ربّي ليبلوني ء اشكر ام اكفر ، ومن شكر فانّما يشكر لنفسه و من كفر فانّ ربّي غنيّ كريم ؛ وقال لئن شكرتم لأزيدنّكم و لئن كفرتم انّ عذابي لشديد ؛ و قال فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

الوجه الرّابع من الكفر ترك ما امر الله تعالى وهو قول الله تعالى واذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم ولا تخرجون أنفسكم من ديار كم؛ ثمّ اقررتم و أنتم تشهدون ، ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ؛ و ان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم، فكفرهم بترك ما أمر الله به ونسبهم الى الايمان و لم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده ؛ قال فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدّنيا ويوم القيامة يردّون الى اشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون

والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة ، وذلك قوله تعالى يحكي قول ابراهيم كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده ، يعني تبرّأنا منكم ؛ وقال يذكر ابليس وتبرّئه من أوليائه الانس يوم القيمة انّي كفرت بما أشر كتموني

من قبل ، وقال انّما اتّخذتم من دون الله أوثانا مودّة بينكم في الحيوة الدّنيا ثمّ يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ، يعني يتبرأ بعضكم من بعض؛ اذا عرفت هذا ظهر لك معنى الكفر الواقع في الأخبار على فعل بعض المحرّمات و ترك بعض الواجبات ، مثل ما ورد من انّ تارك الحج كافر ، وتارك الصلوة كافر ، و مرتكب الغيبة كافر وتارك الزكوة كافر ، الى غير ذلك ، و كلّها داخلة تحت هذه الافراد المذكورة للكفر ، فلا تظنّ انّ الكفر له معنى واحد حتّى يشكل عليك الأمر بتلك الاطلاقات كما أشكل على بعض الاعلام ، فتفصّى بحمل التّرك على التّرك من وجه الاستحلال وظاهر كثير من الأخبار يأباه .

وامّا الشرك فهو على ثلثة أقسام شرك جليّ ؛ وشرك خفيّ ؛ وشرك أخفى، امّا الشّرك الجلي فهو ما ذهب اليه أهل الاوثان وعبّاد الاصنام أو الشمس والقمر وشيء من المخلوقات حيث عبدوها وسمّوها آلهة ، وقالوا في العلّة الّتي من أجلها ردّوا كلامه صلى الله عليه وآله في الامر بالتوحيد أجعل الالهة الها واحدا انّ هذا لشيء عجاب، ثمّ قالوا ما نعبدهم الّا ليقرّبونا الى الله زلفى ، فهم لم ينكروا الصّانع لكن لم يوحدوه، فهؤلاء وما يعبدون حصب جهنّم وحطبها ، وقال تعالى واتّقوا نارا وقودها النّاس والحجارة ، فقيل المراد بالحجارة الاصنام الّتي كانوا ينحتونها من الاحجار ، كقوله عليه السلام المرء مع من أحبّ ، ولو انّ أحدا أحبّ حجرا حشره الله معه ، فهم محشرون مع تلك الاحجار كما جاء في الرواية ؛ و في رواية أخرى انّ المراد بالحجارة هنا جبال من كبريت لاضوء لنارها ، وانّما هو دخان أسود فيه رائحة الكبريت، وفي الحديث انّه يخرج كلّ واحد من زبانية جهنّم وعلى عاتقه جبل من كبريت ، فيأتي المحشر ويسوق جماعة من العصاة أمامه ، فاذا قارب بهم شفير جهنّم وماهم فيها ورمى ذلك الجبل فوقهم حتّى تتوقد النّار عليهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم

وامّا أوّل من وضع الأصنام وعبادتها فروى انّ أولاد أوصياء إدريس عليه السلام قد كان اهل زمانهم يحبّونهم حبّا شديدا ، فلمّا ماتوا شقّ ذلك على قومهم فجاء هم ابليس لعنه الله تعالى فقال أتّخذ لكم أصناما على صورهم فتنظرون اليهم وتأنسون بهم و تعبدون الله ،

فأعدّلهم أصناما على مثالهم ، فكانوا يعبدون الله عزّ وجلّ وينظرون الى تلك الاصنام فلما جاء الشّتاء والأمطار أدخلوا الاصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتّى هلك القرن ونشأ أولادهم ، فأتى الشّيطان اليهم وقال لهم انّ آباءكم كانوا يعبدون هذه الأصنام ، فعبدوها من دون الله عزّ وجلّ فذلك قول الله تبارك وتعالى ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعا الايه (١)

وامّا عبادة النّيران فقال الصادق عليه السلام انّ قابيل لمّا راى النّار قد قبلت قربان هابيل قال له ابليس انّ هابيل كان يعبد تلك النّار ، فقال قابيل لا أعبد النّار الّتى عبدها هابيل ولكن أعبدنارا أخرى و أقرّب قربانا لها فتقبل قرباني ، فبنى بيت النّار فقرب لها القربان ولم يكن له علم بربّه عزّ وجلّ ولم يرث منه ولده الاّ عبادة النّيران وامّا الشّمس والقمر ففى الرّوايات انّه يؤتى بهما فى عرصات القيمة كثورين عقورين فيأمرالله بهما حتّى يرميا فى النّار لمكان عبادة النّاس لهما

وامّا الشّرك الخفىّ فقد تقدم فى الريا تحقيقه و انّ من جملة افراده الرّيا ، وذلك انّك شرّكت غيرالله معه فى عبادتك فهذا هو معنى الشّرك بعينه بل هو أخسّ منه ، وذلك ان أهل عبادة الاصنام قد عبدوا أموراً موجودة و أعيانا حاضرة أمامهم ، و امّا انت فى حال الرّيا فقد عبدت أمورا موهومة تخيّلتها فى قوتك الوهميّة ؛ وهو انّى

---

(١) هذه الاية الشريفة فى سورة نوح (ع) آية ٢٣ وبعدها قوله تعالى : ولا يغوث ويعوق ونسراً ٢٤ و هذه اسماء اصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها العرب فيمابعد وقيل ان هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح (ع) فنشأ قوم بعدهم يأخذون اخذهم فى العبادة فقال لهم ابليس لوصورتم صورهم كان انشط لكم و اشوق الى العبادة ففعلوا فنشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس ان الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فمبدأ عبادة الاوثان كان ذلك الوقت

انظر تفصيل ذلك فى مجمع البيان للطبرسى ج ٥ ص ٣٦٤ ط صيدا والبرهان للبحرانى ج ٤ ص ٣٨٨ ط طهران والدر المنثور للسيوطى ج ٦ ص ٢٦٩ ط مصر

اذا أطلت الصلوة فى حضور فلان فربما أثنى علىّ و ربما أوصلنى إحسانه ، و فى غالب الاوقات انه لايحصل له ما تخيّله فلا يبقى له سوى تعب القوة المتخيّلة والقوّة الوهميّة فاذن اهل عبادة الأصنام أعلم منك و أفهم ، وايضا فان اهل الأصنام قد أتوا الى ملّة ودين وجدوا عليها آباءهم قد استحسنوها وزيّن لهم الشيطان أعمالهم حتّى انهم كانوا يعجبون من خلاف الاشراك كما سمعت فى قوله تعالى أجعل الالهة إلها واحد انّ هذا لشيء عجاب فهم يتعجّبون منّا كيف نعبد الهاً واحداً ونترك الالهة المتعددة .

وبالجملة فهم يعبدون ما ثبت عندهم إستحقاقه للعبادة أخذا من أسلافهم ، واما انت ايّها المرائى فقد نشوت على فطرة التوحيد و سمعت من آبائك انه لا يجوز ان يشرك مع الله غيره فى العبادة و فهمت هذا المعنى واعتقدت حرمته ومع هذا أقبلت عليه بكلّك وصرفت اليه مجامع لبك ، فأهل عبادة الأصنام جهّال وأنت أجهل منهم ، حيث انهم عبدوا ما استحسنوا و انت عبدت ما استقبحته و ايضا فانّ اهل الاصنام انّما عبد كل جماعة منهم صنما واحداً ؛ كما روى انه كان فى أعصار الجاهليّة لكلّ قبيلة صنم يعبدونه و قد كانت معلّقة فى الكعبة مثل ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، فهم يحبّون ذلك الصنم و يعظّمونه ولا يعظمون صنما غيره ، حتّى انه نقل من محبّتهم لها الأعاجيب الغريبة والحكايات العجيبة، كما روى انّ أهل الهند اتّخذوا بيت صنم ووضعوا فى سقفه وفرشه وجدرانه الأربع حجر المقناطيس ، و وضعوا فيما بينهنّ صنماً من حديد ؛ فبقى معلّقا بينهنّ لتجاذبهنّ له و كثر فى أهل الهند محبّوه وعاشقوه ، و كان يفتح لهم بابه فى كل سنة مرة فيزدحمون اليه ويطلون أجسادهم بالشمع من القرن الى القدم ، فيجىء أحدهم ويجعل بين يديه شمع موقد بالنار والناس فى النظارة فعند رؤية الصنم توقد النار على رأسه فيحترق بالتدريج من قرنه الى قدمه و هو يصبر على عشق الصنم فيقتسم الناس رماده صرّة صرّة للتبرك ، لصدقه فى دعوى محبّة الصنم ، ويعلمون الكاذب بفراره وعدم صبره على النار فى سبيله فيقتلونه

وايضا قد نقل لنا متواترا فى هذه الاعصار انّ جماعة من أهل الهند ممّن يعبد النار

اذا مات الرّجل منهم أحرقوه فى النّار ، و عمدوا الى زوجته وزيّنوها وحلّوها بأنواع الحلى والحلل و أتى بها أهلها وقومها الى تلك النّار فرمت بنفسها فى تلك النّار حتّى لاتبقى بعد زوجها ؛ وان خافت من تلك النّار قال أهلها انّها إرتدّت عن الدّين وخافت من المعبود الّذى هو النّار ؛ وحينئذ فيحلّلونها على المسلمين و كلّ من حضر من المسلمين يأخذها منهم ، فهم يحبّون النار هكذا و امّا انت أيّها المرائى ففى يومك الواحد بل ساعتك الواحدة تعبد الجماعات المتكثرة ، و ذلك انّ كلّ من توهمت فى جانبه جلب نفع او دفع ضرر او ثناء او توقير عكفت على إشراكه مع الله تعالى فى العبادة (وانت خ ل) ككثير غرّة يعشق كل جميلة يراها او يسمع بها حتى عاب الشعراء و اهل العشق عليه ذلك فقالوا كثيّر ما هذا التّقلّب فى الهوى

وبالجملة فأهل الأصنام فى عبادتها أوثق منك وأثبت قدما فاعتبروا يا اولى الأبصار وايضا فانّ أهل الأصنام إنّما عبدوا آلهة ولم يستحيوا من اظهار عبادتها بل يفرحون باظهارها و اما انت فلو قيل لك أشركت فى عبادة ربّك زيدا او عمروا حلفت و أقسمت و برأت نفسك ممّا نسب اليك ، فأنت تعبد من لا تحبّ الانتساب اليه و هم يعبدون من يتمدّحون بالانتساب اليه ، فمعبودهم على هذا احسن من معبودك ؛ وايضا انّك قد عرفت انّ اهل الأصنام انّما يعبدونها لا لأنّها هى النّافعة الضارّة بل لأنّها تقرّبهم الى الله تعالى الّذى هو النّافع الحقيقى و انت ايّها المرائى قد عبدت غير الله سبحانه بزعمك انّه النافع والمعطى ولا يخاطر ببالك حالة الرّيا الاّ قصر ما طلبته من الحالات عليه ؛ فمن هذا ايضا صار عبّاد الأصنام أفهم منك واكثر شعورا

وامّا الشرك الأخفى فهو أمور: منها ان تغيّر شيئا بالاعتقاد عمّا هو عليه و ذلك انّك قد عرفت انّ الله سبحانه قد وضع كلّ شىء فى محلّه ومقرّه فمن أتى يغيّر شيئا وان كان حقيرا كان مشركا، وهذا معنى ما رواه بريد العجلى عن ابى جعفر عليه السلام قال سألته عن أدنى ما يكون به العبد مشركا ، قال فقال من قال للنواة أنّها حصاة وللحصاة انّها نواة ثمّ دان به ، قال شيخنا البهائى رحمه الله تعالى لعلّ مراده عليه السلام من اعتقد شيئا من

الدّين ولم يكن كذلك في الواقع فهو أدنى الشّرك ولوكان مثل اعتقاد انّ النّواة حصاة و انّ الحصاة نواة ثم دان به ؛ وقد دخل ابوحنيفة وأضرابه من فقهائهم تحت هذا النّوع من شرك على ما عرفت من انّه يقول قال عليّ (كذا) وانا أقول (كذا) لكن هذا من أفراد الشرك الجلي الاّ انّه لمّا خفي حاله على اكثر النّاس ادرجناه تحت الشّرك الاخفى والخفى ، ويدخل تحت هذا ايضا من كذب متعمّدا في الاحكام الشّرعية مثل علماء السوء ومحدّثيهم الذين اكثروا الكذب على الله ورسوله فهم مشركون ايضا ، وكذلك من كذب من علماء الشيعة في المسائل الشّرعية وتكلّم بلا وقوف ولا تثبّت وانّما توهّمه او تعمّده لئلاّ يقال انّه جاهل ، وكذلك من أفتى النّاس وليس هو بأهل الفتوى (١) فانّه والحال هذا قد نهي عن الخوض في الفتاوى ، فاذا أفتى فقد أشرك من حيث لا يشعر ، ومن هنا صار الشرك دقيقا جدّا

ومنها الطّاعة فانّك قد علمت انّ الذى يجب طاعته هو الله سبحانه او من أمر بطاعته مثل حججه عليهم السلام فمن أطاع غير من فرض الله طاعته فقد صار مشركا لأنّه اشرك في طاعته؛ قال الصادق عليهم السلام في قول الله عزّ وجلّ وما يؤمن اكثرهم بالله الاّ وهم مشركون قال يطيع الشّيطان من حيث لا يعلم فيشرك، وقد دخل تحت هذا الفرد من الاشراك ساير مخالفينا من العامّة وغيرهم ؛ و ذلك لأنّهم ألزموا أنفسهم طاعة الطّواغيت والجوابيت (٢) ومن امر الله ان يكفروا به؛ فقد صاروا شركاء الله حيث اوجبوا مالم يوجب وأشركوا

---

(١) و لذا يقال ان من ادعى الاجتهاد والاهلية للفتوى فان كان ممن يحتمل في حقه ذلك حمل على الصحة ولم يفسق بذلك ولكن لايجوز ترتيب الاثار بمجرد ذلك لعدم ثبوت اهليته للفتوى كاكثر المدعين للاجتهاد في هذا العصر التعيس والمترشحين للمرجعية في هذا الزمن المنحوس واما اذا كان هذا المدعى للاجتهاد خالف الضرورة في دعواه فشارب الخمر خير منه

(٢) وقد جعلوا الخائنين والظالمين والفساق والمرتكبين للكبائر من أولي الامر الذين امر الله تعالى = والعياذ بالله = بالإطاعة لهم والانقياد اليهم وقرن طاعتهم بطاعته قال☆

فيه ايضا من جهة انّ من أوجب طاعته لم يوجبوها هم ، ومن هنا روى عميرة عن ابى عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول أمر النّاس بمعرفتنا والرّدّ الينا والتّسليم لنا ، ثمّ قال و ان صاموا وصلّوا وشهدوا ان لا اله الا الله وجعلوا فى انفسهم ان لا يردّوا الينا كانوا بذلك من المشركين

ومنها المعارضة والانكار على الحكم الالهيّة كما يصدر من عوام النّاس كثيرا إمّا باللّسان أو بالقلب؛ واليه الاشارة بقوله عليه السلام لو انّ قوما عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلوة وآتوا الزّكوة وحجوا البيت و صاموا شهر رمضان ثمّ قالوا لشىء صنعه الله او صنعه النّبى صلى الله عليه وآله ألا صنع خلاف الذى صنع ، أو وجدوا ذلك فى قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ، ثم تلا هذه الاية فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا فى انفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً ، وحينئذ فما يقوله جهّال الناس وعوامهم لو انّ الله اغنانى لكان هو الاحسن او لو انّ الله فعل بزيد كذا و كذا لكان

☆ الشيخ المراغى فى تفسيره ما هذا لفظه : واطيعوا أولى الامر وهم الامراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس فى الحاجات والمصالح العامة

وقال ايضا : اولى الامر وهم اهل الحل والعقد الذين تثق بهم الامة من العلماء والرؤساء فى الجيش والمصالح العامة كالتجار والصناع والزراع ورؤساء العمال والاحزاب ومديرى الصحف ورؤساء تحريرها = وطاعتهم حينئذ هى طاعة أولى الامر (اه) انظر تفسير المراغى ج ٥ ص ٧٢ = ٧٣ ط مصر والقارى العزيز جد خبير ان اكثر هؤلاء الاشخاص من رؤساء الفجار واذناب الاستعمار فكيف امر الله تعالى بوجوب طاعتهم

وقد زعم الشيخ المراغى كالامام فخر الدين الرازى فى تفسيره ان المراد من اولى الامر أهل الاجماع فان الاية الشريفة تدل على عصمة اولى الامر و عصمتهم لا تحصل الا باجماعهم و يرد هذا الزعم ان ظاهر الاية افادة عصمة كل واحد من اولى الامر لا مجموعهم لان ظاهرها ايجاب طاعة كل واحد واضف الى ذلك ان العمل بمقتضى الاجماع ليس من باب الطاعة لهم لان الاجماع من قبيل الخبر الحاكى كما فصل هذا المطلب بعض علمائنا فى محله

هو الاصلح و نحو ذلك من العبارات المشتملة بظاهرها على الاعتراض من باب الشرك واحد انواعه

و منها الاشراك معه فى المحبة فان اسباب المحبة كما سيأتى انشاء الله تعالى كلّها راجعة اليه فيجب ان يكون هو المحبوب لاغير ولايكون فى القلب غيره وهو بيته ومنزله كما سمعت فى الحديث القدسى

من قوله لم تسعنى سمائى ولاارضى ولاعرشى ولا كرسيّى وانّما وسعنى قلب عبدى المؤمن فلايكون فى هذا البيت الاّ هو او من انتسب اليه وهوَ من امر بودادهم مثل الائمة الطّاهرين والعلماء واولاد الرّجل واقاربه ممّن امر سبحانه بعطفهم والميل اليهم فمحبّة هولاء راجعة الى حبّه سبحانه كما جاء فى الحديث ، امّا اذا تجاوز القدر المأمور به صار شركا و من هذا جاء فى الكتب انّ الله سبحانه انّما غيّب الصديق عن ابيه يعقوب لمكان إفراطه فى حبّه حتى انّه ادخل البيت غير صاحبه و قد سئل الصادق عليه السلام عن العشق فقال تلك قلوب خلت من محبّة الله فأذاقها الله حلاوة غيره

وبالجملة فالافراط فى المحبّة على القدر المأمور به يكون شركا لأنّه قد أشرك مع الله غيره فى الحبّ والوداد و من هنا جاء الأمر منه سبحانه بخلع حبّ الدّنيا عن القلب و قد جاء فى الرواية فى قول ابراهيم عليه السلام ربّ أرنى كيف تحيى الموتى الاية انّ الله عزّ وجلّ امر ابراهيم ان يزور عبدا من عباده الصالحين فزاره فلمّا كلّمه قال له انّ لله تعالى فى الدّنيا عبدا يقال له ابراهيم اتّخذه خليلا فقال ابراهيم وماعلامة ذلك العبد؟ قال يحيى له الموتى، فوقع لابراهيم انّه هو فسأله ان يحيى له الموتى، قال اولم تؤمن؟ قال بلى و لكن ليطمئنّ قلبى على الخلّة، ويقال انّه اراد ان يكون له فى ذلك معجزة كما كانت للرّسل و انّ ابـراهيم سأل ربّه عزّ وجلّ ان يحيى له الميّت فأمره الله عزّ وجلّ ان يميت لأجله الحىّ سواء بسواء وهوانّه امره بذبح ابنه اسمعيل وانّ الله عزّ وجلّ امر ابراهيم بـذبح اربعة من الطّير: طاوساً ونسرا وديكا وبطّا، فالطّاووس يريد به زينة الدّنيا؛ والنّسر يريد به الأمل الطّويل، والبطّ يريد به الحرص؛ والدّيك

يريد به الشهوة ويقول عزّ وجل ان اردت ان يحيى قلبك و تطمئنّ معى فاخرج عن هذه الاشياء الأربعة فاذا كانت هذه الأشياء فى قلب فانه لا يطمئن معى ، و روى عن العالم عليه السلام فى تفسير قوله تعالى فاخلع نعليك انك بالواد المقدس انّ المراد انزع حبّ قلبك عن اهلك فانّ الزوجة تشبه بالنعل والنعل الأخرهم الأولاد فقد امر حالة اللّقاء (لقائه خ ل) مع المحبوب الحقيقى بخلع ماسواه من الاحباب : وامّا ايضاح هذه الطيور الاربعة

فاعلم انّ الطاووس طائر معروف وهو يحبّ الزّهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه وعقدة لذنبه كالطاق لاسيّما اذا كانت الانثى ناظرة اليه و قيل اعجب الامور انه مع حسنه يتشأم به وقيل انّ السبب فيه انه ادخل ابليس الى الجنة فاخرج آدم منها(١) فصار سبباً لخلوا الدّار من اهلها فلذا كره النّاس اقامته فى الدّور

وروى انّ آدم عليه السلام لمّا غرس الكرمة جاء ابليس فذبح عليها طاووساً فشربت دمه فلمّا طلعت اوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه؛ فلمّا طلعت ثمرتها ذبح عليها اسدا فشربت دمه، فلمّا انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيراً فشربت دمه فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الأوصاف الاربعة؛ وذلك انه اول ما يشربها وتدب فى أعضائه يزهو لونه ويحسن كما يحسن الطاووس واذا جاء مبادى السكر لعب وصفق ورقص كما يفعل القرد، واذا قوى سكره جاء بصفة الاسد فيعبث ويهتزى بما لافايدة فيه ثم ينقعص كما ينقعص الخنزير ويطلب النوم ويخل عزم قوته، وامّا النّسر فهو من أطول الطير عمرا يقال انه يعمر الف سنة وسمى نسرا لانه ينسر الشيء ويبتلعه

و عن الحسن عليه السلام انه يقول فى صياحه عش ما شئت فانّ الموت ملاقيك و زعم قوم انّ الأنثى من هذا الصنف تبيض من نظر الذكر اليها و هى لاتحضن وانّما تبيض فى الأماكن العالية الضاحية للشمس فيقوم حرّ الشمس للبيض مقام الحضن وهو حاد البصر يرى

(١) قصة غير مذكورة فى الروايات الصحيحة الاسلامية ولذا لايعتمد عليها و كانها من دس أهل الكتاب انظر ما ذكرناه فى هذا الكتاب ج ١ ص ٢٤٤

الجيفة من أربعمائه فرسخ و كذلك حاسّة شمّه لكن قيل انّه اذا شمّ الطّيبات اوقته وليس فى سباع الطّير اكبر جثة منه ومع هذا قالوا انّه اقواها جناحا حتى انه يطير ما بين المشرق والمغرب فى يوم واحدو اذا وقع على الجيفة و عليها عقيان تأخّرن عنه و كل الجوارح تخافه، واذا وقع على الجيفة وأكل منها امتلأ ولم يستطع الطّيران حتّى يثب وثبات يرفع بها نفسه طبقة فى الهوى حتّى يدخل تحت الرّيح وربّما صاده الضعيف من النّاس فى هذه الحالة، وهو اشدّ الطّير حزنا على فراق الفه واذا فارق احدهما الاخرمات حزنا و كمداوفى الروايات عنه ﷺ انّ النّسر سيّد الطيور، ومن هذا ذكروا فى خواصه انّ من حمل معه قلب النّسر كان محبوبا ومهابا وقضى الحاجة عند السّلطان وغيره ولا يضره سبع ابدا

واما البطّ و حرصه على الماء و على التقاط الحبّ اينما كان فهو ظاهر مشهور وامّا الدّيك و شهوته خصوصاً للجماع فظاهر و ذلك انّه ربّما كان فى المحلة الواسعة الكثيرة الدّجاج ديك فيكفى لكل تلك الدّجاج، ومن خصاله الحميدة انّه لا يؤثر واحدة على واحدة وقد امر ﷺ بأن يتعلّم الناس من الدّيك خصالا: الشجاعة والغيرة والكرم و كثرة الجماع ويعجبنى نقل كلام ذكره شيخنا الشيخ بهاء الدّين قدس الله روحه وهو انّ النفس الانسانية واقعة بين القوة الشهوانية والقوة العاقلة فبالاولى تحرص على تناول اللّذات البدنيّة البهيميّة كالغذاء والسّفاد و التّغالب وسائر اللّذات العاجلة الفانية و بالاخرى تحرص على تناول العلوم الحقيقيّة والخصال الحميدة المؤدّية الى السعادات الباقية الابديّة والى هاتين القوّتين اشار سبحانه بقوله وهديناه النجدين، وبقوله تعالى انا هديناه السّبيل امّا شاكرا وامّا كفوراً، فان جعلت الشهوة منقادة للعقل فقد فزت فوزا عظيما واهتديت صراطا مستقيما وان سلّطت الشهوة على العقل وجعلته منقادا لها ساعياً فى استنباط الحيل المؤدية الى مراداتها هلكت يقينا وخسرت خسرانا مبيناً، واعلم انّك نسخة مختصرة من العالم فيك بسايطه ومركباته وماديّاته ومجرّداته بل انت العالم الكبير بل الاكبر كما قال امير المؤمنين وسيّد الموحّدين عليه الصلوة والسلام

دوائك فيك و ما تبصر ودائك منك وما تشعر

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وانت الكتاب المبين الذى باسطاره يظهر المضمر

وما من شىء الا وانت تشبهه من وجه لكن الغالب عليك اربعة اوصاف: الملكية والسبعية والبهيمية والشيطانية فمن حيث الملكية تتعاطى أفعال الملائكة من عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته والتقرب اليه ومن حيث الغضب (السبعية خ) تتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والهجوم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث الشهوة تتعاطى أفعال البهائم من الشره والشبق والحرص ومن حيث الشيطانية تتعاطى افعال الشياطين فتستنبط وجوه الشر وتتوصل الى الأغراض بالمكر والحيل فكان المجتمع فى اهابك ايها الانسان ملك و كلب و خنزير و شيطان فالملك هو العبادة والكلب هو الغضب والخنزير هو الشهوة والشيطان هو المكر والحيل، فان اشتغلت بجهاد هذه الثلثة بالبصيرة النافذة و كسرت شره هذه الخنزير بتسلط الكلب عليه اذبا لغضب تنكسر سورة الشهوة واذللت الكلب بتسليط الخنزير و جعلت الكل فى مملكة العدل مقهورين تحت السياسة اعتدل الامر وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم؛ وان لم تجاهدهم قهروك واستخدموك فلا تزال فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر فى تحصيل مطلوبات الخنزير ومرادات الكلب فتكون دائما فى عبادة كلب وخنزير

وهذا حال اكثر الناس الذين همتهم مصروفة الى البطن والفرج ومناقشة الخلق ومعاداتهم والعجب منك انك تنكر على عبدة الأصنام عبادتهم لها ولو كشف الغطا عنك و كوشفت بحقيقة حالك ومثل لك ما يمثل للمكاشفين اما فى النوم او فى اليقظة لرأيت نفسك قائما بين يدى خنزير مشمرا ذيلك فى خدمتك ساجدا له مرة ورا كعا له أخرى منتظراً لاشارته وأمره فمهما طلب الخنزير شيئا من شهواته توجهت على الفور الى تحصيل مطلوبه و احضار مشتهياته ولأبصرت نفسك جاثيا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا لما يلتمسه مدققا للفكر فى الحيل الموصلة الى طاعته وانت بذلك ساع فيما يرضى الشيطان و يسره فانه هو الذى يهيج الكلب والخنزير ويبعثهما على استخدامك؛ فانت من هذا الوجه عابد

للشيطان وجنوده ومندرج فى المخاطبين المعاتبين يوم القيمة بقوله ألم أعهد اليكم يابنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين

فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده لئلا يكون ساعياً طول عمره فى عبادة هولاء، فهذاغاية الظلم حيث صير المالك مملوكا والسيد عبدا والرئيس مرؤساً، اذالعقل هو المستحق للسيادة والرياسة والاستيلاء وهو قد سخره لخدمة هولاء وسلّطهم عليه وحكمهم فيه؛ قال بعض المفسرين عند قوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات و ما فى الارض جميعاً انّ فى ذلك لايات لقوم يتفكرون قد سخر لك الكون وما فيه لئلا يسخرك منه شىء و تكون مسخرا لمن سخرلك الكل فان جعلت نفسك مسخرة لما فى الكون اسيرة للذات الفانية فقد جهلت فضل الله لديك و كفرت نعمته عليك اذ خلقك عبدا لنفسه حرا من الكل فاستعبدك الكل ولم تشتغل بعبودية الحق بحال انتهى وما احسن قول رابعة العدوية

لك الف معبود مطاع امره دون الاله وتدّعى التوحيدا

ومن افراد الشرك قول الناس فيما تعارف بينهم لولا فلان هذه السنة او هذا الشهر لمت انا واولادى اولم أعش الى هذا الوقت ونحو ذلك مما يؤدّى معناه، وذلك انّ هذا قول من غفل عن الله سبحانه وعن كونه هو الرزاق و انه هو الذى سخر ذلك الرجل و هيأله الاسباب التى يتوصّل بها الى احسانك فهو ليس الا كالالة فى ايصال ذلك النفع اليك، فانّ الله تعالى لولم يعطه مالا ولم يجعل فى قلبه الشفقة عليك ولم يأمره بصلة امثالك لما رايت منه شيئا من الاحسان وكذلك اذا لم يتكلّم بهذا الكلام لكنّه كان من عقيدته و ممّا ارتكز فى خياله فانّه ايضا من الشرك الاخفى لأنّ هذا الاعتقادالفاسد منه ليس الا كاعتقاد من عظم الاوثان وخضع لهالأنها التى توصل النفع اليه وتدفع الضرر عنه

وبالجملة فأنواع الشرك و افراده اكثر من ان تحصى وقوله سبحانه ولاتشركوا به شيئا متناول لأنواع الشرك وافراده، فان قلت اذا كان كل ما ذكرت من الشرك المنهى

عنه لا ينفك احد منا من التلبس بفرد من افراده اذا اعطيناه الانصاف مع قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكيف حالنا عند الورود على الله وكيف نرجو منه المغفرة مع ما اسمعنا من هذا الكلام وقطع آمالنا منه

قلت وان كان الحال على ما ذكرت من عدم الخلو من أحدافراده لكن الله سبحانه قد جرت عادته الربانية بتوفيق المؤمن للتوبة من ذلك الذنب والندامة عليه و معرفته ولو بعد حين بأن المنعم الحقيقي ليس الا هو تعالى شأنه؛ ومن الطافه به عدم توفيق الناس في غالب الاوقات لقضاء حوائجه حتى يرجع الى الله عند الاياس منهم و يلجأ اليه ويندم على ما أشرك به في جنب الله و يعرف انه ليس الملجأ الا اليه كما قال مولانا الامام زين العابدين عليه السلام يا كهفي حين تعييني المذاهب يعني به الترددات الى الخلق والذهاب اليهم فاذا أعيت عليه الحيل ولم ينتفع بتلك الترددات إعترف بهذا المعنى

و في الحديث ان الله سبحانه يرمي عبده المؤمن بالنعاس اذا أراد القيام للصلوة فيصبح وهو ماقت لنفسه زار عليها و هو من الطاف الله سبحانه لئلا يعجب بعمله؛ وحينئذ فالنوم خير له من العبادة فهو سبحانه الذي أنامه عن صلوة الليل لئلا يعجب بأعماله و هو الذي لم يوفق الناس للاحسان اليه حتى يكون مأيوساً منهم فيرجع الى الله ويطلب ما طلب منه تعالى ويندم على الاقبال الذي صدر منه على الناس فانظر هنا كيف صار منع الالطاف الطافا

نور يكشف عن عقوق الوالدين وعما توعد عليه من العذاب و ما يتبعه من قطيعة الرحم

اعلم ان الله تعالى قد اكثر في كتابه من الوصية بالوالدين حتى انه ذكره في سبع آيات

الأولى قوله تعالى فى سورة البقرة واذ أخذنا بنى اسرائيل ألاّ تعبدوا الاّ الله وبالوالدين احسانا و ذى القربى واليتامى والمساكين وقولو اللناس حسنا

الثّانية قوله تعالى فى سورة النساء فاعبدوا الله ولا تشركوابه شيئا وبالوالدين احسانا

الثالثة قوله سبحانه فى سورة الانعام قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم الاّ تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا

الرابعة قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وقضى ربّك الاّ تعبدوا الاّ اياه و بالوالدين احسانا امّا يبلغنّ عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولاتنهرهما و قل لهما قولا كريما و اخفض لهما جناح الذّلّ من الرّحمة و قل رب ارحمهما كما ربّيانى صغيرا

الخامسة قوله تعالى فى سورة العنكبوت و وصّينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون

السادسة قوله عزّ من قائل فى سورة لقمان و وصّينا الانسان بوالديه حملته امّه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الىّ المصير

السابعة قوله تعالى فى سورة الاحقاف و وصّينا الانسان بوالديه احسانا حملته امّه كرها و وضعته كرهاً، فانظر الى هذه الايات كيف قرن فيها بين النّهى عن الشّرك و بين النّهى عن عقوق الوالدين اشارة الى انّه فى درجة الشّرك فى الخلود فى العذاب، ومن هذا قال عليه السلام يقال للبار بوالديه اعمل ماشئت فانّى سأغفر لك و يقال للعاقّ لوالديه اعمل ما شئت فانّى لا اغفر لك، وفى هذا اشارة الى ان البرّ بالوالدين لا يضرّ معه سيّئة فكلّ ما عمل من السّيئات تكفره تلك الحسنة و كذا فى جانب العقوق فانّ العاق كل ما عمل من خير لا ينفعه وهو متلبّس بالعقوق لوالديه وذلك انّه تعالى قرن رضاه برضاهما وعقوقه بعقوقهما، وفى الحديث انّ ريح الجنّة ليشمّ من مسيرة خمسمائة عام ولا يشمّه عاق الوالدين، وفى وصاياه صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام يا على خلق الله عزّ وجلّ الجنّة من لبنتين لبنة من ذهب ولبنة من فضّة وجعل حيطانها الياقوت وسقفها الزبرجد وحصاها

اللؤلؤ وترابها الزعفران والمسك الاذفر ثم قال لها تكلمي فقالت لا اله الا الله الحى القيوم قد سعد من يدخلني قال الله جل جلاله وعزتي و جلالي لا يدخلها مد من خمر ولا نمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولاعشار ولا قاطع رحم ولا قدري؛ والشرطي منسوب الى الشرط كصرد طائفة من اعوان الظالمين سمّوا بذلك لأنهم علموا بعلامات يعرفون بها

وقوله ولا عشار المراد به من يأخذ العشر او اقل او اكثر من غير حق سواء أخذه في البلد او الصحراء، و قوله ولا قاطع رحم سيأتي تحقيق الرحم ولكن من اقرب الارحام الوالدين، وقوله ولا قدري المراد به الاشاعرة الذين ذهبوا الى ان كل الأفعال مقدورة له سبحانه والعبد ليس له قدرة على شيء

و اعلم ان البر بالوالدين له فوائد في الدنيا والاخرة والعقوق يبطلها اما الدنيا فمن فوايده انه يؤخر الأجل ويزيد في العمر، والعقوق يقرب الأجل وفي الرواية انه ربما كان قد بقي من عمر الانسان ثلث سنين ثم انه يحسن الى والديه ويصل ارحامه فيؤخره الله الى ثلثين سنة وان منهم من يبقى من عمره ثلاثون سنة ثم انه يقطع أرحامه او يعق والديه فيمحوالله سبحانه الثلاثين و يثبت مكانها ثلاث سنين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله رأيت في المنام رجلا قد أتاه ملك الموت لقبض روحه فجاء بره بوالديه فمنعه منه

وقال الصادق عليه السلام من احب ان يخفف الله عنه سكرات الموت فليكن بقرابته وصولا و بوالديه باراً فاذا كان كذلك هون الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقر أبدا، وفي الرواية انه دخل النبي صلى الله عليه وآله على شاب وهو في سكرات الموت وقد تعسر عليه قبض الروح فقال صلى الله عليه وآله له يا فلان فأجابه فقال ما ترى قال أرى اسودين قد دخلا علي وهما واقفان امامي فأنا خائف منهما فقال صلى الله عليه وآله ألهذا الشاب ام؟ فقيل نعم فأتت امه فقالت انا فقال لها أراضية انت عن ابنك هذا أم ساخطة عليه؟ فقالت بل أنا ساخطة عليه والان رضيت عنه لأجلك فغشي على الشاب فلما افاق قال له ما رأيت قال رأيت يا رسول الله خرج الاسود ان ودخل علي ابيضان وانا فرحان برؤيتهما ثم انه مات من ساعته

وفی حدیث اخر انّ رجلا مات علی عهده علیه السلام ولمّا دفنوه لفظته الارض ولم تقبله فقال علیه السلام انّ امّ هذا الرجل ساخطة علیه فأمرها بالرضاء عنه حتی قبلته الارض

وروی عن العسکری علیه السلام قال عاش نوح علیه السلام الفین وخمسمائة سنة وکان یوما فی السّفینة نائما فهبّت ریح فکشفت عورته فضحک حام و یافث فزجر هما سام علیه السلام ونها هما عن الضّحک وکان کلّما غطّی سام شیئا تکشفه الریح کشفه حام و یافث فانتبه نوح علیه السلام فرآهم(هماط)وهم یضحکون، فقال ماهذا؟فاخبره سام بما کان فرفع نوح علیه السلام یده الی السماء یدعوویقول اللّهم غیر ماء صلب حام حتّی لایولدله الا السّودان اللّهمّ غیّرماء صلب یافث فغیّرالله ماء صلبیهما فجمیع السّودان حیث کانوا من حام و جمیع التّرک والصّقالبة ویأجوج ومأجوج والصّین من یافث حیث کانوا وجمیع البیض سواهم من سام وقال نوح علیه السلام لحام ویافث جعل الله ذریّتکما ملکاالذریة سام الی یوم القیمة لأنّه برّنی وعققتمانی فلازالت سمة عقو فکما فی ذریتکما ظاهرة وسمة البرّ فی ذریة سام ظاهرة ما بقیت الدّنیا

و اما فوائده فی الاخرة وهی السّعادة کل السّعادة قال الصادق علیه السلام بینا موسی بن عمران یناجی ربّه عزّ وجل اذرای رجلا تحت ظلّ عرش الله فقال یا ربّ من هذا الذی قد أظلّه عرشك؟ فقال هذا کان باراً بوالدیه و لم یمش بالنّمیمة

و امّا العقوق فقال الصادق علیه السلام ادنی العقوق افّ ولو علم الله تعالی شیئا اهون منه لنهی عنه وقال علیه السلام من نظر الی ابویه نظر ماقت وهما ظالمان له لم یقبل الله له صلوة و من العقوق ان ینظر الرجل الی والدیه فیحدّ النّظر الیهما وقال علیه السلام انّ ابی علیه السلام نظر الی ابن یمشی متّکأ علی ذراع الأب قال فما کلّمه ابی علیه السلام مقتاله حتی فارق الدّنیا وروی عنه علیه السلام فی قوله تعالی ولا تقل لهما افّ ولا تنهرهما قال ان أضجراك فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما ان ضرباك قال وقل لهما قولا کریما قال ان ضرباك فقل لهما غفر الله لکما فذلك منك قول کریم ثم قال واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال لاتملأ عینیك من النّظر الیهما الاّ برحمة لهماورأفة ولاترفع صوتك فوق اصواتهما ولا یدك فوق ایدیهما ولا تقدّم قدامها

وروى محمدبن مسلم عن ابى جعفر عليه السلام قال انّ العبد ليكون بارا بوالديه فى حياتهما ثمّ يموتان فلا يقضى عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عزّ و جلّ عاقا وانّه ليكون عاقا في حيوتهما غير بارّ فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عزّ وجلّ بارا وقال عليه السلام ثلث لم يجعل الله عز وجل للعبد فيهنّ رخصة أداء الأمانة الى البرّ والفاجر والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر وبر الوالدين برّين كانا اوفاجرين، وعن الزهرى قال كان على بن الحسين عليه السلام لا يأكل مع امّه وكان ابر النّاس بأمّه فقيل له فى ذلك؟ فقال اخاف ان آكل معها فتسبق عينها الى شيء من الطعام وانا لا اعلم فآكله فأكون قد عققتها

و روى الشيخ عن محمدبن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال لمّا زوّج على بن الحسين عليه السلام امّه مولاه وتزوّج هو مولاته كتب اليه عبد الملك بن مروان كتابا يلومه فيه و يقول انّك وضعت شرفك وحسبك، فكتب اليه على بن الحسين عليه السلام ان الله تعالى رفع بالاسلام كلّ خسيسة وأتمّ به الناقصة واذهب به اللّوم فلالوم على مسلم وانّما اللّوم لوم الجاهليّة وامّا تزويج امّى فانّما اردت بذلك برّها فلمّا انتهى الكتاب الى عبد الملك قال لقد صنع على بن الحسين أمرين ما كان يصنعهما احد الّا اتّضع الّا على بن الحسين عليه السلام فانّه بذلك ازداد شرفا

فان قلت كيف يوطن الشيعى نفسه على انّ امّ على بن الحسين عليه السلام و هى شهربانو بنت يزدجرد ملك العجم بعد شهادة الحسين عليه السلام تزوّجت بمولى من الموالى اما معتق اوغير معتق وهل النّفس تقبل مثل هذا وان كان جايزا في الشريعة، قلت قدروى الصّدوق نورالله ضريحه عن الرضا عليه السلام انّ شهربانوامّ على بن الحسين عليه السلام (١) قد ماتت

---

(٢) ام السجاد عليه السلام اسمها شاه زنان بنت يزدجرد وقيل شهربانويه والاعتماد على الاول فان عليه ذهب الشيخ المفيد فى الارشاد والشيخ الطبرسى فى كتابه اعلام الورى والشهيد ابن الفتال فى الروضة وما روى عن الرضا سلام الله عليه فى خبر وفاتها من انها ماتت عند ولادة السجاد (ع) فعليه المعول كما ذكره المصنف (ره) و قصة كونها مدفونة ☆

فى نفاسها به و كانت للحسين عليه السلام أمة مدخولة فسلمه اليها و كانت هى التى تولت تربيته و كان يقول لها امى و يحترمها ذلك الاحترام وهى التى زوجها مولاه والمراد به

✡ فى الرى أسطورة لامسحة لها من الواقع ولكن مما ينبغى لفت النظر اليه هو انه ذكر فى بعض الكتب المعتبرة ان شهربانويه كانت حاضرة فى وقعة الطف الفظيعة ـ تلك الكارثة الفجيعة ـ وهذا دليل على عدم كون شهربانويه ام السجاد (ع) بل امه (ع) اسمها شاه زنان كما ذكرنا وقد ماتت فى نفاسها به وصرح به ايضا ابن ابى الثلج البغدادى المتوفى (٣٢٥) ه فى تاريخ الائمة انظر ص ١٥ ط قم

قال العلامة الامين العاملى (ره) فى كتابه لواعج الاشجان ماهذا لفظه : (وخرج غلام من خباء من أخبية الحسين (ع) وفى اذنيه درتان فاخذ بعود من عيدانه وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالا و قرطاه يتذ بذبان فحمل عليه هانى بن ثبيت الحضرمى فضربه بالسيف فقتله فصارت امه شهربانويه تنظر اليه ولاتتكلم كالمدهوشة (اه) انظر ص ١٨٠ ط ٣ صيدا

ويوجد قريب من هذا المضمون فى بعض كتب السير والمقاتل ايضا والذى يظهر بعد البحث وامعان النظر فى كتب السير والتواريخ ان فى اسراء الفرس الذين جاءوا الى المدنية من بنات يزدجرد ثلاث فتيات تزوج واحدة منهن عبدالله بن عمر فاولدها سالم والاخرى محمدبن أبى بكر فاولدها القاسم والثالثة الحسين (ع) فاولدها السجاد (ع) و هى شاه زنان ماتت عند ولادة السجاد (ع) ولم تحضر وقعة الطف والمظنون قوياً ان شهربانويه التى كانت فى كربلاء هى زوجة محمدبن ابى بكر وقد تزوجها الحسين (ع) بعد وفاته وهى التى رمت نفسها فى الفرات بعد قتل سيد الشهداء (ع) ولعلها فعلت ذلك ـ ان صحت القضية ـ خوفا من الاسارة وطمع يزيد لعنه الله فى تزويجها عنادا وعداوة للحسين و غير خفى على الباحث الخبير ان ما ذكره الشيخ المفيد (ره) بقوله :

(امه شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى ويقال ان اسمها شهربانويه و كان اميرالمؤمنين (ع) ولى حريث بن جابر الحنفى جانبا من المشرق فبعث اليه ابنتى يزدجرد بن شهريار بن كسرى الخ) لايخلو من تامل فان المتحقق من كتب السير ان هذه الواقعة كانت فى خلافة عمر لافى زمان الدولة الحقة العلوية

انظر الارشاد ص ٢٧٠ ط تبريز واعلام الورى ص ٢٥١ ط طهران وروضة الواعظين ص ٢٤٢ ط قم و تحفة العالم لال بحرالعلوم ج ٢ ص ٤ ط النجف

واحد من شیعته وخواصّه لإطلاق المولی علیه ایضا

وقد روی التّصریح به فی حدیث آخر و فی بعض الروایات انّها ألقت نفسها فی الفرات فی وقت شهادة الحسین علیه السلام خوفا من یزید لأنّه کان یکره العجم، وقیل انّ علی بن الحسین علیه السلام ارکبها جملا فی تلك الواقعة الهایلة وقال لها کونی علی ظهره این مضی فقیل انه مضی بها الی الری والان فیه بقعة یزورها النّاس ویقولون هذا قبر أمّ علیّ بن الحسین علیهما السلام ولکنّ الاعتماد علی ما روی عن الرضا علیه السلام اذا عرفت هذا

فاعلم انّ حقوق الامّ أعظم عندالله تعالی من حقوق الأب و لهذا أفردها سبحانه فی الایتین الاخیرتین بما به تستحق توقیر التّعظیم بقوله حملته امّه و هنا علی وهن، و بقوله حملته امّه کرها و وضعته کرها ومن هذا جاء فی الحدیث عن النّبی صلی الله علیه وآله انّه قال له رجل یا رسول الله من احقّ النّاس بحسن صحابتی؟ قال امّك قال ثم من؟ قال امّك قال ثم من قال ابوك ذکر الام مرّتین وفی روایة اخری ثلاثا قال بعض العلماء هذا یدلّ علی انّ للأمّ ثلثی برّ الابن علی الروایة الاولی او ثلثة ارباعه علی الروایة الثانیة و للأب امّا الثّلث او الربع وینبغی ان یحقق الانسان انّه مهما بالغ فی برّهما وخدمتهما فهو لا یکون قد أتی بحقهما

کما روی انّ رجلا أتی الی الصادق علیه السلام فقال له انّی خدمت ابویّ حتّی کبر سنّهما فصرت اخدمهما کما تخدم الأطفال فهل أتیت بحقهما؟ فقال علیه السلام لا وذلك انّهما خدماك وهما یحبّان بقاك وانت تخدمهما وتکره بقاءهما، ولکن روی عن سدیر الصّیرفی قال قلت لأبی جعفر الباقر علیه السلام هل یجزی الولد والده؟ قال لیس له جزاء الّا فی خصلتین ان یکون الوالد مملوکا فیشتریه فیعتقه اویکون علیه دین فیقضیه عنه

بقی الکلام فی تحقیق الوالدین الذین ورد فی تلك الایات الأمر ببرّهما وطاعتهما فنقول انّ الذی ورد فی الاخبار عنهم علیهم السلام إطلاقهما علی معان ثلاثة، الاول انّ المراد بالوالدین النبی صلی الله علیه وآله وعلی علیه السلام قال صلی الله علیه وآله انا وعلیّ أبوا هذه الامّة و نحن الوالدان المأمور ببرّنا فی آیات الکتاب وذلك انّ الأبوین سببان فی ایجاد الولد واما هما علیهما السلام

فهما السببان الاعظمان كما قال تعالى فى الحديث القدسي لولاك لما خلقت الافلاك فهما السببان فى ايجاد العالمين فيكون مدخليتهما فى وجود الابن أعظم من مدخلية الأب فى وجود الابن ومن هذا كان صلى الله عليه وآله هو أب المؤمنين وزوجاته امهاتهم

و فى الروايات الغريبة انّ عليّاً عليه السلام صعد على منبر الكوفة فقال الفاظا معناها ان المراد بالوالدين فى قوله تعالى و بالوالدين احسانا انا و رسول الله ؛ فقام رجل من اهل المسجد فقال له يا ابن ابيطالب سحرت اهل الحجاز وأتيت تسحر اهل العراق بتأويلك القرآن فرمقه عليه السلام بطرفه فاذاً هو قد صار غرابا ابقع فطار من بين القوم و وقع على حايط المسجد يزعق والنّاس ينظرون اليه فقال بعضهم لبعض قد بلغ من سحر ابن ابيطالب انه يمسخ الرجال والله لئن لم تعاجلوه بالقتل لصنع بكم ما صنع بصاحبكم وكان عدة القوم ثلثين الفا ، فتعاقدوا على انه اذا جاء الى صلوة الجمعة وفرغ من الخطبة و نزل وسجد نبادر اليه بسيوفنا كلّها فنضربه بها حتّى لا يعرف له قاتل ، فلمّا اتى يوم الجمعة تقلّدوا بسيوفهم وأتوا الى المسجد ، فلمّا سجد فى الركعة الاولى أقبض كلّ واحد منهم قائمة سيفه ليخرجه من جفنه ، فما أتى فى ايديهم سوى قبضات السّيوف ، فلمّا فرغوا من الصلوة قام عليه السلام وتخطّى القوم وأتى الى منزله ، فنظروا و اذاً سيوفهم ليس الاّ القبضة والجفن ولم يروا حديدة السّيف فتعجبوا

وكان بعض مواليه عليه السلام معهم ، قال فأتيته عليه السلام فى بيته و حكيت له كيد القوم و تسويلهم وما جرى عليهم من فقد سيوفهم ، فقال لى عليه السلام اذا كان غدا فتعال الينا أول النهار فأتيته فى الغد ، فقال لى أخرج الى ظهر الكوفة حتـى تبلغ الى موضع كذا و كذا فاذا وصلت اليه ترى قافلة مقبلة يقدمها رجل على بغلة فتقدّم عليه وقل له انّ امير المؤمنين أرسلنى إليك وهو يقول سلّم الىّ هذه القافلة و ارجع سالما ، فلمّا بلغت الى ذلك الموضع رأيت ذلك الرجل يقدّم القافلة فقلت له ما قال لى ؛ فقال هذه القافلة خذها اليه وارجع فأتيت بالقافلة اليه عليه السلام فطرحت تلك الاحمال عنده ولم أدر ما فيها

فقال عليه السلام أدع لى فلانا يعنى جماعة من شيعته ومواليه فدعوتهم فلمّا أتوا اليه

قال أخرج ما في هذه الحمول ، فلمّا خليتها فـاذاً حدايد السيوف ، فعددتها فاذا هي ثلاثون ألفا ، فقسّمها بين مواليه وشيعته وخرجوا لبيعها في الاسواق وباعوها على اولئك القوم فعرفوها واشتروها بأغلى ثمن ، فأتيت اليه وقلت له يا امير المؤمنين ما هذه السيوف فقال هي سيوفهم ، و ذلك انها لمّا اراد والمكر أرسل الله اليهم ثلثين ألفا من الملئكة فأخذ كل ملك بسيف واحد من القوم و جمعوها و أتوا بها مع ذلك الرجل الّذى رأيته

هذا المناقب لاقعبان من لبن شيبت بماء فصارت بعد أبوالا

فاين هذا من الرجل العالم الذى يقول كلّ النّاس أفقه من عمر حتّى المخدّرات تحت الحجال وصاحبه الّذى يقول انّ لى شيطانا يعتريني اذا ملت فمدّلوني ، و بالجملة فالأبوان هما عليهما السلام فمن برهما استحقّ ثواب الأبرار ، ومن عقّهما كان من أهل العقوق ومن قدّم على امير المؤمنين عليه السلام من لم يستحقّ التقديم كان من اهل العقوق

الثاني انّ المراد بالأب من علّم الانسان العلوم الدينيّة فانّه قد هداه و أنقذه من النار ، فهو قد أحيا قلبه ونوّره بأنوار المعارف الالهيّة وقد قال تعالى و من أحيا نفساً فكأنّما أحيا النّاس جميعاً، قال من أنقذها من ضلالة الى هدى ، و هذا شأن المعلم فهو الأب الثّاني لأنّه كان سببا في حياته الباقية والأب سبب في حياته الفانية ؛ وحينئذ فيجب عليه ان يبرّه فان عقه بواحد من أنواع العقوق كان من اهل الّذنوب والاثام

و كان في إصفهان رجل عالم من مجتهدينا رأيناه و قرأنا عليه وقد كان في اول تحصيله يقرأ عند مجتهد آخر فلما نشأ ذلك التّلميذ أنكر قراءته على ذلك الشّيخ ، ولم يقرّ له بالفضل ؛ فبلغ الاستاد قوله فدعا عليه وقال اللهمّ اسلبه كل ماقرأ عندى وأخذه منّى ، فسلبه الله الحافظة بعد ماكان مشهورا بالحفظ فصار لايحفظ مسئلة على خاطره؛ بل لابدّ له في كل مسئلة من مراجعة كتبه ومؤلّفاته وهو الآن موجود في إصفهان (١) ونحن

(١) ومن الخلق السيء هو السؤال عن الاستاذ على سبيل التعنت وقد سمعت عن سيدى الوالد الماجد قدس الله سره وعن ساير مشايخنا واساتذتنا العظام ان رجلا فاضلا مشهوراً في مدينة العلم النجف الاشرف كان له المام بالفحص والتتبع عن العبارات *

نحمد الله على توفيقه لنا لبرّ المشايخ والقيام بوظايف خدمتهم و الاستغفار لهم أحياءً و أمواتا ورضاهم عنّا

وامّا تلاميذنا فمنهم من آذانا غاية الايذاء ، وعقنانهاية العقوق ، فنحن نقول اللهم قابل اسائته الينا بالاحسان، وقابل عقوقه لنا ببركه؛ و وفقه لكلّ خير بحق محمد واله الطّاهرين، ولاتستبعد ما جرى على ذلك الفاضل من سلب الله سبحانه ما منحه من المسائل فانّه قد روى عنه عليه السلام انّ العلم يهتف بالعمل فان اجابه والاّ إرتحل عنه ، ولا ريب انّ البرّ للمعلم من أعظم الاعمال و أقواها ، فحيث لم يقم به ارتحل عنه العلم ارتحالا بعيدا

الثالث انّ المراد بهما هذا ن الابوان وان علوا ، فالجدّاب وان علا و كذا الجدّة و كما يجب على الولد البرّ بوالديه فكذلك يجب على الوالدين البرّ بأولادهما ، قال عليه السلام يلزم الاباء من العقوق لأولادهم ما يلزم الاولاد من العقوق لاباءهم ، و قال عليه السلام لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما ، فينبغى للاباء أن يحسن الى الاولاد و أن لا يفضّلوا بعضهم على بعض لأنّه يوجب العقوق والتّعادى بين الاولاد كما هو المشاهد فى هذه الاعصار ، وممّا يتعلق بالأولاد من مسائل الفقه تأكيداً لحقوق الأبوين

☆ المعضلة والمطالب الغامضة وسؤال حلها عن الشيخ الامام العالم الربانى الشيخ محمد حسن المامقانى النجفى التبريزى المرجع الاعلى للشيعة الامامية فى الاقطار الاسلامية المتوفى (١٣٢٣) ه ق وكان يسئل حل تلك العبارات والمطالب عن الشيخ ره فى حشد من الناس وفى محافل العلماء والطلاب ومجالسهم ولم يكن قصده من عمله هذا الاسائة الادب والتعنت وتعجيز الشيخ ره الذى هو البحر المواج بانواع العلوم الاسلامية والمشهور فى حل العبارات المشكلة والمطالب العلمية الغامضة والقاموس الناطق فى بيان معضلات اللغة = والعلماء عرفوانية هذا الشخص ونهاه اصدقائه عن هذا العمل ونصحوه وزجروه وهو لم ينزجر ولم يقبل واصر على هذه الصفة الخبيثة و لم تطل أيامه وقصر عمره و انقضى مدته وابتلى بمرض صعب العلاج فى مدة يوم وليلة ومات فى ايام شبابه واوائل نبوغه واوانه ولم يشك أحد انه لم يكن هذا الامر الا بسبب اسائة الادب مع الشيخ قدس سره

تحريم السفر المباح بغير إذنهما ، وكذا السفر المندوب ؛ و امّا لوكان واجباً كالسّفر لطلب العلم فان أمكن تحصيله عندهم كتحصيله فى السّفر فلايجوز حينئذ إلا باذنهما ؛ وان لم يمكن مطلقا ؛ او أمكن على وجه ناقص جاز السفر مطلقا والمراد بالعلم الّذى يجب له السفر الواجب علم الكلام والفقه والحديث والتّفسير أمّا غيره كحكمة الابدان وحكمة الفلاسفة والنّجوم ونحوها فلا يجوز له السّفر الاّ باذنهما

و امّا مقدمات العلوم الواجبة كعلم العربيّة و نحوه فالظّاهر جواز السّفر له ايضا بغير اذنهما كالعلم الواجب ، و ذلك لأنّ علم النّحو اونحوه قد صار جزء من العلم الواجب لشدة توقّفه عليه ، وانّ من كان لا إطّلاع له على علوم العربيّة لم يحصل العلوم الواجبة على وجه يكمل الانتفاع بتحصيله ؛ ومنه ايضا ما قاله بعض الاعلام من انّه يجب طاعتهما فى كلّ فعل وانكان شبهة ، فلو أمراه بالأكل معهما من مال يعتقده شبهة أكل لأنّ طاعتهما واجبة، وترك الشّبهة مستحبه ، ولو وجّهاه الى فعل و قد حضرت الصّلوة فليؤخّر الصلوة وليطعهما لما قلناه ، ويجوز لهما منعه عن صلوة الجماعة ولكن لامطلقا بل اذا شقّ عليهما مخالفته كالسّعى فى ظلمة اللّيل الى العشاء والصّبح ، و كالسّعى فى الاوقات الحارّة والباردة

ومنه ايضا ما قاله جماعة من الأصحاب وهو انّهما لودعواه فى الصّلوة النّافلة قطعها ، لما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّ امرأة نادت إبنها وهو فى صومعة ، فقالت ياجريج فقال اللهمّ أمّى وصلوتى؛ فقالت لاتموت حتّى تنظر فى وجوه المؤمنات ، وفى بعض الروايات انّه صلى الله عليه وآله قال لو كان جريج فقيها لعلم انّ إجابة أمّه أفضل من صلاته ، ومنه ايضا ترك الصّوم ندباً الاّ باذن الأب ولم أقف على نصّ فى الامّ

و منه ايضا ترك اليمين والعهد الاّ باذنه ايضا مالم يكن فى فعل واجب او ترك محرم ؛ و لم أقف فى النّذر على نصّ خاصّ الاّ ان يقال هو يمين يدخل فى النّهى عن اليمين الاّ باذنه

بقى الكلام فى تحقيق الرحم المأمور بصلته فى الكتاب والسنّة ، والكلام هنا يقع فى أمور:

الاول ما الرّحم ؟ قال اكثر علمائنا المراد به المعروف بنسبه وان بعد ، وان كان بعضه آكد من بعض ذكرا او أنثى ، وقصر بعض العامّة له على من يحرم نكاحهم لاوجه له مع ما ورد في الروايات ، وروى في تفسير قوله تعالى فهل عسيتم ان تولّيتم ان تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم ، فعن علي عليه السلام انّها نزلت في بني اميّة ، وهو يدلّ على تسمية القرابة المتباعدة رحما ، و قد روى في حديث انّه صلى الله عليه وآله لمّا عرج الى السّماء راى رحما معلّقة بالعرش تشكو من رحمها ، فسألت كم بينها وبينها من القرابة ؟ فقيل انّها تلتقي معها بعد سبعين أبا ، والظّاهر انّ مثل هذا من باب التأكيد و من باب الاستحباب

الثاني بمن الصّلة ؟ قال صلى الله عليه وآله صلوا أرحامكم ولو بالسّلام ، ففيه تنبيه على انّ السّلام صلة ؛ ولا ريب انّه مع فقر بعض الأرحام و هم العمود ان يجب الصلة بالمال و يستحبّ لباقي الاقارب ويتأكّد في الوارث وهو قدر النّفقة ، ومع الغنى فبالهدية في بعض الأحيان بنفسه او برسوله ، وأعظم الصّلة ما كان بالنّفس ، وفيه اخبار كثيرة ، ثم بدفع الضّرر عنها ، ثم بجلب النّفع اليها ؛ ثمّ بصلة من يجب نفقته وان لم يكن رحما للواصل كزوجة الأب و الاخ و مولاه و أدناها السّلام بنفسه ؛ ثم برسوله ، والدعاء بظهر الغيب والثّناء في المحضر

الثالث ما الصّلة الّتي يخرج به عن القطيعة ؟ والجواب المرجع في ذلك الى العرف لأنّه ليس حقيقة شرعية ولا لغوية ، وهو يختلف باختلاف العادات وبعد المنازل و قربها

الرابع هل الصّلة واجبة اومستحبة ؟ قال شيخنا الشهيد قدس الله روحه أنها تنقسم الى الواجب و هو ما يخرج به عن القطيعة ، فان قطيعة الرحم معصية بل قيل هي من الكبائر والمستحب ما زاد على ذلك

(نور في حب الدنيا و اسبابه وعلاماته)

إعلم وفقك الله اننا قد أسلفنا لك بيان الدنيا التي قال فيها الأنبياء عليهم السلام حبها رأس كل خطيئة ؛ وان المراد بها الحالة التي تبعدك عن جناب مولاك وان كانت الصلوة وسائر الطاعات ، فانها اذا وقعت لا بقصد الاخلاص كانت رياء يقصد بها التقرب الى المخلوقين فيكون من أفراد الدنيا ، و أن المال وان كثر اذا قصد به التوسعة على الأخوان كان من أهم المطالب الأخروية ؛ و كذلك الجاه والاعتبار فانه قد يطلب لقضاء حوائج المؤمنين الذي عرفت ان قضاء حاجة واحدة منها أفضل عند الله من عشر طوافات بالبيت مع ان ثواب كل طواف يكتب له ستة آلاف حسنة ، ويمحى عنه ستة آلاف سيئة ، ويرفع له ستة الاف درجة ، وليس من ذنب يصدر من ابن آدم الا كان منتهيا الى حب الدنيا ومسببا عنه

روى الكليني طاب ثراه عن محمد بن مسلم بن عبيدالله(١) قال سئل علي بن الحسين عليه السلام اي الاعمال افضل عند الله تعالى ؟ قال ما من عمل بعد معرفة الله تعالى و معرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا ، وان لذلك شعباً كثيرة و للمعاصي شعباً ، فأول ما عصى الله تعالى به الكبر معصية ابليس حين أبى و استكبر وكان من الكافرين ، ثم الحرص وهي معصية آدم وحوا حين قال الله تعالى لهما فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأخذا مالا حاجة لهما اليه ، فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم مالا حاجة له اليه ، ثم الحسد و هي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء ، وحب الدنيا ، وحب الرياسة ، وحب الراحة ، وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقالت الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا رأس كل خطيئة ؛ والدنيا دنياء ان دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة

---

(١) هو الزهري المدني المعروف بابن شهاب و اسم جده (عبيدالله) فما في اكثر النسخ المطبوعة من هذا الكتاب (عبدالله) لا وجه له وفي النسخة المخطوطة كما اثبتناه = راجع الى ترجمته في تنقيح المقال وابن خلكان وسائر الكتب الرجالية

وبالجملة فهي سبب لكلّ المعاصي ، قال الصادق عليه السلام انّ الشيطان يدير ابن آدم في كل شيء فاذا أعياه جثم له (١) عند المال فاذا اخذ (فأخذ) برقبته ، وامّا جمع المال بقصد التوسعة على العيال والأخوان و ان كان هذا كما عرفت ليس من أمور الدّنيا الاّ انّ الأولى ان يقتصر على هذه النيّة ، ففي الحديث انّ المؤمن اذا قال ان آتاني الله مالا أفعل كذا و كذا من أمور الخير أعطاه الله ثواب ما نواه وان لم يعطه المال ليفعله ، امّا اذا وجد بالسّعي وحصل ذلك المال فهو فيه على أخطار

منها انّ المال الكثير قلّما يجتمع من حلال كما قال الصادق عليه السلام ما اجتمعت عشرة آلاف من حلال قطّ ، ومنها انّه عند إجتماعها كثيرا ما يعرض له إهمال الحقوق الواجبة كما قال عليه السلام لا تتعرّضوا لجمع الأموال فانّه كلّما كثرت الأموال كثرت الحقوق بها ؛ وإخراج الحقوق عسر جدّا لما روى عنه عليه السلام انّ درهم الصّدقة يفكّ بين لحيي سبعمائة شيطان كلّهم يعضون عليه بأضراسهم ، ومن ذا الذي يكون له من قوّة الايمان ما يقابلهم الاّ القليل

وروى انّ رجلا عابداً كان جالساً مع العبّاد فقرأ احدهم هذا الحديث ، فقال ذلك العابد أنا هذه السّاعة امضي الى منزلي وأتصدّق بصدقة وأرى كيف الشياطين تمنعني ، فخرج مبادرا الى المنزل فدخله وأتى الى الحنطة وبسط عباه فأخذ بها حنطة يتصدّق بها فرأته زوجته فقالت له اين تريد بهذه الحنطة ونحن في هذه السّنة المجدبة ؛ لعلّك تريد ان تهلك أولادك جوعا، فسوّلت له الاباطيل حتّى ندم ورمى بالحنطة، وأتى الى أصحابه فقالوا له لعلّك تصدّقت بشيء ولعلّ الشّياطين لم يحضروك، فقال انّ الشّياطين لم يحضروا ولكن كانت أمّهم حاضرة، فقامت مقامهم في المنع يعني به زوجته، ولاشكّ في انّ الواحدة منهنّ تعادل آلافا من الشّياطين ، ومن هنا قال صلى الله عليه وآله شاور وهنّ وخالفوهنّ ، وكان هو صلى الله عليه وآله يفعل مثل ذلك ؛ و في الحديث انّه ما ايس الشّيطان من بني آدم الاّ أتاهم من قبل النّساء وهن من أعظم فخوخه ومصائده ، وقد بيّنا سابقاً انّ كل فتنة وقعت في العالم فانّما

(١) جثم الامر تكلفه على مشقة وتجشم فلانا من بين القوم اى اختاره وقصد قصده

جاءت من قبلهن ، وذلك انّ الفتنة الأولى و هى أ كل آدم من الشجرة وإخراجه الى الأرض انما جاء من قبل حوا لأنّ آدم لمّا لم يقبل وساوس الشيطان وسوس الى حوا فجاءت الى آدم فكلّمته فى أمر الأ كل من الشجرة حتّى حملته عليه ، و امّا الفتنة الاخيرة الّتى نشأ منها خراب العالم وهى غصب خلافة امير المؤمنين عليه السلام و إستظهارهم واتّفاقهم على عداوته فانّما جاء من قبل عايشة وعداوتها وحسدها لفاطمة عليها السلام بسبب انّه صلى الله عليه وآله كان يظهر المحبّة لها و اولديها فغارت من هذا عايشة وأضمرت العداوة لها ثم أظهرتها ، فتخطّت تلك العداوة من النّساء الى الرجال فبغض عليا عليه السلام ابوبكر وعمر ففعلا ما فعلا وفعلت عايشة بعدهما ما فعلت

ومنها انّه ربّما تسبّب بجمع الأموال الى إهلاك نفسه ابتداءً قبل الظّفر بمطلوبه منه ، كما روى انّ المسيح عليه السلام خرج يوماً الى البريّة و معه ثلاثة من أصحابه ، فلمّا توسّعوا فى البرية رأوا لبنة ذهب مطروحة فى الطّريق ، فقال عيسى عليه السلام هذا الّذى أهلك من كان قبلكم ايّاكم ومحبّة هذا ، فمضوا عنها فما مضى ساعة حتّى قال واحد منهم يا روح الله ائذن لى فى الرجوع الى البلد فانّى أجد الالم ، فاذن له فأتى الى تلك اللّبنة ليأخذها فجلس عندها

فقال الثانى يا روح الله ائذن لى فى الرجوع فأذن له و كذلك الثّالث ، فاجتمعوا عند تلك اللّبنة ليأخذوها فاتّفقوا على أخذها ، فقالوا نحن جياع فليمض واحد منا الى البلد ليشترى لنا طعاما حتّى ندخل البلد ، فمضى واحد فأتى الى السّوق و اشترى طعاما فقال فى نفسه انّى أجعل فوقه سمّا فيأ كلاه فيموتا فتبقى تلك اللبنة الذهب لى وحدى فوضع فى الطّعام سمّا ، وامّا الاخران فتعاقدا (هذا) على ان يقتلاه ويأخذا اللّبنة ، فلمّا جاء بالطّعام بادرا اليه وقتلاه و جلسا يأ كلان الطّعام فما أ كلا قليلا حتّى ماتا فصاروا كلّهم أمواتا عند تلك اللبنة ، فلمّا رجع عيسى عليه السلام مرّ على تلك اللّبنة فراى أصحابه أمواتا ، فعلم انّ تلك اللّبنة هى الّتى قتلتهم ، فدعى الله سبحانه فأحياهم لأجله فقال لهم أما قلت لكم انّ هذا هو الذى اهلك من كان قبلكم فتركوا اللّبنة ومضوا

وحكى انّ رجلا عارفا سافر وحده ومعه كيس من الدّراهم ، فلمّا توسّع في البريّة توهم من حمل تلك الدّراهم وخاف على نفسه القتل فأخذ بالكيس ورماه ومشى على فراغ بال واطمينان خاطر ، وقد كان رجل يمشي في ذلك الطّريق على أثره فوجد ذلك الكيس فرفعه وحمله معه فلحق بذلك العارف ، فسأله و قال يا اخى أهذا الطّريق أمن أم لا ؟ فقال له العارف ان كان الذى رميته انا رفعته انت فهو غير أمن وان كان تركته فالطّريق أمن ؛ وكثير امّا رأينا رجالا ركبوا البحار وخاطروا بالانفس وتحمّلوا مشاق السّفر الطّويل وصرفوا اكثر أعمارهم في تحصيل الأموال فلمّا حصّلوها ورجعوا الى بلادهم عجل عليهم الموت قبل الوصول اليها بيوم او يومين او اقلّ فأكلها بعده أعداؤه اما زوج إمرأته او نحوه ، وربّما حصل من تلك الاموال النّعامتان ، امّا نّدامة الدّنيا فبخروجه من تلك الأموال ومفارقته لها عند الموت وكذلك في حال الحياة ايضا فان صاحب المال تعبان (١) القلب من وجوه كثيرة

وقد كان لنا أخ صالح فسافر الى بلاد الهند و أتى معه بما يقرب من ألفى درهم فأتى الينا ونحن في شيراز في المدرسة المنصورية في عشر السّتين بعد الالف فأخذنا له حجرة في المدرسة و بقى معنا و وضع تلك الدّراهم معه في الحجرة ؛ وكان من خفيف نومه انّ كلّ من يمشي في صحن المدرسة هو يستيقظ من نومه خوفا عليها ، وكنّا نخرج معه من المدرسة الى البساتين اونحوها وتأتى اليه قبل الخروج حتّى يجعل القفل العظيم على الحجرة و نحن معه فاذا انتهينا الى البستان وجلسنا قام ذلك الشّيخ فنقول له اين ؟ فيقول الى المدرسة أخاف ان اكون قد نسيت حجرتى من غير قفل

فنقول له انّا قد رأيناك قفلتها فلم يقبل منّا ، وهذا كان حاله مدّة من الزمان فلمّا أنفقها من يده صرنا نجيء اليه و هو نائم وندقّ الباب دقا عنيفا فما يستيقظ ، و صار يترك الحجرة هكذا من غير قفل ، فعلمنا انّ الدّراهم خرجت من يده وكان الحال على ما علمناه

(١) كذا فيما وقفنا عليه من النسخ والظاهر ان الصحيح (عتبان)

وامّا النّدامة الأخروية فقال عليه السلام ويل لمن راى حسناته فى ميزان غيره وذلك انّه يتعب باله فى جمع المال ولا ينفقه فى سبيل الله فيأتى بعده من يتصدّق به و يصل المؤمنين فيكون ثوابه يوم القيمة فى ميزان غيره ، فينظر اليه من جمع المال وينظر الى دراهمه فى ميزان غيره ، فيالها حسرة عظمى وشقاوة كبرى ، وان أنفقها الوارث فى غير حقّها عوقب عليها وكان لذلك الرّجل الذى جمعها ولم ينفقها فيما أمر به حظّ وافر من عذابها

وقد كان فى زماننا رجل صالح و كان فى خدمة سلطان الهند خرم شاه ، وكان مداخله من الأموال فى كل سنة تقرب من أربعمائة الف دينار وكان ينفقها فى سبيل الله ، فسمع السّلطان بذلك فطلبه يوماً و قال له يا فلان ينبغى للانسان ان يكون له حظّ من حب المال ، و أنا سمعت بأنّك ما تحب المال ، فقال ذلك الرجل ايّها السّلطان والله انّى لحريص على حب المال وما أحد من خواصّك أحرص منّى

و ذلك انّى أريد ان آخذ كلّ اموالى معى ولا أبقى منها شيئا ، والنّاس يريدون يبقونها بعدهم فأى حريص أحرص منّى ، فقال له صدقت ؛ ومن هذا كلّه والخوف منه مال الاولياء الى إرادة الفقر ، فقال عليه السلام اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحباً بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته ، إنّا لله وانّا اليه راجعون

و فى الروايات انّ عيسى عليه السلام لما رفعه الله الى السّماء الرّابعة زارته الملائكة فوجدوا عليه قميصاً مرقّعا برقع كثيرة فضجّوا و قالوا إلهنا ليس يساوى عبدك عيسى عندك ثوباً صحيحاً ؟ فنودوا ان فتّشوا عيسى ، ففتّشوه فوجدوا فى قميصه أبرة يرقع بها ما يخترق منه ، فقال تعالى فوعزّتى و جلالى لولا ابرته لرفعته الى السّماء السابعة ، وفى الانجيل انّ عيسى عليه السلام قال اللّهم ارزقنى غدوة رغيفا من شعير ، وعشيّة رغيفا من شعير ، ولا ترزقنى فوق ذلك فاطغى

وقال الصادق عليه السلام انّ الله عزّ وجل ليعتذر الى عبده المحوج كان فى الدنيا كما يعتذر الاخ الى أخيه فيقول وعزتي وجلالي ما أفقرتك لهو ان كان بك علىّ فارفع هذا

الغطاء فأنظر ما عوّضتك عن الدّنيا ، فيكشف له عن بصره فينظر ما عوّضه الله عزّ وجلّ عن الدّنيا فيقول ما ضرّ بي يا ربّ ما زويت عنّي مع ما عوّضتنى ؛ و الى هذا الحديث وأمثاله نظر العقلاء فاختاروا بيع هذه الدّنيا الدنيّة بما عندالله سبحانه

روى هشام بن الحكم انّ رجلا من اهل الجبل أتى ابا عبدالله عليه‌السلام ومعه عشرة آلاف درهم وقال له اشتر لى داراً أنزلها اذا قدمت و عيالى ثم مضى الى مكّة ، فلمّا حجّ وانصرف أنزله الصادق عليه‌السلام فى داره ، وقال اشتريت لك دارا بالفردوس الأعلى ، حدّها الأول الى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، والثانى الى على عليه‌السلام ؛ والثالث، الى الحسن عليه‌السلام والرابع الى الحسين عليه‌السلام و كتبت الصّك به ، فلمّا سمع الرّجل بذلك قال رضيت ؛ ففرق الصادق عليه‌السلام تلك الدّنانير على أولاد الحسن والحسين عليهما‌السلام وانصرف الرجل ، فلمّا و صل الى منزله إعتلّ علّة الموت ، فلمّا حضرته الوفاة جمع أهل بيته و حلفهم ان يجعلوا الصّك معه فى قبره ففعلوا ذلك؛ فلمّا اصبحوا وغدوا الى قبره وجدوا الصّك على ظهر قبره وعلى ظهره وفى لى ولىّ الله جعفر بن محمد بما وعدنى

ورأيت فى كتاب عوالى اللّئالى حديثا و هو انّ رجلا غنيّا أراد المسير الى مكة فهيّأ لها ما يحتاج اليه المسافر فركب يوما فى بعض حوائجه ، فمرّ بطريق و راى امرأة علويّة قد أقبلت الى دجاجة ميتة منبوذة فى الطّريق لتأخذها

فقال لها هذه ميتة فلم تأخذيها ؟ قالت الحاجة تضطرّ الانسان الى هذا ، فأخذها معه الى المنزل ودفع اليها كلّ ما هيّأه للسّفر وترك الحجّ فى تلك السنة ، فلمّا رجع الحاج مضى اليهم ليزورهم و كل من دخل عليه قال له أحدهم رأيناك يا فلان بعرفات ، و يقول الاخر رأيناك بالمشعر ، وهكذا فتعجّب الرجل فأتى الى الامام عليه‌السلام وحكى له فقال نعم انّ الله سبحانه أرسل ملكا على صورتك ليحجّ عنك ؛ وهو ذا يحجّ عنك فى كلّ سنة ، فانظر كيف فاز بثواب الصّدقة والحجّ

و ينبغى للانسان ان يقدم أمور آخرته على امور دنياه فانّك قد تحققت انّ فى جمع الأموال الإخطار الكثيرة ، حكي عن بعض الصالحين انّه سئل عن توبته ، فقال انّي

كنت رجلا دهقانا فاجتمع عليّ اشغال ليلة من اللّيالي كنت أحتاج الى ان أسقي زرعا ، و كنت حملت حنطة الى الطّاحون ، فوثب حماري وضل فقلت ان اشتغلت بطلب الحمار فاتني سقي الزرع ؛ وان اشتغلت بالسّقي ضاع الطّحن والحمار ؛ وكان ذلك ليلة الجمعة وبين قريتي والجامع مسافة بعيدة

فقلت أترك هذه الامور كلّها و امضي الى صلوة الجمعة ، فمضيت وصلّيت فلمّا انصرفت ومررت بالزّرع فاذا هو قد سقي ، فقلت من سقاه ؟ فقيل انّ جارك أراد ان يسقي زرعه فغلبته عيناه وانتبق السّكر(١) فدخل الماء زرعك ، فلمّا وافيت باب الدار اذا أنا بالحمار على المعلف ؛ فقلت من ردّ هذه الحمار ؟ فقالوا صاز عليه الذّئب فالتجأ الى البيت، فلمّا دخلت الدّار اذا أنا بالدّقيق موضوع هناك . فقلت كيف سبب هذا ؟ فقالوا انّ الطحّان طحن هذا بالغلط فلمّا علم انّه لك ردّه الى منزلك ؛ فقلت ما أصدق ما قيل من كان لله كان الله له ، ومن أصلح لله أمرا أصلح الله أموره

و ينبغي للعاقل ان يتفكّر في الامثال الّتي ضربها عليهم السلام للدّنيا ، منها ما رواه الصّدوق (ره) باسناده الى الحرث الاعور قال بينا أنا أسير مع امير المؤمنين عليه السلام في الحيرة اذنحن بديراني يضرب النّاقوس ، قال فقال علي بن ابيطالب عليه السلام يا حارث أتدري ما يقول هذا النّاقوس ؟ قلت الله و رسوله و ابن عمّ رسوله أعلم ، قال انّه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول : لا اله الا الله حقّا حقّا صدقا صدقا؛ انّ الدّنيا قد غرّتنا و شغلتنا واستهوتنا واستغوتنا، يا ابن الدنيا مهلا مهلا، يا ابن الدنيا دقّاً دقّاً ، يا ابن الدنيا جمعا جمعاً تفني الدنيا قرنا قرنا، ما من يوم يمضي عنّا الاّ أوهى (٢) منّا ركنا قد ضيّعنا دارا تبقى واستوطنا دارا تفنى لسنا ندري ما فرّطنا الالو قدمنا ، قال الحرث يا امير المؤمنين النّصارى يعلمون ذلك ؟ قال لو علموا ذلك لما اتّخذوا المسيح الها من دون الله

(١) نبق نبقا الشيء : خرج وظهر . انتبق الكلام : استخرجه . سكر النهر . جعل له سدا

(٢) اوهى ايهاء فلانا : اضعفه جعله و اهيا . وفي بعض النسخ : (اوهن) و هنه يهنه وهنا واوهنه _ اضعفه

قال فذهبت الى الدّير فقلت لـه بحق المسيح لمّا ضربت بالنّاقوس على الجهة الّتي تضربها ، قال فأخذ يضرب و أنا أقول حرفا حرفا حتّى اذا بلغ الى موضع قوله الا لو قدمنا فقال بحق نبيّكم من أخبركم بهذا ؟ فقلت الرجل الذى كان معنا أمس ، قال وهل بينه وبين النّبى من قرابة، قلت هو ابن عمّه ، قال بحق نبيّكم أسمع هذا من نبيّكم قال قلت نعم ، فأسلم ثمّ قال لى والله انّى وجدت فى التّورية انّه يكون فى اخر الانبياء نبىّ وهو يفسّر ما يقول النّاقوس

ومنها قول الباقر عليه السلام مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ كلّما ازدادت على نفسها لفّا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّا ، فانظر الى حسن هذا المثال بل حال الانسان أسوء من حال دودة القزّ وذلك انّ دودة القزّ ان ماتت غمّا فى الذى نسجته على نفسها لكنها لاتموت بالكلّية ولهذا اذا بقيت فى القزّ مدّة مديدة تحرّكت فى بطن القزة وقرضت و خرجت منها بصورة طائر حسن الصورة وما ذلك الاّ لأنّها جهدت فى خراب ما نسجت ولاتموت فى بطن القزّة الاّ اذا وضعت القزّة فى الشّمس الحارة ؛ وامّا الانسان اذا نسج على نفسه بمتاع غرور الدّنيا تعذر عليه الخروج فيبقى فى المجلس الضيّق الى ان تأتيه شمس القيامة فتحرقه

ومنها قول الصادق عليه السلام انّ فى كتاب على عليه السلام انما مثل الدّنيا كمثل الحيّة ما ألين مسّها وفى جوفها السّمّ الناقع ، يحذرها العاقل ويهوى اليها الصّبىّ الجاهل وهذا المثل كالأول وذلك انّ الصّبىّ انّما ينظر الى ظاهرها وفى ظاهرها من النقوش والخطوط فيهوى اليها الصّبىّ بل الحيّة خير من الدّنيا وذلك انّها وان كان فى جوفها السّم الناقع الضّار لكن يخرج منها خرزة سوداء مدوّرة تنفع للسع الحيّات ، وذلك انّها توضع على موضع اللدغة فتجذب السّمّ و تقلعه من البدن ، فهى نافعة من هذه الجهة مع انّها انمّا تضرّ من آذاها

حكى لى ثقة من أصدقائى انّه كان عندهم حيّة فى البيت فكان عندها فراخ ؛ قال فأردنا أن ننظر اليها يوما ؛ فلمّا خرجت بادرنا الى فراخها فوضعناها تحت قدر و

خرجنا من البيت ، فلمّا أتت الى فراخها فلم ترها عمدت الى البيت وجالته على الفراخ فلم تجدها ، فلمّا أيستمنها أتت الى لبن فى البيت فدخلت فيه وشربت منه وقاءته حتى صار أصفر من السّم ، وخرجت من البيت فعمدنا الى فراخها و وضعناها فى موضعها فأتت مرّة أخرى ، فلمارأتها أتت الى ذلك اللّبن ودخلت فيه وخرجت عنه فوضعت نفسها على التّراب ودخلت على اللّبن ، وهكذا حتى صار ذلك اللّبن مثل لون التّراب ومضت عنه حتى لا نشربه ؛ وامّا الدنيا فهى تلسع كلّ احد

ومنها قوله عليه السلام الدنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان إزداد عطشا حتى يقتله، و منها قوله عليه السلام الدنيا كمثل البيت قدانخفض سقفه فكلّ من دخل اليه لابدّ وان يطأطأ راسه ومتى رفعه شجّه السّقف ، والداخل الى الدنيا حاله هكذا بل هو أسوء حالا

ومنها ما نقله الصدوق طاب ثراه عن بعض الحكماء فى تشبيه إغترار الانسان بالدنيا و غفلته عن الموت والأهوال وإنهماكه فى لّذات الدنيا الممزوجة بالكدورات بشخص مدلى فى بئر مشدود وسطه بحبل ؛ وفى أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجّه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لإلتقاطه ، و فى أعلى ذلك البئر جرذان أبيض و أسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات ، و ذلك الشّخص مع انّه يشاهد ذلك الثّعبان و يرى إنقراض الحبل آنا فآنا قد أقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة و هو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتذّ بما أصاب منه ، مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله بأجمعه الى ذلك غيرملتفت الى مافوقه وما تحته ، فالبئر هو الدّنيا، والحبل هو العمر والثّعبان الفاتح فاه هو الموت ، والجرذان اللّيل والنّهار القارضان للأعمار ، والعسل المختلط بالتّراب هو لذّات الدّنيا الممزوجة بالكدورات والالام؛ والزنابير هم أبناء الدّنيا المتزاحمون عليها ؛ وهذا المثل كالأمثال السّابقة فى الانطباق على الممثل له

وبالجملة فالعاقل من تفكّر فى كلام امير المؤمنين عليه السلام فانّه كان عارفا بداء الدّنيا

ودوائها ، و من ثمّ قال ابوجعفر عليه السلام كان امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة اذا صلّى العشاء الاخرة ينادى ثلث مرّات حتى يسمع أهل المسجد أيّها النّاس تجهّزوا رحكم الله فقد نودى فيكم بالرّحيل فما التعرج على الدّنيا بعد النّداء فيها بالرّحيل ، تجهّزوا وارحكم الله وانتقلوا بافضل مابحضرتكم من الزاد وهو التّقوى ، واعلموا انّ طريقكم الى المعاد وممرّكم على الصّراط ، والهول الأعظم أمامكم وعلى طريقكم عقبة كئود و منازل مهولة مخوفة لابدّلكم من الممرّ عليها والوقوف بها ، فامّا برحمة من الله فنجاة من هولها وعظم خطرها وفضاعة منظرها ومختبرها ، واما بهلكة ليس لها بعدها إنجبار، وأىّ مثل للدّنيا أعظم من أمثاله سبحانه وله الامثال العليا ، قال فى سورة الحديد انما الحيوة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتريه مصفرا ثمّ يكون حطاما وفى الاخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدّنيا الّا متاع الغرور

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله مالى والدنيا انما مثلى والدنيا كمثل راكب قال (من القيلولة) فى ظلّ شجرة فى يوم صيف ثمّ راح وتركها

و فى وصية لقمان لابنه على ما قال الصادق عليه السلام يا بنى انّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير ؛ فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، و حشوها الايمان ، و شراعها التّوكل وقيّمها العقل، ودليلها العلم ، وسكّانها الصّبر ، ومن أجل هذا ورد الحثّ على التفكر لأنّه يؤدّى الى مقت الدنيا والرّغبة عنها ، و روى الحسن الصّيقل قال سألت اباعبدالله عليه السلام عمّا يروى الناس تفكّر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت كيف يتفكّر ؟ قال يمرّ بالخربة او بالدار فيقول اين ساكنوك اين بانوك مالك لاتتكلّمين، وقال الرضا عليه السلام ليس العبادة بكثرة الصلوة والصوم انما العبادة التّفكّر فى امر الله عزّ وجلّ ، وذلك انّ بالتّفكّر يقصر الأمل فاذا قصر الأمل كثر العمل، وأقوى أسباب حب الدّنيا والميل اليها انّما يجىء من جهة طول الأمل فانّ الأمل يزيد على العمر بكثير

روى عن ابن مسعود قال خطّ النّبى صلى الله عليه وآله مربّعا وخطّ خطّا فى الوسط خارجاً

منه و خطّ خططا صغاراً الی هذا الذی فی الوسط ، فقال هذا الانسان وهذا اجله محیط به وهذا الخطّ الّذی هو خارج أمله ، وهذه الخطط الصّغار الأعراض ، فان أخطأه هذا نهشه هذا وهذه صورته

الأمل	الا نسان
	↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑ ↑
	الاعراض

وامّا من قصر امله فی الدّنیا فهی لا تعزّه ، روی انّ عیسی عليه‌السلام صعد جبلا فرای شخصا یعبدالله تعالی فی حرّ الشّمس ، فقال له لم لاتستظلّ ؟ فقال یا نبیّ الله انّی سمعت من الأنبیاء انّی لا أعیش أکثر من سبعمائة سنة فلم أجد من عقلی ان اشتغل بالبناء ، فقال عليه‌السلام انّی لأخبرك بما یعجبك ، قال فماذا ؟ قال یکون فی آخر الزّمان قوم لا تنتهی عمر أحدهم الی اکثر من مائة سنة وهم یبنون الدّور والقصور و یتّخذون الحدائق والبساتین ویأملون أمل عمر ألف سنة ؛ قال الشّیخ فوالله انی لوادرکت زمانهم لجعلت عمری فی سجدة واحدة ، ثمّ قال لعیسی عليه‌السلام أدخل هذا الکهف حتی تری عجبا فدخل فرای سریراً من حجر وعلیه میّت وعلی رأسه لوح من حجر مکتوب علیه أنا فلان الملك انا الّذی عمرت الف سنة ، وبنیت الف مدینة ،و تزوّجت بالف بکر ، وهزمت ألف عسکر ثم کان مصیری الی هذا فاعتبروا یا اولی الا لباب

وفی الحدیث انّ سلیمان عليه‌السلام مرّ علی رجل یعمل بمسحاته فوقف قربه فقال اللّهمّ انزع من قلبه آمال الدنیا ، فنزعها الله سبحانه فألقی الرجل مسحاته وجلس ، ثمّ قال بعد ساعة اللّهمّ ألق فی قلبه الأمل ، فقام الی مسحاته و حرث ، فتقدّم الیه سلیمان عليه‌السلام وقال له یا عبدالله کیف جلست ثم قمت ؟ قال قدفکرت انّ هذا الذی أحرثه لعلّی لا أبقی الی أوانه فلم أزرعه فجلست ؛ ثمّ فکرّت بأن الانسان لا بدّله من خیر یعیش به فی الدنیا ثمّ قمت الی مسحاتی

ومن أعظم أسبابه ایضا حبّ الأولاد قال الله تعالی انّما اموالکم وأولاد کم فتنة

وقد كان رجل يقول عند امير المؤمنين عليه السلام اللهم انى أعوذبك من الفتن ، فقال عليه السلام لا تقل هذا فانّ أولادك من الفتن وتلاهذه الاية ، ولكن قل اللهم انى أعوذبك من مضلاّت الفتن ؛ وفى الرواية انّ النّبى صلى الله عليه وآله كان يوما يخطب على المنبر فجاء الحسنان عليهما السلام وعليهما ثياب جديدة ، فعثر الحسين عليه السلام فى ذيل ثوبه فلمّا رآه النّبى صلى الله عليه وآله قطع الخطبة وسقط عليهما وحملهما وأجلسهما معه فوق المنبر ، وقال صدق الله حيث قال انّما اموالكم واولادكم فتنة؛ والله لما رأيت الحسين عثر بطرف ثوبه لم أملك نفسى حتى وقعت عليه

واسباب الميل الى الدنيا اكثر من ان تحصى و دواء الكل واحد وهو التّفكّر فى فنائها وسرعة زوالها و تقلّب احوالها ، فمن عجائب تقلّبها انّ رجلا من الخلفاء العبّاسيه جعلوه خليفة يوما واحدا و قد عزلوه فى اليوم الاخر و أخذوا ما عنده فاحتاج ذلك اليوم الى ان يقف على باب المسجد ويتكفّف الناس ، وكان يقول لهم ارحموا من كان بالامس أمير كم واليوم سائلكم ؛ وكلّ ما نال فيها المؤمن من المراتب فهى سجنه بالنّظر الى ما أعدّله فى الجنّان ، فالميل الى مثل هذا لا يكون عن رأى سديد ؛ روى انّه خرج الحسن عليه السلام من داره فى حلّة فاخرة وبزّة طاهرة ثم ركب بغلة فارهة غير قطوف وصار مكتنفا من حاشيته و حاشيته بصفوف ، فعرض له فى طريقه من محاويج اليهود رجل قد أنهكته العلة و ارتكبته الذلة ، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال يا ابن رسول الله أنصفنى ، فقال عليه السلام فى أىّ شىء؟ فقال جدّك يقول الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر وانت مؤمن وانا كافر فما ارى الدنيا الاّ جنة تتنعّم بها وتستلذّ بها وما اراها الاّ سجنا لى قد أهلكنى ضرّها و أتلفنى فقرها ، فلمّا سمع الحسن عليه السلام كلامه أوضح لليهودى خطاء ظنّه ، وقال يا شيخ لو نظرت الى ما أعدّ لى وللمؤمنين فى الدّار الاخرة ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت لعلمت أنّى قبل انتقالى اليه هذه الدنيا فى سجن ضيق مع ما أنا فيه ؛ ولو نظرت الى ما أعدّ الله لك ولكل كافر فى الدار الاخرة من سعير نار الجحيم و نكال العذاب المقيم لرأيت انّك قبل مصيرك اليه الآن فى نعمة واسعة وجنّة جامعة ؛ وما أحسن قول الشّاعر

يا خاطب الدنيا الدنيّة انّها   شرك الرّدى و قرارة الأكدار

دنيا اذا ما أضحكت فى يومها أبكت غدا تعساً لها من دار
غاراتها لا تنقضى و أسيرها لا يفتدى بعظائم الاخطار

و قول الاخر

هى الدنيا تقول بملأ فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم حسن ابتسامى فقولى مضحك والفعل مبكى

والدنيا إمّا مأخوذة من الدناءة و هى الخسّة أو من الدّنوّ و هو القرب لقربها بالنّظر الى الاخرة ، وهذا المعنى الثانى هو الذى حمل النّاس على مساوى الأعمال حيث زعموا انّها نقد و الاخرة نسيئة و قدّموا النّقد على النّسيئة و لم ينظروا الى قول الخبير امير المومنين عليه السلام لوكانت الدنيا ذهبا والاخرة خزفا لاخترت خزف الأخرة على ذهب الدنيا لأنّه خزف باق وذهب الدنيا فان، فكيف والاخرة ذهب باق والدنيا خزف فان

ورأيت فى كتاب تفسير انّ ملكا من ملوك اليونان استعمل على ملبسه جارية أدّبها بعض الحكماء فألبسته يوماً ثيابه و أرته المرآة فرآى فى لحيته شعرة بيضاء ، فاستدعى بالمقراض فقصّها، فأخذتها الامة فقبّلها ووضعتها عال(قال) واصغت أذنها اليها فقال الملك لأىّ شىء تصغين اليها؟ فقالت انّى أسمع هذه المبتلاة تفقد كرامة قرب الملك تقول قولا عجباً ، قال و ماهو؟ قالت ما يجترى لسانى على النطق به ، قال قولى أمنته مالزمت الحكمة ، فقالت انها تقول ايّها الملك المسلّط الى أمد قريب انّى خفت بطشك بى فلم أظهر حتى عهدت الى بناتى ان يأخذن بثاري، و كأنّك بهنّ قد خرجن عليك فأما ان يعجلن الفتك بك وامّا ان ينقصن شهوتك و قوتك وصحتك؛ حتى تجد الموت ، فقال اكتبى كلامك فكتبته فبقى يتدبر فنبذ ملكه وخرج سائحا قال الشّاعر

ياويح من فقد الشّباب وغيّرت منه مفارق رأسه بخضاب
يرجو عمارة وجهه بخضابه و مصير كل عمارة لخراب
انى وجدت أجلّ كلّ رزيّة فقد الشّباب و فرقة الاحباب

ومن اسباب الدنيا والميل اليها النساء وإطاعتهنّ ، روى انّ رجلا من بنى اسرائيل

رای فی المنام انه خیّر ثلاث دعوات مستجابات بأن یصرفها حیث یشاء، فشاور امرأته فی محل التصرف فرأت ان یصرّف واحدة منها فی حسنها و جمالها لیزید حسن المعاشرة بینهما ، فصرفها فی ذلک فصارت جمیلة فیما بین بنی أسرائیل فاشتهر أمرها الی ان غصبها ملک ظالم ، فدعی الرجل غیرة بأن یصیّرها الله تعالی علی صورة کلب فصارت کلبا أسود وجاءت الی زوجها وتضرّعت الیه مدة حتی رقّ قلبه ودعی بأن یصیّرها الله تعالی علی صورتها الاولی ، فصارت الدعوات الثلاث فیها ، وهی کما کانت بشوم المشاورة معها

وحکی انّ خسرو الملک أتی الیه رجل بسمکة کبیرة فأمر له بأربعة آلاف درهم؛ فقالت شیرین فکیف تصنع اذا احتقر من أعطیته شیئا من حشمك وقال أعطانی ما أعطی الصیّاد او أقل ، فقال خسرو الملک انّ الرجوع عن الهبة قبیح خصوصا من الملوک ؛ فقالت شیرین التدّبیر أن تدعوه ، وتقول له هذه السّمکة ذکر أم أنثی فان قال ذکر فتقول انّما أردت أنثی ، وان قال أنثی فتقول له انّما أردت ذکرا ، فاستدعاه فسأله عن ذلك ، فقال ایّها الملك انّها خنثی لاذکر و لا أنثی فاستحسن جوابه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخری ، فلمّا تسلم الصیاد ثمانیة آلاف درهم من الخزان ورجع سقط منها فی الطریق درهم فاشتغل بأخذه ، فقالت شیرین للملك أنظر الی خسّته وغلبة حرصه ، فاستدعاه و سأله عن غرضه فی إشتغاله بأخذ الدّرهم الساقط فقال ایّها الملك کان علیه اسمك وحکمك فخفت ان یطأه أحد برجله غافلا عنه ؛ فاستحسن ایضا جوابه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخری ، و ذهب الصیّاد باثنی عشر ألف درهم ، وأمر الملك منادیا ینادی ألامن دبّر أمره برأی النساء خسر درهما اودرهمین ، والعجب انّ بعض المذنبین قد أیس من رحمة الله وباع حظّه الاوفر بهذه الدنیا الدنیّة

روی الصدوق طاب ثراه باسناده الی البزاز و قال کان بینی و بین حمید بن قحطبة الدوسی (١) معاملة فرحلت الیه فی بعض الایام فبلغه خبر قدومی فاستحضرنی للوقت

(١) هو حمید بن قحطبة الطائی الطوسی . فی بعض النسخ المطبوعة (الدوسی) وفی بعضها و کذا فی المخطوطة (الطوسی) وفی عیون اخبار الرضا (ع) ایضا (الطائی الطوسی) وفی بعض المواضع (حمید) بالتصغیر

وعلىّ ثياب السّفر لم أغيّرهما وذلك فى شهر رمضان وقت صلوة الظّهر ، فلمّا دخلت عليه رأيته فى بيت يجرى فيه الماء ، فسلّمت عليه وجلست ، فأتى بطشت وابريق فغسل يديه ثمّ أمرني فغسلت يدى ، وأحضرت المائدة وذهب عنّى انى صائم وانّى فى شهر رمضان فامسكت يدى، فقال حميد مالك لاتأكل ؟ ثم ذكرت فقلت ايّها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولابى علّة توجب الافطار وانّى لصحيح البدن ، ثمّ دمعت عيناه و بكى ، فقلت له بعد ما فرغ من طعامه ما يبكيك ايّها الامير ؟ قال أنفذ الىّ هرون الرّشيد وقت كونه بطوس فى بعض اللّيل ان أجب ، فلمّا دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتّقد وسيفاً مسلولا و بين يديه خادم واقف ، فلمّا قمت بين يديه رفع رأسه الىّ فقال لى كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ فقلت بالنّفس والمال ، فأطرق ثم أذن لى بالانصراف فلم ألبث فى منزلى حتّى عاد الرسول الىّ وقال أجب امير المؤمنين ، فقلت فى نفسى انّا لله وانّا اليه راجعون أخاف ان يكون قدعزم على قتلى وانّه لمّا رانى استحيا منّى ، فعدت الى بين يديه فرفع رأسه الىّ فقال كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ فقلت بالنّفس والمال و الأهل والولد ، فتبسّم ضاحكا ثم اذن لى بالانصراف فلمّا دخلت منزلى لم ألبث ان عاد الىّ الرسول فقال أجب امير المؤمنين ، فحضرت بين يديه وهو على حاله ، فرفع رأسه الى فقال كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ فقلت بالنّفس والمال والاهل والولد والدين ، فضحك ثم قال لى خذ هذا السّيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم ، قال فتناول الخادم السّيف وناولنيه و جاء بى الى بيت بابه مغلق ففتحه فاذا فيه بئر فى وسطه وثلاث بيوت أبوابها مغلقة ففتح بابا منها فاذا فيه عشرون نفساً عليهم الشّعور والذّوائب ، شيوخ و كهول وشبّان مقيّدون .

فقال انّ امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء و كانوا كلّهم علويّة من ولد علىّ و فاطمة عليهما السلام، فجعل يخرج الى واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتّى أتيت على آخرهم ثمّ رمى بأجسادهم و رؤسهم فى تلك البئر ، ثم فتح باب بيت آخر فاذا فيه ايضا عشرون نفسا من العلويّة من ولد علىّ و فاطمة عليهما السلام مقيّدون، فقال لى انّ امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ايضا فجعل يخرج الىّ واحدا بعد واحد فأضرب عنقه ويرمى به فى تلك

البئر حتى اتيت على آخرهم ؛ ثم فتح باب البيت الثالث فاذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيدون عليهم الشعور والذوائب، فقال ان امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ايضا فجعل يخرج الي واحد بعد واحداً فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم وبقي شيخ منهم عليه شعر ، فقال تباً لك يامشوم أي عذر لك يوم القيمة اذا قدمت على جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة عليهما السلام، فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر الي الخادم مغضبا و زبرني فأتيت على ذلك الشيخ ايضا فقتلته ورمى به في تلك البئر ، فاذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي وانا لاأشك انى مخلد في النار، قال الصدوق طاب ثراه وللمنصور مثل هذه الفعلة في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله

اقول هذا الرجل وان أفرط و تعدي الحد في فعلته هذه من قتل هذه الذرية الطاهرة الا انه ما كان ينبغي له الاياس من رحمة الله بل كان يجب عليه الندامة و مداومة الاستغفار والذكر لعل الله يرضى عنه خصومه كما جاء في الرواية ان امرأة قتلت ولدها ثم ندمت فأتت الى النبي صلى الله عليه وآله نادمة على فعلها طالبة للتوبة، فقال صلى الله عليه وآله لو قتلت في يومك سبعين نبيا ثم ندمت على ما فعلت وعرف الله منك التوبة لتاب عليك و رحمك ؛ ثم مثل هؤلاء الجماعة لايوفق منهم للتوبة الا القليل ، الاترى الى الوحشي و هو قاتل الحمزة لما ظهرت منه أمارات التوبة والندامة قبل الله توبته ، و قال صلى الله عليه وآله حمزة وقاتله في الجنة ؛ والشيطان مع ما هو عليه من الضلال لم ييأس من الرحمة (١)

---

(١) روى الكليني ره في الكافي باسناده مضمراً : انه قال اعطى التائبين ثلث خصال لو اعطي خصلة منها جميع أهل السماوات والارض لنجوابها وهوقوله عز وجل: ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فمن احبه الله لم يعذبه الحديث

ولكن هذا الرجل كماذكره المصنف (ره) لم يوفق للتوبة وطبع على قلبه و جاءه اليأس من رحمة الله بسبب تلك الجناية التي اوردها علي الذرية الطيبة و اليأس من روح الله تعالى من الكبائر الموبقة

كما جاء فى الرواية عن الصادق عليه السلام قال ان امرأة من الجن يقال لها عفراء وكانت تنتاب النبى صلى الله عليه وآله فتسمع من كلامه فتأتى صالحى الجن فيسلمون على يديها، و فقدها النبى صلى الله عليه وآله وسئل عنها جبرئيل عليه السلام فقال انها زارت أختالها تحبها فى الله تعالى؛ فقال عليه السلام طوبى للمتحابين فى الله انّ الله تبارك و تعالى خلق فى الجنّة عمودا من ياقوتة حمراء عليها سبعون ألف قصر؛ فى كل قصر سبعون الف غرفة خلقها الله عز و جل للمتحابين فى الله؛ وجاءت عفراء فقال لها النّبى صلى الله عليه وآله يا عفرآء أين كنت؟ فقالت زرت أختالى، فقال طوبى للمتحابين فى الله والمتزايرين يا عفراء أى شىء رأيت؟ قالت رأيت عجائب كثيرة، قال فأعجب ما رأيت؟ قالت رأيت ابليس فى البحر الأخضر على صخرة بيضاء مادّا يديه الى السماء وهو يقول الهى اذا برزت قسمك وأدخلتنى نار جهنم فأسئلك بحق محمد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين الاّ خلصتنى منها وحشرتنى معهم؛ فقلت ياحارث ما هذه الأسماء التى تدعوه بها؟ فقال رأيتها على ساق العرش من قبل ان يخلق الله عزّ وجل آدم بسبعة آلاف سنة فعلمت انّها اكرم الخلق على الله فأنا أسئله بحقّهم، فقال النّبى صلى الله عليه وآله والله لو أقسم أهل الارض بهذه الاسماء لأجابهم الله تعالى .

فان قلت ما فايدة دعاء الشّيطان هذا مع انّه من الخالدين فى النّار والعذاب؛ قلت يجوز لأجل هذا الدعاء ان ينقله الله تعالى فى طبقات النّار من طبقة حارة الى ما هو أخفّ منها فيكون قد خلصه من تلك النّار التى كان فيها، فانّ للنّار سبع طبقات ولكل طبقة أنواع وأهوال من العذاب؛ ويجوز ان يخلّصه الله سبحانه من النّار لحظة ثمّ يعود اليها مخلّدا فيها، ويجوز ان يكون المراد من أهل الأرض من قوله صلى الله عليه وآله لو أقسم أهل الارض من كان له قابليّة استجابة الدعاء ممن اتصف بالايمان والاسلام

والاحسن هو ان يقال انّ الكلام على ظاهره من انّ كلّ من دعى الله من اهل الارض بهذه الاسماء اجابه الله تعالى سواء كان الدّاعى مؤمنا او كافرا او شيطانا لكن اجابة الدعاء عبارة عن الجزاء الذى يكون بازائه سواء كان ذلك المدعوبه اوغيره، والشيطان و غيره اذا دعوا الله سبحانه بهذه الاسماء جازاهم الله سبحانه عليه امّا فى الدنيا بتوسعتها

ونحوه ، واممّا فى الاخرة بتخفيف عذاب و نحوه ، فيصدق من هذا انّ الله تعالى أجابهم على الدّعاء

وفى الاخبار المعتبرة انّ رجلا عصى الله تعالى وقتل تسعة وتسعين رجلا بغيرحق فلمّا مضت عليه مدة ندم وقال أريد التوبة فأتى الى رجل عابد وحكى له ماصنع من القتل و قال أريد التّوبة ، فقال له ذلك العابد لاتوبة لك وحالك على هذا ، فلمّا قال له هذا الكلام عمد الرجل الى ذلك العابد فقتله فبقى مدة، ثمّ أتى الى رجل عالم فقال له انّى قتلت مائة فهل لى من توبة ؟ فقال نعم أقصد أرض كذا فانّ فيها نبيّا او عالما فامض اليه وتب على يديه ، فمضى عليه فلمّا كان فى عرض الطّريق أتى أجله فأتته لقبض روحه ملئكة الرحمة وملائكة العذاب فتنازعتا فى قبض روحه فقالت ملئكة الرحمة نحن نقبض روحه لأنّه قصد أرض التّوبة ، وقالت ملئكة العذاب نحن نقبض روحه لأنّه لم يتب بعد ، فأوحى الله تعالى اليهم ان اذرعوا الارض وانظروا الى اىّ ارض هو اقرب ، فلمّا مسحوا الارض وجدوه الى ارض التّوبة أقرب بذراع اوبشبر فتبادرت اليه ملئكة الرحمة فقبضوا روحه و فى خبر آخر انّ الملئكة لمّا قصدوا الى مساحة ارض التّوبة فطويت بعد ما كانت ابعد من تلك الارض وهذا حاله مع المذنبين

وبالجملة فكل بلاء الانسان و مصائبه انّما هو من الدنيا والميل اليها حتى انّه سئل بعض العارفين عن الطّريق الى الله تعالى فقال خطوتان وقد وصلت خطوة على النّفس وخطوة على الدنيا، فسمع بعض أهل العرفان هذا الكلام فقال طوّل ما قصّر الله بل خطوة على النّفس وقد وصلت لأنّ الدنيا تصير حجابا للعبد بواسطة النّفس وهو تعالى السّتار على عبده

روى انّ بعض الانبياء سرق له حمار فقال الهى أنا نبيّك سرق حمارى فاطلعنى عليه ، فأوحى الله تعالى انّ الرجل الذى سرق حمارك سئلنى ان أستره وأنا لا أردّه ولا أردّك فخذ منّى حمارا آخر حتى لا يفتضح ذلك الرجل ، و بالجملة فاستقصاء الكلام فى الدنيا وتقلّباتها و أحوالها يحتاج الى تأليف كتاب منفرد ؛ نعم انّ من جملة الدّنيا و

أسباب الميل اليها لذاتها فلابأس بذكرها فى نور على حدة

(نور فى لذات الدنيا بانواعها)

وبيان انه لا لذة فى الدنيا وان ما فيها من اللذات انما هو دفع آفة بآفة أخرى

اعلم ان الدنيا كما عرفت بيت ضيق مظلم قد اجتمعت فيه أنواع المخلوقات و اصنافها ففيه الحيات والعقارب والسباع والذئاب الضوارى و كلها قد قصدت ابن آدم و هو معها فى ذلك البيت الضيق و هو يراها قاصدة اليه ، وقد وضع أمامه شيء من الخبز ليأكله ، فيأكل وينظر الى ما معه فى ذلك المنزل الضيق من الأفاعى والسباع والعقارب وهى جوعانة وليس لها شيء تأكله سوى لحوم ابن آدم ، فالانسان من الجوع يأكل ما أمامه من الخبز لكنه ينظر ما معه من السباع فى حال أكله مترقبا حين بعد حين لوصولها اليه و إهلاكها اياه ، فمن كان هذا حاله كيف يلتذ بأكل أم بشرب أم بنكاح أم بلباس ، ولو فتحت عينى قلبك الذى تبصر به لوجدت حالك فى الدنيا هو هذا بل انت أسوء حالا ، أما العقارب فهم أقاربك الذين منهم من يتمنى موتك للميراث ، ومنهم من يريده حسداً لك حيث فضلت عليهم إما بأمور دنيوية اواخروية ، ومنهم من يريد يتزوج بزوجتك بعدك الى غير ذلك من الاغراض ؛ وياليتهم مثل العقارب فان الاغلب فى العقرب وأشباهه انما يلدغ اذا أوذى وتعدى الانسان عليه مع ان لدغته تبرى فى يوم واحد واما الأقارب و مايصل اليك فى كل يوم من أنواع لسعهم وأذيتهم فهو مما لاغاية له ولانهاية لأمده الى الموت

واما الحيات فهم اخوانك الذين قال فيهم امير المؤمنين انهم جواسيس العيوب ومن الحيات ايضا شياطين الجن والانس الذين صرفوا لياليهم وأيامهم فى الفكر لارادة مخادعتك وإضلالك و إلقائك الى حيات جهنم وأفاعيها التى ورد فى الخبر لو ان حية

منها ظهرت الى الدنيا ونفخت فيها لما بقى فيها شجر ولامدرولاجبل الآ ذاب من سقها

واما السباع فهى مصائب الدّنيا ودواهيها الحادثة يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة ونفسا بعد نفس كالهموم والاحزان والأمراض وفقد الاحبّة الذى جعله أمير المؤمنين عليه السلام عديلا ليوم القيامه فقال لولاهول المطلّع وفراق الأحبّة لأردنا الموت ، وأهول من هذا كلّه تذكّر الموت ومابعده من الأهوال فانّى لااظنّ أحدا كان فى لذّة وذكر الموت ثم تمّت له اللذّة

حكى صاحب نزهة الأبرار انّ الرشيد زخرف مجلسه يوما و بالغ فيه و صنع طعاما كثيرا ثم وجّه الى ابى العتاهية فأتاه فقال له صف لنامانحن فيه من نعيم هذه الدّنيا فأنشأ يقول

عش ما بدالك سالما فى ظلّ شاهقة القصور

فقال أحسنت فقال

يسعى اليك ما اشتهيت لدى الرواح وفى البكور

قال حسن ايضا ثمّ ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت (١) فى ضيق حشرجة الصّدور

فهناك تعلم موقنا ما كنت الآ فى غرور

فبكى هرون الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسرّه فأحزنته ، فقال هرون الرشيد دعه فانّه رآنا فى عمى فكره ان يزيدنا عمى ، ولذا قال صلى الله عليه وآله اكثروا ذكر هادم اللذّات ، وحكى انّ الحجاج كان عنده جاريتان جميلتان وكان معجباً بهما مولعاً بعشقهما ، فقال انّ النّاس يقولون ماتمّ فرح لأحد الى اللّيل وها أنا ذاعدا أجلس بمجلس الطرب الى اللّيل ، فلمّا كان الغد هيّأ فى مجلسه أحسن ما يكون وتخلّى عن النّاس بخواصه و تلك الجوارى ، فلمّا مضى بعض النّهار أمر بالشراب فشرب هو ومن كان فى ذلك المجلس وشربت جارية من تلك الجوارى فاختنقت بالشّراب وماتت من ساعتها فبكى عليها بكاءً كثيرا ومضى عامة ذلك اليوم بالحزن ، فكان يوم

(١) تقعقع اضطرب وتحرك . صوت عند التحرك

سروره یوم عزاه ومصیبته ، اذا عرفت هذا کلّه

فاعلم انّ اللّذات الواقعة فی هذه الدّنیا ثلث: الاولی اللّذة الحسّیة وهی قضاء الشهوتین: البطن والفرج وتوابعها ؛ وهذه اللّذة أدون اللّذات الثّلاث وأحقرها ، الثانیة اللّذة الخیالیّة وهی الحاصلة من الاستعلاء والریاسة ونحوهما ، الثالثة اللّذة العقلیّة وهی الحاصلة بسبب معرفة الاشیاء و الوقوف علی حقایقها و وجه الحصر انّ الانسان أوّل ما یحسن ویشعر باللّذة الاولی لظهورها فی بادی الرأی، ثمّ اذا توغل فیها وقضی وطره منها سمت نفسه الی المرتبة الثانیة وهی حب الریاسة ونفوذ الامور والنّهی ، فاذا توغّل فیها و رزق الوقوف علی ما فیها من الافات والبلیّات ترقی منها الی الثّالثة وهی العالیة الحاصلة من ادراك حقایق الاشیاء کما هی بقدر الطّاقة البشریة فلنتکلّم فی کل واحدة من هذه اللّذات وما تشتمل علیه لیظهر لك ما ذکرناه فی عنوان النّور

القسم الاولی الکلام فی اللّذة الحسیّة اعلم انّ مطالب الخلق من الأحوال المخصوصة (المحسوسة) محصورة فی نوعین احدهما دفع الالم والثانی تحصیل اللّذة ، اما دفع الألم الحسیّة فقد توصّلوا الیه بطرق أحدها لبس الثّیاب و ذلك لأنّ جلد الانسان لطیف یتأثر من الحرّ والبرد فاحتاج فی دفع هذا الألم الی لبس الثّیاب و بالحقیقة لبس الثّوب ضرر لأنّه إتعاب للبدن لکن لبس الثوب یدفع مضرة أعلی من هذه المضرة کما عرفت ، فهو من باب دفع الضّرر بالضّرر ، ومثاله ما حکی ان بعض الناس دخل علی ابرهیم بن سیّار النّظام المتکلّم فرای فی یده قدحاً من الدّواء المرّ فسئله عن حاله فانشد

أصبحت فی دار بلیّات أدفع آفات بآفات

وثانیها بناء الدّور والمساکن والمقصود منه انّ الانسان خلق فی ممرّ الافات ، فاذا کان بغیر بیت خاف علی نفسه و ماله و ولده ومن یعنوه فاذا بنی البیت أمن من تلك الافات ، واما الذی یترتّب علی بناء البیت من التعب وبذل ماء الوجه ومعاداة الجیران والتّوصّل منه الی إعانة الظالمین فظاهر فهذا ایضا من باب دفع آفة بآفة فلالذّة فیه

فان قلت قد يكون مع الانسان من الثّياب ما يدفع الحرّ و البرد فيتأنق فى لبس الثّياب الفاخرة تحصيلا للّذة لا لدفع الالم ، و كذا القول فى البيوت و بنائها فلا يكون من باب دفع الألام ، قلت اذا تأمّلت حقّ التأمّل ترى هذا ايضا من ذاك وذلك لأن لبس الثّوب الفاخر إنّما يكون بعد منازعة النّفس وطلبها إياه وتشوّقها عليه و تعبها فى طلبه فيكون هذا ألماً نفسانيّا يدفع بتلك الثّياب الفاخرة ، ومن ثمّ لو لبس الأغنياء الثّوب الفاخر لمن هو أدنى منهم لم يلتذّوا عند لبسه ، و كذا فى جانب المأكل والمسكن والمنكح و ما ذاك الاّ لأنّ نفوسهم لم تطلبه منهم ولم تنازعهم على تحصيله ، ومن ثمّ لمّا كانت ملاذّ الجنّة تحصل بمجرّد الخطور فى البال من غير مجاذبة مع النّفس فتكون لذة محضة لادفع ألم حسّى و نفسى

و امّا الّطرق الموصلة الى تحصيل اللّذات فهى قضاء شهوة البطن وقضاء شهوة الفرج ، و قبل ان نبيّن ما فيها من الدّناءة والخسّة و الإهانة والتّشبّه بالبهائم نذكر مقدّمة: وهى انّ البلغاء والاكابر اذا أرادوا الخوض فى تحقير الدنيا يرجع حاصل كلامهم الى امور

الاول انّها فانية فيجب على العاقل إجتنابها ، فهو إشارة الى انّها فى نفسها لذيذة وطيّبة لكنها فانية

الثّانى قولهم انّ طيّباتها ممزوجة بالالام وراحتها بالكدورات، وهذا ايضا كالأول اشارة الى انّ فيها لذات طيّبة لكن المانع للعاقل من إرتكابها ذلك المزج

الثالث قولهم انّ الأراذل من النّاس مشاركون الأفاضل فى هذه اللّذات والراحات بل يزيدون عليهم فيها أضعافا كثيرة حتى انّ العقلاء قد تحيّروا فى هذا فقالوا :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الاوهام حائرة وصيّر العالم النّحرير زنديقا

والانصاف انّ صاحب هذا البيت وأمثاله لم يتفكّروا فى صنع الله تعالى ولم يدروا انّ الأرزاق على قسمين . قسم منها ما هو رزق للرّوح كالعلوم والمعارف ، وقسم منها ما

هو رزق للبدن كالمآكل والملابس والمناكح ، فمن رزقه من الاوّل حرم من الثانى و كذا العكس ؛ فمن أرادهما معاً كان عديم الانصاف ، ولو نظرت الى جاهل جمع من الأموال مالا يحصى وأراد ان يبدلك ماله بعلمك حتى يكون لك جهله وحماقته لما رضيت ولماقبلت واذا كان الحال على هذا المنوال فلا ينبغى ان يصير العالم النّحرير زنديقا

وبالجملة فقول الأكابر ذلك يدل على انّ حالات الدّنيا وان كانت لذّات لكن يجب تركه لرذالة الشّركاء و دنائتهم ، وأمّا الحكماء فانّهم قالوا انّ هذه الاحوال ليست فى أنفسها سعادات ولاخيرات بل هى أحوال خسيسة ومطالب دنيّة فى ذواتها ، واذاكان الامر كذلك فيكون الكلام دائرا على امرين ، احدهما ان تلك الاحوال خسيسة فى نفسها ، و ثانيها انّها وان كانت احوالا شريفة الاّ انّه يلزمها لوازم مكروهة، امّا بيان الامر الاوّل فيجىء على أنواع

النّوع الأول أنّا رأينا الانسان كلّما كثر جوعه كان إلتذاذه بالأكل أتمّ ؛ و كلّما كان عهده بالوقاع أطول كان التذاذه ايضا به أكمل ؛ ولا شكّ انّ الجوع والاحتياج الى الوقاع ألمان شديدان فلمّا رأينا انّه كلّما كانت هذه الألام أشدّ كان دفعها ألذّ و أطيب غلب على الظّن انّه لا معنى لهذه اللّذات والرّاحات الاّ مجرّد دفع تلك الألام السّابقة ، ألاترى انّ من جلس فى الحمّام الحار و غلب استيلاء الحرارة عليه فاذا فتح الباب ودخل عليه نسيم بارد فانّ الانسان يستلذّ ذلك الهواء البارد استلذاذاً فى الغاية و ما ذلك الاّ لأنّه عظم تألّمه بسبب الهواء الحارّ فى الحمّام ، فلمّا وصل اليه النّسيم البارد زال عنه تلك الحرارة المولمة فعلم منه انّه لا حاصل لتلك اللّذات الحسّيّة الاّ دفع تلك الألام ، فيدّل على انّ هذه الأحوال الّتى يتخيّل انّها لذات فى أنفسها ليست لذات بل لاحاصل لها سوى دفع تلك الألام (١)

---

(١) لايخفى على القارى الكريم انه قد تعرض صدر المتألهين قدس سره لهذا المطلب فى الاسفار فى فصل حقيقة الالم واللذة ولكنه زيفه وأبطله وقال : اما سبب هذا الظن فذلك من باب اخذما بالعرض مكان ما بالذات وذلك لان اللذة لاتحصل الا *

الثانى انّ مع المعلوم بالبديهة انّه كلّما كان شهوة الفوز بالشيء أقوى وأكمل كانت اللّذة الحاصلة بسبب وجدانه أقوى وأكمل ، فان لم تحصل تلك الشّهوة لم تحصل اللّذة بوجدانه ، الاترى انّ من رمى قلادة الدّر الى الكلب والعظم الى الانسان فانّه لم تحصل اللّذة لواحد منهما ، واذا عكس حصلت اللّذة فثبت انّه كلّما كانت الحاجة الى الشيء أشدّ كان الفوز به ألذّ ، فثبت انّ مقدار اللّذة الحاصلة فى الحال مساوية لمقدار المضرة الحاصلة بسبب الاحتياج اليه فى الماضى ، واذا كان الامر كذلك فحينئذ تتقابل اللّذة الحاصلة فى الحال بالالم الحاصل فى الماضى واذا تقابلا تساقطا فصاركأ نّه لم يوجد

الثالث فى بيان انّ* هذه اللّذات الحسيّة خسيسة جدّا وذلك انّها بأسرها لاتحصل الّا بواسطة مخامرة رطوبات عفنة مستقذرة ؛ امّا لذّة الأكل فالأمر فيها ظاهر لأنّ الانسان لايلتذّ بالطّعام الّا اذا وضعه فى فمه ولاشكّ انّ ذلك الطّعام يمتزج بريق الفم ويختلط به وهو فى نفسه شيء مستقذر ، والدّليل عليه انّ تلك اللّقمة الممضوغة لوسقطت

* بادراك فهذه اللذات الحسية لاتتم الا بادراكات حسية والادراك الحسى سيما اللمسى منه لايكون الا بانفعال الآلة عن ورود الضد و اذا استقرت الكيفية الواردة لم يحصل انفعال فلم يحصل شعور فلا تحصل لذة لمسية وغيرها الا عند تبدل الحال الغير الطبيعى فلاجل ذلك ظن ان اللذة نفسها هى ذلك الانفعال ثم قال قدس سره : واما بيان بطلان هذا الظن فلان الانسان قد يستلذ من النظر الى الصور الحسنة التى لم تكن عالما بوجودها مشتاقا اليها سابقا حتى يقال بان النظر اليها يدفع ضرر الاشتياق والم الفراق وكذلك ربما يدرك مسألة علمية من غير طلب وشوق اليها ولاتعب فكرى فى تحصيلها كما فى عقيب انحلال الشبهات المشكلة التى قد تعب فى حلها حتى يقال بان الاستلذاذ لها لاجل زوال أذى الانزعاج الفكرى وكذلك اذا اعطى له مال عظيم او منصب جليل لم يكن متوقماله و لا طالبا لحصوله حتى يقال بان حصول هذه الامور يدفع الم الطلب والشوق مع ان كل هذه الامور لذيذة فبطل هذا المذهب (اه) و ان شئت تفصيل اللذات وتفضيل بعضها على بعض وان كل من اللذة والالم ينقسم بحسب القوة المدركة الى العقلي والوهمي والخيالي والحسي على نحو التحقيق العلمى راجع الى الإسفار

من الفم فانّ الانسان يستقذرها ولا يمكنه ان يردّها الى فمه ، وذلك يدلّ على انّ اللّذة الحاصلة من الطّعام لا تحصل الاّ عند انعجان ذلك الطّعام و إختلاط أجزائه بتلك الرطوبات المستقذرة فهذا يدلّ على انّ العاقل انّما يقدم على الأكل لالأنّه يعدّه سعادة وبهجة بل لأجل انّه خلق محتاجا اليه ولو لا احتاج اليه لما قدم عليه ، و قد انشد عبد القاهر النّحوى هذا البيت

لولا قضاء جرى نزّهت أنملتى عن ان تلمّ بمأكول و مشروب

و امّا لذّة الجماع فخساستها أظهر من ان تحتاج الى البيان، والدليل عليه انّ أخسّ أعضاء الانسان هذه الاعضاء المخصوصة ولذلك سترها الناس تحت الثّياب وان أظهروا غيرها و هذه الاعضاء لا تفيد اللّذة الاّ عند المماسة والتّلطّخ بتلك الرّطوبات المتولّدة فى داخل الاعضاء وتمام اللّذة انّما يحصل بانفصال النّطفة وهى ايضا رطوبة عفنة فلاتكون من جنس الخيرات والسعادات بل يكون الانسان كالمضطرّ اليها فاذا دفع تلك الألام والأرجاع إستراح فيظنّ انّها خيرات ولذّات وليس كذلك ، و لذلك ترى الإنسان اذا فرغ من الجماع اخذه فتور البدن وضعف القوّة و ندم على ما فعل ، و كان رجل من الظّرفاء يقول لوحصل عندى الشاهدان العادلان عند فراغى من الجماع لطلّقت زوجتى للكراهة الحاصلة لى بعد قضاء الوطر منها

الرابع فى خساسة تلك الأحوال انّ العقلاء اذا رأوا رجلاً أكولاً ذمّوه و نسبوه الى طبيعة الحيوانات ، أمّا اذا قلّ الأكل والشّرب عظّموه ونسبوه الى طبيعة الملئكة ،

الخامس انّ اللّذة الحاصلة عند الأكل لذّة ضعيفة جدّاً و كمالها انّما يحصل فى اللّقمة الأولى والثانية عند حصول الجوع الشّديد فاذا فتر الجوع فاتت الرّغبة فضعف الالتذاذ بالأكل ، فثبت انّ زمان حصول هذه اللّذة زمان قليل، ولذا ترى النّاس يقولون ان الله تعالى رفع اللّذة عن أطعمة الاغنياء وودّعها فى أطعمة الفقراء وذلك انّ الاغنياء لايشتدّ جوعهم فلايلتذّون بالطّعام بخلاف الفقراء

السادس انّ هذه اللّذات حقيرة جدا وذلك لأن اللّذات الجسمانية المرغوب فيها

كثيرة جداً والحاصل منها ليس الا القليل ، وذلك يوجب التعب الشديد وذلك لأن الانسان يبصر بعينه جميع ما فى المبصرات واذا أبصر شيئاً فقد يميل طبعه اليه فيصير ذلك سبباً لا شتداد رغبته فى تحصيله؛ و كذلك القول فى القوة السامعة فانها تسمع أشياء كثيرة تميل اليها وتتألم من سماع القبيح

و بالجملة فالقلب بمنزلة المرآة المنصوبة على جدار و كان ذلك الجدار ممراً لأكثر موجودات هذا العالم و كلما مر به شيء ظهر من ذلك الشيء فيه اثر ، فان كان موافقاً لطبعه اليه فان لم يقدر على تحصيله تألم قلبه، فثبت بهذا الطريق ان قلبه لابد و ان يكون أبدا مستغرقا فى الهموم والألام ، واما الفرح فانما يحصل اذا حصل المطلوب و دفع المكروه و ذلك قليل فى جنب كثير ، فثبت ان الغالب على هذا العالم هو الهموم والأحزان ، واما اللذة فقليلة جداً ومن المعلوم ان النادر فى جنب الراجح كالمعدوم بالنسبة الى الموجود ، والذى يؤيد هذا ويؤكده ما روى عنه ﷺ انه راى جابر بن عبدالله وقد تنفس الصعداء فقال يا جابر علام تنفسك أعلى الدنيا ؟ فقال جابر نعم ، فقال يا جابر ملاذ الدنيا سبعة ؟ المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب والمشموم والمسموع ، فألذ المأكولات العسل وهو من فضل الذباب؛ وأجل المشروب الماء و كفى باباحته وسياحته على وجه الارض، وأعلى الملبوسات الديباج و هو من لعاب دودة ، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال فى مبال ؛ و انما يراد أحسن ما فى المرأة لأقبح ما فيها وأعلى المركوبات الخيل وهن قواتل ، وأجل المشمومات المسك و هو دم من سرة دابة وأجل المسموعات الغناء والترنم و هو اثم، فما هذه صفته كيف يتنافس عليه ؛ قال جابر بن عبدالله فوالله ما خطرت الدنيا بعد على قلبى

القسم الثانى الكلام فى اللذات الخيالية وهى لذة الرياسة ونحوها ويدل على خستها أمور

الاول ان كل احد يحب ان يكون هو الرئيس للغير وان يكون كل من سواه تحت قدرته وتحت تصرفه وحكمه ، وذلك لأن كون الانسان قادرا على الغير نافذ التصرف

فيه صفة كمال وصفة الكمال محبوبة لذواتها ، و كونه مقدورا للغير ومحلاً لتصرف الغير صفة النقص وصفة النقص مبغوضة لذاتها، فثبت انّ طبع كلّ أحد يحمله على ان يكون هو الرئيس لغيره وهو المتصرف فى غيره : وان يمنع غيره من ان يكون رئيساً حاكما عليه ، و اذا كان كذلك فالسّاعى فى تحصيل الرّياسة لذلك الانسان المعيّن ليس الاّ ذلك الانسان ، وامّا كل من سواه فانّهم يسعون فى إبطال تلك الرياسة و فى اعدامها و اذا كان كذلك فذلك الانسان الواحد هو السّاعى فى حصول تلك الرياسة ؛ و امّا جميع اهل المشرق والمغرب فكلّهم يسعون فى إبطالها ودفعها و إعدامها ، والمطلوب الذى يقل السّاعى فى تحصيله ويكثر السّاعى فى إبطاله يكون صعب الحصول جدّا ، وكل ما كان كذلك كان السّعى فى طلبه منشأ للهموم والأحزان و كان العقل مانعاً من طلبه وحاكما بوجوب الاحتراز عنه

وامّا اعوان السّلاطين و أشباههم فهم انّما يحبّون الرياسة للسّلطان اذا علموا تعذّر الوصول اليها مع انّ سعيهم انّما هوفى نفع أنفسهم ولأجل طلب الرياسة على غيره

الثانى انّ الرياسة لاتقف على حدّ فقبل الوصول اليها هو فى ألم طلبها فاذا فازبها يكون فى ألم طلب الزيادة عليها حتى ينصرف (ينصرف ظ) عمره فى ألم الطّلب كما هو المشاهد من أحوال الحكّام والسّلاطين

الثالث انّ الشّيء كلّما كان ألذّ كانت الرغبة فى تحصيله أشد (اكثر ظ) وكانت الرغبة فى ازالة العوائق عنها أشدّ و حصول الرياسة للغير من اشدّ الاشياء عايقا عن حصولها فكانت الرغبة فى إبطال ذلك العايق أعظم الرغبات ، فثبت انّ كلّ من رغب فى تحصيل الرياسة فقد رغب النّاس فى قتله و قوى ميلهم الى إفنائه و إبطاله ؛ ومن شاهد أحوال الامراء والملوك عرف انّ الأمر هكذا ، لكن من المعلوم انّ الحياة أصل لجميع النّعم والرياسة فضيلة زايدة ؛ فكلّما كان السّعى فى طلب هذه الفضيلة الزايدة يوجب السّعى فى ابطال الأصل كان باطلا لأنّ كلّ فرع أفضى الى بطلان الأصل كان باطلا

الرابع انّ الانسان إمّا ان يكون افضل من غيره او مساويا له اواقلّ حالا منه فان

كان أفضل من غيره فكونه أفضل حالة مكروهة لذلك الغير فذلك الغير يسعى بكلّ ما يقدر عليه فى إبطال تلك الفضيلة عن الراجح ، فان كان ذلك الرّجحان بصفة قابلة للزوال مثل كونه ملكا حاكما فالأعداء يسعون فى إبطالها و ازالتها بأقصى ما يقدرون عليه ، وان كان ذلك الرّجحان بصفة لايمكن إزالتها مثل العلم فهيهنا للأعداء طريقان

احدهما انّهم ان أمكنهم إخفاء تلك الفضيلة بطريق من الطّرق فعلوه ، وذلك بالقاء الشّبهات فى كلامه وتشويش دلائله

والثانى انّهم ان عجزوا عنه نسبوه الى أنواع القبائح ليصير إتصافه بتلك القبايح والفضايح مانعا من حصول صفة الكمال له والتّجربة يدلّ على انّ الرجل الكامل لابدّ وان يكون مبتلى بهذه الأحوال

وامّا ان كان مساويا لغيره فالوحدانيّة صفة كمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والشّركة صفة نقص والنّقص مكروه لذاته ، واذاثبت هذا فالشّركاء يسعون بأقصى الوجوه فى إبطال الشّركة و اظهار انّه أفضل وأكمل من ذلك الشّخص الذى يعتقد فيه كونه شريكاله ، وذلك السّعى يكون تارة بالقاء الشّبهات فى كونه موصوفا بتلك الفضيلة الّتى فيها وقعت الشّركة ، وتارة با دّعاء كونه موصوفا بصفة من صفات القبح والنّقصان ليصير ذلك مانعا من كون ذلك الغير شريكاله فى الفضيلة ، وامّا اذا كان أدون حالا من غيره فهذا الشّخص لا يلتفت اليه بل الأطباء قالوا انّه متى صار عضو من الأعضاء ضعيفاً فانّ الاعضاء القويّة ترسل اليه جميع الفضلات

الخامس انّ الانسان إمّا ان يكون فى الألم او فى اللّذة او يكون خاليا عنهما ؛ فان كان فى الألم والمضرّة فلا شكّ انّه حالة منفرة مكروهة ، وان كان فى الخيرة و اللّذة فلا شكّ انّه عالم بأنّ احوال هذه الدّنيا غير باقية بل هى سريعة الزّوال مشرفة على الانقراض والانقضاء فكلّما كانت الحالة الّتى يكون الانسان فيها ألذّ و أطيب كان خوف الزوال أشدّ ايلاما للقلب وأعظم تأثيرا فى هذا المعنى ، و امّا ان كان الانسان خاليا عن الألم واللّذة فانّه يكون كالمعطّل الباطل وهذه الحالة مكروهة ، وهذا الوجه

مجرب عند العقلاء وأشارت اليه الشعراء حتى انّ بعضهم طلب أيّام الفراق و كره أيّام الوصال لعدم دوام حالات الزمان واموره

السادس انّ شعور الانسان بالكيفيّات المحسوسة انّما يكون حال حدوثها له امّا حال بقائها فلا شعوربها فاللذات الحاصلة من هذه المحسوسات لا يحصل فى حال الشعور بها وحال حصول الشعور بها ليس الاّ حال حدوثها ينتج انّ الالتذاذ بهذه المحسوسات لا يحصل الاّ حال حدوثها فاذا لم يحصل الالتذاذ فى حال البقاء والطّبع طالب اللذة صار طالباً لشىء آخر فعلى هذا لو انّ الانسان ملك خزائن الارض كلّها فالتذاذه بها لا يكون الاّ حال حدوثه ثمّ عند الفراغ يطلب شيئًا آخر ويحاول تحصيل الزيادة وبسبب ذلك الطّلب والحرص يحصل فى قلبه ألم الشّوق ومضرة الطلب ، فثبت انّ هذا البلاء ممّا لا سبيل الى دفعه

السابع انّ الانسان اذا فتح باب الحرص على نفسه فقد ينتهى ذلك الى ان يصير طالبا للجمع بين الضدّين ومثاله انّ القدرة صفة كمال وهى محبوبة بالذّات والاستغناء عن الغير صفة كمال فتكون محبوبة بالذات ، اذا عرفت هذا فنقول: انّ الرجل اذا مال طبعه الى السخاوة والجود فهذه السّخاوة من حيث إنّها تدلّ على انّ قلبه غير ملتفت الى حبّ المال صارت كأنّها مطلوبة ومن حيث إنّها تقتضى خروج المال من يده وخروج المال عن اليد يوجب نقصانا فى القدرة الحاصلة بسبب المال والنّقصان فى القدرة مكروه صارت السّخاوة من هذه الجهة مكروهة منفرة وجميع الخلق موصوفون بهذه البليّة، ولأجل ميل الطّبع الى حصول المدح والثّناء والتّعظيم يحبّون الجود والسّخاوة ، ولأجل فوت القدرة الحاصلة بسبب ذلك المال يبغضونه ، فلهذا السبب بقى كلّ الخلق فى موقف المعارضة والتّرجيح ، فمنهم من ترجّح عنده ذلك الجانب فيبذل المال ، و منهم من ترجّح عنده الجانب الثانى فيمنع ، ومنهم من بلغ فى الجهالة الى حيث يريد الجمع بين الوجهين فيعد النّاس بالجود والسّخاوة والمروّة والكرم طمعا منه فى انه ربّما فازلهذا المعنى بالمدح والثّناء ثمّ انّه عند حضور الوقت لايفى به فحينئذ يقع فى الفضائح ، و

اذا تأمّلت أحوال أهل الدنيا علمت انّهم بأسرهم داخلون تحت البلاء المتولّد من هذه القضيّة ، امّا فى الكثير منه او القليل

الثامن انّ الانسان امّا ان يسدّ باب الإنعام على الغير وامّا ان لا يسدّه و فى كلّ واحد من هذين الطّرفين آفات كثيرة ، امّا آفات القسم الاول فأمور :

أولها انّ كلّ من اشتهر عند النّاس بالبعد من الخير والنفع أبغضوه ، و كل من صار بغيضا عند الكلّ فوصول الافة اليه أسرع من كلّ شيء

وثانيها انّ النّاس اذا عرفوا منه تلك الصّفة بغضوه ولم يلتفتوا اليه ، وكل من علم من النّاس انّهم انّما ينظرون اليه بعين المقت والازراء فانّه يضيق قلبه و تتألم روحه ، وثالثها انّه اذا لم يظهر منه خير صار كالجماد و كالعدم وهذه حالة منفرة جدّاً

و امّا القسم الثانى فآفاته كثيرة ايضا منها انّ ايصال الخير الى الكلّ محال فلابدّ من ايصاله الى البعض دون البعض وذلك يصيره سبباً للعداوة الشديدة فانّه يقول له لم منعتنى خيرك و أوصلته الى غيرى ، ومنها انّ الذى وصل اليه الخير مرّة يلتذّ بذلك الخير والالتذاذ سبب للتّطلب فيبقى أبدا طامعا فى ذلك الرجل وايصال الخير اليه فى كل حين وساعة متعذر فيصير ذلك سبباً للعداوة الشديدة ، ولهذا قيل إتّق شرّ من احسنت اليه ، ومنها انّ المقدار الذى وصل اليه من الخير يصير معتادا بالوفاء ويصير كالأمر المستحق فيقع فى قلبه طلب الزيادة عليه فيصير ذلك سببا قوياً فى العداوة ، فثبت ان على التّقديرين أعنى باب سدّ الخيرات و فتحها لايسلم الانسان عن الضرر ، وللإشارة الى هذه الأحوال قال صلى الله عليه وآله لقريش لا تسعو النّاس بأموالكم و لكن سعوهم بأخلاقكم

التاسع انّ الانسان امّا أن تفرغ جميع الخلق و يعتزل عنهم و إمّا ان يخالطهم ويصاحبهم و على كلا التقديرين فالضرر لازم ، امّا الاول فلأنّ الانسان مدنىّ الطّبع و مالم يجتمع مع الجمع العظيم فانّ مصالحه لا تنتظم

وامّا الثانى ففى معاشرة النّاس ارتكاب الغيبة والنميمة والرّيا و ساير أسباب مهالك الدّارين ؛ العاشر انّ الانسان إمّا ان يعيش فى الدنيا خاليا عن الزوجة والولد

اومعهما و كل واحد من القسمين سبب لحصول الافات والبليات، اما مع الزوجة والولد فلا يحتاج الى البيان ؛ اما الزوجة وهي كما قال سبحانه لابراهيم عليه السلام ان مثلها كالضلع الاعوج فدعه على إعوجاجه واستمتع به مع ان الافعى التي تكون مع الانسان تلدغه ساعة بعد ساعة أسهل وأخف على الانسان من امرعة السوء، وقال بعضهم انه لا امرأة في الدنيا الا وهي امرأة سوء لكنهن يتفاوتن في مراتب السوء ؛ ونقل اخلاقهن ونمائم أفعالهن يحوج الى تأليف عشرة آلاف كتاب بل أزيد

واما الولد فان كان جيدا كان خوف موته ينغض (ينقض خ) جميع الطيبات ، وان كان رديا تألم القلب عند حياته تألما يزيد على كل الالام والافات ، ومن ذلك روى ان عليا عليه السلام راى رجلا ومعه ولده فقال لاتحبه فانه ان عاش كدك وان مات هدك (١) وان كان خالياً عنهما فمشقته ظاهرة ايضا

الحادي عشر ان هذه الحيوة هل هي طيبة لذيذة في نفسها او ليست كذلك ؛ والقسم الاول باطل لأن الشيء الطيب المستلذ كلما كانت مشاهدته أكثر كان الالتذاذ به أقوى و أكمل فكان يجب ان يكون الانسان الفارغ عن كل الأعمال والأقوال المراقب لمرور الساعات والاوقات عليه حال كونه حيا يعظم التذاذه لذلك لأنه على هذا التقدير يشاهد اللذيذ المشتهى وهذا باطل لأن المعطل عن كل الاعمال يضيق قلبه ولا يمكنه تحمل ذلك ، ولذلك صار الملوك يشغلون أنفسهم بالصيد واللعب حذرا من التعطيل و كذا غيرهم ، وإما ان لايكون الحيوة لذيذة في نفسها فهذا ايضا باطل وذلك لأن كل حيوان يكره الموت ويفر منه واذا تخيل نزول الموت به دفعه على أقوى الوجوه

الثاني عشر ان الانسان اما ان يكون رئيسا على الغير اولا يكون وفي كل واحد من القسمين انواع من الافات ، اما القسم الأول فنقول ان الرياسة انما تكون لذيذة اذا كان أحوال الخدم واقعة على وفق ارادة الرئيس و كلما كان عدد الخدم اكثر كانت إرادات الرئيس أكثر ، و كلما كانت الارادات اكثر كانت الالام الحاصلة بسبب فوت تلك

(١) هدك هدكا البناء : هدمه

المرادات اكثر لكن من المعلوم انّ حصول المرادات الجسمانية أبدا كالممتنع لأنّ أجسام هذا العالم مبنيّة على التغيّر والتبدّل و سرعة الانقضاء فانّها كالزّيبق تتبدّل من حال الى حال ؛ فثبت انه كلّما كانت الرياسة اكثر وأعظم كانت الحسرات والزفرات والغموم والهموم أقوى وأكثر

وامّا القسم الثانى وهو ان لايكون رئيساً فهو (إمّا) ان يكون معطلا محروما و امّا ان يكون خادما ضعيفاً و كلاهما منفران

الثالث عشر انّ حصول الرياسة امّا ان يكون مع العدل او يكون مع الظّلم و كلاهما منفران ، امّا مع العدل فهو متعذر لأنّه يقتضى تسليم الرياسة الى من هو الاحقّ بها، وامّا مع الظّلم فهو موجب لتحقير الدنيا وعذاب الاخرة

الرابع عشر انه لايمكن إجراء الرياسة على الظّاهر الاّ مع الكذب والتّزوير فانّ الرئيس الكامل لوشافه كل أحد بأنّك لاتستحق عندى الا القدر الفلانى من التعظيم وانّك دون فلان وفلان لتشوّشت رياسته واختلّت ولايته بل لابدّ وان يقول لأكثر اصحابه انّك أفضل النّاس وأكمل أصحابى علىّ وعليك اعتمادى و هو يعلم انّ كل هذا القول زور و بهتان

الخامس عشر انّ الرياسة لا تحصل الاّ بالاتفاق الكثير وهو لايمكن الاّ بالمال الكثير ولا ريب فى أنّ تحصيله شاقّ فلو لم يكن للرئيس من المشاق الاّ تعلّق قلبه بتحصيل الأموال الكثيرة وصونها عن اللّصوص والسرّاق لكفى ذلك تعبا و مشقّة فكيف و انه يحتاج الى تحصيل تلك الأموال من غير حلّها فيستحقّ اللّعن ، و كل من أعطاه منها شيئا يستقلّه بالنّظر الى ما يتوقّع منه ؛ فيستحقّ منه الطّعن فتكون حاله دائرة بين اللّعن والطّعن

السادس عشر انّ هذا الرئيس امّا ان يكون حسن المعاشرة طيّب الخلق غير مهيب ، اويكون هناك مهيباً معظماً ، امّا الأول فبأنّه اختلط معهم لم يحتشموه و لم يبق له فى قلوبهم وقع ولا ينقادون له ، وهذا من أسباب زوال الملك ، و امّا الثّانى فانّهم اذا

خافوه ربمّا قصدو اقتله فلا بـد له حنيئذ من التوسط بين الحالتين و هو غير معلوم و مقداره غير مضبوط ، فربما وقع الغلط من الرئيس فى موارده فمن ثم يكون الرئيس دائما فى مقام الخوف

السابع عشر انّ ذلك الرئيس إمّا ان يساوى بين جميع أصحابه فى العطيّة او يفضل بعضهم على بعض وفى كليهما زوال الرياسة كما لايخفى

الثامن عشر حقيقة الرياسة انّ ذلك الرجل يلتزم باصلاح جميع مهمّات الخلق وعقل الانسان لايفى باصلاح مصالح نفسه فكيف يفى باصلاح مهمات الخلق العظيم

القسم الثالث فى اللّذات العقلية الحاصلة بسبب العلوم ، اعلم انّ العلوم إمّا عقليّة وإمّا وضعيّة ، فأما العلوم الوضعيّة فلا ينتفع بها الاّ بسبب مصالح الحياة الجسمانية ، والتّبع لايكون أكمل من الأصل لما قدسبق من خساسة الحياة الجسمانية ومن هنا ترى انّ أكثر العلوم التى ترى الخلق مقبلين عليها علوم خسيسة فانّه لا فايـدة فيها الاّ إعانة المصالح الدنيوية ، وأما العلوم العقلية وهى امّا ان تكون مطلوبة لذاتها اولغيرها الثانى كالمنطق وشرفه مرتب على شرف ذلك الغير ، والاول هو معرفة الا له وهوأشرف العلوم ولكن من ذا الّذى الى عتبة تلك الحضرة العليّة و من ذا الذى شمّ رايحة تلك الحديقة الزاهرة فحاصل العقول كلّها ظنون وخيالات ومنتهى الأمر أوهام و حسبانات

قال الرازى هذه الأشياء المسمّاة بالبراهين لوكانت فى أنفسها براهين لكان كلّ من سمعها و وقف عليها وجب ان يقبلها وان لاينكرها أصلا، وحيث نرى انّ الّذى يسمّيه أحد الخصمين برهانا فانّ الخصم الثانى يسمعه ويعرفه ولا يفيد له ظنّا ضعيفا علمنا انّ هذه الأشياء ليست فى أنفسها براهين بل هى مقدمات ضعيفة انضافت العصبيّة والمحبّة اليها فتخيّل بعضهم كونه برهانا مع انّ الأمر فى نفسه ليس كذلك ؛ وايضا فالمشبّه يحتجّ على القول بالتّشبيه بحجّة ويزعم انّ تلك الحجة أفادته الجزم واليقين ، فامّا ان يقال انّ كلّ واحدة من هاتين الحجّتين صحيحة فحينئذ يلزم صدق النّقيضين و هو باطل ، و إمّا ان يقال إحديهما صحيحة والاخرى فاسدة الاّ انّه متى كان الأمر كذلك كانت

مقدمة واحدة من مقدمات تلك الحجة باطلة فى نفسها مع انّ الذى تمسك بتلك الحجة جزم بصحة تلك المقدمة ابتداءً فهذا يدل على انّ العقل يجزم بصحة الفاسدة جزما إبتداء فاذا كان الامر كذلك كان العقل غير مقبول القول فى البديهيّات ، و اذا كان كذلك فحينئذ تنسدّ جميع الدلائل

فان قالوا العقل انّما جزم بصحة ذلك الفاسد لشبهة متقدمة، فنقول قد حصل فى تلك الشّبهة المتقدمة مقدّمة فاسدة ، فان كان ذلك لشبهة أخرى لزم التّسلسل ، و ان كان ابتداءً فقد توجّه الطّعن، وايضا فانّا نرى الدلايل القوية فى بعض المسايل العقليّة متعارضة مثل مسئلة الجوهر الفرد ؛ فانّا نقول كلّ متحيّز فانّ يمينه غير يساره و كلّما كان كذلك فهو منقسم ، ينتج ان كلّ متحيّز منقسم ثم نقول ألان الحاضر غير منقسم والاّ لم يكن كلّه حاضراً بل بعضه ، واذا كان غير منقسم كان أول عدمه فى آن آخر متصل بآن وجوده فلزم تتالى الأنات و يلزم منه كون الجسم مركّبا من اجزاء لا تتجزّى ، فهذان الدّليلان متعارضان ولا نجد جوابا شافيا عن أحدهما، و نعلم انّ احد الكلامين مشتمل على مقدمة باطلة وقد جزم العقل بصحتها ابداً فصار العقل مطعونا فيه

ثمّ اخذ فى تفصيل هذه الوجوه بكلام طويل فظهر من هذا كلّه انّ اللّذات الحسّية خسيسة واللّذات الخيالية مستحقرة ، واما اللّذات العقلية فلا سبيل الى الوصول اليها والقرب منها والتّعلّق بها (١) على انّا نقول انّ المناقضة فى الاستدلال و فى تعارض

---

(١) و العجب ان المصنف (ره) مع انكاره على اكثر اصحابنا تبعية الفلاسفة على زعمه كما سيأتى و قد تبعهم فى انكارهم اللذات فى الدنيا و انها ليست الا دفع آلام وليست تبعيته منهم الا مقدمة لانكار العقليات كما سيأتى فى كلماته والعجب انه تبع الامام الرازى ايضا فى تشكيكاته فى البديهيات وفى البراهين العقلية وتبعه فى ذلك صاحب الحدائق وماذكره الرازى توهمات و مغالطات فلو ارخينا عنان القلم نحو ردها و بيان تلك التوهمات لطال الكلام ولذا حبسنا القلم على مضض قال أستاذنا الامام كاشف الغطاء قدس سره : العقول هى الحجة الكبرى للخالق على المخلوق وللمخلوق على الخالق وهى ثابتة فى كل زمان ومكان وفى عامة الشرايع والاديان = ذكره رحمه الله فى جملة

الدليلين العقليين يكون موجودا بالنسبته الى الشخص الواحد ، فانا اذا نظرنا فى تحصيل مجهول رتبنا له مقدمات نزعم انها بديهية؛ فلما نظرنا فى تلك المقدمات و حصل عقيب ذلك النظر اعتقاد سمينا ذلك الاعتقاد علما ، ثم ينكشف لنا بعده بطلان ذلك الاعتقاد و فساده مع ترتب ذلك الاعتقاد على المقدمات التى كانت بزعمنا بديهية ، فعلم من هذا ان حال غير نافى الاستدلال مثل حالنا ، والغلط الذى عرض لنا يعرض لغيرنا فكيف يحصل لنا الجزم من تلك الحجج و البراهين اذا عرفت هذا كله

فاعلم ان هيهنا بحث شريف حققناه فى شرحنا على تهذيب الحديث ولا بأس بالاشارة هنا ايضا الى مجمله(١) وحاصله ان اكثر الاصحاب قد تبعوا جماعة من مخالفينا من أهل الرأى والقياس و من أهل علم الطبيعة و الفلاسفة و غيرهم من الذين اعتمدوا على العقول و استدلالاتها وطرحوا ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام حيث لم يأت على وفق عقولهم ، حتى انه

☆ كلام له فى كتابه (الجنة المأوى) الذى شرعنا بجمع مواده وترتيبه وتبويبه امتثالا لامره بذلك قبل وفاته بزمن يسير على ما شرحنا تفصيل ذلك فى مقدمته و نسأل الله تعالى ان يوفقنا لطبعه ونشره فى القريب العاجل ان شاء الله تعالى

(١) كل ما ذكره المصنف (ره) فى هذا المقام مبنى على مذاقه الاخبارى و ما ذهب اليه من مسلك الجمود وتحامله على اكثر الاصحاب (رض) انهم تبعوا جماعة من مخالفينا من أهل الرأى والقياس و الفلاسفة جرأة عظيمة وتجاسر على كبراء الدين والملة وعزل للعقل عن سلطانه كما فى بعض المذاهب الفاسدة حيث لايرون للعقل وقعا

والعجب ان الاخباريين لاينكرون ادراك العقل للحسن والقبح كالاشاعرة ولكن ينكرون اطاعة العقل و وجوب متابعته وهذا امر غير معقول لان امتثال الاوامر اللفظية لايجب الا بحكم العقل

وما ذكره من تعارض الدليلين العقليين او العقلى والنقلى الى آخر ما ذكره فقد حقق الشيخ الامام الانصارى (ره) هذه المباحث فى الرسائل فراجع

واما ما ذكره المحقق الخراسانى (ره) فى الكفاية من ان ما نسب الى الاخباريين انه لا اعتبار عندهم بمقدمات عقلية نسبة كاذبة وان كلماتهم اما فى مقام منع قاعدة الملازمة بين حكم العقل والشرع واما فى مقام عدم جواز الاعتماد على المقدمات العقلية ☆

نقل انّ عیسی علیه السلام لمّادعی أفلاطون (۱) الی التصدیق بما جاء به أجاب بأنّ عیسی رسول الی ضعفاء العقول و أمّا أنا وأمثالی فلسنانحتاج فی المعرفة الی إرسال الانبیاء، والحاصل أنّهم ما أعتمدوا فی شیء من أمورهم الاّ علی العقل فتابعهم بعض اصحابنا وان لم یعترفوا بالمتابعة ؛ فقالوا انّهاذا تعارض الدّلیل العقلی و النّقلی طرحنا النّقلی او تأوّلناه الی ما یرجع الی العقل ، ومن هنا تراهم فی مسایل الاصول یذهبون الی أشیاء کثیرة قدقامت الدّلائل النّقلیّة علی خلافها لوجود ما تخیّلوا انّه دلیل عقلی کقولهم بنفی الإحباط

✽ لانها لا تفید الا الظن فهو ادعاء یمکن صحته بالنسبة الی بعض کلمات السیدالصدر والمحدث الاسترآبادی (ره) واما بالنسبة الی کلمات المصنف (ره) والمحدث البحرانی (ره) فی مقدمات الحدائق حیث نقل فی المقدمة العاشرة کلام المصنف (ره) من هذا الکتاب فغیر صحیح(= انظر الحدائق ج ۱ ص ۱۲۷ ط النجف) فان کلماتهما ظاهرة فیما نسبه الشیخ الامام الانصاری (ره) فی الرسائل الی الاخباریین من انه لا اعتبار عندهم بمقدمات عقلیة فلاحظ تجد صدق ما قلناه

واضف الی ذلك ان قاعدة الملازمة محققة و کلمات الاخباریین و آرائهم فی هذه المباحث مختلفة وتفصیل الکلام فی اصول الفقه و اما ما ذکره المصنف ره من الطعن علی مسائل الاصول فکلام شعری لانطیل البحث بدحضه مع وضوح المطلب فی هذا العصر فی محله

(۱) ولد افلاطون الفیلسوف (پلاطن) فی سنة (٤٣٠) قبل المیلاد وتوفی سنة (٣٤٨) او ٣٤٧) قبل المیلاد فکیف یمکن وقوع تلك القصة بینه وبین المسیح (ع) والعجب من هؤلاء الاخباریین کیف یعتمدون علی هذه القصص الواهیة التی لم یعلم مستندها

و رأیت فی بعض المواضع من مصنفات المحدثین نسبة هذه القصة الی جالینوس وهو ولد سنة (۲۳۱) من المیلاد وتوفی سنة (۲۰۰) بعد المیلاد وقال المسعودی (کان جالینوس بعد المسیح (ع) بنحومأتی سنة) = وقیل ظهرامره فی سنة (۲٥٠) بعدالمیلاد فلاشك انه کان بعد المسیح (ع) وقول بعض انه کان معاصرا معه (ع) غیر صحیح انظر مطرح الانظار لفیلسوف الدولة التبریزی (ره) ج ۱ ص ۲۱۲ و ۳۲۰ وقاموس الاعلام ج ۲ ص ۱۰۰٤ و ج ۳ ص ۱۷٥٦ ط ترکیه = وغیرها

فى العمل تعويلا على ما ذكروه فى محله من مقدمات لاتفيد ظناً فضلا عن العلم، وسنذكرها ان شاء الله تعالى فى أنوار القيمة مع وجود الدلائل من الكتاب والسنّة على انّ الاحباط الذى هو الموازنة بين الاعمال وإسقاط المتقابلين وإبقاء الرّجحان حقّ لاشكّ فيه ولاريب يعتريه؛ ومثل قولهم انّ النّبى صلى الله عليه وآله لم يحصل له الاسهاء من الله تعالى فى صلوة قطّ تعويلا على مـا قالوه من انّه لو جاز منه السّهو فى الصلوة لجاز عليه فى الأحكام مع وجود الدلايل الكثيرة من الاحاديث الّصحاح والحسان والموثّقات والّضعفاء والمجاهيل (١) على حصول مثل هذا الاسهاء ، وعلل فى تلك الروايات بأنّه رحمة للأمّة لئلاّ يعير النّاس بعضهم بعضا بالسّهو، و سنحقّق هـذه المسئلة فى نور من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى الى غير ذلك من مسائل الاصول

و امّا مسائل الفروع فمـدارهم على طرح الدّلائل النّقليّة و القول بما أدّت اليه الاستحسانات العقليّة ، واذا عملوا بالدلائل النّقليّة يذكرون اولا الدلائل العقليّة ثم يجعلون دليل النّقل مؤيدا لها وعاضداً ايّاها ، فيكون المدار والأصل انّما هو العقل وهذا منظور فيه لأنّا نسألهم عن معنى الدّليل الذى جعلوه أصلا فى الاصولين وفى الفروع فنقول ان أردتم به ما كان مقبولا عند عامّة العقول فلا يثبت ولا يبقى لكم دليل عقلىّ ، و ذلك

---

(١) الاحاديث التى اشار اليها المصنف (ره) لايمكن التعويل اليها لمخالفتها لاجماع الشيعة الامامية بل لضرورة مذهبهم مع شذوذ تلك الاخبار و موافقتها لمذاهب العامة ومخالفتها للايات القرآنية والاخبار الصحيحة الدالة على نفى السهو والشك والنسيان عن النبى (ص) والامام (ع) مضافاً الى الوجوه الكثيرة الدالة على بطلان هذا القول ولا مجال فى المقام لذكرها منها انه لوجاز السهو على النبى (ص) لزم نقض الغرض فانه لم يوثق بشيء من اقوال النبى (ص) وافعاله مطلقا . ليت شعرى ان المصنف (ره) كيف يعول على تلك الاخبار الدالة على سهو النبى (ص) المحمولة على التقية و لكن يترك الاخبار الصحيحة الدالة على نفى السهو الموافقة لدلائل العقل

و نعم ما قال بعض الاكابر (ره) عند قول الشيخ الصدوق (ره) : اول درجة الغلو نفى السهو عن النبى (ص) ماهذالفظه : اول درجة انكار النبوة اثبات السهو على النبى (ص) انظر كم فرق بين النظرين ؟

كما تحققت من انّ العقول مختلفة فى مراتب الادراك وليس لها حدّ تقف عنده ، فمن ثم ترى كلاّ من اللاحقين تتكلّم علي دلائل السّابقين وينقضه ويأتى بدلائل أخرى على ما ذهب اليه ، ولذلك لاترى دليلا واحدا مقبولا عند عامّة العقلاء والأفاضل وان كان المطلوب متحدا ؛ فانّ جماعة من المحقّقين قد اعترفوا بأنّه لم يتمّ دليل من الدّلائل على إثبات الواجب ، وذلك انّ الدّلائل التى ذكروها مبنيّة على بطلان التّسلسل و لم يتمّ برهان على بطلانه (١) فاذا لم يتمّ دليل على هذا المطلب الجليل الذى توجّهت الى الاستدلال عليه كافّة الخلائق فكيف يتمّ على غيره ممّا توجّهت اليه آحاد المحقّقين وان كان المراد به ما كان مقبولا بزعم المستدل به وإعتقاده فلا يجوز لنا تكفير الحكماء والزنادقة ولا تفسيق المعتزلة والاشاعرة ولا الطّعن على من ذهب الى مذهب يخالف ما نحن عليه ، وذلك انّ اهل كلّ مذهب استندوا فى تقوية ذلك المذهب الى دلائل كثيرة من العقل و كانت مقبولة فى عقولهم معلومة لهم ولم يعارضها سوى دلايل العقل لأهل القول الأخر او دلائل النّقل و كلاهما لايصلح للمعارضة على ما قلتم لأنّ الدليل النّقلى يجب امّا تأويله او طرحه و دليل العقل لهذا الشخص لا يكون حجة على غيره لأنّ عنده مثله ويجب عليه العمل بذاك ، مع انّ الأصحاب رضوان الله عليهم ذهبوا الى تكفير الفلاسفة ومن يحذوحذوهم و تفسيق اكثر طوائف الاسلام ، وما ذاك الالأنّهم لم يقبلوا منهم تلك الدلائل ولم يعدوها من دلائل العقل

فان قلت فعلى ما ذكرت من عدم الاعتماد على الدليل العقلى فلايكون معتبرا

---

(١) ليت شعرى اى برهان لم يتم على بطلان التسلسل ؟ فلو فرضنا انه لم يتم دليل عقلى على اثبات الواجب فبأى دليل يستدل المصنف (ره) وامثاله على اثبات الصانع والحق ان كلمات المصنف (ره) فى المقام بأسرها فى غاية السقوط

ولا يخفى على القارى العزيز ان طريقة الاخباريين من علمائنا مأخوذة من مسلك الظاهريين من حشوية العامة كما هو غير خفى على من لاحظ آرائهم وقد دحض شبهاتهم الوحيد البهبهانى (ره) فى مصنفاته الممتعة والشيخ الاكبر كاشف الغطاء (ره) ايضا فى تصانيفه الثمينة ولاسيما فى كتابه (الحق المبين) المطبوع فراجع

بوجه من الوجوه ، قلت بل الدّليل العقلى ينبغى تقسيمه الى أقسام ثلثة :

الاول ما كان بديهيّاً ظاهرا فى البداهة ولا يعارضه آخر مثل الواحد نصف الاثنين وما فى درجته من البديهيّات

الثانى ما كان دليلا عقليّا عارضه نقلى الاّ انّ ذلك العقلىّ قدتعاضد مع نقلىّ آخر فهذا ايضا يترجّح على الدّليل النّقلى عند التّعارض ولكن التّعارض فى الحقيقة انّما هو بين النّقليّات، وذلك كمادلّ الدليل العقلىّ على انّه تعالى ليس فى مكان ، ودلّ قوله تعالى ألرّحمن على العرش استوى ، على المكان ظاهراً فيجب ترجيح ذلك العقلى لتأيّده بالنّقليّات الدالة على انّه تعالى منزّه عن الكون والمكان

الثالث ما تعارض فيه محض العقل والنّقل من غير تأيّد بالنّقل فهذا لاترجّح فيه العقل بل نعمل بالنّقل ولا تستغرب مثل هذا فانّه مدلول الأخبار الصّحيحة الصّريحة فيه ، وذلك انّهم عليهم السلام قدنهوا عن الاعتماد على العقول لأنّها ضعيفة لاتدرك الأحكام ولا عللها وما حصل محققوا اصحابنا رضوان الله عليهم دلائلهم العقليّة الاّ بسبب ورود النّقل بمضمونها فأيّدوا النقل بذلك الدليل لكنّهم فى كثير من المواضع يهملون مثل هذا ويعوّلون على العقل و يطرحون النّقل لأجله ، و الحاصل انّ لذات الدّنيا هذه كلّها خيالات ، ولذا قال الرازى

نهاية أقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وارواحنا فى وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقال
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

فهذه أحوال لذّات الدنيا المحلّلة وامّا لذّاتها المحرمة فعليها عقاب الدارين

وامّا الزّنا فقد تقدّم بعض احواله ، و روى عن الباقر عليه السلام انّه قال لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولا يسرق السّارق وهو مؤمن ، ومعناه في حديث آخر انّ روح الايمان

تفارقه مادام على بطن المرأة فاذا قام من بطنها رجعت اليه ؛ و امـّا وباله الراجع اليه فهو انّ الزّانى على ما روى انـّه لايزنى الاّ وقد زنى به او يزنى به و ان زنى بأولاد النّاس ولاط بهم زنى بأولاده وليط بهم ، وان زنى بنساء الناس زنى بامرأته

روى انـّه كان فى زمن داود عليه السلام رجل فاسق ؛ فأتى يوماً الى إمرأة فجبرها على الزّنا فلمّا قعد على بطنها ألهمت تلك المرأة ان قالت لـه أنت تزنى بى و فى هذه السّاعة رجل يزنى بامرأتك ، فقام ومضى الى بيته فراى رجلا يزنى بامرأته فاخذه الى داود عليه السلام وحكى له انـّه كان يزنى بامرأته فأوحى الله تعالى اليه يا داود قل له كما تدين تدان شعر

كما يدين الفتى يوماً يدان به من يزرع الثّوم لم يحصد ريحانا

وذلك كلّه مع النّدامة الّتى يلحقه بعد الفراغ من الزّنا ان كان له شيء من الايمان

وامـّا الخمر و ما ورد فيه من الوعيد فى الكتاب و السنّة فهو كثير حتى انّ الله تعالى قرن الخمر بعبادة الصّنم ، فقال انـّما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشّيطان فاجتنبوه؛ وفى الحديث انّ شارب الخمر كعابد الوثن ؛ وقال عليه السلام لعن الله الخمر وغارسها و ساقيها وعاصرها وحاملها والمحمولة اليه ومشتريها وبايعها وآكل ثمنها

وعن امير المؤمنين عليه السلام لو انّ قطرة من الخمر قطرت فى بئر ونزح ماء من ذلك البئر وسقى به أرض فأنبتت حشيشا ويبس ذلك الحشيش ، ثم انّ شاة رعت من ذلك الحشيش فاختلط فيه قطيع غنم و اشتبهت ثمّ ذبحت تلك الشّياه كلّها لم آكل من لحومها شيئا وقال عليه السلام لاتجالسوا شارب الخمر ولا تزوّجوه ولا تزوّجوا اليه ، وان مرض فلاتعودوه وان مات فلا تشيّعوه ، وان شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودّا وجهه مزرقة عيناه ، مائلا اشدقه سائلا لعابه ، دالعاً لسانه من قفاه

و قال صلى الله عليه وآله من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلايجلس على مائدة يشرب عليها الخمر ، و قد روى ايضا تحريم النظر الى الخمر ، ولكونـه من الخبائث المحرّمة ورد

عنه عليه السلام انّ من ترك شرب الخمر لغير وجه الله تعالى بل حفظا لبدنه او عرضه سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم ، مع انّ الذنوب لايثاب عليها تاركها الاّ اذا كان التّرك لوجه الله تعالى

و اعلم انّه على مـا يحكى عنه شاربوه من ان فيه النّتن والعفونة ، وانّ الجرعة عنه اذا وصلت الى الحلقوم وانتهت الى الجوف تكون كجرّة السكّين من الحلق الى الجوف لو كان حلالا لما شربه أحد مع هذه الاوصاف الّتى عدّوهـا فيه؛ لكن الشّيطان يقوى عزائم أوليائه، مع ما روى من قوله عليه السلام من بات سكرانابات عروساً للشّيطان فمن كان الشّيطان يلوط به فيا سوء حاله وياحزن باله

وامّا السّرقةفالمهانة المرتبة عليها ظاهرة ، حتى انّ اليد الّتى قيمتها خمسمأة دينار قد أذلّها الله سبحانه فى باب السّرقـة حتى انـه أمر بقطعها بربع الدنيا ، فقال المعرى شعرا ، (١) معترضا به على الحكمة الإلهيّة و ذلك انـّه قيل فيه الزّندقة

يد بخمس مئين عسجد فديت ما بالها قطعت فى ربع دينار -

فأجابه المرتضى طيّب الله ثراه

حراسةالنفس(عز الامانةخ)اغلاهاوأرخصها خيانةالمال (ذل الخيانةخ)فافهمحكمةالبارى

وحكى انّ رجلا أخرج من السّجن فى رجله قيد وهويسأل الناس ، فقالالانسان

---

(١) ابوالعلاء احمدبن عبدالله بـن سليمان بن محمدبن سليمان المعرى ولد بمعرة النعمان فىعام (٣٦٣) ﻫ وتوفى عام (٤٤٩) و البيت الاول كما صرح هو نفسهفى كتابه (لزوم ما لايلزم) هو هذا البيت :

تناقض ما لنا الا السكوت به وان نعوذ بمولانا من النار

ثم يقول

يد بخمس مئين الخ فما فى بعض الكتب ان البيت الاول

هو قوله :

يد بخمس الخ لاوجه له = انظر لزوم ما لايلزم ج ١ ص ٣٩١ ط ٢ مصرسنه (١٣٤٨) ﻫ ق

أعطني كسوة خبز، فقال لوقنعت بالكسرة لماوضع القيد فى رجلك، وأمثال هذه المعاصى هى فخوخ (١) الشيطان ومصائده

كما روى انّ ابليس كان يأتى الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم الى ان بعث الله المسيح يتحدّث عندهم ويسائلهم ولم يكن بأحد منهم أشدّ أنساً منه بيحيى بن ذكريا عليه السلام فقال له يحيى يا ابامرة أحب انّ تعرض علىّ مصايدك وفخوخك التى تصايد (تصطادخ) بها بنى آدم، فقال له ابليس حبّا وكرامة وواعده لغد، فلمّا أصبح يحيى عليه السلام قعد فى بيته ينتظر الموعد و أغلق عليه اغلاقا فما شعر حتى أتى اليه من خوخة (٢) كانت فى بيته، فاذاً وجهه صورة وجه القردة، وجسده على صورة الخنزير ؛ واذا عيناه مشقوقتان طولا وفمه مشقوق طولا، واذا أسنانه عظم واحد بلاذقن ولا لحية، وله اربعة أيد: يدان فى صدره، ويدان فى منكبه واذا عراقيبه (٣) قوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء وقد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، اذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة، واذاً فى البيضة حديدة معلّقة شبيهة بالكلاب، فلمّا تأمّله يحيى عليه السلام قال له ما هذه المنطقة الّتى فى وسطك؟ فقال هذه المجوسيّة الّتى سننتها وزيّنتها لهم، فقال له ماهذه الخيوط الألوان؟ قال هذه أصباغ النساء لاتزال المرأة تصبغ الّصبغ حتى تقع مع لونها فيفتتن الناس بها، فقال له فما هذا الجرس الذى بيدك؟ قال مجمع كلّ لذة من طنبور وبربط ومعرفة وطبل و ناى وصرناى؛ وانّ القوم ليجلسون على شرابهم فلايستلذّونه فأحرّك الجرس فيما بينهم فاذا سمعوه استخفهم الطرب، فمن بين من يرقص، ومن يفرقع أصابعه ومن بين من يشقّ ثيابه

فقال وأىّ الأشياء أقرّ لعينك؟ قال النساء هنّ فخوخى و مصائدى فانّى اذا اجتمعت علىّ دعوات الّصالحين ولعناتهم صرت الى النساء فطاب نفسى بهنّ فقال له يحيى

---

(١) الفخ الة يصاد بها جمع فخاخ و فخوخ ويقال : وثب فلان من فخ الشيطان اى تاب

(٢) الخوخة كوة تؤدى الضوء الى البيت . الباب الصغير فى الباب الكبير

(٣) العرقوب عصب غليظ فوق العقب . ج عراقيب

عليه السلام فما هذه البيضة التى على رأسك ؟ قال بها أتوقى دعوة المؤمنين ، قال فما هذه الحديدة التى أرى فيها ؟ قال بهذه أقلب قلوب الصالحين ، قال يحيى عليه السلام فهل ظفرت بى ساعة قط ؟ قال لا ولكن فيك خصلة تعجبنى ، قال يحيى فما هى ؟ قال انت رجل أكول فاذا أفطرت أكلت و شبعت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل ؛ قال يحيى عليه السلام فانى أعطى الله عهدا انى لاأشبع من الطعام حتى ألقاه ، قال له ابليس وانا أعطى الله عهدا انى لا أنصح مسلما حتى ألقاه : ثم خرج فما عاد اليه بعد ذلك فهذه فخوخه

واما دواء جراحاته فروى الفضل بن شاذان فى تفسير مولانا الحسن العسكرى عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الافا ذكروا يا امة محمد محمدا وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصرالله به ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم ؛ فان كل واحدمنكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته ، وملك عن يساره يكتب سيئاته ، ومعه شيطانان من عندابليس يغويانه ، فمن يجد منكم وسواسا فى قلبه وذكرو قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين خنس (١) الشيطانان فأتيا الى ابليس فشكواه وقالا له قد أعيانا أمره فامددنا بالمردة ، فلا يزال يمدهما بألف مارد ، فيأتونه فكلما راموه وذكر الله وصلى على محمد واله الطيبين لم يجدوا عليه طريقا ولا منفذا قالوا لابليس ليس له غير انك تباشره بجنودك فتغلبه وتغويه ، فيقصد ابليس بجنوده ؛ فيقول الله تعالى للملائكة هذا ابليس قدقصد عبدى فلانا او أمتى فلانة بجنوده فقابلوه ، فيقابلهم بازاء كل شيطان رجيم منهم مائة الف ملك و هم على أفراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار وقسى ونشاشيب وسكاكين واسلحتهم من نار ، فلايزالون يخرجونهم ويقتلونهم بها ويأسرون ابليس فيضعون عليه الأسلحة ، فيقول يا رب وعدك وعدك قد أجلتنى الى يوم الوقت المعلوم ، فيقول الله عزوجل للملئكة وعدته لا أميته ولم أعدهان لا أسلط عليه السلاح و العذاب و الالام اشتفوا منه ضربا بأسلحتكم فانى لا أميته ؛

(١) خنس عنه تأخر وتنحى وانقبض

فيثخنونه بالجراحات ثمّ يدعونه فلايزال سخين العين على نفسه واولاده المقتلين (المتقدمين خ) ولايندمل شيء من جراحاته الاّ بسماع أصوات المشركين بكفرهم ، وان بقى على طاعة الله وذكره والصلاة على محمّد واله بقى على ابليس تلك الجراحات ، وان زال العبد عن ذلك وانهمك فى مخالفة الله عز وجل ومعاصيه اندملت جراحات ابليس ، ثمّ قوى على ذلك العبد حتى يلجمه و يسرجه على ظهره ويركبه ثمّ ينزل عنه و يقول ظهره لنا الان متى أردنا نركبه ، وهذا الملعون قد تصدّى لإضلال المؤمنين فى بلدانهم قبل خلقهم

روى الصدوق ره باسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسرى بى الى السماء حملنى جبرئيل عليه السلام على كتفه الايمن فنظرت الى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لونا من الزعفران ، أطيب ريحا من المسك ، فاذاً فيها شيخ على رأسه برنس ، فقلت لجبرئيل ما هذه البقعة الحمراء ؟ قال بقعة شيعتك وشيعة وصيّك علىّ ؛ فقلت من الشيخ صاحب البرنس؟ قال ابليس ، قلت فمايريد منهم ؛ قال يريد أن يصدّهم عن ولاية اميرالمؤمنين عليه السلام و يدعوهم الى الفسق والفجور ، فقلت يا جبرئيل أهوبنا اليهم ، فأهوى بنا اليهم أسرع من البرق الخاطف ، فقلت قم يا ملعون فشارك أعدائهم فى أموالهم و اولادهم و نسائهم فانّ شيعتى وشيعة علىّ ليس لك عليهم سلطان فسمّيت تلك البلاد قم لذلك

وقوله صلى الله عليه وآله ليس لك عليهم سلطان يعنى به التسلّط الذى يخرجهم به من الايمان الى الكفر كماهو حاله مع غيرهم ، وامّا ايقاعهم فى المعاصى فلا يقال له سلطان و ذلك لأنّهم يتدار كونه بأمور كثيرة

كما روى انّ رجلا أتى الصادق عليه السلام فقال له انّ جماعة من مواليك و شيعتك قد انهمكوا فى المعاصى فما حالهم فى القيامة ؛ فقال عليه السلام يتوبون بعد المعصية فيغفر الله لهم ، فقال ربّما لم يتوبوا ، فقال انّ الله سبحانه يبتليهم بالاوجاع والأمراض و نقص من الأموال و الأولاد ليكون كفّارة لذنوبهم ، فقال الرجل ربّما لم يبتلوا بهذه ، فقال لعلّهم يبتلون بسلطان جائر يؤذيهم فيكون كفّارة لذنوبهم، فقال ربّما لم يكن ذلك قال عليه السلام فان لم يكن ذلك إبتلوا بجار يؤذيهم فيكون كفارة لذنوبهم ، قال ربّما لم يكن

ذاك : قال ان لم يكن ذلك فقد يبتلون بامرأة سوء تؤذيهم فيكون ايذاء تلك الزّوجة كفارة لذنوبهم ، فقال ربّما لم يكن ذلك فغضب عليه السلام ، فقال اذا لم يكن واحد من هذا كلّه أدركتهم شفاعتنا وينجيهم من أهوال القيامة رغما على أنفك

أقول ما أدري ما يقول النّاظر في هذه المكفّرات للذنوب من انّ ايّها أعظم مصيبة على الانسان، قال بعض المحقّقين أشدّ هؤلاء هو زوجة السّوء أخت الشّيطان و أمّه ، ولمّا أتى جبرئيل عليه السلام الى لوط لعذاب أمّته وصنعت امرأة لوط ماصنعت من إخبار فسّاق أمّته بأنّ عند لوط ضيفانا ، قال جبرئيل له يا لوط انت نبيّ فكيف يكون هذه امرأتك؟ فقال له لوط عليه السلام يا جبرئيل انّ الله سبحانه أوحى الىّ ان يا لوط لابدّ لكلّ واحد من أوليائي من شخص يؤذيه في الدنيا لرفع درجاته في الجنّة فاختر من شئت، فاخترت ان يكون المؤذي لي زوجتي ، واختياره عليه السلام لها اشارة الى ما قلناه من انّها أعظم مصيبة من كلّ المصائب ولهذا اختارها لوط عليه السلام لأنّ الأنبياء لا يختارون الاّ ما كان اكثر ثوابا وأشقّ وأشدّ من غيره فلو كان هناك مصيبة اوهائلة تعادلها لطلبها لوط عليه السلام ، و هكذا وقع مثل هذا لنوح عليه السلام حتى ضرب الله سبحانه مثل تلك المرأتين في القرآن إشارة الى هاتين المرأتين وهما زوجتا نبيّنا صلى الله عليه وآله فقد صنعتا صنعاً يزيد على صنع المرأتين الأولتين ، لقوله صلى الله عليه وآله يجري في هذه الأمّة ماجرى في الامم السّابقة حذو النّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة

وفي الروايات عن علي عليه السلام قال كنت جالسا عند الكعبة فاذا شيخ محدودب ، فقال يا رسول الله أدع لي بالمغفرة ، فقال النّبي صلى الله عليه وآله خاب سعيك ياشيخ وضلّ عملك قال علي عليه السلام فلمّا ولّى قلت يا رسول الله من هذا ؟ فال ابليس لعنه الله ، فعدوت خلفه حتّى لحقته وصرعته الى الارض وجلست على صدره ، ووضعت يدي على حلقه لأخنقه ، فقال لي لاتفعل يا ابا الحسن فانّي من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، والله يا عليّ لأحبّك جدا وما أبغضك أحد الاّ شركت أباه في أمّه فصار ولدزنا ، فضحكت وخلّيت سبيله ، هذا كان دأب الشيطان في التّردد الى الأنبياء عليهم السلام وسؤالاتهم

روى الصدوق قدس الله روحه باسناده الى الصادق عليه السلام قال انّ ابليس قال لعيسى بن مريم عليه السلام أيقدر ربّك على ان يدخل الارض بيضة لا تصغر الارض ولا تكبر البيضة؟ فقال عيسى عليه السلام ويلك انّ الله لا يوصف بالعجز و من أقدر ممّن يلطف الارض و يعظم البيضة ، وهذا الحديث يبيّن معنى الحديث الّذى رواه الكلينى ره عن محمّد بن اسحق قال انّ عبدالله الدّيصانى سأل هشام بن الحكم فقال له ألـك ربّ؟ فقال بلى؛ قال أقادر هو ؟ قال نعم قادر قاهر ، قال يقدر ان يدخل الدنيا كلها البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدّنيا ؟ قال هشام النّظرة فقال له قد أنظرتك حولا ؛ ثم خرج عنه فركب هشام الى ابى عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فاذن له ، فقال له يا ابن رسول الله أتانى عبدالله الديصانى بمسئلة ليس المعوّل فيها الاّ على الله و عليك ؛ فقال لـه ابو عبدالله عليه السلام عمّا ذا سألك قال فقال لى كيت و كيت ، فقال ابو عبدالله عليه السلام يا هشام كم حواسّك ؟ قال خمس قال أيّها أصغر قال الناظر؛ قال و كم قدر الناظر؟ قال مثل العدسة اواقل منها ، فقال يا هشام فانظر أمامك وفوقك واخبرنى بما ترى ؟ فقال أرى سماءً وأرضا ودور او قصورا و برارى وجبالا وأنهارا، فقال له ابوعبدالله عليه السلام انّ الذى قدر أن يدخل الذى تراه العدسة او اقل منها قادر ان يدخل الدنيا كلّها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة ، فأكبّ هشام عليه وقبّل رأسه ورجليه وقال حسبى يابن رسول الله وانصرف الى منزله ، وبمضمون الحديث الاول روى عن الصادق عليه السلام قال قيل لأمير المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربّك ان يدخل الدنيا فى بيضة من غير ان تصغر الدنيا اوتكبر البيضة ، قال انّ الله تبارك وتعالى لا ينسب الى العجز والذى سألت لايكون

وروى البزنطى عن الرضا عليه السلام قال سأله رجل هل يقدر ربّك ان يجعل السّموات والأرض وما بينهما فى بيضة ؟ فقال نعم وفى اصغر من البيضة ؛ وقد جعلها فى عينك وهى أقل من البيضة لأنّك اذا فتحتها عاينت السّماء والأرض و ما بينهما ولو شاء لأعماك عنها

أقول حديث عيسى وحديث امير المؤمنين عليه السلام يدلاّن على انّ مثل هذا لايكون

وهذا لا يقدح فى القدرة الكاملة ، وذلك انه محال فى نفسه فلا حظ له من الشيئية التى إتصف سبحانه بأنه على كل شيء قدير ، وقد قرر المحققون ان شرط صدور الاثر قدرة الفاعل وقابلية الأثر للصدور والأمور المحالة لا قابلية لها فالنقص انما هوفيها لافى القدرة لأن الأثر مالم يكن ممكنا لم يدخل فى حيز الوجود ، ألاترى انه تعالى لم يتصف بالقدرة على خلق الشريك لعدم قابلية الشريك لأن يدخل فى عالم الموجودات و كذلك انه تعالى لا يكذب ولا يظلم وليس هو لعدم القدرة بل لعدم قابليتها للصدور فهذا محال بالنظر الى الغير ومانحن فيه محال بالنظر الى نفسه والى هذا أشار عيسى بن مريم عليه السلام بقوله من أقدر ممن يلطف الأرض آه ، يعنى ان تلطيف الأرض وترقيقها حتى تدخل فى البيضة وان كان امراً عظيماً لكنه لما اتصف بالامكان جرى تحت القدرة الكاملة (١) واما حديث الصادق والرضا عليهما السلام فيمكن حملهما على وجوه

الأول ان الائمة عليهم السلام قدأوتوا جوامع الكلم وتكليم الناس على قدر عقولهم وإجابة السائل بما يرضيه ومصلحة الاحوال ؛ ولما كان صلاح الحال والوقت إقتضى الجواب الاقناعى لأنه يرضى الخصم ويكسر شبهته أجابا عليهما السلام به ، ولو قالا لا يكون ما سئلت لبقى السائل على عناده كما هو المعتاد فى هذه الاعصار

الثانى ان الديصانى سئل عن الادخال من غير التفات الى إدخال عين الكبير او صورته ، فأجابا عليهما السلام بأن لهذا النحو من الادخال مصداقا و هو إدخال الصورة المحسوسة المقدرة بالمقدار الكبير بنحو الوجود الظلى فى الحاسة ؛ ولا إستحالة فيه اذ كون الصورة الكبيرة فيها بالوجود الظلى لايوجب اتصافها بالمقدار الكبير ، ولما كان منظور السائل ما يشمل هذا النحو من الادخال لم يقل بعد ما سمع الجواب مرادى الادخال العينى

الثالث ما قيل ان المراد ان من قدر على هذا الادخال قدر على ذلك الادخال لأنه من بابه فيكون حكاية العدسة من باب التنظير و هو بعيد لعدم موافقته لحديثى عيسى

(١) ذكرنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب بحثا شريفاً حول هذه المسألة و ذكرنا ما هوالتحقيق فيها انظر ج ١ ص ٢٠٨ = ٢١١ من هذا الكـ

واميرالمؤمنين عليه السلام الا بارتكاب تكلف فى معنى قول امير المؤمنين عليه السلام والذى سئلت لايكون بأن يكون بمعنى يوجد، يعنى ان الذى سئلت عنه وان كان ممكنا لكنه لايوجد اذ ليس كل ممكن يدخل فى حيز الوجود، لما عرفت وهذه المسئلة تسمى المسئلة الشيطانية و ذلك ان الشيطان أول من اخترعها لامتحان الانبياء عليهم السلام ، وحاشا حجج الله سبحانه عن العجز والافحام ، مع انه قدحصل له من هذا السؤال ما أعمى عينه وذلك انه ورد فى الرواية ان الشيطان أول ما سأل بها ادريس عليه السلام فأتى اليه و هو يخيط فى مسجد الكوفة (١) و قال له يا ادريس أيقدر ربك ان يدخل الدنيا فى بيضة من غير ان تكبر البيضة وتصغر الدنيا؟ فقال له إدريس عليه السلام أدن منى حتى أجيبك ، فلما دنى منه أهوى بالابرة التى يخيط بها الى عينه فعورها ؛ قال ربى قادر على هذا فصار الشيطان أعور من ذلك اليوم، عليه لعنة الله والملئكة والناس اجمين، ولعنة الله على كل عدو من الاعداء الى يوم الدين بحق محمد واله الغر الميامين الطيبين الطاهرين هذا تمام الكلام فى الجزء الاول و لنذكر المنجيات و توابعها بأنوار أخرى والحمدلله رب العالمين و صلى الله على محمد واله الطاهرين

هذا آخر المجلد الاول من الكتاب ويليه المجلد الثانى على حسب تجزأة السيد المصنف رحمه الله تعالى

(١) فى النسخ المطبوعة (مجلس الكوفة) والصحيح: (مسجد الكوفة) كما فى النسخة المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد المذنب الجانى نعمت الله الحسينى الجزائرى هذا المجلد الثانى من كتاب الانوار النّعمانية شرعنا فى تأليفه بعد الفراغ من المجلد الأوّل و نرجو من الله سبحانه ان يوفّقنا لإ تمامه وان يجعله ذخيرة لإ كرامه بحقّ محمد وآله الطّاهرين

نور فى التوبة و ما يتعلق بها من الاحكام والمعارف

اعلم انّ الله سبحانه قدمدح التوّابين فى كتابه العزيز فى آيات كثيرة و كفى بها قوله سبحانه انّ الله يحب التوّابين و يحبّ المتطهّرين ، فلا درجة أعظم من محبّة الله تعالى ؛ و ذلك انّها أقصى الدرجات والانبياء والاولياء انّما هى غاية سعيهم لاغيرها من الجنّة ومراتبها ؛ فانّ الجنّة وما أعدّ فيها من النّعيم انّما هى مقاصد التّجّار وغاياتهم والاّ فأهل الهمم العالية والمطالب الغالية انّما يطلبون محبّتهورضاه

روى عنه صلى الله عليه وآله قال بكى شعيب من حبّ الله عزّوجل حتّى عمى فرّدالله عزوجل عليه بصره ، ثم بكى حتّى عمى فردالله عزّوجل عليه بصره ، ثمّ بكى حتى عمى فرّدالله عزّ وجل عليه بصره ، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون هذا

أبدامنك ؛ ان يكن هذا خوفا من النّار فقداجرتك (اجرتكخ) وان يكن شوقا الى الجنّة فقد أبحتك ، قال إلهى وسيدى أنت تعلم انّى مـا بكيت خوفا من نارك ولا شوقا الى جنّتك ولكن عقد حبّك على قلبى فلست اصبرأ وأراك ، فأوحى الله جلّ جلاله اليه أمّا اذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمى موسى بن عمران

قال الصدوق طاب ثراه يعنى بذلك لاأزال أبكى اواراك قدقبلتنى حبيباً ، ولايخفى انّ ما قاله ره ان كان قد وجده فى حديث فلابأس به و الاّ فلا يحتاج الى صرف الكلام عن ظاهره لأنّ معناه لا اقطع البكاء الى ان أراك بعد الموت ، وحاصله الى ان أموت وذلك انّ لقاء الله سبحانه انّما يكون بعد الموت ، والظّاهر انّ الذى حمله ره على هذا التأويل هوقول شعيب عليه السلام أواراك فانّ الرّؤية ممتنعة عليه سبحانه و لكن هذا المجاز مشهور وقد وقع فى القرآن والسنّة كثيرا قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة ، وقال امير المؤمنين عليه السلام كيف أعبد ربّا لم أره

وبالجملة فالمحبّة انّما هى نهاية الدّرجات وقد منحها سبحانه للتّائبين ، و قال الصادق عليه السلام لمّا نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فـاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب الاّ الله ، ولم يصرّوا على ما فعلوا و هم يعلمون ، صعد ابليس جبلا بمكّة يقال له ثور فصرخ صرخة بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا اليه ، فقالوا يا سيّدنا لم دعوتنا ؟ قال نزلت هذه الاية فمن لها ؟ قال عفريت من الشّيطان أنا لها بكذا و كذا ، قال لست لها ، فقام آخر فقال مثل ذلك ، قال لست لها ، قال الوسواس الخنّاس أنا لها ، قال بما ذا ؟ قال أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة فاذا واقعوا الخطيئة أنسيهم الاستغفار ، فقال أنت لها فوكله بها الى يوم القيمة ، وقد عرفت ان الله تعالى يحب المؤمن المفتن التّوّاب ، وقال عليه السلام ويل لمن غلبت آحاده عشراته ، وذلك انّ الواحدة من الحسنات بعشر و واحدة السّيئات بواحدة

وقال عليه السلام لا تأتون يوم القيمة الاّ وتحت كلّ ذنب إستغفار يكون مكتوبا فى صحائف أعمالكم ، وقال الامام ابو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام اذا تاب العبد توبة نصوحاً

أحبه الله فستر عليه فى الدنيا والاخرة ، فقلت و كيف يستر عليه ؟ قال ينسى ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب ، ويوحى الى جوارحه اناكتمى عليه ذنوبه ، و يوحى الى بقاع الارض انا كتمى ماكان يعمل عليك من الذنوب ، فليقى الله حين يلقاه وليس شىء يشهد عليه بشىء من الذنوب ، و عنه عليه السلام مامن عبد مؤمن مذنب الا أجله الله عز وجل سبع ساعات من النهار ، فان هو تاب لم يكتب عليه شىء ، و ان هو لم يفعل كتب عليه سيئة ، فأتاه عباد البصرى فقال له بلغنا انك قلت ما من عبد يذنب ذنبا الا أجله الله سبع ساعات من النهار ، فقال ليس هكذا قلت ، ولكن قلت ما من مؤمن و كذلك كان قولي ، وفى خبر آخر ان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له ، ولو لم يكن فى التوبة الا سروره سبحانه تكفى بها فضلا وشرفا على سائر الاعمال

روى عنه صلى الله عليه وآله انه قال الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية (١) مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته ، فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر و العطش وما شاء الله قال أرجع الى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت ، فرجع ووضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن هذا براحلته

وتحقيق الكلام فى التوبة يتم ببيان أمور ، الأول فى وجوبها على العبد و فى وجوب قبولها عليه تعالى ، اما الوجوب على العبد سمعاً فهو مجمع عليه ، وانما الخلاف فى وجوبها عقلا ، فأثبته المعتزلة و هو الحق لأنه دفع ضرر وهو واجب عقلا ، و لأن الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح ، وذهب جماعة الى وجوبها عن الصغائر سمعاً لا عقلا ، ولعلهم نظروا الى ظاهر قوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ؛ فاذا كانت السيئات مكفرة فلا يترتب عليها ضرر يجب دفعه و لكن حكاية الندم على القبيح تعم القسمين

واما الوجوب الفورى فعليه المعتزلة واصحابنا الامامية ، و ذلك لأن المعاصى

---

(١) اى البرية

للأيمان كالمأكولات المضرة للأبدان فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم و ما يضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد اولى بأن يجب عليه ذلك، وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقا على سبيل الفور تلافيا لبدن المشرف على هلاك لايفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها ليتدارك النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواته العذاب المقيم، فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر إختيار الأطباء ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك وعظ الواعظين، ويدخل في قوله و سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون، ولا يغرنك اطلاق لفظ المؤمن على هذا فان نيران الذنوب اذا أكلت الفروع أكلت الاصل لأنه لا إستمرار لبقاء الأصل بدون الفرع ومن سوف التوبة يكون على خطرين

الأول ان يعاجله الأجل فلا يبقى له وقت تدارك التوبة، كما قال تعالى من قبل ان يأتي احدكم الموت (١) فيقول رب لولا أخرتني الى اجل قريب، قال بعض

---

(١) هذه الجملة الشريفة من فقرات الاية المباركة المذكورة في سورة المنافقين حيث قال الله تعالى: وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق واكن من الصالحين انظر مجمع البيان ج ٥ ص ٢٩٥ ط صيدا

قال الطبرسي (ره) في كتابه جوامع الجامع: مما رزقناكم من للتبعيض أي انفقوا الواجب منه قبل ان يأتي أحدكم الموت فيرى دلائله ويتعذر عليه الانفاق ويتحسر على المنع ويفقد ما كان متمكنا منه فيقول رب لولا أخرتني اى هلا اخرت موتي الى أجل قريب الى زمان قليل فاصدق فاتصدق و قرء واكن عطفا على محل فاصدق وكانه قيل ان أخرتني اصدق واكن وقرء وأكون على اللفظ و عن ابن عباس تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكى واذا أطاق الحج ان يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وقيل نزلت في مانعي الزكاة (اه)

انظر جوامع الجامع المطبوع في سنة (١٣٢١) ه على الحجر بايران وقد ☆

المفسّرين انّ المحتضر يقول عند كشف الغطا يا ملك الموت أخّرني يوماً أعتذر فيه الى ربّى و أتوب اليه و أتزوّد صالحا ، فيقول فنيت الأيّام ، فيقول أخّرني ساعة ؛ فيقول فنيت السّاعات ، فيغلق عنه باب التّوبة ويغرغر بروحه الى النّار ويتجرّع غصّة اليأس وحسرة الندامة ، وربّما عدل به شياطين العديلة ومن ثمّ استحب تلقين المحتضر كلمات الفرج لتطرد عنه شياطين العديلة الّتى تعدله عن الايمان الى الكفر

الثانى ان تترا كم الذنوب على قلبه الى ان تصير طبعاً فلا يقبل المحو ، فانّ كل معصية يفعلها الانسان يحصل منها ظلمة فى قلبه فاذا تراكمت إسودّ القلب ، وعبّر عنه بالقلب المنكوس والقلب الأسود

كما روى عن الامام ابى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال كان أبى يقول ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة؛ انّ القلب ليواقع الخطيئة فلا يزال به حتى يغلب عليه فيصير أعلاه أسفله ، فاذا آل أمره الى هذا الحال صارت ذنوبه مزيّنة فى نظره فلا يرغب فى التّوبة بل ربّما زادت فى تلك المعاصى ، ومن هذا ذهب جماعة من المسلمين الى انّه لو أخّر التّوبة ساعة واحدة حصل له إثم آخر يجب التّوبة منه ايضا ، ففى ساعتين أربع ذنوب وهكذا فيكون عليه فى اليوم الواحد آلاف من الذنوب

وامّا وجوب قبول التّوبة عليه سبحانه بحيث لو عاقب على الذنب بعد التّوبة كان ظالما ، او هو تفضّل يفعله سبحانه كرماً منه و رحمة بعباده فيه خلاف ، فالمعتزلة على الاول ، والاشاعرة على الثانى ؛ و اليه ذهب الطّوسى والعلاّمة و توقف فيه صاحب التّجريد و ظاهر الأخبار وكلام الأئمة الطّاهرين عليهم السلام يدلّ على الثانى سيّما كلام مولانا زين العابدين عليه السلام فى السّادس عشر من أدعية الصحيفة يا الهى لو بكيت اليك حتّى تسقط أشفار عينى ، وانتحبت حتى ينقطع صوتى، وقمت لك حتى تنتشر قدماى؛ وركعت

☆ قيض الله تعالى فى هذه الاونة الاخيرة بعض الاخيار من تجار بلدنا العزيز (تبريز) لطبع هذا التفسير النفيس بحلة رائعة وطبعة أنيقة و وفقنا لتحقيقه و تصحيحه ونسأله تعالى ان يوفقنا لاتمامه واكماله بحق النبي وآله (ص)

لك حتى ينخلع صلبى ، وسجدت لك حتى تنفقأ حدقتاى ، وأكلت تراب الأرض طول عمرى وشربت ماء الرّماد آخر دهرى و ذكرتك فى خلال ذلك حتى يكلّ لسانى ثمّ لم أرفع طرفى الى آفاق السّماء إستحياءً منك ما استوجبت بذلك محو سيّئة واحدة من سيّئاتى وامثال هذا

و قد استدلّوا على وجوب القبول بأنّ السّيّد اذا أبق عبده شهراً مثلا ثمّ رجع نادماً كمال النّدم متأسّفا على ما وقع منه عازما ان لايعود ابداً ثمّ انّ المولى لم يقبل توبته بل كان مصرّا على عقابه فانّ العقلاء يذمّونه ، واُجيب عنه بأنّ السّيّد لوقرر معه انّه متى أبق مدّة كذا عاقبه العقاب الفلانى فانّه اذا رجع وعاقبه السيد ذلك العقاب الذى قرره معه فانّه لايستحق بذلك الذم من العقلاء ، وما نحن فيه من هذا القبيل

وفيه نظر وذلك انّ الذى نحن فيه هو انّ السيد اذا قال عند النّاس و كتب الى العبد الابق بأنّك اذا رجعت عليك الامان ولا أعاقبك على هذا الاباق لأنّ أسباب الاباق ودواعيه كانت موجودة فى الدار والبلاد، فاذا رجع ذلك العبد وبعد رجوعه عذّبه المولى لعدّه العقلاء من المذمومين وما نحن فيه من هذا القبيل، فانّه سبحانه قد أكثر من الكلام على قبول التّوبة وعلى إسقاط الذنب عندها، والاولى فى الاستدلال ان يقع على هذا النّمط و كأنّه مراد المستدل وان لم يصرح به

الامر الثانى فى حقيقة التّوبة ، وقد اختلفت فيها الأخبار والأقوال ؛ امّا الاخبار فمنها ما روى عن الامام ابى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ، ثم قال انّ السّنة لكثير؛ من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ، ثم قال انّ الشّهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ، ثمّ قال الجمعة الكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ، ثمّ قال انّ يوما لكثير من تاب قبل ان يعاين قبل الله توبته

ومنها ما رواه السّيّد رضى فى نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلام انّ قائلا قال بحضرته استغفرالله فقال له عليه السلام ثكلتك أمّك أتدرى ما الاستغفار ؟ انّ الاستغفار

درجة العلّيّين وهو إسم واقع على ستّة معان ؛ أولها النّدم على ما مضى : الثاني العزم على ترك العود اليه أبدا ؛ الثالث ان تؤدّى الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة ، الرابع ان تعمد الى كلّ فريضه عليك ضيّعتها فتؤدّى حقّها ؛ الخامس ان تعمد الى اللّحم الذى نبت على السّحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم و ينشأ بينهما لحم جديد ، السادس ان تذيق الجسم ألم الطّاعة كما أذقته حلاوة المعصية

ومنها ما رواه الكلينى طاب ثراه باسناده الى الصادق عليه السلام قال ما من مؤمن يقارف فى يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم أستغفر الله الذى لا اله الاّ هو الحىّ القيّوم بديع السّموات والارض ذو الجلال والإكرام وأسأله ان يصلّى على محمد وآل محمد و ان يتوب علىّ الاّ غفرالله عزّ وجلّ له ؛ ولا خير فيمن يقارف فى يوم اكثر من اربعين كبيرة ؛ ومنها ما روى فى الاخبار من انّ التّوبة هى النّدم على ما سلف والعزم على ان لايعود، الى غير ذلك من الاخبار

وامّا الاقوال فمنها ما قيل انّ التّوبة ذوبان الحشا لما سبق من الفحشاء ، ومنها أنّها نار فى القلب تلتهب وصدع فى الكبد لا ينشعب ، ومنها ما قيل انّها خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا ؛ ومنها ما قيل انّها تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ، ومنها ما قيل انّها رجوع الأبق عن الجرم السابق ، والكلام الجامع فى هذا الباب ما قاله صاحب الأحياء، وهو انّ التوبة لا تحصل الاّ بحصول أمور ثلاثة

اولها معرفة ضرر الذّنوب و كونها حجابا بين العبد و محبوبه وسموما قاتلة لمن باشرها، فاذاعرف ذلك وتيقّنه حصل له من ذلك حالة ثانية هى التّألّم لفوات المحبوب والتّأسّف من فعل الذنوب، وهذا التألّم والتأسّف هو المعبّر عنه بالنّدم ، واذاغلب هذا الالم حصل له حالة ثالثة هى القصد الى أمور ثلاثة لها تعلّق بالحال والاستقبال والمضىّ فالمتعلّق بالحال هو ترك ما هومقيم عليه من الذنوب ؛ والمتعلّق بالاستقبال هو العزم على عدم العود اليها الى آخر العمر ؛ والمتعلّق بالماضى تلافى ما يمكن تلافيه من قضاء الفوائت والخروج من المظالم ، فهذه الثّلاثة أعنى المعرفة ؛ والندم ؛ والقصد الى المذكورات

أمور مترتبة فى الحصول وقد يطلق على مجموعها اسم التّوبة، وكثيرا مايطلق على الثانى اعنى النّدم وحده ويجعل المعرفة مقدمة لها وذلك القصد ثمرة متأخّرة عنها وقد يطلق على مجموع الندم والعزم انتهى

اقول ومن هنا اختلفت الاخبار و الأقوال وللإختلاف وجه ألطف وأدق من هذا وهو انّ للتّوبة درجات ومراتب وفوائد مختلفة فأقلّ درجاتها إحباط العذاب المترتب على ذلك الذنب ، و هذا هو المراد من التّوبة قبل المعاينة الواقعة فى الحديث الاول ، و أعلى درجاتها وفوائدها إسقاط العقاب والفوز بأعلى الكرامات مع الملائكة المقرّبين و الانبياء المرسلين والعباد الصّالحين ، وهذا لايكون بمجرد التّوبة قبل المعاينة بل لابد فيه من اتعاب البدن واعمالها فى الأعمال، وهذا هو التّوبة الّتى قالها امير المؤمنين عليه السلام فى حديث نهج البلاغة و عليها يحمل ما ورد عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال التّائب اذا لم يستبن عليه أثر التّوبة فليس بتائب ، يرضى الخصماء ويعيد الصلوات و يتواضع بين الخلائق ، ويقى نفسه عن الشهوات ويهزل رقبته بصيام النهار ، ويصفر لونه بقيام اللّيل، ويخمص بطنه بقلّة الأكل، ويقوّس ظهره من مخافة النّار ويذيب عظامه شوقا الى الجنّة ، ويرقّ قلبه من هول ملك الموت ، ويجفّف جلده على بدنه بتفكّر الاخرة ، فهذا أثر التّوبة فاذا رأيتم العبد على هذه الصّفة فهو تائب ناصح لنفسه

وعن جابر بن عبدالله الأنصارى قال جاءت امرأة الى النّبى صلى الله عليه وآله فقالت يانبى الله امرأة قتلت ولدها هل من توبة ؟ فقال لها والذى نفس محمّد بيده لو أنّها قتلت سبعين نبيّا ثمّ تابت و ندمت ويعرف الله من قلبها انّها لا ترجع الى المعصية أبداً لقبل الله توبتها و عفى عنها ، فانّ باب التّوبة مفتوح ما بين المشرق والمغرب و انّ التّائب كمن لا ذنب له

وامّا أوسط درجاتها و فوائدها فهى كثيرة متفاوتة فمن تاب قبل موته بسنة وتلافى فى تلك السّنة مساوى أعماله وأقبل على ما يوجب تصحيح آماله كان له من الدرجة أعلى ممّن تاب قبل موته بشهر ؛ و كذا من تاب قبل موته بشهر بالنّسبة الى

من تاب قبل موته بجمعة ؛ وهكذا و مقصودهم عليهم السلام ترغيب الخلايق في التوبة وبيان انّ التوبة مقبولة في كل حين الاّ ان يغرغر بروحه و تعاين الموت وأسبابه ، فانّ الامور تصير عندها ضرورية ويكون حينئذ ملجأة الى التوبة ، فمن هذا أغلق عنها بابها

قال بعض المفسرين و من لطف الله بالعباد ان أمر قابض الارواح بالإبتداء في نزعها من أصابع الرجلين ثم يصعد شيئًا فشيئًا الى ان يصل الى الصدر ثمّ ينتهي الى الحلق ليتمكّن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله والوصيّة والتوبة مالم يعاين والإستحلال وذكر الله سبحانه فيخرج روحه و ذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته وفّقنا الله وإياكم للتوبة

فان قلت ذكرت انّ الندم وهو تألّم القلب اما هو التوبة او أعظم أجزائها ، وهذا التألّم لايكون بالاختيار فكيف يوصف بالوجوب ، قلت انّ سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب والتفكّر فيما يترتب على ذلك الذّنب من العقاب ، فكلّما تفكّر وحقّق العلم زادت نيران قلبه واشتعلت ، وتحقيق هذا العلم وزيادة التفكّر أمران اختياريّان فمن هذا وصف التألّم بالوجوب لمكان الاختيار في أسبابه ، فصار الحاصل هو انّ العاقل التائب ينبغي ان يكون توبته ممّا توجب المقامات العالية ، بل ذكر بعض المحقّقين انّ التوبة واجبة في الاوقات على جميع الاشخاص ، وذلك انّ الانسان لايخلو عن إتّباع الشهوات و كل شهوة فعلها يرتفع منها ظلمة الى القلب كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصّقيلة؛ فان تراكمت ظلمة الشهوات ، صارت رينا كما قال تعالى كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون

واذا تراكم الرين صار طبعاً على القلب كالخبث على وجه المرآة ، ولايكفي في إزالة اتباع ، (اطباع خ) تلك الشهوات تركها في المستقبل ، بل لابدّ من محو تلك الاثار الّتي إنطبعت في القلب ، كما لايكفي في ظهور الصورة في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل مالم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاثار ، و كما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي و الشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات ،

فيمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة، واليه الاشارة بقوله عليه السلام أتبع السيئة الحسنة تمحها، فاذن لا يستغنى العبد فى حال من الأحوال عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضادها و هذا الواجب ليس من باب الواجب الشرعى الذى يلزم من وجوبه فى كل الأوقات تعطيل المعايش والمكاسب و خراب الدنيا ، بل هو الواجب بالمعنى الثانى وهو الوجوب الشرطى كما يقال الوضوء واجب لصلاة النافلة، يعنى لايمكن التوصل الى فعل النافلة الا به ، فكذا ما نحن فيه ، و هو انه لايمكن التوصل الى درجات المقربين الا به فمن أرادها توصل الى تحصيلها به، ومن رضى لنفسه بالدرجات الناقصة كان كمن اقتصر على الصلوة الواجبة وترك النافلة ؛ فليس عليه عذاب وانما حرم من جزيل الثواب

وللنظر الى هذا رفض الاولياء ملاذ الدنيا بالكلية ، حتى انه روى ان عيسى عليه السلام توسد فى منامه حجراً فجاء اليه الشيطان فقال له أما كنت تركت الدنيا للاخرة ، فقال نعم وما الذى حدث؟ قال توسدك بهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لاتضع رأسك على الارض ؛ فرمى عيسى عليه السلام الحجر ووضع رأسه على الارض ؛ فكان رميه الحجر توبة عن ذلك التنعم مع انه يعلم انه ليس واجباً ؛ و كذلك نبينا صلى الله عليه وآله لما ثنى له الكساء الذى ينام عليه فلما أصبح قال ان هذا منعنى عن المبادرة الى القيام للعبادة

و لقد صدق أبو سليمان الدارانى حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره الا على فوت ما مضى منه فى غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات ، فكيف من يشتغل فيما بقى من عمره بمثل ما مضى من جهله ؛ و ذلك ان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة و ضاعت منه بكى على ضياعها ، فان صار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه أشد ، و كل ساعة من العمر جوهرة نفيسة لاقيمة لها ولا بدل عنها ؛ فاذا ضيعتها فى الغفلة فقد خسرت خسرانا مبيناً ، روى ان ملك الموت اذا ظهر للعبد أعلمه انه قدبقى من عمره ساعة ، وانه لا يستأخر عنها فيبد وللعبد من الأسف ما لو كانت له الدنيا كلها لخرج منها على ان يضم الى الساعة ساعة أخرى يتدارك تفريطه فيها فلا يجد اليه

سبيلا ، وهو أول ما يظهر من معانى قوله عزّ وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون

والى ما ذكرنا من الدرجات أشار ذو النّون المصرى حيث قال ان لله عزّ و جل عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب ، وسقوهـا بماء التّوبة ، فأثمرت ندما و حزنا فجنّوا من غير جنون و تبلّدوا من غيرعىّ ولابكم ، و انهم هـم البلغاء الفصحاء العارفون بالله عزّ وجل ورسوله ؛ ثم شربوا بكـأس الصّفا فورثوا الصبر على طول البلاء تولّهت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم فى حجب الجبروت ، واستظلّـوا تحت رواق النّـدم ، وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلـوا الى علوّ الزهد بسلّم الورع ، فاستعذبوا مرارة الترك للدّنيا و استلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السّلامة ، وسرحت أرواحهم فـى العلى حتى أناخوا فى رياض النّعيم و خاضوا فى بحر الحياة ، و ردموا خنادق الجزع ، وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم ، و استقوا من غدير الحكمة و ركبوا سفينة الفطنة ؛ وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السّلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة و معدن العزّ والكرامة؛ فانظر رحمك الله الى غاية التوبة وانّها أىّ غاية

وفى كتاب الشيخ و رام انّ ذا النّون المصرى قال مررت ببعض الأطبّاء وحوله جماعة من النّساء والرّجال بأيديهم قوارير الماء وهو يصف لكلّ واحد منهم ما يوافقه فد نوت منه فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام؛ فقلت له صف لى دواء الذنوب يرحمك الله، فأطرق الى الارض ساعة وكان الطّبيب عاقلا ثمّ رفع رأسه ، فقال يافتى ان أنا وصفت لك تفهم ؟ فقلت نعم ان شاء الله تعالى ، فقال لى خد عروق الفقر و ورق الصّبر؛ واهليلج الخشوع و ابليلج التواضع ، ألق الجميع فى هاون التّوبة ثمّ اسحقه بدستج التقوى، ثمّ ألقه فى طبخير التوفيق و صبّ عليه من ماء الخوف ، واوقد تحته نار المحبّة وحرّكه باصطام الحكمة حتى يرغى ؛ ثم أفرغه فى جام الرضا و روّحه بمروحة الحمد حتى يبرد ، ثم افرغه فى قدح المناجاة ثم أفرجه بماء التّوكّل وحركه بملعقة الاستغفار ، ثم أشربه و تمضمض بعده بماء الورع ؛ فاذا انت فعلت هذا فانّك لاتعود الى ذنب أبداً

وهذه التّوبة هى الّتى أشار اليها امير المؤمنين عليه السلام فى ذلك الحديث فقال عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنّة ، قيل كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال يكون نصب عينيه تائبا فارّامنه حتى يدخل الجنّة ، و روى انّه كان فى بنى اسرائيل شاب عبدالله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثمّ نظر فى المرآة فراى الشّيب فى لحيته فسائه ذلك ، فقال إلهى أطعتك عشرين سنة و عصيتك عشرين سنة ، فان رجعت اليك أتقبلنى ؟ فسمع قائلا يقول أجبتنا فأجبناك؛ وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك

و اعلم انّ التّائبين العالمين هم الفائزون ، وذلك انّ الناس ينقسمون فى الأخرة بالضرورة الى اربعة أقسام: الها لكون؛ والمعذّبون، والنّاجون ،والفائزون ، ومثاله من الدنيا ان يستولى ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم من الهالكين، ويعذّب بعضهم فلا يقتلهم فهم من المعذبين ، ويخلّى بعضهم فهم النّاجون ، ويخلّع على بعضهم فهم الفائزون فان كانت الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الاّ بالاستحقاق فلايقتل الاّ معاندا له فى الملك ولا يعذّب الاّ من قصرفى خدمته مع الاعتراف بملكه، ولا يخلّى الاّ معترفا له بالدولة لكنّه لم يخدمه ليخلع عليه، ولايخلّع الاّ على من خدمه ، و كل واحدة من هذه الدرجات الاربع متفاوتة وذلك لتفاوت أنواع العذاب والفوز :

الرتبة الاولى الهلاك ، وهم الايسون من الرحمة الصادرة منه سبحانه ، و هم المعاندون المكذّبون

الرتبة الثانية المعذبون وهذه رتبة من تحلّى بأصل الايمان ولكن قصر فى الوفا بمقتضاه وهو انّه قد تابع هواه وشهواته واراداته

الرتبة الثالثة النّاجون و هى السّلامة دون السعادة و لعل هذه الرتبة هى رتبة المجانين والبلهاء و نحوهم

الرابعة الفائزون وهم العارفون العاملون فهؤلاء هم السابقون وهم الذين كان قصدهم هو سبحانه لاجنّة ولاخلاصا من نار ، ولذلك قيل لرابعة العدويّة كيف رغبتك

في الجنّة فقالت الجارثم الدار

الامر الثالث في قبول التّوبة للتجزّي كأن يتوب عن ذنب ولم يتب عن ذنب ، فقال بعضهم انّ هذه التّوبة غير مقبولة وذلك انّ التّوبة عن الذنب انّما تصح لقبح ذلك الذنب وقبح الذنوب كلّها علّة مشتركة بينها ، فمن تاب عن ذنب وهو مرتكب غيره يكون كالكاشف عن انّ التّوبة عن ذلك الذنب لا لقبحه بل لعلّة أخرى؛ وايضا فانّ الله سبحانه قد مدح التوّابين و قال انّه يحبّهم و من أحبّه الله سبحانه لم يعذّبه ؛ و من ارتكابه للذّنوب الاخر يستحق التّعذيب والعفو غير واجب

وقال بعض الاعلام بقبول مثل هذه التّوبة ولعله الظاهر من الايات والاخبار وحسن الاعتبار ، والتحقيق ان نقول قول من قال انّ التّوبة لايصلح تجزّيها إن عنى به انّ ترك بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فهذا خطأ لأنّ كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب كما انّ قلتها سبب لقلّته ؛ ونقول لمن قال يصحّ إن أردت به انّ التّوبة عن بعض الذنوب يوجب قبولا يوصل الى النجاة و الفوز كان هذا ايضا خطأ فانّ الفوز كما عرفت انّما يكون بترك الجميع ، ويقال في دليل من قال لايصح وهو انّ التوبة عبارة عن النّدم والمعاصي كلّها أوجاع وآلام فلا معنى لتوجّعه من ألم دون ألم فانّ العلّة شاملة لهما ، ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدّنين دون الاخر ؛ فان إستحال ذلك من حيث انّ المعصية في الخمرين واحد وانّما الدّنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث هي مخالفة لأمر واحد ، فيقال على هذا انّ التّوبة عن بعض الذنوب امّا ان يكون عن الكبائر دون الصّغاير وعن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة

امّا الاول فممكن من جهة علمه بأشدّية عذابها ، كمن جنى على ابن السّلطان و على دابّته فانّه يعلم انّ الاول أشدّ جرما فيخاف منه اكثر، وقد كثر التائبون في الاعصار وليس أحدهم معصوما من الذنوب سوى أهل العصمة عليهم السلام

وامّا الثاني فهو ممكن ايضا لأنّ لذّة نفسه في الكبيرة أشدّ من خوفه منها ؛

واما الصغائر فليس له لذة نفس فيها فيكون خوفه منها اكثر من لذته بها

واما الثالث فجائز ايضا لإعتقاده انّ بعض الكبائر أشدّ من بعض و أغلظ عندالله تعالى

الامر الرابع فى أسباب عظم الصغيرة وهى تكون بأمور : الأول الاصرارولذلك قال صلى الله عليه وآله لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ، فكبيرة واحدة أرجى للعفو من صغيرة تداوم عليها ، ومثال ذلك قطرات الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صبّ عليه دفعة واحدة لم يؤثر لأنّ الصغيرة كلّما دامت عظمت فى إظلام القلب ، والكبيرة قلّما يتصور الاتيان بها من دون صغائر تكتنفها فانّ الزانى قلّما يزنى بغتة بل يحتاج الى المراودة وباقى المقدّمات

الثانى إستصغار الذنب فانّه اذا استعظمه صغر عندالله واذا استصغره عظم عندالله لأنّ إستعظامه يدلعلى كراهية القلب له فلايتأثر منه ، وإستصغاره يدلّ على شدّةالالفة به وهو يوجب تأثر القلب به ، الثالث السّرور بالصّغيرة فانّها تكبر عند ذلك كما يقول القائل رأيتنى كيف خجلت فلانا او كيف نفقت عليه الكاسد ؛ لأنّه ينبغى ان يكون فى حزن من غلبة الشّيطان عليه

الرابع ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله له ولا يدرى انه انّما أمهل مقتاله ليزدا داثما ، فيظنّ انّ تمكينه من المعاصى عناية من الله عزّ و جل به ، فيكون ذلك لأمنه من مكرالله وجهله بمكامن الغرور ، الخامس إظهار الذنب فانّ هذا منه خيانة (جناية خ) على سترالله الذى أسدله عليه و تحريك لرغبة السامعين فى ذلك الذنب ؛ فهما جنايتان إنضمّتا الى جناية ، فان اضيف اليه حمل الغير على ذلك الفعل كان له أربع جنايات ، وفى الحديث كلّ الناس معاف الاّ المجاهرين يبيت أحدهم على ذنب قد ستر الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله ويتحدّث به ، وذلك لأنّ من صفاته ستر القبيح ؛

السادس ان يكون المذنب عالما مقتدى به فانّهقديموت العالم ويبقى شرّه ، قال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع يزل زلّة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون

بها في الافاق

بقي الكلام في موجبات الإصرار على الذنوب و في مزيلاته إعلم انّ موجباته أربعة ؛ اولها انّ العقاب الموعود غائب ليس بحاضر و النّفس جبلت على عدم التأثر بالاجل وهذا لايكون الاّ من ضعف الايمان ، الثاني انّ اللّذات الباعثة على الذنوب لذّاتها ناجزة و هي آخذة بالمخنق وقد قوى و استولى بسبب الاعتياد ، والعادة طبيعة خامسة ؛ والتّروع عن العاجل الى الاجل شديد على النّفس كما قال سبحانه كلاّ بل تحبّون العاجلة و تذرون الاخرة

وفي الرواية انّه تعالى خلق النّار فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها ؛ فذهب فنظر اليها فقال و عزّتك خشيت الاّ يبقى احد الاّ دخلها ، وخلق الجنّة فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها ؛ فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لايسمع بها أحد الاّ دخلها ، فحفّها بالمكاره فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها ؛ فذهب فنظر اليها فقال و عزّتك خشيت ان لا يدخلها أحد ، فاذن كون الشّهوة مرهقة في الحال و كون العقاب متأخرا سببان في الاسترسال

الثالث انّه ما من مؤمن مذنب الاّ والغالب على عزمه التّوبة وتكفير السّيئات بالحسنات وطول الأمل غالب على الطّباع فلا يزال يسوّف التّوبة والتّكفير فمن حيث رجائه توفيق التّوبة ربّما يقدم عليه مع الايمان ، الرابع انّ المؤمن يعتقد انّ عفو الله تعالى مباح للمذنبين فيذنب اعتمادا عليه

وامّا علاج هذه الامور الاربعة ومزيلها فهو الفكر في كل واحد منها ، امّا الاول فبأن تتفكّر و تقول انّ ما هو آت يأتي وما أقرب غداً للنّاظرين والموت أقرب منه ، والمتأخّر اذا وقع صار ناجزاً ؛ و يفكّر انّه في الدنيا يركب البحار و يقطع القفار لأجل الربح الذى يظن حصوله واحتياجه اليه ، ولو أخبره طبيب نصرانيّ بضرر الماء البارد لتركه خوفا من الموت مع انّ ألمه لحظة واحدة فكيف لايقلع عن الذنب باخبار الانبياء عليهم السلام انّ ألمه يبقى أبد الاباد ، و كل يوم من الاخرة بمقدار خمسين ألف سنة من ايّام الدنيا وبهذا التّفكّر يعالج اللّذة الغالبة عليه و يقول اذا لم أقدر علي ترك هذه اللّذات الفانية

فى هذه الايام القلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الاباد ، و اذا كنت لا أقدر على مفارقة زخارف الدنيا مع كدورتها فكيف أصبر على مفارقة النّعيم

واما تسويف التّوبة فعلاجه بالفكر فى انّ اكثر صياح أهل النّار من التّسويف لأنّ المسوف يبنى الأمر على ماليس اليه و هو البقاء فلعلّه لا يبقى ، وان بقى فلا يقدر عليه فى هذا الحال ، فليت شعرى فهل عجز فى الحال الاّ لغلبة الشهوة والشّهوة لاتفارقه بل تقوى كلّ يوم وهو يضعف ، فاذا كان وقت قوته وضعفها لا يقدرعليها فكيف يقدرعليها اذا انعكس عليه الامر فيكون مثاله مثل من احتاج الى قلع شجرة صغيرة لا تنقلع الاّ بمشقّة شديدة فقال اؤخّرهاثمّ أعود اليها و هو يعلم انّها كلّما بقيت ازداد رسوخها وهو كلّما زاد عمره ضعفت قوّته فلا حماقة اعظم من حماقته

و امّا إنتظار عفوالله فعلاجه الفكر فى انّ العفو ليس بواجب على الله فهو كمن أنفق جميع ماله وترك نفسه و عياله فقراء فينتظر انّ الله سيطلعه على كنز من الكنوز فى أرض خربة وهذا ايضا حماقة

وما احسن كلاما وقع الينا من سيّدنا المرتضى نورالله ضريحه، وحاصله الاعتراض على الانسان بأنّه اذا أذنب ذنبا يقول نرجو عفوالله فيعتمد على العفو مع انّه تعالى لم يوجبه على نفسه ، والذى أوجبه على نفسه وهو ايصال الرزق لم يصدّق الله فيه ولم يعتمد عليه ، فيطلبه فى البرارى والبحار و هو تعالى يقول وما من دابّة فى الارض الاّ على الله رزقها ؛ فهو سبحانه قد ضمن ايصال الرزق الى كلّ واحد فكيف لا تعتمد عليه فيماضمنه لك واعتمدت عليه فيما لم يوجبه على نفسه ؛ ولوضمن لك ألف دينار رجل نصرانىّ له بعض الاعتبار بين التجّار كنت تصدّقه و تعتمد على ضمانه فكيف لا تعتمد على ضمان من له خزائن السّموات والارض ما هذا الاّ سفه وجهل

فان قيل هذا موقوف على الفكر فما بال القلوب هجرت الفكر وما علاج القلوب لردّها اليه ، قلنا المانع لها منه أمران احدهما انّ الفكر فى مقدمات الاخرة لداع مولم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرّج و الاستراحة ،

وثانيهما انّ الفكر مشغول بلذّات الدنيا في كلّ حين فصار عقله مسخّرا لشهوة (لشهوته خ ل) فهو مشغول بتدبير حيلته ، و امّا علاجهما فبأن يقول لقلبه اذا تألّمت من الفكر في أمور الاخرة فكيف لا تخاف من الالم على ورودها عليك و مواقعتها لك و نظير هذه التّفكّرات

اذا عرفت هذا فاعلم انّ الإصرار إمّا فعلي وهو المداومة على نوع واحد من الصغائر بلاتوبة او الإكثار من جنس الصغائر بلاتوبة ، وإمّا حكمي وهو العزم على فعل الصغيرة بعد الفراغ منها ، امّا من فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعد ها توبة ولا عزم على فعلها فالظّاهر انّه غير مصرّ ، ولعلّه ممّا تكفّره الاعمال الصالحة من الوضوء والصلاة والصّيام كما ورد في الاخبار

الامر الخامس الذنب ان لم يستتبع أمرا آخر يلزم الإتيان به كفى الندم والعزم على عدم العود اليه أبدا كلبس الحرير وان تبعه أمر آخر من حقوق الله او الناس وجب ذلك الامر ايضا كالعتق في الكفارة وقضاء الفوائت ، و ان كان حدّا فهو مخيّر بين ان يتوب عنه بينه و بين ربّه و هو الأولى و بين ان يقرّ به عند حاكم الشّرع ليقيم عليه الحدّ

و امّا حقوق النّاس الماليّة فيجب تبرئة الذّمة منها بقدر الامكان ، فان مات صاحب الحق وجب الدفع الى ورثته في جميع الطبقات ، وان بقي الى يوم القيامة ففيه أقوال ثلاثة : الاول انّه لاخر وارث ولو بالعموم كالامام ، الثاني انّه ينتقل الى الله سبحانه الثالث انّه لصاحبه الاول و هذا هو الأصح ، لما روى في الصحيح عن عمر بن يزيد عن الصادق عليه السلام قال اذا كان للرّجل على الرّجل دين فمطله حتى مات ثمّ صالح و رثته على شيء فالذي أخذ الورثة لهم وما بقي فهو للميت يستوفيه منه في الاخرة و ان هم لم يصالحهم على شيء حتى مات ولم يقض عنه فهو للميت يأخذه منه

وامّا حقوق النّاس الغير المالي فان كان إضلالا وجب الارشاد ، وان كان قصاصاً وجب إعلام المستحق له وتمكينه من استيفائه فيقول أنا الذي قتلت أباك مثلا فان شئت

فاعف عني ، و ان كان حدّا كما في القذف فان كـان المستحق له عالما بصدور ما يوجبه وجب التمكين ايضا وان كان جاهلا به ففي وجوب الاعلام خلاف ينشأ من انّه حق آدمي فلا يسقط الاّ باسقاطه ؛ومن كون الاعلام تجديدا للأذى وتنبيهاعلى ما يوجب البغضاء ، و كلام المحقق الطوسي وتلميذه العلامة يعطى عدم وجوب الاعلام في هذه الصورة وهذه المذكورات من قضاء الفوائت واداء الحقوق والتمكين من القصاص والحد لادخل لها في حقيقة التّوبة و انّما هي واجبات برأسها والتّوبة صحيحة بـدونها لكنّها تصيربها أكمل و أتم

خاتمة هذا البحث في التوبة الموقّته والتّوبة المجملة ، واما الاولى فهو كأن يتوب عن الذنوب سنة ، و في صحّتها خلاف والاولى عدم الصّحة لأنّك قد تحقّقت انّ العزم على العود في المستقبل دائمامن أجزائها وهذا مناف له، و أمّا الثانية فكأن يتوب عن الذنوب على الاجمال وهو ذاكر للتفصيل فقد توقّف في صحّتها الخواجا نصيرالدين الطوسي ، والقول بالصّحة غير بعيد لعدم قيام الدليل على وجوب التفصيل

نور في الحب ودرجاته وعلاماته وتوابعه

وما يتعلق بذلك

إعلم أيدك الله سبحانه انّ لفظ الحب ممّا قد اشتهر في الكتاب و السنّة و على ألسنة النّاس ، وقد وصف الله تعالى به نفسه فقال يحبّهم و يحبّونه ، و قد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله الحب لله من شرط الايمان في أخبار كثيرة ، اذقال ابورزين العقيلي يارسول الله ما الايمان ؟ قال ان يكون الله و رسول الله أحبّ اليك ممّا سواهما

وفي حديث آخر لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه ممّا سواهما

وقال صلى الله عليه وآله أحبّوا الله كما يغذوكم به من نعمة و أحبّوني لحب الله ، وروى انّ رجلا قال يا رسول الله انّي أحبّك ، فقال عليه السلام إستعدّ للفقر، فقال انّي احبّ الله ، فقال استعدّ للبلاء ، والحب هوميل الطّبع الى الشيء الملتذ فان تأكّد ذلك الميل وقوى سمّي عشقا ،

والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المولم المتعب فاذا قوى سمّى مقتا ، وحيث انّ الحب مقول بالاشتراك بين حبّ الله سبحانه وبين حب النّاس لمحبوبهم مع انّ محلّهما واحد و هو القلب فلابأس بالاشارة الى بيان مراتبه وتطبيق كلّ مرتبة من مراتب حبّ النّاس على مراتب حبّ الله تعالى ، لما اشتهر من قولهم المجاز قنطرة الحقيقة ؛ ولأنّ الالفة بهذه المراتب مألوفة لأكثر النّاس بخلاف مراتب حبّه تعالى فانّها ليست مأنوسة الاّ لمن ارتضاه الله تعالى

فاعلم اوّلا انّ الحبّ على ما عرّفه بعضهم هوا يثار المحبوب على سائر المصحوب وقيل هو ميلك اليه بكلّيتك و ايثارك له على نفسك و موافقتك له سرّاً و جهراً ، و قيل المحبة محو المحبّ بصفاته وايثار المحبوب بذاته ، وقيل هى هتك الاستار و كشف الأسرار وقيل هو محو الأشباح وذوب الارواح ، وفى بعض الكتب القديمة الحبّ سرّ روحانيّ يهوى من عالم الغيب الى القلب ، ولذلك سمّى هوى، من هوى يهوى اذا سقط ، ويسمّى بالحب لوصوله الى حبّة القلب الّتي هى منبع الحيوة ؛ واذا إتّصل بها سرى مع الحيوة فى جميع أجزاء البدن وأثبت فى كلّ جزء صورة المحبوب

كما حكى عن الحلاّج انّه لمّا قطعت أطرافه كتب فى مواقع الدّم الله الله قال هو

ما قدّ لى عضو ولا مفصل الاّ وفيه لكم ذكر

وهكذا حكى عن زليخا انّها افتصدت فارتسم من دمها على الأرض يوسف يوسف وامّا ما اشتهر من قولهم : المجاز قنطرة الحقيقة فقد أشار اليه الشّيخ كمال الدّين عبد الرزاق فى شرح منازل السائرين : حيث قال العشق النّظيف أقوى فى تلطيف السرّ ، و الاعداد للعشق الحقيقى فانّه يجعل الهموم همّا واحداً ويقطع توزع الخاطر وتفرّقه ، ويلذّذ خدمة المحبوب و يسهل التّعب و المشقّة فى طاعته ، بخلاف العشق المنبعث من غلبة سلطان الشّهوة فانّه وسواس وسعى فى تحصيل لذّات النّفس، وعلى هذين النّوعين يبنى مدح العشق الصّورى وذمّه فى كلام بعض العرفاء من الحكماء

وهذه التعاريف كلّها حقّ وتكثّرها انماجاء من جهة تعدّد مراتبه و درجاته ، وهی علی تكثّرها قدحصرت فی خمسة : أولها الاستحسان وهويتولّد من النّظروالسّماع ولا يزال يقوی بطول التّفكّر فی محاسن المحبوب و صفاته الجميلة ، وثانيها المودّة و هی الميل اليه والالفة بشخصه و الإيتلاف الروحانی معه ، و ثالثها الخلّة وهی تمكّن محبّة المحبوب من قلب المحبّ واستكشاف سرائره

ورابعها العشق وهو الإفراط فی المحبة حتی لايخلواءالعاشق من تخيّل المعشوق وذكره لا يغيب عن خاطره فعند ذلك تشتغل النّفس عن استخدام القوة الشهوانيّة والنّفسانيّة فتمتنع عن الطّعام والشّراب لعدم الشّهوة و من النّوم لإستضرار الدماغ ، وخامسها الوله وهوان لا يوجد فی قلب العاشق غير صورة المعشوق ولاترضی نفسه الاّ به

امّا المرتبة الاولی فأهلها كثيرون وهی اكثر ، وامّا الدرجة الثانية فهی مشتملة علی الايتلاف الروحانی ، وقد تقدم فی أنوار الملكوت انّ الله سبحانه لمّا خلق الارواح قبل الاجسادبأربعة آلاف سنة أوقعت بينها الموافقة والمنافرة فی عالم الارواح ، ولمّاقدمت الی هذا العالم وحلّت منازل الأبدان و اشتغلت بتعمير هذا المنزل نسيت ما وقع منها فی قديم الزمان وسوالف الأيّام فلا تذكر محبوبها من غيره لكنها اذا رأته فی هذا العالم إنعكست أشعتها العلميّة و تحرّكت نحو تلك الألفة القديمة و مالت اليه ؛ حتی انّ الرائی اذا رای رجلا لم يره فی هذا العالم أصلا يميل اليه من ساعته ويظنّ انه رآه ويقول اين رأيت هذا الرجل وهولم يره الاّ فی عالم الارواح ، وهذا هو الذی أراده صلّی الله عليه وآله عن قوله الارواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

و هذه المرتبة ان وقعت فی محبّات النّاس ، او محبّات أهل الله يری الانسان نفسه غير مختار فی تحصيلها وذلك انّها تحصّل نفسها قبل تحصيلك ايّاها ؛ نعم زيادتها قوّة وضعفا ربّما كان للانسان فيه إختيار بسبب طول المعاشرة و الاطلاع علی ما يوجب

مزيد الالفة والوداد

ومن هذه محبّة الامامية لأهل البيت عليهم السلام(١) فانّ الانسان اذا أعطى الانصاف من نفسه وفكّر علم انّ حبّهم ممّا تداخل القلوب والعروق ؛ وامتزج باللّحم حتّى لم يبق فيه إختيار لأحد منهم ، فانّك ترى الطّفل اذا نشأ وعرف نفسه ألهم من جانب الله سبحانه الميل الى أهل البيت وحبّهم ولعن مبغضيهم وان لم يذكر له أبوه وأمّه مثل هذا

(١) مودة اهل البيت عليهم السلام ومحبتهم من ضروريات الدين وقد نص القرآن الكريم بوجوب مودتهم وقال سبحانه : قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ولذا كفر من بلغ فى العداوة لاهل البيت (ع) حد النصب لارتكابه خلاف ما هو المعلوم من دين الاسلام ثبوته ضرورة فيكون كافراً والاخبار بوجوب مودة اهل البيت(ع) متواترة فمن العلامة التقى المجلسى الاول (ره) فى شرحه على الزيارة الجامعة عند قوله (ع) : وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ولكم المودة الواجبة ما هذا لفظه : والاخبار بوجوب المودة متواترة وأقل مراتبها ان يكونوا أحب الينا من انفسنا وأقصاها العشق (اه)

وقال بعض الشارحين : قوله : واقصاها العشق فان هذا الاقصى اقصى صوفى اذلا معنى للعشق الا الجنون الشيطانى لا الجنون الالهى كما زعموا فان الله تعالى لا ينسب اليه الجنون الخ

قال بعض العارفين بعد نقل كلامه ولااستعجاب من جنابه فى امثال ما اورده على المجلسى ره وأضرابه فانه ليس خبيرا باصطلاح المعقول ولا بصيرا بالمنقول وقال قوله: لا الجنون الالهى (اه) أشار بذلك على قول بعض المحققين حيث قال : العشق جنون الهى وكانه نظر الى ظاهر اللفظ و زعم أن الجنون هو خلاف العقل ولابأس به فانه عرى عن اصطلاح كل قوم و ما سمع كلامهم بان الجنون فنون والفنون جنون ولنعم قاله الحسن الدهلوى في بعض غزلياته :

مردنهٔ كرهمه دل خون نهٔ — لاف محبت چه زنى چون نهٔ
باتوچه ضايع كنم افسون عشق — مرده دلى قابل افسون نهٔ
بوالهوسى گفت بليلى نظير — رو كه چنين قابل وموزون نهٔ
ليلى ازين حال بخنديد و گفت — باتو چگويم كه تومجنون نهٔ
اى حسن احوال تو ديگر شده است — آنچه تواول بدى اكنون نهٔ (اه)

فان قلت لايثاب المرء الاّ على ما كان له فيه اختيار ، وذلك أنّ حبّهم مأمور به فى قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه أجرا الاّ المودّة فى القربى ، فيكون داخلا فى الأحكام ، و قد تقرر انّ مالم يدخل تحت الاختيار من الافعال الكسبيّة لايكون داخلا فى الأحكام الخمسة ولا يثاب عليه فاعله ؛ قلت الجواب عن هذه الشبهة من وجوه

الاول بناءً على ماعرفت من قدم التّخالف والتّوالف وانّه كان فى عالم الارواح و كان هناك كمال الاختيار ، و قد اشتمل ذلك العالم على أنواع التّكاليف من دخول نار أوقدها الله سبحانه ، وأمر الفريقين بدخولها فدخلها أهل اليمين وهم نحن ، فصارت عليهم بردا وسلاما ، وأبى أهل الشّمال وهم مخالفونا وقالوا لاطاقة لنا بدخولها فقال تعالى الى نارى ولا أبالى ، و حينئذ فحبّنا لهم عليهم السلام فى هذا العالم تعارف و تجديد لماوقع فى العالم الاول وهو عالم الاختيار فيرجع الى الاختيار

الثانى انّ سببه اختيارى وهو تحقيق أحوالهم والاطلاع على بعض محاسنهم وما آتاهم الله تعالى من درجات الكمال فيدخل تحت الاختيار لدخول سببه كما تقدّم فى ندم التّوبة

الثالث انّ الله سبحانه اذا فطر المؤمن على جبلّة من الخير وانشأه عليها لعلمه بأنه أهل لها تفضّل عليه بالثّواب ، فيكون من باب الثواب التّفضّلى لا الاستحقاقى ، فانّ الانسان إذافكّر فى اكثر الصّفات يرى انّ الجبلة او الفطرة لهامدخل عظيم فيها ؛ و انّه ليس بمجرد الاختيار ، ولا نقول انّ الكلّ هكذا بل نقول انّ أصل صفات الخير ومباديها من نعمه سبحانه الّتى نشأ الخلق عليها ؛ و امّا كمالها و فروعاتها فمن اختياره وسعيه واما محبّة أهل الله من المؤمنين والصلحاء فهو وان لم يدخل تحت الاختيار ايضا الاّ انّ أسبابه ودواعيه ممّا حصّلها بسعيه و كدّه بسبب الايمان وارتكابه الاعمال ، وانّه جعل نفسه من جنس الصالحين و الجنس الى الجنس أميل

وامّا الدرجة الثّالثة وهى الخلّة فانّما يحصل التّمكّن الذى فيها من مصادفته الخالى و ذلك انّ القلب حصن البدن فمن دخله ملك ممالك البدن وجرت عليه او أمره ونواهيه جميع

جنوده وعساكره وهى الأعضاء والدّواعى و الارادات ، فاذا كان ذلك الحصن خاليا و دخله سلطان من غير احتياج الى معركة وحرب كـان تمكّنه فيه اكثر ، و مال الى احداث الاثار فيه لظنّه انّه بيته ومنزله ، ولا يدخل اليه ما يعارضه وينازعه فيه ، ومن ذلك ترى الحبّ اذا وقع فى أيّام الشّباب و وقت الطّفوليّة يكون تمكّنه فى القلوب أشدّ وأعظم ممّا وقع فى وقت آخر

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى — و صادف قلباً خالياً فتمكّنا

وذلك انّ القلب مكان ضيق لايسع الاغيار والاضداد، ولأنّه لرقته ولطافته لاتتعارض الى فيه المتعاندات

قد صيغ قلبى على مقدار حبّكم — فما لغير هواكم فيه متّسع

وهذه الدّرجة فى الحب الحقيقى هى درجة الخليل عليه السلام وبه سمّى الخليل مأخوذ من الخلال كأنّ المحبوب قد تداخل فى خلال الحبيب و اعماق بدنه ، وذلك انّ الخليل عليه السلام لمّا خيف عليه من النّمرود فمضت به أمّه الى كهف جبل وألقته فى مغارته ، و صارت تختلف اليه فى كلّ أربعين يوما مرة وربّما كان أزيد ، وكان الله سبحانه هوالذى تولّى تربيته ؛ فلمّا نشأ راى انّه لا أحد متكفّل به سواه تعالى فلم يشغل قلبه بحبّ الاباء والامّهات لاجتنابهم له وبعدهم عنه فكان قلباً خالياً قد صادف ذلك الهوى فتمكّن فيه ، وكذا وقع مثل هذا لنبيّنا صلى الله عليه وآله حيث انّه تعالى أوقعه فى اليتم ونشأ ولم يرله مربّيا سواه تعالى فصغر على الحبّ وكبر عليه (٢) ولم يجعل سبحانه لأحد من أبويه حقا عليه ، فمن هذا سلبه أبويه من صغره كما ورد فى الروايات

---

(٢) اشتغل رسول الله (ص) منذ بلوغه بعبادة الله تعالى واطاعته وكان يصوم و يصلى ويعمل بشريعة نفسه دون شريعة من تقدمه من الانبياء (ص) فانه كان عالما بالكتاب والايمان منذ اوحى الله تعالى اليه روح القدس وقال سبحانه : وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا. والمراد من الروح فى هذه الاية الشريفة هو روح القدس و هو غير جبرئيل ☆

واما المرتبه الرابعة وهي العشق فاشتقاقه من العشقة وهو نبت يلتف على الشجرة من أصلها الى فرعها ، فهو محيط بها كما انّ العشق محيط بمجامع القلب، وامّا إشتغال النّفس بهذه المرتبة عن قواها الشّهوانية و عن النّوم فانّما جاء من فرط نار المحبّة الكامنة في القلب الشّاغلة له عمّا عداه ، حتى انّه في هذه الحالة ربّما اشتغل قلبه وحسّه عن آلام البدن وأوجاعها

---

* كما يستفاد ذلك من اخبار اهل البيت (ع) لامن قول السدى وقتادة والضحاك وعكرمة الناصبى الخارجى واضرابهم من المنحرفين عن اهل البيت (ع) وقد نقلوا في كتب التفاسير من هؤلاء الرجال اقوالا في تفسير هذه الاية الشريفة لا يعبأ بها ولايعتمد عليها اصلا

و قد القى الله تعالى روح القدس الى رسول الله (ص) لا يفارقه يسدده من عندالله وهو مع الائمة عليهم السلام وعن ابى جعفر (ع) قال لقد انزل الله عز وجل ذلك الروح على نبيه وما صعد الى السماء منذ انزل وانه لفينا . وفي معناها روايات اخرى

فليتأمل القارى الكريم في قوله (ع) وانه لفينا فان هذا الروح فيهم لايفارقهم كسائر الارواح التى القاها الله تعالى اليهم فان المستفاد من احاديث اهل البيت (ع) ان فيهم خمسة ارواح منها روح القدس انظر الى الجوامع الحديثية للامامية من الكافي وتفسير البرهان وغيرها وتامل في الاحاديث الشريفة والايات القرآنية حتى تجد صدق ما قلناه و يستفاد منها انهم عليهم السلام بروح القدس علموا الاشياء و عرفوا ماتحت العرش الى ماتحت الثرى وبه تكلم عيسى في المهد صبيا انظر الى قوله تعالى في سورة المائدة : اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ يدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا : والتأييد بروح القدس هو السبب المهيء له لتكليم الناس في المهد و لذلك وصل قوله تكلم الناس من غير ان يفصله بالعطف الى الجملة السابقة اشعارا بان التاييد والتكليم معا أمر واحد مؤلف من سبب ومسبب انظر الى تفسير الميزان (ج ٦ص ٢٣٦) لابن خالنا العلامة ادام الله ايامه.

ولا يصح ان يكون المراد من الروح في قوله تعالى : وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا هو جبرئيل فانه واسطة الوحى وما هو الموحى بواسطة جبرئيل الى رسول الله او بغير وساطته غير جبرئيل فيستفاد من هذه الاية الشريفة ان رسول الله (ص) كان عالما بالكتاب والايمان منذ القى الله تعالى اليه روح القدس ولولا روح القدس ما كان تدرى*

حكى شيخنا البهائى طاب ثراه فى حاشية العالية على تفسير القاضى انّ رجلا يهوديّا كان عنده جارية وكان مفرطا فى حبها و متعشّقا لها ؛ فمرضت يوما واحتاجت الى طبخ طعام لمكان المرض ، فوضع القدر فلمّا قرب اشتواء الطعام إحتاج الى سوطه ، فأخذ المغرفة و شرع يسوطه فكان هو يسوط الّطعام والجارية تانّ ، فلمّا سمع أنينها إشتغل قلبه بها فوقعت المغرفة من يده وصار يسوط القدر بيده و لم يحسن به حتى تساقط لحم يده

---

*ما الكتاب ولا الايمان كما كان كذلك قبل ان يخلقه الله تعالى وبوجده وبحدثه ويلقى اليه روح القدس ويعلمه الكتاب ولكن منذ ان خلقه الله تعالى والقى اليه روح القدس = واول ما خلق الله هو نوره (ص) = صار عالماً بالكتاب والايمان كما كان عيسى (ع) نبيا و آتاه الله الكتاب والنبوة وهو فى المهد كما هو ظاهر القرآن الكريم و صريح أخبار اهل البيت (ع) وكذلك كان نبينا (ص) وهو افضل من جميع الانبياء والمرسلين باجماع المسلمين وضرورة الدين

وللامام فخر الدين الرازى كلمة فى كتابه : (معالم أصول الدين) لاباس بنقلها فى المقام قال ما هذا لفظه : الحق ان محمدا صلى الله عليه و سلم قبل نزول الوحى ما كان على شرع احد من الانبياء عليهم السلام وذلك لان الشرايع السابقة على شرع عيسى عليه الصلاة والسلام صارت منسوخة بشرع عيسى (ع) واما شريعة عيسى (ع) فقد صارت منقطعة بسبب ان الناقلين عندهم النصارى وهم كفار بسبب القول بالتثليث فلايكون نقلهم حجة واما الذين بقوا على شريعة عيسى (ع) مع البرائة من التثليث فهم قليلون فلايكون نقلهم حجة واذا كان كذلك ثبت ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان قبل النبوة على شريعة أحد (اه)

انظر هامش ص ١١١ من نقد المحصل (تلخيص المحصل) ط مصر (١٣٢٣) ه قوله : قبل النبوة . الاحسن ان يقال قبل الرسالة والبعثة وفى كلامه مواضع للنظر اعرضنا عن الاشارة اليها خوف الاطالة

وقد تعرض لهذا المطلب اعنى مسألة عمل رسول الله (ص) فى عباداته قبل البعثة المحقق القمى (ره) فى القوانين فى أواخر المجلد الاول فلاحظ ولكنه لم يتعرض لما ذكره الشيخ الطوسى (ره) فى العدة كما نقلنا كلام الشيخ ره سابقا انظر ص ٢٨ من هذا الكتاب ج ٣

فلمّا سكنت من الانين ورجع اليه عقله راى انّه كان يسوط القدر بيده ، ومثل هذه الحالة قد كانت في الحب الحقيقي ، و ذلك انّ امير المؤمنين عليه السلام لمّا كانت النّصال تلج في بدنه من الحروب كان الجرّاح يخرجها منه اذا اشتغل بالصلاة لعدم إحساسه بها ذلك الوقت لاشتغال قلبه بعالم القدس ومالك (ملك خ) الجبروت (١)

ورأيت في عشر السّبعين بعد الالف لمّا كنت بشيراز رجلا عريانا والنّاس خلفه في حوش عمارة السّيّد احمد بن موسى الكاظم عليه السلام ، فرأيته و في كل واحدة من يديه سكّينا وهو يضرب بهما صدره ويقطع بهما لحم بدنه ودماؤه تجري، فسألت عن حاله فقالوا انّه كان يهوى شخصا وقد أشخصه أهله الى بعض البلدان فما يدري اين ذهب ، وهكذا كانت عشّاق الله سبحانه ، فقد ورد في الاخبار انّ العبّاد من بني اسرائيل اذا بلغوا في العبادة عمد العابد منهم الى سلسلة من الحديد وأخرجها من ترقوته وشدّ نفسه بها الى أحد أساطين المسجد لئلاّ يخرج من منزل حبيبه الى غيره ، وفي هذه المرتبة ايضا من جهة الف النفس بصورة المحبوب قد يرى غيره بصورته لأنّه لاصورة في خياله غير صورة محبوبه

حكى لي أوثق مشائخي باصفهان ليلة من اللّيالي انّه قد كان له صديق وقد كان يهوى صاحباً له ، فاتفق انّ اهله أرسلوه ببضاعة الى بلدة ببهبهان ؛ فلمّا مضت له أيّام لم يملك الصبر عنه فسافر الى تلك البلدة ؛ فحكى انّه لمّا دخل ببهبهان كانت ليلة الجمعة وكان الناس يخرجون الى قبور موتاهم لزيارتهم ؛ قال فرأيت مجمعاً من النّاس فجلست معهم حتى أسئل عن أحوال ذلك الصاحب وأهتدي الى منزله؛ ثمّ أخذت في تخيّل صورته فنظرت الى يدي واذا هي بصورة يده ، والى أعضائي كلّها فما رأيت شيئا من أعضائي و جوارحي الاّ وهي على صورة اعضائه فغرقت في بحر التعجّب ، فلمّا دخلت البلد و سألت عنه قيل لي انّه في مجمع من الناس مجتمعين في بيت رجل للضيافة فدخلت عليهم ونظرت

(١) هذه القضية مشهورة بين الشيعة في حق امير المؤمنين سلام الله عليه كما صرح بشهرتها بينهم العلامة القاشاني (ره) في كتابه النفيس المحجة البيضاء في القسم المخطوط منه الموجود في مكتبتنا

اليه فرأتية فى تلك الصورة الّتى رأيت نفسى عليها؛ فلمّا شاهدت من نفسى هذا الحال رجعت الى اصفهان؛ وهذه الحكاية كان الشيخ أدام الله ايّام سلامته اذا تذاكرنا مذاهب الصوفيّة وقولهم بالحلول والاتّحاد وهو انّ الله سبحانه يحلّ بكلّ المخلوقات يكذّبهم ويقول انّ مثل هذا الاتّحاد الخيالى ممكن؛ ولبعض اصحابنا

علمت لمذهب التّوحيد حقّا   و كنت أبطل رأى الاتّحاد

الى ان بنت يا روحى بروحى   وشخصك يا فؤادى فى فؤادى

وهذا ايضا من الاتّحادات الشّعريّة الخياليّة، واظنّ انّ الشّعرين المشهورين بالاشكال من هذا الباب وهما هذان

رأت قمر السّماء فذكّرتنى   ليالى وصلنا بالرّقمتين

كلانا ناظر قمراً و لكن   رأيت بعينها و رأت بعينى

يعنى انّنا اتّحدنا فى ذلك الوقت فصارت عينى عينها وعينها عينى؛ وذلك من المبالغات الشّعريّة او من التّصورات الخياليّة، وقد ذكر له أهل تلك الصّناعة وجوها كثيرة حتى انّ بعضهم قد صنف فيه مقدّمة و ذكر له سبعين معنى تقريبا، و لنذكر بعض ما قالوه و هو معان

اولها انّ معناه انّها اى المحبوبة كانت تنظر الى القمر الحقيقى فى السّماء وأنا أنظر الى القمر المجازى الذى هو وجهها بأنّه قمر حقيقى لأنّ عينها تنظر الى القمر الحقيقى فأنا نظرت الى وجهها بعينها الناظرة الى القمر الحقيقى؛ بمعنى أنّى اعتقدت أنّها القمر الحقيقى، ثم قال و رأت بعينى يعنى انّها رأت القمر الحقيقى بعينى اى نظرت اليه بانّه قمر مجازا وانّه فى الواقع حقيقى لأنّها نظرت بعينى وأنا أنظر اليه على انه مجاز بالنّسبة اليها ولا يخفى ما فى هذا الوجه من التّكلّف

وثانيها ما قاله الوالى تغمّده الله برحمته (١) و كان عالما شاعرا أديبا صالحا

---

(١) قال العالم المتتبع الخبير المولى عبدالله الافندى التبريزى ثم الاصفهانى (ره) فى رياض العلماء مانصه: اظن ان اكثر فوائد كتب السيد نعمة الله الشوشترى المعاصر قدس سره مأخوذة من تصانيف هذا السيد الوالي (ا هـ)

عفيفا عابداً و كان حا كما على بلاد العرب كالحويزة وما والاها ، وقد كنّا نحن بشوشتر فكان كلّ سنة يرسل اليناالمكاتيب والرسائل ويرغبناويحثّنا على الوصول الى حضرته وقد أبطأنا عليه بعض المرّات ؛ فكتب الينا مكتوبا وهذه الابيات من جملته

يا أخا بشرنا تأخّرت عنا قد أسأنا ببعد عهدك ظنّا
كم تمنّيت لى صديقا صدوقا فاذا أنت ذلك المتمنّى
فبغصن الصّبا لما تثنّى و بعد الصّبا وان بان عنّا
كن جوابى لكى تردّ شبابى لا تقل للرّسول كان و كنّا

وقد اكثر من المصنّفات فى فنون العلوم وكان يحفظ من القصائد مع كبر سنه ما لا يعدّ لأنّه كان يحفظ اكثر الدّواوين على خاطره ، وله ديوان نفيس وما كنّا نسمع فى مجلسه شيئا سوى روى جدّنا عن جبرئيل عن البارى ؛ وقدانتقل الى جوار الله ورحمته سنة الثامنة(١) والخمسين بعدالالف ؛ و جلس فى الملك بعده ابنه الكبير وفّقه الله تعالى والاسم الشّريف لذلك المرحوم هوالسّيّد على خان بن السّيّد خلف بن السّيّد مطلب الذى أسلمت الكفار على أيديهم واستبصرت المخالفون فى أعصار دولتهم

نسب كان عليه من شمس الضحى نورا و من فلق الصّباح عمودا

. و حاصل المعنى بتوقّفه على البيتين و هو انّها رأت قمرا فى السّماء ببهجة و استحسان فأذكرتنى ليالى كنت أو اصلها بالرقمتين لما كانت مساعدة بالوصل و تنظر الىّ بتوجّه وتودّد ، ثم قال كلانا ناظر قمرا وهو القمر الحقيقى ولكن رأيت بعينها فى هذه الحالة الّتى هى معرضة عنّا وصادّة فيه ، و رأت بعينى فى حال نظرى اليها باستحسان وتوجّه فأنا أنظر الى القمر الحقيقى معرضا عنه اذا طلبتى غيره ، وهى تنظر اليه بتوجّه منها اذ مطلبها النّظر اليه

و ثالثها كون معناه انّ الرجل اذا نظر الى الشىء ينظر اليه شزرا (٢) والمرأة

(١) فى النسخة المخطوطة : الثانية

(٢) الشزر بالفتح فالسكون نظر الغضبان بمؤخر العينين يقال نظر اليه شزراً اى نظر غضب

اذا نظرت تنظر فتوراً لمكان الحياء والخجل، ولكن هنا لمّا نظرت الى القمر الحقيقى نظرت شزرا لعدم حيائها منه ، وهو لمّا نظر الى القمر المجازى و هو وجهها نظر اليه بحياء و فتور ، فقد صار وصف كلّ واحد منهما للاخر ،

ورابعها انّها نظرت الى قمر السّماء و نظرت أنا الى قمر وجهها فأنا نظرت الى قمر كالقمر الذى رأته هى بعينها ، يعنى انّ وجهها قد صار قمرا حقيقيّا ، فأنا أنظر بعينها يعنى مثل الذى تنظره عينها وهوالقمر الحقيقى ؛ وهى تنظر الى قمر حقيقى بعينى ، اى بالعين الّتى نظرت بها الى القمر الذى هو وجهها ، وقيل فيه معان كثيرة

ونظير هذا فى مراتب الحقيقة ما روى عن الامام ابى جعفر محمدبن على الباقر عليه السلام قال فى حديث الاسراء انّ عبدى ليتقرّب الىّ بالنّوافل حتى أحبّه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ؛ و يده التى يبطش بها ، ان دعانى أجبته وان سألنى أعطيته ، و لقد هلك جماعة من الصّوفيّة فى هذا الحديث حيث حملوه على ظاهره ؛ فذهبوا منه الى الاتحاد المعروف بينهم ، و هذا كفر منهم وإلحاد فى ذات الله ، ومعناه الذى يمكن ايصاله الى الأفهام هو انّ العبد اذا تقرّب الى الله عزّ وجل تقرّب الله اليه ايضا ، كما قال من تقرب الىّ شبرا تقرّبت اليه ذراعا ، ومن تقرب الىّ ذراعا تقرّبت اليه باعا ، فاذا وقعت المقاربة منحه الله الألطاف الالهيّة حتى لايكون عاملا الاّ بما كان موافقا لرضاه فهو سبحانه الذى يتصرّف فى أعضائه وجوارحه ويجريها فى مجارى طاعاته و إراداته ، فهو الذى يسمعه و هو الذى ينصب عينيه لمشاهدة آثاره و عالم ملكوته ، و هو تعالى الذى ينطق لسانه بكلماته وعباداته الى غير ذلك

وهذه المرتبة تسمّى عند السالكين الفناء فى الله وسيأتى تحقيقها ان شاء الله تعالى عند تحقيق مراتب السّلوك ، والى ما ذكرنا يشير كلام سيّد السّالكين مولانا امير المؤمنين عليه السلام ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانيّة بل قلعتها بقوّة ربّانيّة ، و ذلك انه عليه السلام قد أفنى قوّته البشريّة فى الطاعات والعبادات فأعطاه تعالى قوة ربانيّة بها قدر على ما يعجز عنه قوة البشر ، ومن هذا قال عليه السلام عرفت الله بفسخ العزائم ، وقال ايضا انّ قلب المؤمن

بین اصبعین من أصابع الرحمن یقلّبهما کیف شاء ، ومن نظائر ماسبق فی عالم الشّهود ما ذکره ابن الجوزی فی تاریخه

قال لمّا تزوجت لیلی جاء المجنون الی زوجها و هو یصطلی فی یوم شاة فوقف و قال له

بربك هل ضممت الیك لیلی قبیل الصّبح او قبّلت فاها

وهل رفّت علیك قرون لیلی رفیف الأقحوانة فی نداها

فقال اللّهمّ إذخلفتنی فنعم ، فقبض المجنون بكلتا یدیه قبضتین من الجمر فما فارقهما حتی سقط مغشیّاً علیه ، فسقط الجمرمع لحم راحتیه وتوفی سنة سبعین من الهجرة

و حکی بعض الثّقات قال إجتزت فی بعض أسفاری بحیّ بنی عذرة ، فنزلت فی بعض بیوته ، فرأیت جاریة قد ألبست من الجمال حلیة الکمال فأعجبنی حسنها و کلامها ، فخرجت فی بعض الایام أدور فی الحیّ و اذا أنا بشابّ حسن الوجه و علیه أثر الوجد و أضعف من الهلال وأنحف من الخلال ، و هو یوقد نارا تحت قدر و یردّد أبیاتا و دموعه تجری علی خدّیه ؛ فمّاحفظت منه قوله :

فلا عنك لی صبر ولافیك حیلة ولا عنك لی بدّ ولاعنك مهرب

ولی ألف باب قد عرفت طریقها ولکن بلا قلب الی این أذهب

فلو کان لی قلبان عشت بواحد و أفردت قلباً فی هواك یعذّب

فسألت عن الشّابّ وشأنه ، فقیل یهوی الجاریة الّتی أنت نازل فی بیتها و هی محتجبة عنه منذ أعوام ، قال فرجعت الی البیت و ذکرت لها ما رأیت ، فقالت ذاك ابن عمّی ، فقلت لها یا هذه للضّیف حرمة فنشدتك بالله الّا ما متّعته بالنظر الیك فی یومك هذه ، فقالت صلاح حاله فی ان لا یرانی ، قال فحسبت انّ إمتناعها ظنّة منها ، فمازلت أقسم علیها حتی أظهرت القبول و هی متکرّهة، فقلت لها أنجزی و عدك الان فداك ابی وامّی ؛ فقالت تقدّمنی فانّی ناهضة إثرك ؛ فاسرعت نحو الغلام و فقلت له أبشر بحضور من ترید فانّها مقبلة نحوك الان ، فبینما انا أتکلّم معه اذ خرجت من خبائها مقبلة تجرّ أذیالها وقد أثارت الریح غبار أقدامها حتی ستر الغبار شخصها ، فقلت للشابّ ها هی قد

أقبلت ؛ فلمّا نظر الغبار صعق وخر على النّار لوجهه فما أقعدته حتى أخذت النّار من صدره و وجهه ، فرجعت الجارية و هى تقول من لا يطيق مشاهدة غبار نعالنا كيف يطيق مشاهدة جمالنا

ونظير هذه فى عالم الحقيقة قوله تعالى ولكن أنظر الى الجبل فان استقرّ مكانه الاية ، ونقل فى كتاب مصارع العشّاق انّ كثير غرة قال أعجب والذّمامر على فى حب غرة انّه كان معه ركب يريدون الحجّ ، وقد اتّفق انّ فى ذلك الركب عزة مع زوجها و كان كثير لا يعلم بهما ، فبينما هو ذات يوم فى الطّريق قاعد يبرى واذا عزة واقفة على رأسه فطار لبّه لمّا نظر اليها وصار يبرى أصابعه بالشّفرة و الدّم يسيل من يده و هو لا يحسّ به ، و كان زوجها باعثها تشترى سمنا فأظهرت غرة لكثير انّها تريد سمنا و كان عنده ظرف ، فقام وصبّ لها فى الإناء فامتلأ وفاض و وقع على الارض ، فلمّا نظرت غرة الى الدّم يسيل من أصابعه قطعت قطعة من مقنعتها وعصبت بها يده ومضت الى زوجها فرآها على حالة منكرة ، فسألها فأخفت عليه حالها حتى ألحّ عليها فأخبرته بما كان ، فقبضها من يدها وأوجعها وأتى بها الى قدام كثير ، وقال لها اشتميه و سبيّه حتى أسمع فقابلت كثيرا وأخذت فى شتمه وسبّه وزوجها يسمع فقال كثير

يكلّفها الخنزير شتمى وما بها هوآنى ولكن الكميل استذلّت

هنيئا مريئا غير داء مخامر لغرّة من أعراضنا ما استحلّت

ومن النظائر فى عالم الحقيقة أن رجلا كان ورده يا الله ، فكان يقولها كلّ أوقاته فلمّا قتل جرى دمه على الارض مكتوباً فيه يا الله يا الله اينما جرى ، وما ذلك الّا لاختلاط محبّته تعالى وممازجتها بلحمه ودمه ، وفى عالم الشّهود قد نقل ايضا مثله وهى انّ زليخا قد احتجمت يوما فلمّا وقع الدّم على الأرض كان مكتوبا فيه يوسف يوسف اينماسال

وحكى ايضا فى التفاسير انّها غضبت على يوسف عليه السلام يوما فأمرت خادمها بأن يضربه أسواطا وهى تسمع صوت السّوط ، فكان الخادم يوقع الأسواط على الأرض ويضرب الأرض وهي تسمع فخطر بخاطر الخادم ان يضربه سوطا واحداً حتى يري الاثر على بدنه

فلاتكذبه زليخا في ضرب الأسواط ، فضربه سوطا فخرجت زليخا من خدرها وصاحت به كفّ عن الضّرب فهذا السّوط الذى ضربته الان قد وقع ألمه فى قلبى ؛ وكأنّك ضربتنى أنا لا يوسف ؛ فأمّنت على الخادم فحكى لها كيفيّة الضرب و انّه كان على الارض الاّ ذلك السّوط

وقد سبق انّ زليخا قعدت يوما على ممرّ يوسف فلمّا أخبرتها جاريتها بدنوّه منها قالت يا يوسف بحق الذى أعزّك وأذلّنى ان تقف ساعة ولا تغيب عنّى ، فقال يا زليخا اين مالك وجمالك ؟ قالت ذهبا فى سبيلك ، فقال واين عيناكِ ؟ فقالت ذهبتا بالبكاء على فراقك ؛ فقال واين عشقك ؟ قالت فى صدرى كما كان ، قال فأين برهانك ؟ قالت ناولنى سوطك ، فناولها ايّاه فتأ وّهت ونفخت فيه فاحترق السوط من نفسها ، فألقاه يوسف من يده وصرف عنان الفرس فرارا ؛ فقالت يا يوسف انّك بدعوى الرجوليّة لم تكن مثل المرأة فانّى حفظت تلك النّار في صدرى منذ اربعين سنة و لم أنهزم كانهزامك

ومن احكام هذه المرتبة فى عالم الشّهود ماذكره شرّاح كتاب المغنى عندذكره فى بحث لو الشّرطيّة قول الهذلى

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا ومن دون رمسينامن الارض سبسب
لظلّ صدا صوتى وان كنت رمّة لصوت صدا ليلى يهشّ ويطرب

والأصداء جمع صدا وهو الذى يجيبك مثل صوتك فى الجبال ، والرّمس تراب القبر ، والسبسب المفازة ، والرمة العظام البالية ، ثم نقل بعد هذا قول توبة

ولو انّ ليلى الأخيليّة سلّمت علىّ و دونى جندل و صفائح
لسلّمت تسليم البشاشة اوزقى اليها صدى من جانب القبر صائح

والصّفايح الحجار العراض تكون على القبر ، وزقى أى صاح ؛ قال الشرّاح ذكر صاحب كتاب الجليس والأنيس قال مرّت ليلى الأخيليّة ومعها زوجها قرب قبر توبة ، فقال لها يا ليلى هذا قبر توبة فسلّمى عليه ، قالت وما تريد منه قال أريد تكذيبه أليس هو الذى يقول ولو انّ ليلي الأخيليّة الشّعر ، فلا والله ما برحت حتّى تسلّمي عليه ،

فقالت السلام عليك يا توبة ألست القائل ولو انّ ليلى الأخيليّة سلّمت فأين ما قلت ؟ فاذا طائر كان هناك فخرج من القبر حتى ضرب بصدرها فشهقت شهقة فماتت ، فدفنت الى جانب قبره فنبتت على قبره شجرة ؛ وعلى قبرها شجرة فطالتا فالتفّتا (١) فانظر الى فرط المحبّة كيف اثر فيهما وسرى منهما الى شجرتيهما حتى تلاقتا ، والظاهر انّ تلاقيهما عيانا يشعر بتلاقي روحى أهل الحبّ بيانا وما ذلك الاّ لأنّ عشقهما كان عفيفا ، ومن هذا الباب قول المجنون

ولو وقفت ليلى بقبرى وقدعفت معالمه و استفتحت بسلام
لحنّت اليها بالتّحيّة رمّتى ورنّت بترجيع السلام عظامى

ولذا نقل عنه صلى الله عليه انّه قال من عشق فعفّ فمات دخل الجنّة ، وفى كتاب رياض النّعيم عن ابرهيم بن نفطويه النحوى قال دخلت على محمد بن داود الاصفهانى صاحب المذهب فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت كيف تجدك ؟ فقال حب من تعلم أورثنى ماترى قلت ما منعك منه مع القدرة عليه ، فقال الاستمتاع على وجهين النظر المباح واللّذة المحظورة ، و امّا النظر المباح فقد منعنى منها ما بلغنى عن ابن عباس عن النّبى صلى الله عليه انه قال من عشق و كتم وعفّ غفر الله له و أدخله الجنّة (٢) قال ثمّ انّه أنشدنى أبياتا لنفسه فلمّا انتهى الى قوله

ان يكن عيب خده من عذاره فعيب العيون شعر الجفون

(١) هل لهذه القصص العجيبة حقيقة ؟ او إنها من الاساطير ؟ والله العالم

(٢) الظاهر ان الخبر مروى من طرق العامة وفى بعض الكتب ما هذا لفظه : من عشق فعف و كتم فمات مات شهيدا . وعن بعض العامة ان فى سنده سويد بن سعيد وقد انكر الحفاظ عليه و عن الشيخ محى الدين النووى انه عمل بمضمونه وعد فى باب الشهيد الذى لاغسل له من مات بسبب العشق مطلقا كتم ام لا و قال بعض مشايخ الصوفية من الامامية : وهذا الخبر و ان نوقش فى طريقه الا انه منجبر بعمل الفريقين (اه) و القارى الكريم جد خبير بما فى كلامهما من الغرابة وان كل مانقلناه عنهما من الاوهام السخيفة

فقلت له انت تنفى القياس فى الفقه وتثبته فى الشعر ، فقال غلبة الهوى و ملكة النفوس دعوا اليه قال ومات فى ليلته

وحكى بعض الصلحا قال رأيت الغزالى فى البريّة وعليه مرقعة و بيده ركوة و عصا ، فقلت ايّها الامام أليس تدريس العلم ببغداد خيراً من هذا ؟ فنظر الىّ نظر الازراء وقال لمّا بزغ بدر السّعادة من فلك الارادة و جنحت شمس الاصول الى مغارب الوصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل وعدت الى مصحوب أول منزل

و نادت بى الاشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

و لذا نقل عنه صلى الله عليه وآله انّه قال من عشق فعفّ فمات دخل الجنة ، و حكى عن العشّاق السبعة مثل ذلك ، ذكر جامع ديوان المجنون انّه دخل يوما على ليلى و كان يحاكيها فأتى زوجها فعمدت الى المجنون وأدخلته تحت ثيابها وجلست ، فلمّا خرج زوجها أخرجته من تحت الثّياب فقالت له ما رأيت تحت الثّياب ؛ قال و حقّك دخلت أعمى و خرجت أعمى ؛ وقد كان غمض عينيه حتى لاينظر الى بدنها ، وهذا ايضا علامة دوام الحب والاّ فالحبّ اذا نكح فسد

وقدشاهدنامن ارتكب أعظم المشاقّ فى باب العشق والمحبّة ولكن ذكر حكاياتهم يفضى الى تطويل الكتاب ، وقد ذكر بعض أهل التّاريخ انّ كثير غرة كان رافضيّا وكان خلفاء بنى اميّة يعرفون ذلك منه ؛ دخل على عبد الملك بن مروان يوما فقال نشدتك بحق على بن ابيطالب عليه السلام هل رأيت أعسق منك ؟

فقال نعم بينما أسير فى بعض الفلوات اذانا برجل قدنصب حبائله؛ فقلت ماأجلسك هنا ؟ قال أهلكنى وأهلى الجوع فنصبت حبائلى لأصيب لهم ولنفسى مايكفينا يومنا هذا، فقلت أرأيت ان أقمت فأصبت صيدا تجعل لى جزءً ، قال نعم ، فبينما نحن كذلك اذ وقعت عليه ظبية فخرجنا مبتدرين فأسرع اليها فحلّها و أطلقها ، فقلت له ما حملك على هذا ؟ قال دخلنى عليها رقّة لشبهها بليلى وانشأ يقول

أيا شبه ليلى لا تراعى فانّنى لك اليوم من وحشيّة لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها لأنت لليلى لو عرفت عتيق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

ولمّا أسرعت فى العدو جعل يقول :

إذهبى فى كلاءة الرحمن أنت منّى فى ذمّة و أمان
لاتخافى من ان تحاجى بسوء ما تغنّى الحمام فى الأغصان

اقول و نظير هذا فى عالم الحقيقة انّ الرّجل الذّى كان يضحك منه فرعون لما تشبه بموسى عليه السلام فى الملبس ودخل على فرعون يقلّد على موسى فى أقواله وافعاله وقد غضب منه موسى ؛ و لمّا اغرق الله فرعون و جنوده وكان فيهم ذلك الرّجل فلم يغرقه الله سبحانه ، فقال موسى يا ربّ انّ هذا الرّجل أغاضنى فلم لم تغرقه ؟ فقال يا موسى انّه تشبّه بك فى الثّياب والكلام فأنجيته لما تشبّه بأحبّابى

وحكى بعض الثّقات انّه كان رجل يهوى ابن واحد من السّلاطين قد سمّاه فأفرط فى حبّه ومنعه عن أشغاله ؛ فترك معاشه وجعل نفسه سقّاء فى باب بيت السّلطان حتّى يراه كلّما خرج فبقى على هذا مدّة ، ثمّ انّ بعض خواصّ ذلك الولد أخبره عن حال ذلك الرّجل وإفراطه فى عشقه ؛ فقال ذلك الولد اظنّ ذلك الرجل كاذبا فى دعواه ، فقالوا إختبره ان أردت تصديق مقاله ، ثم إنّه ركب يوما وخرج الى الصّيد وأمر ذلك الرّجل ان يجئ معه الى الصّحراء فلمّا بلغ الى محل الصّيد رمى سهما وقال لذلك الرجل إمض الى هذا السّهم وانظر اين وقع فاجلس عنده ، فمضى الرجل الى السّهم وأخذه وقبّله وجلس منتظرا لولد السّلطان ، فرجع معه خواصه الى البلد و لم يخرج بعد الى تلك الصّحراء حتى مضى اربعون سنة (١) فاتّفق انّه خرج يوماً الى تلك الصّحراء فراى رجلا قد أخذه العمر و هو جالس وبيده سهم ، فسأله عن حاله فقصّ قصّته فعرفه ابن السّلطان فقال له تعرفنى ؟ فنظر الرجل اليه فقال أعرفك وأنا مقيم على ما أمرتنى به

---

(١) كيف بقى ذلك الرجل فى الصحراء حتى مضى اربعون سنة والله العالم فهذه القصة من القصص التي لايمكن الركون اليها

ولا أحوال عنه الى الموت قضاء لأمرك لما كنت حبيباً ؛ فاراد منه المجىء الى البلد فلم يقبل فبقى وكان هناك قبره

ونظيره في عالم الحقيقة ما رواه الصدوق باسناده الى الصادق عليه السلام قال انّ اسمعيل الذّى قال الله عزّ وجلّ فى كتابه و اذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيّا لم يكن اسمعيل بن ابراهيم ، بل كان نبيّا من الأنبياء بعثه الله عزّ وجل الى قومه ، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه و وجهه فأتاه ملك الموت ، فقال ان الله عزّ وجل بعثنى اليك فمرنى بما شئت ؛ فقال لى أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام ؛ و قد وعد رجلا على ضحوة فاشتدّت الشمس عليه ، فقال أصحابه يا رسول الله لو انك تحوّلت الى الظلّ ، قال قد وعدته الى هيهنا وان لم يجىء كان منه المحشر ، وفى خبر اخر انه وعد رجلا فجلس له حولا ينتظره فانّ انتظاره عليه السلام انما جاء من قبل الامر به من جهة ذلك المحبوب الحقيقى فهو تعظيم له فى الحقيقة لا لذلك الرّجل

فان قلت اذا آل الامر الى مرتبة العشق والمحبّة أفيجوز ان يكون فى ذلك الحصن أعنى القلب غيره سبحانه ؟ قلت نعم و لكن ذلك الغير يكون أعوانه و أتباعه و أحبابه فيصدق ان ليس فى ذلك الحصن غيره كما يصدق ان ليس غير السّلطان فى الحصن الظّاهرى ، مع انّ السّلطان وحده لايجوز ان يكون فيه وحده بدون الأتباع والأعوان والجنود ؛ نعم ليس فيه ما يعارض ذلك السّلطان ولا يكون مناسباً له ويكون اجنبيّاً عنه و كذلك القلب فانه اذا كان فيه حبّ الله وحبّ من أحبّه الله صدق انه ليس فى القلب حب غير الله لما عرفت ، ومن هذا قال صلى الله عليه وآله فى دعائه اللّهم ارزقنى حبّك و حبّ ما يقربنى الى حبّك واجعلك أحبّ الىّ من الماء البارد

وقدكان ذلك فى اكثر اهل هذا العشق فانهم كانوا يحنّون الى من له أدنى نسبة الى محبوبهم كالدّيار والمنازل والأقارب والجيران حتى كلاب الحىّ

رأى المجنون فى البيداء كلبا فجرّ لـه من الاحسان ذيلا
فلاموه علـى مـا صار منه و قالوا ألم أنلت الكلب نيلا

فقال لهم دعوني انّ عيني رأته مـرّة في حيّ ليلى

وكذلك الدّيار فانّ ما قرب من دار الحبيب يكون عندهم كداره

لاتقولوا دارها بشرقي نجد كلّ نجد للعامريّة دار

وقول الرّضي ره

عارضابي ركب الحجاز أسايل (أسائله) متى عهدهم بـأيّام جمع

واستملا حديث من سكن الخيف . ولا تكتبا ها الاّ بدمعي

فانّي ان أرى الدّيـار بطرفي فلعلّي أرى الدّيار بسمعي

وكما انّ السلطان المستقرّ في الحصن يحتاج في بقائه في ذلك الحصن الى الماء والزّاد و اللّباس وسائر ما يحتاج اليه في المعاش فكذلك القلب؛ فانّ ابن آدم قدخلق أجوف يحتاج الى المأكل والمشرب الى غير ذلك ممّا يحفظ البدن، ولا يهتمّ الانسان في تحصيل شيء الاّ اذا أحبّه وعلم انّ فيه مصلحة، فحينئذفحبّ الزوجة والولدوالمال والأقارب والأعوان اذا كان لغرض ديني لا ينافي حبّ الله تعالى بل يؤكّده و يقرّره، امّا المال ففيه معاونة المحاويج والفقراء من اهل الله، و أمّا الزوجة فهي لباس الرّجل السّاتر له وبها يحصل له التّعفّف عن إرتكاب المحرمات

وامّا الاولاد فالمصالح الأخرويّة المترتّبة على وجودهم اكثر من ان تحصى، روى انّ نبيّا من الأنبياء مرّ على قبر يعذّب صاحبه ثم مرّ عليه بعد مدّة فلم يكن يعذب فسأله اصحابه عن رفع العذاب عنه، فقال انّه خلف ولدا فجاءت به أمّه الى المعلّم؛ فلقّنه بسم الله الرحمن الرحيم فاستحى الله تعالى ان يعذّب رجلا و ابنه يقول بسم الله الرّحمن الرحيم

وامّا الأقارب فهم من أعظم النّعم حتى لوكانوا أعداء، فانّ الصّادق عليه السلام قال أفضل الصدقة الصدقة علي ذي الرحم الكاشح اى المعادي، وبالجملة فحبّ هولاء وأمثالهم لمثل هذه المصالح لاينافي حبّ الله تعالى بل يجتمع معه و يكون معاونا على بقائه و إستمراره، روى انّه صلى الله عليه وآله سأل عن رجل من الشّيعة فقالوا له يا رسول الله قد تخلّى عن

الدنيا وأقبل على العبادة ، قال فمن اين يأكل ؟ قالوا له أخ يعطيه ؛ فقال انّ ثواب ذلك الأخ اكثر من ثوابه مع عبادته ، وهذا اشارة الى ما ذكرناه ؛ امّا اذا احبّ الولد لغرض دنيوىّ وكذا المال ليتوصّل به الى الأغراض الفاسدة فهذا ممّا لا يجتمع مع حبّ الله سبحانه

فان قلت فاذا احبّ هذه المذكورات لا للغرض الاول ولا للغرض الثانى بل لأنّ الطبيعة البشريّة إقتضته فانّك ترى انّ الرجل يحبّ أطفاله و أقاربه ولا يخطر بخاطره شيء من الاغراض أفيكون مثل هذا مضادّا لحبّ الله سبحانه أم غير مضادّ له

قلت الحق انّ مثل هذا لايضادّه ، و ذلك انّ مثل هذه المحبّات يكون بها بقاء النّوع الانسانى ؛ ولولاها لماعطفت الامّ على الولد وآثرته على نفسها و وقته الحرّ والبرد وكذلك الرجل على ولده فتكون هذه المحبّات منه تعالى لانتظام النّوع وقد صرّحت بمثل هذه الاخبار ، روى انّ الله تعالى خلق المحبّة على مائة جزء فقسم واحدا منها بين الخلق و به يحبّ الرجل ولده والأمّ طفلها ، و أبقى منها تسعة وتسعين جزء يرحم بها الخلائق يوم القيمة

نعم الذى يجب هنا ان يجعل حب الله سبحانه سلطان ذلك الحصن ، وهذه المحبّات من العساكر و الاتباع لا ان يجعل واحدة منها هى الرئيس و يكون محبّته تعالى من التّوابع كما هو الموجود فى اكثر النّاس ، و الى هذا الاشارة بما روى من انّ الحسن عليه السلام قال يوما لجدّه عليه السلام أيجتمع محبّتان فى قلب واحد ؟ فقال لا بنىّ ، فقال أتحبّ أبى ؟ قال نعم ، قال أفتحب امّى ؟ قال نعم ، قال أفتحب أخى ؟ قال نعم ، قال أفتحبّنى انا ؟ قال نعم ، قال أفتحبّ الله تعالى ؟ قال نعم ، قال الحسن عليه السلام فكيف اجتمعت هذه المحبّات كلّها و أنت قلت لا يجتمع محبّتان فى قلب واحد ؛ فقال عليه السلام يابنىّ انّ حبّكم يرجع الى حبّ الله تعالى فى قطب القلب وحبّكم كالخطوط الّتى هى حوله ، فهذا الحبّ كلّه واحد وتفصيله ما ذكرنا ، و على وهذا ينحلّ الإعتراض الذى أورده بعض القاصرين على قول الشاعر :

محى حبها حب الاولى كن قبلها وحلّت محلا لم يكن حل من قبل

و وجه الاعتراض بانه اذا كان حبها قد محى حب من تقدمها على ان القلب كان محلا لغير ها لكن حبها أخرج ذلك الغير ، فما معنى قوله وحلّت مكانا لم يكن منز ولا قبلها ؛ والجواب انّ حب من كان قبلها كان محلّه أطراف القلب و جوانبه ، ولمّا أتى هذا الحب أخرج تلك المحبات من كل الأطراف واستقر فى وسط القلب الذى لم يكن محلا لأحد قبله ، وقد كانت الشعراء اذا أرادوا ان يدعوا على أحد كان اسوء ادعيتهم عليه ان يكون مشغولا بحب محبوب يكون ذلك المحبوب مشغولا بحب غيره كما قال بعض الشعراء

من قصر اللّيل اذا زرتنى أشكو وتشكين من الطول

عدو عينيك و شانيهما أصبح مشغولا بمشغول

فقوله اذا زرتنى ظرف متعلّق بأشكو، ومعناه انك أيتها المحبوبة اذا زرتنى أشكو أنا من قصر اللّيل ، و انت تشكين من طوله ، ثم دعا على من يبغض عينيها و يشنأهما بأنه يصبح مشغولا بمحبوب يكون ذلك المحبوب مشغولا بغيره و ليس أضر على العاشق من هذا لأنه وان قربت داره لكنه غير نافع بعد ان لا يكون له وداد

على انّ قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذى ودّ

و قد يمثلون مثل هذا الحبيب بما قال

كالعيس فى البيداء يقتلها الظماء والماء فوق ظهور ها محمول

وقال شيخنا الحويزى قدس الله روحه

فلا تعجب لهجر من حبيب قريب الدار مرجو الوصال

فحكم الجملتين الفصل قطعا و بينهما كمال الاتصال

ونظير هذا فى عالم الحقيقة شيء عجيب و هو انه سبحانه و له المثل الأعلى قد تحبب الينا بأنواع المحبات ونحن مشغولون عنه فى غيره من آلهتنا الّتى هى النفس والهوى والشهوات و الإرادات حتى انه تأسف على أحوالنا فقال يا حسرة على العباد ما يأتيهم

من رسول الاّ كانوا به يستهزؤون، فهوقد تأسّف علينا تأسّف المحبّ على المحبوب كما يقول أحدنا اذا تأسّف على محبوب له قد أتى بما يحصل له منه الضّرر يا حسرتى على حبيبى فلان كيف أتى بهذا الفعل حتى حصل له منه ما حصل ؛ وفى الحديث القدسى يابن آدم أتحبّب اليك بالاحسان وتتبغّض الىّ بالمعاصى ، خيرى اليك نازل و شرّك الىّ صاعد حتى كأنّ لك المنّة علىّ وأنا المحتاج اليك ،

فان قلت ذكرت انّ صاحب هذه المرتبة يشتغل عن استعمال القوة الشّهوانيّة و القوّة النّفسانيّة فما للأنبياء وأوصيائهم و الأولياء ممّن حصّل هذه المنزلة لم يمنعوا أنفسهم عن القوّتين بل كانت القوّة الشّهوانيّة فيهم اكثر منها فى غيرهم ، فقد نقل انّ سليمان عليه السلام كان يصحب معه على البساط ألف امرأة منكوحة منها سبعمأة من الاماء ، و ثلثمأة من الحرائر ، وقيل انّه كان يطوف عليهنّ فى ليلة ، وامّا نبيّنا صلى الله عليه وآله فقدمات عن تسع وقداكثر من الزّوجات؛ و كذلك الائمة صلوات الله عليهم؛ وامّا القوّة الأخرى فروى انّ الحسن والصادق عليهما السلام و كذلك الرضا عليه السلام كانوا يتأنّقون فى المأكل والملبس و الشرب مع انّ تلك الدرجة لم يبلغ كمالها أحد سواهم، قلت هاتان اللّذّتان الواقعتان فى هذا العالم على قسمين

القسم الاول مـا نوقعه نحن منهما لداعى الشّهوة المركّبة فى الأبدان و لأجل الالتذاذ وطلبا للأولاد والتّكاثر ، ومن هنا ترى الزّانى لايزنى الاّ ان يكون على لذّة منه ، بل قيل انّ الزنا ألذّ عند أهله من الحلال ، وحكى صاحب الكشكول ان رجلاكانت له امرأة وكان يتركها ويمضى الى الزّنا فقالت له امرأته يوماً ايّها الرّجل عندك حلال طيّب فتدعه وتمضى الى الزّنا؛ فقال لها امّا قولك حلال فنعم وامّا قولك طيّب فلا، وفيه ايضا انّ رجلا كان يلوط بالأولاد فعاتبته امرأته و قالت انّ الذى تطلبه من الغلمان عندى أنا الفرد الاحسن ، فقال نعم عندك منه الاحسن لكن الذى عندك له جارموذو هو غير حسن فنحن نترك ما عندك لكراهة جاره ، فانظر الى هذا الرجل قبّحه الله كيف أجابها ، ولعلّه صادق با عتقاده ، و ذلك لأنّ النّفس حريصة على ما منعت عنه مع معاونة الشّياطين و

تسويلاتهم واين هؤلاء من جميل العاشق

كما روى انّه بثينة دخلت يوما على عبد الملك بن مروان فقال يا بثينة ما أرى شيئا ممّا كان يقول جميل ، فقالت يا امير المؤمنين انّه كان يرنوا لى بعينين ليستا فى رأسك ، قال فكيف صادفته في عفّته ، قال كما وصف نفسه

لا والذى تسجد الجباه له	مالى بمادون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها	ما كان الاّ الحديث والنظر

وعن ابى سهل السّاعدى قال دخلت على جميل و بوجهه آثار الموت ، فقال لى اباسهل انّ رجلا يلقى الله ولم يسفك دما حراما ولم يشرب خمرا ولم يأت بفاحشة أترجوله ، قلت اى والله فمن هو؟ قال انّى لأرجوان أكون ذلك ، فذكرت بثينة فقال انّى لفى آخر يوم من الدّنيا وأول يوم من الاخرة لانالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله ان كنت حدّثت نفسى بريبة قطّ

وامّا القليل منّا فربّما ضموا الى الدّواعي المذكورة سابقا الاستنان بسنّة النبىّ صلى الله عليه وآله لما سمع فيه من مراتب المثوبات ، روى انّ سليمان عليه السلام مرّ يوما بعصفور يقول لزوجته أدنى منّى حتى أجامعك لعل الله يرزقنا ولدا ذكرا يذكر الله تعالى فانّا كبرنا؛ فتعجّب سليمان عليه السلام وقال هذه النيّة خير من مملكتى

وامّا احبّاؤه تعالى فهم انّما يأتون هذه الشّهوات والمستلذات لا للدّواعى الّتى فينا بل لأنّه تعالى أمرهم باستعمالها ؛ فهى وان كانت لذيذة فى الحس عندنا الاّ انّ أعظم لذّتها فى المعنى عندهم ؛ لأنّهم لايستلذون الاّ بما فيه رضى محبوبهم ؛ ومن ثمّ يستلذوا من المحرمات إستلذاذ غيرهم منّا ، و من هذا قال امير المؤمنين عليه السلام لو أدخلتنى نارك لم أقل انها نار ، وأقول انّها جنّتى لأنّ جنّتى رضاك فاينما أنزلتنى أعرف انّ رضاك فيه

و هجره أعظم من ناره	و وصله أطيب من جنّته

وقال له سلمان الفارسىّ رضى الله عنه يا امير المؤمنين أتحب الموت أم الحياة ؟ فقال لا أحبّ الاّ ما أحبّه لى مولاى ، وامّا طلب الجنان والخلاص من النيّران فانّما

هو مقصد التجار والعبيد كأمثالنا ، وذلك لأنّ طلب النّعمة واللّذة يكون على وجوه ثلثة اعلاها ان يكون لذّته بالمنعم لا بالنّعمة ولا بالأنعام ، و مثاله من المشاهدات انّ السّلطان اذا أراد الخروج الى سفر فأنعم بفرس على انسان فيتصوّر انّ لذّة المنعم عليه وفرحه بالفرس على وجوه ثلثة

الأول ان يفرح بالفرس من حيث انّها مال ، ولو وجدها فى صحراء لكان يفرح بها ذلك الفرح فهذا فرح من لاحظّ له فى السّلطان

الثانى ان يفرح به لامن حيث انّه فرس بل من حيث يستَدلّ به على عناية الملك وشفقته حتى لو أعطاها غير الملك لم يفرح بها أصلا لعدم إحتياجه الى الفرس

الثالث ان يفرح بـه ويستلذ به ليركب ويخرج فى خدمة الملك ويتحمّل مشقّة السّفر لينال بخدمته رتبة القرب منه فيرتقى الى درجة الوزراء ؛ ثم انّه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة بل مشاهدة الملك والقرب منه ، حتى لوخيّر بين القرب دون الوزارة وبين الوزراة دون القرب لأختار القرب ، فهذه ثلاث درجات ، فالاولى درجة الجهّال واكثر النّاس الذين يفرحون بالأموال والنّعم لكونها أموالا ، ولا فرق عندهم فى تحصيلها من يدنبىّ من الأنبياء او مجوسىّ من المجوس ، و امّا الدّرجة الثّانية فهى درجة الأحباب والأخلاء الذين يفرحون بنعم الله ولذات الدّنيا من حيث انّه يقدر بهاعلى التوصّل الى القرب منه والنّزول فى جواره

وقد روى انّ واحداً من الصّحابة دخل على النّبى صلّى الله عليه و آله فاذا هو شاد حجرا على بطنه من الجوع ؛ وهو مستلق علـى قفاه لا يقدر على الجلوس و هو يقول : اللّهمّ انى أعوذبك من نوم يضجع على الفراش ويشغلنى عن طاعتك فهم عليهم السلام انّما يريدون الأكل ليقووا بها على الطّاعة والخدمة لمحبوبهم

وامّـا المرتبة الخامسة و هى الوله والهيام وان لايكون فى القلب والخيال سوى ذلك المعشوق فهذه آخر المراتب ، و هذه آخر مراتب الخليل عليه السلام كما قـال عليه السلام انّما سمى ابراهيم لأنّه برّ فهام ، يعنى انّه هام فى الحبّ حتى انّه لم يكن له شغل

ولم يكن فى قلبه أحد سوى ذلك الحبيب ؛ وهذه درجة النّبى ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وهى الّتى أشار علىّ بن الحسين عليهما السلام الى طلبها بقوله و فرّغ قلبى لمحبّتك ، يعنى يكون فارغا من محبّة كلّ احد ويكون مقصورا عليك وحدك ، قال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضرّ والنحافة رافعة يدبها تدعو ، فقلت لها هل من حاجة ؟ قالت حاجتى ان تنادى بالموقف بقولى

تزوّد كلّ النّاس زادا يقيهم   ومالى زاد والسّلام على نفسى

ففعلت فاذا أنا بفتى منهوك؛ فقال انا الزاد فمضيت معه اليها فما زادت على النّظر والبكاء ، ثمّ قالت له إنصرف مصاحبا ، فقلت ما علمت انّ لقائكما يقتصر على هذا ، فقالت أمسك أما علمت انّ ركوب العار ودخول النّار شديد

قيل لأعرابى ما بلغ من حبّك لفلانة ؟ قال انّى لأذكرها و بينى و بينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك ، وسئل الرّشيد رجلا ما اشدّ مايكون من العشق قال ان يكون ريح البصل منه أحبّ من ريح المسك من غيره

عبدالله بن عجلان الهذلى أحد العشّاق المذكورين تزوّجت عشيقته فراى أثر كفّها على ثوب زوجها فمات كمدا ؛ وزار على بن عبيدة الرّيحانى جارية كان يهواها و عنده إخوانه ؛ فحان وقت الظّهر فبادروا الى الصلاة وهما يتحدّثان ، فأطالا حتى كادت الصلاة تفوت ، فقيل يا ابا الحسن الصّلاة ، فقال رويدك حتى تزول الشّمس ، يعنى تذهب المرأة ، ابو العينا أضحكنى بايع رمّان يقول وقعت من فوق جبال الهوى الى بحار الحبّ طرطب ، عشق رجل امرأة فقيل له ما بلغ من عشقك لها ؟ قال كنت أرى القمر على سطحها أحسن منه على سطوح النّاس ، ليلى العامريّة مع قيس

لم يكن المجنون فى حاله   الاّ وقد كنت كما كانا
لكنّه باح بسرّ الهوى   و انّنى قد ذبت كتمانا

و فى الرّواية انّ سليمان عليه السلام راى عصفورا يقول لعصفورته لم تمنعينى نفسك ولو شئت أخذت قبّة سليمان بمنقارى فألقيتها فى البحر ؛ فتبسّم سليمان من كلامه ،

ثمّ دعى بهما فقال للعصفور أتطيق ان تفعل ذلك ، فقال لا يا رسول الله و لكنّ المرء قد يزيّن نفسه ويعظّمها عند زوجته؛ والمحبّ لايلام على ما يقول ، فقال سليمان عليه السلام للعصفورة لم تمنعيه من نفسك و هو يحبّك ؟ فقالت يا نبيّ الله انّه ليس محبّا و لكنّه محبّ مدّع لأنّه يحبّ معى غيرى ، فأثّر كلام العصفورة فى قلب سليمان عليه السلام وبكى بكاءً شديدا واحتجب عن النّاس أربعين يوما يدعو الله ان يفرغ قلبه لمحبّته و ان لا يخالطها بمحبّة غيره ، اذا تحقّقت هذا كلّه فاعلم انّ أهل دعوى محبّة الله كثيرون والدعوى لا تصدق الاّ بالشّاهد والشّواهد هنا و ان كان كثيرة الاّ انّ أظهرها و أقواها أمور ثلاثة

الاول النّحول والسّقم والذبول ؛ لأنّها صفات العاشق سيّما العاشق الذى يكون من الوصال فى شكّ و من الحبيب على حذر ؛ فانّ نار الحبّ اذا اشتعلت بالقلب سرى تأثيرها الى باقى الاعضاء لأنّها جنوده وتوابعه ، والنّقص الدّاخل على السّلطان يدخل على الرعيّة

و روى انّه قال رجل لسيّد العاشقين امير المؤمنين عليه السلام ما بال وجهك تعلوه الأنوار وأنت على هذا الحسن والجمال ، وغيرك من العبّاد وأهل الحبّ على حال عظيم من إصفرار الوجه ونحول البدن وضعف القوّة؛ فقال عليه السلام أولئك العبّاد والاحباب أحبّوا حبيبا وهم لا يعرفون حالهم عنده أراض عنهم أم غير راض ، ولا يعلمون انّه قبل خدمتهم ام لا ؛ وامّا أنا فقد عرفت حالى عنده ، وانّى راض عنه وهو راض عنّى ، فصارخاطرى مطمئنّا فلا يصفر وجهى ولا ينحل بدنى، وان أردت وصف حال المحبّين فانظر فى احوال يحيى بن زكريّا عليهما السلام تجد حالا غريبا وطرزا عجيباً

روينا بالأسانيد الكثيرة عنه عليه السلام انّه قال كان من زهد يحيى بن زكريّا عليهما السلام انّه أتى بيت المقدّس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرّهبان عليهم مدارع الشعر و برانس الصّوف ، واذا هم قد خرقوا تراقيهم وتركوا فيها السّلاسل وشدّوها الى سوارى المسجد؛ فلمّا نظر الى ذلك أتى امّه فقال يا امّاه انسجى لى مدرعة من شعر ، وبرنسا

من صوف حتى آتى بيت المقدس فأعبدالله مع الاحبار و الرّهبان ، فقالت له أمّه حتى يأتي نبيّ الله فأوامره في ذلك ؛ فلمّا دخل زكريا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى ؛ فقال له زكريّا يا بني ما يدعوك الى هذا وانّما أنت صبيّ صغير ؛ فقال له يا ابه أما رأيت من هو أصغر سنّاً منّي قد ذاق الموت ، قال بلى ، ثمّ قال لأمّه انسجي له مدرعة من شعر وبرنسا من صوف ؛ ففعلت فتدرّع بالمدرعة على بدنه و وضع البرنس على رأسه ، فأقبل يعبدالله عزّ وجل مع الأحبار حتى أكلت مدرعة الشّعر لحمه ، فنظر يوما الى ما قد نحل من جسمه ، فأوحى الله عزّ وجل اليه أتبكي ممّا قد نحل من جسمك ؟ وعزّتي و جلالي لو إطّلعت الى النّار إطّلاعة لتدرّعت مدرعة الحديد فضلا عن المنسوج ، فبكى حتى أكلت الدّموع لحم خدّيه، ثم بدا للنّاظرين أضراسه فبلغ ذلك أمّه ، فدخلت عليه وأقبل زكريّا و اجتمع الاحبار و الرهبان فأخبروه بذهاب لحم خدّيه ، وقال ما شعرت بذلك

فقال زكريّا ما يدعوك الى هذا انّما سألت ربّي ان يهبك لي لتقرّ بك عيني ، قال انت أمرتني بذلك يا أبه ، قال ومتى ذلك يا بنيّ ؟ قال ألست القائل انّ بين الجنّة والنّار لعقبة لا يجوزها الاّ البكّاؤن من خشية الله تعالى ، قال نعم فجدّ واجتهد فشأنك غير شأني ، فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته امّه فقالت أتأذن لي يا بنيّ ان اتّخذ لك قطعتي لبود تواريان أضراسك ، و ينشفان دموعك ، فقال لها شأنك ، فاتّخذت له قطعتي لبود يواريان أضراسه و ينشفان دموعه ، حتى ابتلّتا من دموع عينيه ، فحسر عن ذراعيه ثمّ أخذهما فعصرهما فتحدّر الدموع من بين أصابعه ، فنظر زكريّا الى ابنه و الى دموع عينيه فرفع رأسه الى السّماء فقال اللّهمّ هذا ابني و هذه دموع عينيه و أنت أرحم الرّاحمين

وكان زكريّا عليه السلام اذا أراد ان يعظ بني اسرائيل يلتفت يمينا وشمالا فاذا راى يحيى لا يذكر جنّة ولانارا ، فجلس ذات يوم يعظ بني اسرائيل وأقبل يحيى فلفّ رأسه بعباه وجلس في غمار النّاس و التفت زكريّا يمينا و شمالا فلم يرى يحيى ، فأنشأ يقول حدّثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله عزّ وجل انّ في جهنّم جبلا يقال له السّكران

فى اصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان يغضب لغضب الرحمن تبارك وتعالى ، فى ذلك الوادى جبّ قامته مأة عام ؛ فى ذلك الجبّ توابيت من نار ، فى ذلك التّوابيت صناديق من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار؛ فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السّكران ثم أقبل هائما على وجهه ، فقام زكريّا عليه السلام من مجلسه فدخل على امّ يحيى فقال ياأمّ يحيى فاطلبى يحيى فانّى أخاف ان لاتراه الاّ و قد ذاق الموت؛ فقامت وخرجت فى طلبه حتى مرّت بفتيان من بنى اسرائيل، فقالوا لها يا امّ يحيى اين تريدين؟ قالت أريد ان أطلب ولدى يحيى ذكرت النّار عنده فهام على وجهه ، فمضت امّ يحيى والفتيَة معها حتى مرّت براعى غنم ، فقالت له ياراعى هل رأيت شابّا من صفة كذا و كذا ، فقال لها لعلّك تطلبين يحيى بن زكريّا ، قالت نعم ولدى ذكرت النّار بين يديه فهام على وجهه ، فقال انّى تركته السّاعة على عقبة ثنيّة كذا و كذا ناقعا قدميه فى الماء رافعا بصره الى السّماء يقول وعزّتك يا مولاى لا ذقت بارد الشّراب حتى أنظر الى منزلتى منك ، فأقبلت أمّه فلمّا رأته أمه دنت منه فأخذت برأسه و وضعته بين ثدييها و هى تنا شده بالله ان ينطلق معها الى المنزل ، فانطلق معها حتى أتى المنزل

فقالت له امّ يحيى هل لك ان تخلع مدرعة الشّعر و تلبس مدرعة الصّوف فانّه ألين ففعل وطبخت له عدساً فأكل واستلقى فنام فذهب به النّوم فلم يقم لصلاته ؛ فنودى فى منامه يا يحيى بن زكريّا أردت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى ، فاستيقظ فقام ، فقال يا ربّ أقلنى عثرتى ؛ إلهى فو عزّتك لا أستظلّ بظلّ سوى بيت المقدس ، وقال لأمّه نا ولينى مدرعة الشّعر ، فتقدّمت أمّه فدفعت اليه المدرعة وتعلّقت به ، فقال لها زكريّا يا ام يحيى دعيه فانّ ولدى قد كشف له عن قناع قلبه و لن ينتفع بالعيش ؛ فقام يحيى فلبس مدرعته و وضع البرنس على راسه ثم أتى بيت المقدّس فجعل يعبد الله عزّ وجل مع الاحبار حتى كان من أمره ما كان

اقول فهذا حال يحيى لأنّه كان محبّا ، وفى الرواية انّ عيسى عليه السلام مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم فقال لهم ما الذى بلغ بكم ؟ قالوا الخوف من النّار ،

فقال حقّ على الله ان يؤمن الخائف ، ثمّ جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذاهم أشدّ نحولاً و تغيّرا كان على وجوههم المرآى من النّور ، فقال ما الذى بلغ بكم؟ قالوا نحبّ الله عزّ وجل، فقال انتم المقرّبون انتم المقربون، كيف لاوهذامشاهد فى العالم المجازى، فلقدشاهدنا من خلّى قلبه عن حب الله فأذاقه حبّ غيره نحيلا ضعيفا عديم القوّة

وقد بالغ الشعراء كلّ مبالغة فى وصف نحول العاشق ، فقال بعضهم

ولوانّنى علّقت فى رجل نملة لسارت ولم تعلم بأنّى علقت
ولونمت فى عين البعوض معارضا لما علمت فىاى زاوية نمت
ولو وضعونى وسط حبّة خردل لبانت خوافيها الجميع ولابنت

و قال ابو الطّيب

كفى بجسمى نحولا انّنى رجل لولا مخاطبتى ايّاك لم ترنى

وقال الخبّاز البلدى

كلّ الهوى صعب ولكنّنى بليت بالأصعب من أصعبه
أنحلنى الحبّ فلو زج بى فى مقلة الوسنان لم ينتبه
و كان لى فيما مضى خاتم واليوم لو شئت تمنطقت به

وقد نسبوا هذه الابيات للعلامة الحلّى طاب ثراه

لى فى محبّته شهود اربع و شهود كلّ قضيّة إثنان
خفقان قلبى واضطراب مفاصلى وشحوب (۱) لونى واعتقال لسانى

وفى امالى الزجاج ابوبكر بن شقير النّحوى قال اخبرنا احمدبن عبيد قال خبّرت عن هشام بن عروة عن ابيه عن النّعمان بن بشير، قال بعثنى عثمان او معوية على صدقات بنى عذرة فصدقتهم وارتحلت عنهم ، فلمّا ظننت انّى قطعت بلادهم رفع لى بيت فقصدته ، فاذا بفنائه شابّ مستلق على قفاه لم يبق منه الاّ عظم على جلد ، فلمّا أحسّ بى ترنّم بصوت ضعيف ، وانشأ يقول

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه و عرّاف هجران هما شفتانى

(۱) شحب شحوبا لونه : تغير من جوع او مرض او نحوهما

فقالوا نعم نشفى من الدّاء كلّه وقـاما مع العوّاد يبتدرانى

فما تركـا من رقية يعلمانها ولا سلوة الاّ وقد سقيانـى

فقالا شفاك الله و الله مـالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

ثم خفت فنظرت فاذا فى صدر البيت عجوز ؛ فقلت لها يا هذه أخرجى الى هذا الفتى فانّى أظنّه قدمات، فقالت وانا أظنّ ذاك ايضا والله ما سمعت له انّه منذ سنة الاّ اليوم فانّه قال فى أوّله

من كان من أمهاتى باكيا شجنى فانّنى قد أرانى اليوم مقبوضاً

يسمعينه (يسمعنينه خ) فانّى غير سامعه اذا علوت على الأعواد معروضا

ثمّ خرجت فاذا هو ميت فغسلته و كفنته وصلّيت عليه و دفنته ، ثم قلت للعجوز من هذا ؟ فقالت هذا قتيل الحبّ عروة بن خزام

الثانى من العلامات السّهر والقلق والاضطراب عند ذكره وان لا يشتغل بغيره ، اما السّهر فلأنّه طريق العاشق من جهة نار الهجران و انتظارا لوقت الوصال سيّما الليل الستّار ، وفى الحديث القدسى يا موسى كذب من زعم انّه يحبّنى و هو ينام طول ليله ، أليس كلّ حبيب يحبّ الخلوة مع حبيبه ، يـا ابن عمران لو رأيت الذين يصلّون لى فى الدّجى وقد مثلت نفسى بين أعينهم يخاطبونى وقد جللت عن المشاهدة ؛ و يكلّمونى وقد عززت عن الحضور: يا ابن عمران هب لى من عينك الدموع ومن قلبك الخشوع ثم ادعنى فى ظلم الليالى تجدنى قريبا مجيباً ، وسأل عليه السلام ما بال المتهجدين فى الأسحار من أحسن الناس وجوها ؟ قال لأنّهم خلوا بربّهم فكساهم من حلل انواره، وذلك انّك ترى القائمين فى الأسحار على هيئة من الحسن المعنوى و ان لم يكن فيهم هذا الحسن الظّاهرى وما ذلك الا لتلك الخلوة مع الحبيب

وفى الحديث القدسى يا احمد ليس من قال انّى أحبّ الله تعالى أحبّنى حتّى يأخذ قوتا ويلبس دونا (درناً خ) وينام سجوداً ويطيل قعودا ، ويلزم صمتا ويتوكّل علىّ ويبكى كثيرا ، ويقلّ ضحكا ويخالف هواه، ويتّخذ المسجد بيتا والعلم صاحبا ، والزهد

جليسا ، والعلماء أحبابا والفقراء رفقاء ، ويطلب رضائى و يفرّ من سخطى و يهرب من المخلوقين هربا ، ويفرّ من المعاصى فرارا ويشتغل بذكرى اشتغالا فيكثر التسبيح دائما ويكون بالوعد صادقا وبالعهد وافيا ، ويكون طاهرا و فى الصلوة زاكيا ؛ وفى الفرائض مجتهدا وفيما عندى من الثواب راغبا ، ومن عذابى راهباً مشفقا ولأحبابى قرينا وجليسا

واما القلق والاضطراب فهى من لوازم العاشق اذا ذكر محبوبه كما قال عزّ من قائل فى صفات اهل الايمان انّما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وذلك انّ العاشق تتحرّك نار وجدو تشب عند ذكر المعشوق و كذلك أكثر عروقه وأعضائه؛ ومن هذا استدلّ الطّبيب الحاذق على معرفة المعشوق عند كتمان العاشق هواه ،وقد وقع فى قرب أعصارنا مثل هذا وهو انّ شابّا من أولاد الأكابر قد عشق امرأة فى بعض بلاد الهند ، واتّفق انّ أباه اراد السّفر الى منزله فى اصفهان فأتى بذلك الولد معه وقدكان ذلك الولد يكتم ذلك الحبّ ، فلمّا وصلا الى اصفهان زاد شوقه والتهبت نار فراقه وبقى يصفر وجهه و ينحل بدنه يوما فيوما ولا يدرى ما علّته حتى ضعف عن حركة المشى فبقى نائما على الفراش ؛ وقد أعيت الأطباء عن علاجه ومعرفة علّته فأتوا اليه بطبيب حاذق وتأمّله فقبض على نبضه وقال يا صبى مرضك من الشيء الفلانى أم من الشيء الفلانى، فجعل يعدّ عليه الامراض حتى بلغ الى العشق، فلمّا عدّه تحرك النبض حركة شديدة فعرف انّ علّته العشق ثم شرع يعدّ له البلدان بأنّ معشوقك فى البلد الفلانى أم فى البلد الفلانى حتى ذكر تلك البلدة فتحرك النّبض ايضا مثل تلك الحركة ايضا ، فأمر الطّبيب باحضار من يعرف أهل تلك البلدة فلمّا حضرت عدّ له نساء تلك البلدة و بناتها ، فلمّا انتهى الى تلك المرأة تحرك النّبض أشدّ من الحركتين الاولیين فعلم انّ محبوبته تلك المرأة ، فتوصّلوا الى تحصيلها

واما فى العالم الحقيقى فقد كان الخليل عليه السلام يسمع أزيز صدره عند ذكر الله على ميل ، و كان صدره يغلى كغليان القدر ، و اما عدم الاشتغال بغيره فهى عادة العاشقين و أعمال الجوارح تظهر ما يجنّ القلب وذلك انّ نار المحبّة كامنة فيه ، فان وقعت نار محبّة القلب فى عود او بخور فاحت رائحته على الاعضاء وعرف منها ورود تلك النار الكامنة على

ذلك الجسم الطيّب ، و ان وقعت تلك النار فى خرق بالية ظهرت رائحتها المنتنة من الأعضاء والجوارح لأنّها كما عرفت من خدمه و توابعه فهى الّتى تظهر ما اضمره القلب كدموع العاشق ، فانّه إذا أراد كتمان الهوى نمّت عليه الدّموع وأظهرت ما كتم

كتمت الهوى فى القلب حتى ختمته   فباحت به العينان والدّمع مطرق

ومن كان ذا عشق وان كان جاحدا   فانّ الهوى فى عينه حين ينطق

الاترى انّك لو جلست مع رجل لم تعرفه حاله ولم تطلّع على باطن امره و ما أجنّه فى قلبه فاذا أردت ان تعرف فحاوره فى أنواع المكالمات وانظر ميله الى أى نوع يتكلّم به فاعلم انّ مافى قلبه هو حب ذلك الشّيء ؛ و ذلك انّك ترى أهل الدراهم و الدّنانير لا يحبّون منك حديثا الاّ اذا اشتمل على مقالتها و بين أحوالها و ما يترتب عليها من النّفع الدنيوى فتعلم من هذا ان محبوبه هو هذا لاغير ؛ و كذلك أنواع العشق وهذه قاعدة يضطرّ على فعلها الانسان حتى انّه لو تكلّف إظهار غير محبوبه سبقه اللسان اليه ومالت الجوارح الى خلاف ما تكلّفه ، و هذا شأن حبّ العالمين ، و ما احسن قول رابعة العدويّة فى العالم الحقيقى

أحبّك حبّين حبّ الهوى   و حبّا لأنك اهل لذاكا

فأما الذى هو حبّ الهوى   فشغلى بذكرك عمّن سواكا

و امّا الذى انت اهل له   فكشفك للحجب حتى أراكا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى   ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وينظر الى هذا قول بعض العارفين انّى أقول يا رب يا الله فأجد ذلك أثقل على قلبى من الجبال ، لأنّ النّداء يكون من وراء حجاب ؛ و هل رأيت جليساً ينادى جليسه ، وقد اشار بعضهم الى مثل هذا حيث قال

كانت لقلبى أهواء مفرّقة   فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى

فصار يحسدنى من كان أحسده   وصرت مولى الورى اذ صرت مولائى

تركت للنّاس دنياهم ودينهم   شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

وذلك انّ لذة الذكر أعلى من كل لذّة لأنّه من واردات القلوب ؛ ولذّات القلب أعظم من لذّات الحواسّ في النّشأتين ؛ لأنّ الجنّة معدن تمتّع الحواسّ ، فأمّا القلب فلذته في لقاء الله فقط ، ومثاله في اطوار الخلق في لذّاتهم ما نذكره ، وهو انّ الصبيّ في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللّعب واللّهو حتى يكون ذلك عنده ألذّ من سائر الأشياء ، ثم يظهر بعده لذّة الوقاع وشهوة النّساء فيترك بها جميع ماقبلها في الوصول عليها ؛ ثم يظهر له لذة الرياسة والعلوّ والتّكاثر وهي آخر لذات الدّنيا وأقواها كما قال تعالى إعلموا انّما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الاية ثم بعدهذا يظهر له غريزة أخرى يدرك بها لذّة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستقر معها جميع ما قبلها وكل متأخّر فهوأقوى ، وهذا هو الأخير اذ يظهر حبّ اللّعب في سن التّمييز وحبّ النّساء والزينة في سنّ البلوغ ، وحبّ الرياسة بعد العشرين ، وحبّ العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا ، وكما انّ الصّبي يضحك على من يترك اللّعب ويشتغل بملاعبة النّساء وطلب الرياسة ، وكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى ، والعارفون يقولون ان تسخروا منّا فانّا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ، ولكن الإشتغال بمعرفة الله تعالى يقتضي ان لا يصدر منه شيء من المعاصي ولقد احسن ابن المبارك في قوله حتى انّ الصادق عليه السلام تمثّل به

تعصي الاله وانت تذكر حبّه — هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبّك صادقا لأطعته — انّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

وروى عن ذي النّون المصري انّه قال خرجت يوما من وادي كنعان ، فلمّا علوت الوادي فاذا أنا بسواد مقبل عليّ وهو يقول وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ويبكي ، فلمّا قرب اليّ فاذا هي امرأة عليها جبّة صوف وبيدها ركوة ، فقالت من أنت غير فزعة مني ، فقلت رجل غريب ، فقالت يا هذا هل توجد مع الله غربة ، قال فبكيت من قولها فقالت ما الذي أبكاك ، قلت قد وقع الدّواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه ، قالت فان كنت صادقا فلم بكيت ؟ قلت يرحمك الله الصادق لا يبكي ، قالت لا قلت ولم ذاك ؟ قالت

لأنّ البكاء راحة القلب ، قال ذوالنّون فبقيت والله متحيّرا من قولها

أقول ونظيرهذا فى عالم الشّهود انّ مجنون ليلى كان ربّما أتاها وخلى بها ؛ فاذا جاء زوجها أدخلته تحت ثيابها لئلاّ يراه أحد فاذا أخرجه قالت له ما رايت تحت الثّياب قال وحقّك انّى دخلت أعمى وخرجت أعمى ، و كان يغمض عينيه خوفا من ان يقع نظره على بدنها فتبرد نار العشق ، وهكذا كان أحوال العشاق السّبعة ، نعم روى الزّجاج فى أماليه عن ابى عبدالله بن الملك النحوى قال حدّثنا الزبير بن بكّار؛ قال روى ان غرّة دخلت على أمّ البنين فقالت لها ان سألتك عن شيء تصدقينى ؟ قالت نعم؛ قالت اقسمت عليك بأىّ شيء وعدت كثيرا حين يقول :

قضى كل ذى دين فو فى غريمه و غرّة ممطول تعنّى غريمها

قالت وعدته قبلة فمطلته سنة ؛ فلمّا ألحّ بالتّقاضى هجرته ؛ فضمنّى وايّاه مضيق بعد حين فاستحيت منه فقلت حيّاك الله ياجمل (جميل خ) و لم أحيّه ، فتبسّم و أنشا يقول :

حيّتك بعد الهجر و انصرفت فحىء ويحك من حيّاك ياجمل

ليت التّحيّة كانت لى فأشكرها مكان يا جمل حيّيت يا رجل

وهو على تقاضيه الى الآن، قالت أمّ البنين بالله الاّ قضيتها وعلىّ اثمها، اقول ما كان من كثير رحمه الله يجوز مثل هذا بل كان الواجب عليه ما فعل جميل من الّصنع الجميل

فان قلت ذكرت انّ من افرط فى المحبّة شغل قلبه المحبوب و صار وقت الذكر له لا يخطر على خاطره الاّ ذلك الحبيب فكيف أحسّ امير المؤمنين عليه السلام بسؤال السائل حتى تصدّق بالخاتم ؛ مع انه عليه السلام كان لم يحسّ بالاخراج النّصال من بدنه اذا كان فى الصلوة ؛ قلت الذى ينافى الاقبال القلبى عن جنابه تعالى هو التذكّر لأمور الدنيا والشّغل بها ، والتّوجه الى سؤال ذلك السّائل لم يكن من ذلك الباب؛ وذلك انّ السائل لمّا سئل ولم يجبه أحد ، قال اللّهم اشهدك انى سألت فى مسجد نبيّك فلم يجبنى أحد بشيء فانكسر خاطره فتدارك ذلك الانكسار بالاشارة اليه بالخاتم الذى كان سببا لوصوله الى

اقتسام صفات الربوبيّة بقوله تعالى انّما وليكم الله ورسوله والمؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة و هم راكعون ، فهو إنتقال من عالم صفات الربوبيّة أعنى تولّى الامور العامّة و رجوع إختيارها اليه ، كما رجعت الى الله تعالى ورسوله ولا رتبة أعلى منها سوى ما تفرّديه سبحانه من لوازم الالهيّة

بل روى فى بعض الاخبار انّ ذلك السّائل كان ملكا أرسله الله فى صورة رجل سائل الى مسجد النّبى صلى الله عليه وآله إمتحانا للّصحابة بمثل هذا التّكليف ، بل روى ايضا انّ ذلك السائل كان جبرئيل عليه السلام ، وروى أن ابابكر قال تصدّقت بخواتيم كثيرة وأنا فى الصلاة لينزل فىّ ما نزل فى على بن ابيطالب فلم ينزل ، ولقد احسن ابن الجوزى فى وصف هذا الحال منه عليه السلام

يسقى ويشرب لا تلهيه سكرته عن النّديم ولا يلهو عن الكأس
أطاعه سكره حتى تمكّن من فعل الّصحاة فهذا أعظم الناس

وتقدّم الاشارة الى هذه ؛ فان قلت اذا كان هذه الجبيب سبحانه أحسن الاحبّاء وابقاها وأقبلها وأزينها واملحها واكثرها ميلا الى العاشقين فلم هجرته العشاق ؟ ولم أقبلوا على الفرار منه ؟ و على إرتكاب خلاف أقواله (١) قلت سببه انّ القلوب الّتى هى معدن هذا الّسر العظيم قد أبتليت بأعظم الأمراض ؛ والمريض اذا استولى عليه الالم، يجد فى ذوقه الحلو مرّا والّطيّب خبيثا ، ولا يجد الشىء على حاله الاّ اذا صحّ من ذلك الوجع

ثم اعلم انّ أمراض القلب كثيرة وأنواعها مختلفة كأمراض البدن بل أزيد و كل مرض يحتاج الى دواء وليس على كلّ مريض الاحتماء من شىء ولا ينفعه كلّ دواء ؛ بل لكلّ علّة خاصّة علم خاصّ و علاج خاصّ ، و وزانه من الدّين انّ كل عبد فليس يبتلى بكلّ شهوة وارتكاب كلّ ذنب بل لكلّ مؤمن ذنب مخصوص أوذنوب مخصوصة ، وانّما حاجته فى الحال مرهقة الى العلم بأنّها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها فى

(١) وفى الحديث ان الله تعالى اذا احب عبدا القى محبته الى الماء فلا يشربه احد الا احبه واذا ابغض عبدا القى بغضه فى الماء فلا يشربه احد الاابغضه، منه عفى عنه

الدّين ، ثمّ الى العلم بكيفيّة التّوصّل الى الصّبر عنها ، ثمّ الى العلم بكيفيّة تكفير ما سبق منها ، فهذه علوم مخصوصة إختصّ بها أطبّاء الدّين و هم العلماء ورثة الانبياء فالعاصى ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم ، وان كان لايدرى انّ ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرّفه ذلك

و لذلك وجب ان يتكفّل كلّ عالم باقليم اوبلدة او محلّة او مشهد فيعلّم أهلها دينهم ، و يميّزما يضرهم عمّا ينفعهم وما يشقيهم عمّا يسعدهم ، ولا ينبغى ان يصبر الى ان يسأل منه بل ينبغى ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانّهم ورثة الانبياء ، والانبياء عليهم السلام ما تركوا النّاس على جهلهم بل كانوا ينادونهم فى مجامعهم ويدورون فى أبوابهم فى الا بتداء ويطلبون واحدا واحـد للإرشاد ، فانّ مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما انّ الذى ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لايعرف برصه مالم يعرّفه غيره ، وهذا فرض على العلماء كافّة وعلى السّلاطين انّ يرتّبوا فى كلّ قرية و كلّ محلّة فقيها متديّنا يعلّم الناس دينهم ، فانّ الخلق لا يولدون الاّ جهّا لا فلابدّ من تبليغ الدّعوة اليهم فى الاصل والفرع

روى عنه عليه السلام قال انّ الله تعالى لم يأخذ على الجهّال ان يتعلّموا حتى أخذ أولا على العلماء ان يعلّموهم ؛ فـالدّنيا دار مرضى اذ ليس فى بطن الارض الاّ ميت ولا على ظهرها الاّ سقيم ، و مرض القلوب اكثر من مرض الأبدان ، و العلماء أطباء و السلاطين قوّام دار المرضى وكلّ مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم سلّم الى السلطان ليكفشره (١) كما يسلّم الطّبيب المريض الـذى لا يحتمى او الـذى غلب عليه الجنون الى القيّم ليقيّده فى السّلاسل والأغلال ويكفشره عن سائر الناس ، وانّما صار مرض القلوب اكثر من مرض الأبدان لوجوه ثلثة

(١) كيف يكون حال الناس ولا سيما الجهال اذا صار السلاطين والقوام من اهل البدع والاهواء وصاروا من اسباب العار والشنار على الاسلام واما الاطباء فصاروا مرضى ومن اهل الدنيا كما فى زماننا هذا

هرچه بگندد نمکش میزنند — واي از آنروز که بگندد نمك

احدها انّ المريض به لا يدرى انـه مريض ، و ثانيها انّ مرض الأبدان عاقبته موت مشاهد تنفر الـّطباع منه ؛ وما بعد الموت غير مشاهد فقلّت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها ، فلذلك تراه يتكلّ على الله فى مرض القلب ويجتهد فى علاج مرض البدن من غير إتـّكال

والثالث وهو الداء العضال فقد الـّطبيب فانّ الأطبـّاء هم العلماء وقد مرضوا مرضا شديدا عجزوا عن علاجه و صارت لهم سلوة فى عمـوم المرض حتـّى لا يظهر نقصا نهم ، فاضطرّوا الى إغواء الخلق والإساءة اليهم بما يزيدهم مرضا ، لأنّ الداء المهلك هو حبّ الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق فيه إستنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم، فبهذا الـّسبب عمّ الداء وعظم الوباء و انقطع الدّواء ، و هلك الخلق لفقد الأطباء ، بل اشتغل اكثر الأطبـّاء بفنون الاغواء ، فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشّوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا ؛ وليتهم سكتوا و ما نطقوا فانـّهم اذا تكلّموا لم يهمّهم فى مواعظهم سوى مايستميل قلوب الأعوام الى الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأنّ ذلك ألذّ فى الاسماع وأخفّ على الـّطباع، فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جرأة على المعاصى ؛ ومـزيد ثقة بفضل الله عزّ وجل ، و مهما كان الـّطبيب جاهلا اوخائنا أهلك بالدواء حيث يضعه فى غير موضعه

فالرجاء و الخوف دواء ان ولكن لشخصين متضادّى العلّة ، امـّا الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلّيـّة فينكسر سورة إسرافه فى الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال ، و كذا المصرّ على الذنوب المشتهى للـّتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبـه الـّتى سبقت يعالج ايضا بأسباب الرجاء حتى يطمع فى قبول الـّتوبة فيتوب ، فأمـّا معالجة المغرور المنهمك فى المعاصى بذكر اسباب الرجاء فيضاهى معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء ، وذلك من دأب الجهـّال والأغبياء ؛ فاذن فساد الاطباء هى المعضلة الـّتى لا تقبل الدواء اصلا أعاذنا الله و إيـّاكم من الأمور المبعدة عن جناب الحق انـه على ما يشاء قدير

نور فی الصبر واقسامه و محاله و فوائده و ما یتعلق به من المناسبات

اعلم وفقك الله تعالى انّ القرآن والحديث قد اكثرا من مدحه حتى انه سبحانه وصف الصابرين بأوصاف؛ وذكر الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا ، و أضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر و جعلها ثمرة له فقال عزّ وجلّ وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا ، وقال وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ؛ وقال انّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، الى غير ذلك من الايات ، وقال الصادق عليه السلام الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان ، و قال عليه السلام اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكوة عن يساره ، و البرّ مظلّ عليه ؛ ويتنحى الصبر ناحية، فاذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مسائلته قال الصبر للصلوة والزكوة والبرّ دونكم صاحبكم فان عجزتم عنه فأنا دونه

وروى عنه صلى الله عليه وآله انه قال الصبر ثلاثة : صبر عند المصيبة ،وصبر على الطاعة؛ وصبر عن المعصية فمن صبر عند المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ، مابين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض، و من صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ، و ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى العرش ، و من صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ، وما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش، وقال الصادق عليه السلام إنّا صبّر وشيعتنا أصبر منّا، قيل له كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال لأنّا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على مالا يعلمون ؛ وقال صلى الله عليه وآله الصبر نصف الايمان ، فان قلت ما معنى كونه نصف الإيمان ؟ قلت قد ذكر له الغزالى في إحيائه وجهين

الاول ان الايمان يطلق على التّصديقات والاعمال جميعاً فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين ، والآخر الصّبر ، والمراد باليقين المعارف القطعيّة، والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين ؛ اذ اليقين يعرّفه انّ المعصية ضارّة والطّاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطّاعة الاّ بالصّبر فيكون الصّبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ، ولهذا جمع رسول الله ﷺ بينهما فقال من اقلّ ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصّبر

الوجه الثاني ان يراد من الايمان ما ينفع في الدنيا والآخرة او يضرّ فيهما وله بالاضافة الى ما يضرّه حال الصّبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشّكر ، فيكون الشّكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين أحد الشّطرين بالاعتبار الاوّل ؛ وبهذا النّظر قال بعض الصّحابة الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر، ولمّا كان الصّبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من حيث الشّهوة ، وباعث من جهة الغضب ؛ والشّهوة لطلب اللّذيذ والغضب للهرب من المولم ، وكان الصوم صبرا من مقتضى الشّهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب ، قال ﷺ بهذا الاعتبار الصوم نصف الصّبر لأنّ كمال الصّبر بالصّبر عن دواعي الشّهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصّوم بهذا الاعتبار ربع الايمان

واعلم انّ محامد الأخلاق كلّها ترجع الى الصّبر لكن له اسم بكلّ واحد من موارده ، فان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمّي عفّة ، وان كان على احتمال مكروه اختلف أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصّبر، فان كان في مصيبة اُقتصر على اسم الصّبر ويضادّه الجزع ، وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النّفس ويضادّه البطر ، وان كان في حرب ومقاتلة سمّي شجاعة ويضادّه الجبن ، وان كان في كظم الغيظ والغضب سمّي حلما ويضادّه السّفه، وان كان في نائبة من نوائب الزّمان سمّي سعة الصّدر ويضادّه الضّجر والتّبرّم وضيق الصّدر ، وان كان في إخفاء كلام سمّي كتمان السرّ ، وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضادّه الحرص ، وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمّي قناعة ويضادّه الشّره ، ومن جهة دخول هذه المحاسن في الصبر

لمّا سئل صلى الله عليه وآله عن الايمان قال هو الصّبر لأنّه اكثر اعماله وأعزّها كما قال الحجّ عرفة ، وقد جمع الله ذلك فسمّى الكلّ صبرا فقال تعالى والصّابرين في الباسأ اى المصيبة والضّراء اى الفقر، وحين البأس اى المحاربة، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتّقون وبعضهم ظنّ انّ هذه أحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها نظرا الى تعدّد الأسامى والصّواب ما عرفت

وامّا الموارد المحتاجة الى الصّبر فأنواع ، اولها ما يوافق الهوى و هو الصّحة والسلامة والمال والجاه و كثرة العشيرة واتّساع الاسباب وجميع ملاذّ الدنيا و ما أحوج العبد الى الصّبر عن هذه الامور فانّه ان لم يضبط نفسه عن الركون اليها والانهماك في الملاذّ المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطّغيان فانّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى والرجل كلّ الرجل من يصبر على العافية ، وثانيها الطّاعة والصّبر عليها شديد لأنّ النّفس بطبعها تنفر عن العبوديّة و تشتهى الربوبيّة ، و لذلك قيل ما من نفس الاّ وهى مضمرة ما أظهره فرعون من قوله انا ربكم الا على ولكن فرعون وجدله مجالا فأظهر اذ استخفّ قومه فأطاعوه، وما من احد الاّ وهو يدّعى ذلك مع عبده وخادمه ونحو هما وان كان ممتنعا من إظهاره فانّ امتعاضه وغيضه عند تقصيرهم في خدمته وإستبعاده ذلك ليس يصدر الاّ من اظهار الكبر ومنازعة الربوبيّة في رداء الكبرياء؛ فاذن العبوديّة شاقّة على النّفس مطلقا

ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ؛ ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ، ومنها ما يكره ذلك بسبب جميعهما كالحجّ والجهاد و هذه الامور تحتاج الصّبر قبل العمل وحاله وبعده ، امّا قبله فبأن يصبّر نفسه على تصحيح النّيّة والاخلاص عن شوائب الرّياء ودواعى الافات ، وهذا يحتاج الى صبر شديد على ما تقدم في تحقيق النّيّة وهو الذى قصر تعالى أمره عليه في قوله وما امروا الاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين وامّا حالة العمل فلئلاّ يغفل عن ذكر الله تعالى في أثناء عمله ويدوم على شروط العمل الى اخره؟ واما بعد الفراغ فيحتاج الى الصّبر عن إفشائه والتّظاهر به للرياء والسمعة و

عن كل ما يحبط اجره

وثالثها المعاصى وما أحوج العبد الى الصبر عنها ، و ذلك انّ المعاصى خصوصا الكذب والغيبة مألوفة بالعادة فانّ العادة طبيعة خامسة (خامسة ج) واذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله عزّ وجل ، وكلّما كان الذّنب ألذّ على النّفس كان الصبر عنه أثقل كالصبر عن الغيبة و استحقار النّفس فانّ ظاهره غيبة و باطنه ثناء عن النّفس ، فللنّفس فيه شهوتان نفى الغير واثبات نفسه و بهما يتمّ له الربوبيّة التى فى طبعه وهى ضدّما أمربه من العبوديّة؛ ورابعها مالايرتبط هجومه باختياره كما أوذى بفعل او قول أوجنى عليه فى نفسه او ماله فالصبر علـى ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا ، وتارة يكون فضيلة ، خامسها مالا يدخل تحت الاختيار أوله ولا آخره كالمصائب مثل موت الأعزّة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء ، والصبر على هذا لايخلو من اشكال ، وحيث انتهى بنا الحال الى هذا فلابأس ببسط الكلام فى هذا المقام

فنقول انّ شيخنا الشهيد الثانى نورالله ضريحه قد كتب رسالة وسمّاها مسكن الفؤاد عند فقد الأحبّة والاولاد ، وقد نظمها على سلك غريب ونمط عجيب إلاّ انّها لاتخلو من بعض الزوائد(۱) فأحببنا تحريرد لايلها وان نضيف اليها ما سنح بالبال ونضيف اليها بعض

(۱) رسالة لطيفة شريفة ليس فيها بعض الزوائد و فرغ شيخنا الشهيد الثانى قدس سره من تأليفها سنة (۹٥٤) هـ وسبب تصنيفه لها كثرة ماتوفى له من الاولاد بحيث لم يبق منهم احد الا الشيخ حسن صاحب المعالم العلامة المحقق الشهير وكان لا يثق بحياته وقد استشهد وهوابن اربع سنين او سبع سنين وهذه الرسالة مطبوعة سنة (۱۳٤۲) هـ فى النجف الاشرف

وغير خفى على القارى العزيز ان كـل تصانيف هذا الامام العلامة الفائز لدرجة الشهادة من جلائل الكتب ونفائس الاثار ولكن ليس منها رسالة صلاة الجمعة المنسوبة اليه مانها ليس منه ولا يليق ان ينسب اليه وان نسب تلك الرسالة اليه صاحب المدارك والسيد على الصائغ تلميذه فى شرح الارشاد وغيرهما قال صاحب رياض العلماء: قديقال

الاخبار ، فنقول اعلم اوّلا انّه قدثبت انّ العقل هوالألة الّتى بها عرف الله تعالى وصدق الرّسل والتزم أحكام الشّرايع، ومثله كالنّور فى الظّلمة يزيد وينقص ، فينبغى لمن رزقه الله العقل ان يعمل بمقتضاه ويجعله حاكماله وعليه ويراجعه فيمايرشده اليه فيكشف له الرضا بالقضاء سيّما بفراق الأحباب من وجوه كثيرة

منها انّه اذا نظر الى عدله وحكمته وشفقته بخلقه ان أخرجهم من العدم الى الوجود وفعل بهم ما هو الأصلح لهم فى كلّ أفعاله ، ولا شكّ انّ الموت من جملة ذلك فيكون هو الاصلح بهم ، فان حدثتك نفسك مثل رعاع النّاس اذا مات لهم ميّت قالوا انّ الصّلاح فى بقائه ، فلو كان قد بقى لربّى أطفاله ولقام بأمور عياله ، وربّما قالوا انّ موت هذا باعث الى موت ذلك الفقير لأنّه كان يصله و يعطيه ، و هذه الكلمات الواهية هى الشّرك

---

* انه لم يثبت انتسابها اليه ولو ثبت فلعلها كانت فى اوائل حاله و لم يكن ماهرا فى الفقه ولذلك صرح فى شرح اللمعة بخلافه ثم قال اما انتسابها اليه فقد اتضح من مطاوى هذه الترجمة ومن تصريح سبطه صاحب المدارك و تصريح غيره بذلك واما كونها من اوائل تصنيفه فغلط واضح لان تاريخ تأليفها ربيع الاول سنة (٩٦٢) ه قبل شهادته بأربع سنين فهى من اواخر مؤلفاته (١ ه) و على فرض انها من تصنيفه فقد صرح فى الروضة التى هى آخر مصنفاته بعدم الوجوب العينى و يدل ذلك على انه قد عدل عما فى تلك الرسالة وممن صرح بعدم كونها من تصنيفه هو المحقق القمى صاحب القوانين (ره) فى كتابه : (مناهج الاحكام) = وقد رايت النسخة المخطوطة من ذلك الاثر الخالد بخطه الشريف وقال ما هذا لفظه: (ان ما نسب اليه = يعنى الشهيد الثانى = من الرسالة التى كتب فى الوجوب العينى مع غاية التأكيد والتهديد ليس منه كما بالغ فى ذلك شيخنا المحقق دام ظله وقال : ان ما فيه لايليق ان ينسب الى جاهل فضلا عن مثل الشهيد ره (اه)

اقول من صنف فى الفقه مثل شرح اللمعة والمسالك لايليق ان ينسب اليه تلك الرسالة و يحتمل انه رحمه الله صنف رسالة فى صلاة الجمعة و لكن بعض المغرضين من القاصرين حرفها وزاد فيها بعض المطالب المخالفة للقواعد الفقهية و نسبها اليه و اشتبه الامر على سبطه وتلميذه فحسبا انها من تصنيفه

و الحق فى المقام مع المحقق القمى ره فى نفى تلك الرسالة عنه ولا اقل فقد صارت نسبتها اليه مشكوكة فلايمكن الركون اليها والاعتماد عليها

الخفى على ما تقدّم بيانه ، وان تيقّن انّه الصّلاح لكن لم تطمئن نفسه ولم تسكن رؤعته فهو الحمق الجلىّ النّاشى عن الغفلة فى شأن الحكمة القديمة ، حتى روى انّ العبد ليدعوا الله ان يرحمه و يجيب دعاه فى امثال ذلك ؛ فيقول الله تعالى لملائكته كيف أرحمه من شيء به أرحمه

ومنها انّه اذا تدبّر فى أحوال الرّسل وصدقهم فيما قالوا وسمع ما وعدوا به من الثّواب على كلّ فرد من أنواع المصائب سهل عليه موقعه ، و علم انّ له فى ذلك تمام السّعادة ، وينبغى ان يمثّل العاقل انّه لود همه أمر عظيم أوسبع أوحيّة و كان عنده أعزّ أولاده و كان بحضرته نبىّ من الانبياء و أخبره انّك ان افديت به سلمت انت و ولدك ، وان لم تفعل عطبت ولا يعلم هل يعطب ولدك أم يسلم ، أيشكّ عاقل انّ الافتداء بالولد الذى يتحقق به سلامتهما هو عين المصلحة

روى عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال لعثمان بن مظعون وقدمات ولده واشتدّ حزنه عليه يا ابن مظعون انّ للجنّة ثمانيّة أبواب ، و للنّار سبعة أبواب أفما يسرّك انلاتأتى بابا منها الّا وجدت ابنك الى جنبه آخذ بحجرتك يستشفع لك الى ربّك حتى يشفعه الله تعالى

ومنها انّ الأغلب انّ الولدانّما يراد امّا لنفع الدّنيا او الاخرى ، ومنفعته على تقدير موته معلومة و على تقدير بقائه موهومة ، بل المظنون عدمها لأنّ الزمان قد هرم وشنا كما قيل

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرّهم واتيناه على الهرم

وأجابه بعض مشايخنا

هم على كلّ حال أدر كواهرماً ونحن جئناه بعد الشّيب والعدم

و تأمّل اكثر الخلق هل تجد احداً منهم نافعا لأبويه الّا القليل حتى اذا رأيت واحدا فعدّ ألوفاً بخلافه ، فالحاقك ولدك الواحد بالفرد النادر عين الغفلة ؛ هذا اذا كنت تريد ان تجعله وليّا صالحا فكيف وانت لا تريده الّا ليرث منك البيت والبستان والصّخرة والميزان ، فدعه من هذا الميراث الخسيس و اجعله ممّن يرث الفردرس الأعلى فى جوار

اولاد الانبياء عليه السلام مربياً ان كان صغيرا فى حجر سارة حتى لو كان مرادك ان تورثه علمك وكتبك فاذكر انّ ذلك لو تمّ لك فما وعدت من ثوابه أكثر من هذا

قال الصادق عليه السلام ولد واحد يقدّمه الرّجل أفضل من سبعين ولدا يبقون بعده يدركون القائم عليه السلام؛ واعتبر المثل و هو انّه قيل انّ رجلا فقيرا معه ولد عزيز عليه و عليه خلقان الثّياب قد أسكنه فى خرب مقفرة ذات سباع وحيّات، فاطلّع عليه رجل حكيم ذو ثروة وقصور عالية، فأرسل اليه بعض غلمانه رحمة له، و قال له انّ سيّدى يقول لك انّى رحمتك من هذه الخربة ورحمت ولدك وقد تلطّفت عليك بهذا القصر، ينزل به ولدك ويوكّل عليك جارية كريمة تقوم بخدمته الى ان تقضى انت أغراضك وتجىء اليه وتسكن معه، فقال ذلك الرجل انا لا أرضى بمفارقة ولدى لا لعدم وثوقى بمولاك بل أعتقد انّه صادق ولكن طبعى اقتضى ذلك، و ما أريد ان أخالفه فما كنت ايّها السّامع تقول هذا الرجل تعدّه من الاغبياء فلا تقع فى خلق لا ترضاه لغيرك

واعلم انّ لسع الأفاعى واعظم آفات الدنيا لانسبة لها الى ادنى هول من أهوال الاخرة، فما ظنّك بتوبيخ يكون مقداره ألف سنة او اضعافه، ومنها انّه ينبغى ان يفكر فى انّ الجزع يشتمل على عدم الرضاء بالقضاء، و فى ذلك التعرّض لذمّ الله تعالى حيث قال من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليعبد ربّا سوائى، وقال موسى عليه السلام دلّنى على امر فيه رضاك، قال انّ رضائى فى رضاك بقضائى، وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود تريد وأريد وانّما يكون ما أريد فان سلّمت لما أريد كفيتك ما تريد، وان لم تسلّم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثمّ لا يكون الاّ ما أريد

ومنها ان ينظر صاحب المصيبة الى انّه فى دار قد طبعت على الكدر والعنا وجبلت على المصائب والبلا فما يقع فيها من ذلك فهو بموجب طبيعتها، وان وقع خلاف ذلك فهو على خلاف العادة، وقد نزل على الاولياء من المحن والشّدائد ما تعجز عن حمله الجبال وقال صلى الله عليه وآله أشدّ النّاس بلاء الأنبياء ثمّ الأولياء ثمّ الأمثل فالأمثل؛ كيف لا وهى سجن المؤمن وجنّة الكافر، و متى حصل فيهم محبوب كانت آلامه تزيد على لذّاته

بأضعاف مضاعفة، وأقلّ حسراته الفراق الذى يفتّ الأكباد، فكلّما نظرت فى الدنيا فهى شراب فهو سراب، وعماراتها وان علت الى خراب

له ملك ينادى كلّ يـوم لدوا للموت وابنوا للخراب

وفى الحديث انّ عبادى يطلبون منّى مالا أخلقه وهو الرّاحة فى الدنيا، ويدعون طلب ما خلقته وهو النّعيم المقيم ولقد احسن بعض الفضلاء حيث رثى ابنه

طبعت على كدر و انت تريدها صفوا من الاقـذار و الأكدار

و مكلّف الأيّام ضدّ طباعها متطلّب فى الماء جذوة نار

واذا رجوت المستحيل فانّما تبنـى البناء على شفير هار

روى عن على عليه السلام ان صبرت جرى عليك القضاء و انت مأجور و ان جزعت جرى عليك القضاء وانت مأزور ، فاغتنم شبابك قبل هرمك وصحّتك قبل سقمك؛ واجعل الموت نصب عينيك و استعدّ له بصالح العمل ؛ ودع الاشتغال بغيرك فانّ الأمر يأتى اليك دونه وقال على عليه السلام انّ أشدّ ما أخاف عليكم خصلتان إتّباع الهوى وطول الأمل ، فامّا إتباع الهوى فانّه يعدل عن الحق : واما طول الأمل فانّه يورث الحبّ للدنيا

وأوحى الله سبحانه الى بعض الصدّيقين انّ لى عبادا من عبادى يحبّونى و أحبّهم ويشتاقون الىّ وأشتاق اليهم ، ويذكرونى وأذكرهم؛ فان أخذت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتّك، قال يا ربّ وما علامتهم ؟ قال يراعون الظّلال بالنّهار كما يراعى الشّفيق غنمه ، ويحنّون الى غروب الشّمس كما تحنّ الطّير الى أوكارها عند الغروب فاذا جنّهم اللّيل واختلط الظّلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرّة وخلا كلّ بحبيبه، نصبوا لى أقدامهم ، و فرشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى ، وتملقونى بانعامى ، فبين صارخ وباك وبين متأوّه وشاك و بين قائم وقاعد؛ وبين راكع وساجد بعينى ما يتحمّلون من أجلى ، و بسمعى ما يشكون من حبّى ، أول ما أعطيهم ثلاثا ، اقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنّى كما أخبر عنهم، والثانى لو كانت السّموات والأرض وما فيهما من موازينهم لأستقللتها لهم ، والثالث أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحدما أريد ان أعطيه

اذا عرفت هذا فلنتكلم الان فى أمور

الأول فى بيان الأعواض الحاصلة من موت الاولاد و ما يقرب من هذا المراد ، إعلم انّ الله سبحانه عدل حكيم لا يليق بكمال ذاته ان ينزل بعبده المؤمن فى دار الدنيا شيئا من البلاء وان قل ثمّ لا يعوّضه عنه ما يزيدعليه اذلو لم يعطه شيئا كان ظالما ، ولو عوّضه بقدره كان عابثا؛ وقدتظافرت بذلك الأخبار النّبويّة ومنها(فيهاخ) انّ المؤمن لو يعلم ما أعدّ الله تعالى له على البلاء لتمنّى انّه فى دار الدنيا قرض بـالمقاريض ، و روى هذا الحديث عن السّلمى ازيد من ثلاثين صحابيّا ، روى الصّدوق ره باسناده الى السّلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ايّما رجل قدّم ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث او امرأة قدّمت ثلاثة اولاد فهم حجاب يسترونه من النّار ، و الحنث بكسر الحاء الذّنب والمراد لم يبلغوا السّنّ الذي يكتب عليهم فيه الذنب

وقال الصادق عليه السلام ولد واحد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين يخلفونه من بعده كلّهم قدركب الخيل وقاتل فى سبيل الله تعالى ،وقال عليه السلام ثواب المؤمن من ولده الجنّة صبر اولم يصبر ، وقال عليه السلام ولد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين ولدا يبقون بعده يدركون القائم عليه السلام ؛ و قال صلى الله عليه وآله انّ العبد اذا سبقت له من الله تعالى منزلة فلم يبلغها بعمل إبتلاه الله تعالى فى جسده او فى ماله او فى ولده ثمّ صبّره على ذلك حتى يبلغه المنزلة الّتى سبقت له من الله عزّ وجل ، وقال ايضا خمس ما اثقلهنّ فى الميزان : لا اله الاّ الله وسبحان الله والله اكبر والحمدلله؛ والولد الصّالح يتوفّى للمرء المسلم فيحتسبه ، اى يعدّه حسبة و كفاية عندالله عزّ وجل ، وقال عليه السلام تزوّجوا فانّى مكاثر بكم الأمم حتى انّ السّقط ليظلّ محبنطئا على باب الجنّة ، فيقال له أدخل فيقول لا أدخل حتى يدخل أبواى والسّقط مثلّث السين والكسر أكثر هو الذى يسقط من بطن أمّه قبل إتمامه ؛ ومحبنطئا بالهمز وتركه وهو المتغضّب المستبطى للشىء

وقال صلى الله عليه وآله سوداء ولود خير من حسناء لم تلد انّى مكاثر بكم الأمم حتى انّ السّقط ليظلّ محبنطئا على باب الجنّة فيقال له أدخل الجنّة يقول أنا وأبواي ؛ فيقول له وانت

و أبواك ، وقال صلى الله عليه وآله النفساء يجرها ولدها يوم القيمة بسررها الى الجنّة ، النّفسا بضمّ النّون وفتح الفاء (١) المرأة اذا ولدت ، والسّرر بفتح السّين ما تقطعه القابلة من سرّة المولود الّتى هى موضع القطع ، و كأنّه يريد الولد الذّى لم تقطع سرّته ، وقال صلى الله عليه وآله من قدّم من صلبه ذكرا لم يبلغ الحنث كان أفضل من ان يخلف من بعده مائة كلّهم يجاهدون فى سبيل الله تعالى لاتسكن روعتهم الى يوم القيمة ، وقال ايضا لئن أقدم سقطا أحبّ الىّ من ان اخلف مائة فارس كلّهم يقاتل فى سبيل الله تعالى ، وقال اذا كان يوم القيمة خرج ولدان المسلمين من الجنّة بأيديهم الشّراب ، قال فيقول النّاس لهم أسقونا أسقونا فيقولون أبوينا أبوينا

وروى عنه صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيمة نودى فى اطفال المسلمين ان اخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم ، ثمّ ينادى فيهم ان امضوا الى الجنّة زمرا فيقولون ربّنا و والدينامعنا، ثمّ ينادى فيهم الثانية ان امضوا الى الجنّة زمرا فيقولون ربّنا و والدينا معنا فيقال فى الثالثة ان امضوا الى الجنّة زمرا فيقولون ربّنا و والدينا معنا؛ فيقول فى الرابعة و والديكم معكم فيثوب (فيسرع خ) كلّ طفل الى أبويه فيأخذون بأيديهم فيدخلون الجنّة ، فهم أعرف بآبائهم وأمّهاتهم يومئذ من أولادكم الذين فى بيوتكم؛ وعن انس انّ رجلا كان يجىء بصبىّ له معه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وانّه مات فاحتبس والده عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فسأل عنه فقالوا له مات صبيّه الذى رأيته معه، فقال صلى الله عليه وآله هلاّ آذنتمونى فقوموا الى أخينا نعزّيه؛ فلمّا دخل اليه اذا الرجل حزين وبه كأبة ، فقال يا رسول الله كنت أرجوه لكبر سنّى و ضعفى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله امّا يسرّك ان يكون يوم القيمة بازائك يقال له أدخل الجنّة فيقول ربّ و أبواى ولا يزال يشفع حتى يشفع الله تعالى فيكم ويدخلكم جميعا الجنّة

وعن انس ايضا قال توفّى إبن لعثمان بن مظعون ره فاشتدّ حزنه عليه حتى اتّخذ فى داره مسجدا يتعبّد فيه ، فبلغ ذلك النّبى صلى الله عليه وآله فقال يا عثمان انّ الله عزّ وجلّ لم

---

(١) وبفتح النون وسكون الفاء و بفتحها ايضا

يكتب علينا الرهبانيّة ، انّما رهبانيّة أمّتى الجهاد فى سبيل الله تعالى يا عثمان بن مظعون انّ للجنّة ثمانيّة أبواب وللنّار سبعة أبواب أفما يسرّك انّ لاتأتى بابا منها الاّ وجدت ابنك الى جنبه آخذا بحجزتك يستشفع لك الى ربّك عزّ وجل ، قال فقيل يا رسول الله ولنا فى افراطنا ما لعثمان ؟ قال نعم لمن صبر منكم و احتسب ، الحجزة بضمّ الحاء المهملة والزاء موضع شدّ الأزار ، ثم قيل للازار حجزة ، وعن قرة بن اياس انّ النّبى ﷺ كان يختلف اليه رجل من الأنصار مع ابن له فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم يا فلان تحبّه ؟ قال نعم يا رسول الله احبّك كما أحبّه ، ففقده النّبى ﷺ فقالوا يا رسول الله مات ابنه، فقال رسول الله ﷺ أمّا يرضى اولا ترضى ان لا تأتى يوم القيمة بابا من ابواب الجنّة الاّ جاء يسعى حتّى يفتحه لك؛ فقال رجل يا رسول الله له وحده أم لكلّنا؟ فقال بل لكلّكم

وروى البيهقى انّ النّبى ﷺ كان اذا جلس تحلق اليه نفر من أصحابه و فيهم رجل له بنىّ صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه الى ان هلك ذلك الصّبىّ فامتنع الرجل من الحلقة ان يحضرها تذكرا له وحزنا عليه ، قال ففقده النّبى ﷺ فقال مالى لا أرى فلانا ؟ قالوا يا رسول الله بنيّه الذى رأيته هلك فمنعه الحزن عليه والذّكر له ان يحضر الحلقة فلقيه نبى الله ﷺ فسأله عن بنيّه فأخبره انّه هلك، فعزاه وقال يا فلان أيّما كان احبّ اليك انّ تمتّع عمرك اولا تأتى غدا بابا من ابواب الجنّة الاّ وجدته قد سبقك اليه فتحه لك، قال يا نبىّ الله لابل ان يسبقنى الى باب الجنّة أحبّ الىّ قال فذاك لك ، فقام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله اهذا لهذا خاصّة ام من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له ؟ قال بل من هلك له طفل من المسلمين كان له ذلك

وقال ﷺ اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدى؟ فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم ، فيقول ماذا قال عبدي ؟ فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أبنوا لعبدى بيتا فى الجنّة و سمّوه بيت الحمد ، و عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ من دفن ثلاثة فصبر عليهم و احتسب وجبت له الجنّة ، فقالت أمّ

أيمن واثنين ؛ فقال من دفن اثنين فصبر عليهما و احتسبهما وجبت له الجنّة، فقالت أمّ ايمن و واحدا فسكت وأمسك ؛ ثم قال يا امّ ايمن من دفن واحد فصبر عليه و احتسبه وجبت له الجنّة

و عن ابن مسعود قال دخل النّبي صلى الله عليه وآله يعزّيها بابنها قال بلغني انّك جزعت جزعا شديدا ، قالت وما يمنعني يا رسول الله وقد تركني عجوزا رقوبا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله لست بالرّقوب إنّما الرقوب الّتي تتوفّى وليس لها فرط ولا يستطيع النّاس ان يعودون عليها من أفراطهم فتلك الرّقوب ؛ والرّقوب بفتح الراء الّتي لايولدلها ولد ولا يعيش لها هذا بحسب اللّغة وقد خصّه النبيّ صلى الله عليه وآله بماذكر ، و عن زيدبن أسلم قال مات ولد لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا كثيرافأوحى الله تعالى الى داود ما كان يعدل هذا الولد عندك ؟ قال يا ربّ كان يعدله هذا الولد عندي ملأ الأرض ذهبا ، قال فلك عندي يوم القيامة ملأ الأرض ثوابا

وعن داود بن ابي هند قال رأيت في المنام كأنّ القيامة قدقامت و كأنّ النّاس يدعون الى الحساب ، قال فقرب اليّ الميزان فوضعت حسناتي في كفّةوسيّئاتي في كفّة فرجّحت السيّئات على الحسنات ، فبينا أنا مغموم اذ أتيت بمنديل او كالخرقة البيضاء فوضعت مع حسناتي فرجّحت فقيل لي تدري ما هذا ؟ قلت لا ، قال هذا سقط كان لك قلت فانّه كان لي ابنة ، فقيل لي ابنتك ليست لك لأنّك كنت تتمنّى موتها ، و عن ابي شوذب انّ رجلا كان له ابن صغير لم يبلغ الحلم فأرسل الى قومه فقال انّ لي اليكم حاجة قالوا ما هي ؟ قال انّي اريدان أدعوا على ابني هذا ان يقبضه الله وتؤمّنون على دعائي، فسألوه عن ذلك فأخبرهم انّه راى في نومه كأنّ النّاس قدجمعوا ليوم القيمة و أصابهم عطش شديد، فاذا الولدان قدخرجوا من الجنّةمعهم الأباريق وفيهم ابن اخ له ، فالتمس منه انّه يسقني فأبى وقال يا عمّ انّا لا نسقي الاّ الأباء فاحببت انّ الله يجعل ولدي هذا فرطالي ، فدعا وأمّنوا فلم يلبث الصّبي حتى مات

وعن محمد بن خلف قال كان لإبراهيم الحربي ابن له أحد عشر سنةقد حفظ

القرآن ولقّنه أبوه العلم فمات ، فأتيته لأعزّيه فقال لی کنت أشتهی موته ، فقلت يا ابا اسحق أنت عالم الدّنيا تقول مثل هذا فی صبیّ قدأنجب وحفظ القرآن ولقنّته الحديث والفقه ، قال نعم ثمّ قال رأيت فی النّوم کأنّ القيامة قد قامت و کأنّ صبيانا بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون النّاس يسقونهم و کان اليوم يوم حارّ شديد ، فقلت لأحدهم إسقنی من هذا الماء ، قال فنظر الیّ وقال لی لست أنت أبی ، قلت فأنّی شیء أنتم ؟ قال ونحن الصّبيان الذين متنا فی دارالدنيا وخلّفنا آباءنا ، فنستقبلهم فنسقيهم الماء ، فلهذا تمنّيت موته

وروی الغزالی فی الاحياء انّ بعض الصّالحين کان يعرض عليه التّزويج برهة من دهره فيأبی ، قال فانتبه من نومه ذات يوم و قال زوّجونی فزوّجوه ، فسئل عن ذلك فقال لعلّ الله تعالی يرزقنی ولدا يقبضه فيکون لی مقدّمة فی الاخرة ، ثمّ قال رأيت فی المنام کأنّ القيامة قد قامت و کأنّی فی جملة الخلايق فی الموقف وبی من العطش ما کادأن يقطع عنقی و کذلك الخلايق من شدّة العطش و الکرب ، فنحن کذلك و اذا ولدان يتخلّلون الجمع ، عليهم قناديل من نور و بأيديهم أباريق من فضّة و أکواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد ؛ و يتخلّلون الجمع ويجاوزون أکثر النّاس ، فمددت يدی الی أحدهم فقلت اسقنی فقد أجهدنی العطش ؛ فقال ليس لك فينا ولد انّما نسقی آباءنا فقلت ومن انتم؟ قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين

وحکی الشيخ ابوعبدالله فی کتاب مصباح الظّلام عن بعض الثّقات انّ رجلا أوصی بعض اصحابه ممن حجّ يقرأ سلامه لرسول الله صلّی الله عليه وآله ويدفن رقعة مختومة له عند رأسه الشّريف ، ففعل ذلك فلمّا رجع من حجه أکرمه الرجل وقال له جزاك الله خيرا لقد بلّغت الرسالة ، فتعجّب المبلّغ من ذلك وقال له من اين علمت بتبليغها قبل ان أحدّثك فأنشأ يحدّثه ؛ قال لی اخ مات وترك ابنا صغيرا فربيّته واحسنت تربيته ثم مات قبل ان يبلغ الحلم ، فلمّا کان ذات ليلة رأيت فی المنام کأنّ القيامة قد قامت والحشر قدوقع والنّاس قد اشتدّبهم العطش من شدّة الجهد وبيد ابن اخی ماء ، فالتمست ان يسقينی فأبی وقال ابی أحق به منك ، فعظم علیّ ذلك وانتبهت فزعا ، فلمّا أصبحت تصدّقت بجملة دنانير

وسألت الله تعالى ان يرزقني ولدا ذكرا فرزقته ، و اتّفق سفرك فكتبت لك تلك الرّقعة ومضمونها التّوسّل بالنّبي صلى الله عليه وآله الى الله عزّ و جل في قبوله منّي رجاءً ان أجده يوم الفزع الأكبر ، فلم يلبث ان حمّ و مات وكان ذلك يوم وصولك فعلمت انّك بلّغت الرسالة

ومن كتاب النّوم والرؤيا لأبي صقر الموصلي حدّثني علي بن الحسين بن جعفر حدّثني ابي حدّثني بعض أصحابنا ممّن أثق به قال أتيت المدينة ليلا فنمت في البقيع بين أربعة قبور عند قبر محفور ، فرأيت في منامي أربعة أطفال قد خرجوا من تلك القبور وهم يقولون

أنعم الله بالحبيبة عينا و بمسراك يا أميم الينا

عجباً ماعجبت من ضغطة القبر و مغداك يا اميم الينا

فقلت انّ لهذه الابيات لسانا وأقمت حتى طلعت الشّمس ، فاذا جنازة قد أقبلت فقلت من هذه ؟ قالوا امرأة من أهل المدينة؛ فقلت اسمها اميمة ؟ قالو نعم ، قلت قدمت فرطا؟ قالوا نعم اربعة أولاد فأخبرتهم الخبر ، وأنشد بعض الأفاضل

عطيّته اذا أعطى سرورا فان سلب الذى أعطى أثابا

فأيّ النّعمتين أعدّ فضلا و أحمد عند عقباها إيابا

أنعمته التّي كانت سرورا ام الاخرى التّي جلبت ثوابا

الامر الثاني في الصّبر وقد عرفت معناه، وامّا أقسامه فهي ثلثة: أحدها صبر العوام وهو حبس النّفس على وجه التّجلّد وإظهار الثّبات في النّائبات ليكون حاله عند النّاس مرضيّة : يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ، وثانيها صبر الزّهّاد والعبّاد وأهل التّقوى لتوقّع ثواب الاخرة ، انّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب وثالثها صبر العارفين فانّ لبعضهم إلتذاذا بالمكروه لتصوّرهم انّ معبودهم خصّهم به من دون النّاس وصاروا ملحوظين بشريف نظره ، وبشّر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وانّا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة و اولئك هم المهتدون ،

وهذا النّوع يخصّ باسم الرضا ، والاول لا ثواب عليه بل هو رياء محض ، و الصّبر عند الاطلاق يحمل على القسم الثاني

و عن الحسن عليه السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله قال انّ في الجنّة شجرة يقال لها شجرة البلوى ، يؤتى بأهل البلا يوم القيامة فلا يرفع لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الاجر صبّاً وقرأ انّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب ؛ وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله عزّ وجل اذا وجّهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله اوولده ثمّ استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان أنصب له ميزانا اوأنشر له ديوانا، وعنه صلى الله عليه وآله الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر و الصّبر عند الصّدمة الأولى أعظم وعظم الأجر على قدر المصيبة ، ومن استرجع بعد المصيبة جدّد الله له أجرها كيوم أصيب بها ، و سئل رجل النّبي صلى الله عليه وآله فقال ما يحبط الأجر في المصيبة ؛ فقال تصفيق الرجل بيمينه على شماله ، والصّبر عند الصدمة الاولى فمن رضي فله الرّضى ، ومن سخط فعليه السّخط

وعن امّ سلمة زوجة النّبي صلى الله عليه وآله قالت أتاني ابوسلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله قولا سررت به ؛ قال لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللّهمّ أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الاّ فعل ذلك به؛ قالت امسلمة فحفظت ذلك منه فلمّا توفّي ابوسلمة إسترجعت وقلت اللّهمّ أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منه؛ ثم رجعت الى نفسي فقلت من أين يحصل خير من ابي سلمة فلمّا انقضت عدتي استأذن عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وانا أدبغ إهابا ، فغسلت يدي من القرظ و اذنت له فوضعت له وسادة أدم وحشوها ليف ؛ فقعد عليها فخطبني الى نفسي، فلمّا فرغ من مقالته قلت مابي ان لا يكون بك الرّغبة ولكنّي امرأة في غيرة شديدة فأخاف ترى مني شيئا يعذّبني الله عليه ، وانا امرأة قد دخلت في السنّ وانا ذات عيال ، فقال أمّا ما ذكرت من السّنّ فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وامّا ما ذكرت من العيال فانّما عيالك عيالي

قالت فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وآله فتزوجها ؛ فقالت امّ سلمة (۱) فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وآله

وعن الحسين بن علي بن ابيطالب عليهما السلام انّ النّبي صلى الله عليه وآله قال من اصابته مصيبة فقال اذا ذكرها انّا لله وانّا اليه راجعون جدّد الله له أجرها مثل ما كان له يوم أصابته وعن جابر بن عن الباقر عليه السلام قال أشد الجزع الصّراخ بالويل والعويل و لطم الوجه وجزّ الشّعر ، ومن أقام النّواحة فقدترك الصّبر ومن صبرواسترجع وحمدالله جلّ ذكره فقد رضي بما صنع الله و وقع أجره على الله جل وعزّ ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضا وهو ذميم وأحبط الله عزّ وجل اجره ، وعن موسى الكاظم عليه السلام قال ضرب الرجل على فخذه عند المصيبة إحباط اجره ، وعن اسحق بن عمّار عن الصادق عليه السلام قال يا اسحق لا تعدّنّ مصيبة أعطيت عليها الصّبر و استوجبت عليها من الله عزّ و جلّ الثّواب ، انّما المصيبة الّتي يحرم صاحبها أجرها وثوابها اذا لم يصبر عند نزولها

الامر الثالث في نبذ من احوال السّلف عندموت أبنائهم، و أحبائهم قال ابو الاحوص

---

(۱) ام سلمة ام المؤمنين اسمها هند بنت ابي امية هي افضل ازواج رسول الله (ص) بعد خديجه ام المؤمنين سلام الله عليها

مهاجرة جليلة ذات رأى وعقل وكمال وجمال هاجرت الى الحبشة والمدنية ولها اخلاص لاميرالمؤمنين (ع) والصديقة الطاهرة (ع) والحسنين عليهما السلام و يستفاد جلالتها من الاخبار: انظر تنقيح المقال فصل ذكرالنساء ص ۷۲ ولها مشاجرة مع عائشة في مكة حين ارادت محاربة اميرالمؤمنين (ع) و عزمت على الخروج الى وقعة الجمل و قالت فقد هتكت سدة بين رسول‌الله(ص) وامته حجاب مضروب على حرمته فقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه و سكن الله من عقيراك فلا تصحريها صرح الله من وراء هذه الامة لوعلم رسول‌الله (ص) ان النساء يحتملن الجهاد عهد اليك اما علمت انه قد نهاك عن الفراطة في الدين فان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع واقسم لو قيل لي يا ام سلمة ادخلي الجنة لاستحييت ان القى رسول الله (ص) هاتكة حجابا ضربه على انظر على كلامها في اعلام النساء ج ۳ص۱۶۰۰ وتوفيت ام سلمة رضي‌الله عنها سنة (۶۲) في خلافة يزيد لعنه الله على القول الصحيح

دخلنا على ابن مسعود رضى الله عنه وعنده ثلاثة بنين له وهم غلمان كأنّهم الدّنانير حسنا فجعلنا نتعجّب من حسنهم، فقال كأنّكم تغبطونى بهم، قلنا اى و الله ، بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم ، فرفع رأسه الى سقف بيت قصير قد عشّش فيه الخطّاف وباض ؛ فقال والذى نفسى بيده لئن اكون نفضت يدى من تراب قبورهم أحبّ الىّ من ان أسقط عشّ هذا الخطاف وينكسر بيضه ، يعنى حرصا على الثواب

وكان عبدالله بن مسعود رضى الله عنه يقرى الناس فى المسجد جاثيا على ركبتيه اذ جاءت أمّ ولده بابن له يقال له محمّد ، فقامت على باب المسجد ثم أشارت له الى ابيه ، فأقبل فأفرج له القوم حتى جلس فى حجره ، ثمّ جعل يقول مرحبا بسمىّ من هو خير منه، ويقبّله حتى يكاد يزدرد ريقه ، ثمّ قال والله لموتك وموت إخوتك أهون علىّ من عدتكم من هذا الذّباب ، فقيل له لم تتمنّى هذا ؟ فقال اللّهمّ غفرا انّكم تسألونى ولا أستطيع الاّ ان أخبر كم أريد بذلك الخير ، أما انا فأحرز أجورهم وأتخوف عليهم سمعت رسو الله صلّى الله عليه وآله يقول يأتى عليكم زمان يغبط الرجل بخفة الحال ما يغبط اليوم بكثرة المال والولد ؛ وكان ابوذر رضى الله عنه لا يعيش له ولد ، فقيل له انّك امرء لا يبقى لك ولد، فقال الحمدلله الذى يأخذهم من دار الدّنيا ويذخرهم فى دار البقاء

ومات لعبدالله بن عامر المازنى رضى الله عنه فى الطاعون الحارف سبع بنين فى يوم واحد فقال انّى مسلم مسلّم، وعن عبد الرحمن بن غنمة قال دخلنا على معاذ وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه ، فما ملكنا أنفسنا ان ذرفت أعيننا وانتحب بعضنا ؛ فزجره معاذ وقال مه فوالله لعلم الله برضاى لهذا أحبّ الىّ من كلّ عزوة غزوتها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فانّى سمعته يقول من كان له ابن عليه عزيز وبه ضنينا ومات فصبر على مصيبته واحتسبه أبدل الله الميت دارا خيرا من داره وقرارا خيرا من قراره ؛ وأبدل المصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرّضوان ، فمابرحنا حتى قضى الغلام حين أخذ المنادى لصلاة الظهر فرحنا نريد الصلوة فما جئنا الاّ وقد غسّله و كفّنه، وجاء رجل بسريره غير منتظر لشهود الاخوان و لجمع الجيران، فلمّا بلغنا ذلك تلاحقنا وقلنا يغفر الله لك يا ابا عبدالرحمن

هلاّ إنتظرتنا حتى نفرغ من صلواتنا و نشهد ابن أخينا ، فقال أمرنا ان لا ننتظر موتانا ساعة ماتوا من ليل اونهار ؛ قال فنزل فى القبر و نزل معه آخر فلمّا أراد الخروج ناولته يدى لأنتشطه من القبر ، فأبى و قال ما أدع ذلك لفضل قوتى ولكن اكره ان يرى الجاهل انّ ذلك منّى جزع واسترخاء عند المصيبة ، ثمّ أتى مجلسه ودعى بدهن فادهن وبكحل فاكتحل وببردة فلبسها و اكثر فى يومه ذلك من التبسّم ينوى بهما ينوى ؛ ثمّ قال انّا لله وانّا اليه راجعون ، فى الله خلف عن كلّ هالك و عزآء من كلّ مصيبة ، ودرك لكل مافات

وروى انّ قوما كانوا عند على بن الحسين عليهما السلام فاستعجل خادم بشوى يشوى(خ) فى التنّور ، فأقبل مسرعا فسقط من يده على ابن لعلىّ بن الحسين عليهما السلام ، فأصاب رأسه فقتله فوثب علىّ بن الحسين عليهما السلام فلمّا راى ابنه ميتا قال للغلام انت حرّ أما انّك لم تتعمّده وأخذ فى جهاز ابنه

وعن الأحنف بن قيس قال تعلّموا الحلم والصّبر فانّى تعلّمته : فقيل له ممّن ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل وما بلغ من حلمه ؟ قال كنّا قعودا عنده اذأتى بابنه مقتولا وبقاتله مكبولا فما حلّ حبوته ولا قطع حديثه حتى فرغ ، ثمّ التفت الى قاتل ابنه فقال يا ابن أخى ما حملك على ما فعلت ؟ قال غضبت ، قال او كلّما غضبت قتلت أهنت نفسك وعصيت ربّك و أقللت عددك ، إذهب فقد أعتقتك ؛ ثم التفت الى بنيه فقال يا بنىّ اعمدوا الى أخيكم غسّلوه و كفنوه فاذا فرغتم منه فاتونى به حتى اصلّى عليه، فلمّا دفنوه قال انّ أمّه ليست منكم وهى من قوم آخرين فلا آراها ترضى بما صنعتم فاعطوها ديته من مالى

وقدم الى بعض الخلفا قوم من بنى عبس فيهم رجل ضرير ، فسأله عن عينيه ؛ فقال بتّ ليلة فى بطن وادولم أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى ، فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من اهل ومال و ولد غير بعير وصبىّ مولود و كان البعير صعبا فشرد فوضعت الصّبى واتّبعت البعير فلم أجاوز الاّ قليلا حتى سمعت صيحة ابنى ، فرجعت و رأس الذئب فى بطنه وهو يأكله ولحقت البعير لأحبسه فنفحنى رجلا و ذهب بعينى ، فأصبحت لامال لى

ولا أهل ولا ولد ولا بصر ، وقال ابو عليّ الرازي صحبت الفضل بن عبّاس ثلثين سنة،ما رأيته ضاحكا ولا متبسّماً الاّ يوم مات ابنه عليّ ، فقلت له في ذلك فقال انّ الله سبحانه أحبّ أمرا فأحببت ما احبّ الله عزّ وجلّ

واصيب عمرو بن كعب الهندي بتستر فكتموا أباه الخبر ؛ ثم بلغه فلم يجزع ؛ و قال الحمدلله الذي جعل من صلبي من أصيب شهيدا ؛ ثمّ استشهد له ابن بجرجان ؛ فلمّا بلغه الخبر قال الحمدلله الذي توفّى منّي شهيدا

وروى البيهقي انّ عبدالله بن مطرف مات فخرج ابوه مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد أدهن ، فغضبوا وقال يموت عبدالله وتخرج في ثياب حسنة مدهنا ؛ قال أفأستكين لها وقد وعدني ربّي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال هي أحبّ اليّ من الدّنيا كلّها قال الله تعالى الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انّا لله وانّا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة واولئك هم المهتدون ، ودعا رجل من قريش اخوانا فجمعهم على طعام و ضربت ابناله دابّة بعضهم فمات ، فأخفى ذلك عن القوم وقال لأهله لا أعلمن صاحت منكم صائحة وبكت باكية، وأقبل على إخوانه حتى فرغوا من طعامه ؛ ثمّ أخذ في جهاز الصبيّ فلم يفجأهم الاّ بسريره ، فأرتاعوا و سألوه عن امره فأخبرهم فعجبوا من صبره و كرمه

وذكر انّ رجلا من اليمامة دفن ثلاثة رجال من ولده ثمّ إحتبى فنادى قومه يتحدّث كأن لم يفقد أحدا ، فقيل له في ذلك ؟ فقال ليسوا في الموت ببديع ولا انا في المصيبة بأوحد ؛ ولا جدوى للجزع فعلام تلوموني ؟ و أسند ابوالعبّاس مسروق عن الاوزاعي قال حدّثني بعض الحكماء قال خرجت و انا أريد الرّباط حتى اذا كنت بعريش مصر اذانا بمظلّة وفيها رجل قد ذهبت عيناه واسترسلت يداه ورجلاه ، وهو يقول لك الحمد سيّدي و مولائي اللّهمّ انّي حمدك أحمدا يوافي محامد خلقك كفضلك على سائر خلقك اذفضّلتني على كثير ممّن خلقت تفضيلا، فقلت والله لأسألنّه، فدنوت وسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام فقلت له رحمك الله انّي أسئلك عن شيء أتخبرني به ام لا ؟ فقال ان كان عندي منه علم أخبرتك به ؛ فقلت رحمك الله على ايّ فضيلة من فضائله تشكره؟ فقال او ليس ترى ماقد

صنع بي ، قلت بلى ؛ فقال والله لو انّ الله تبارك و تعالى أصبّ عليّ نارا تحرقني ، وأمر الجبال فد مرّتني ، وأمر البحار فغرقتني؛ وأمر الأرض فخسفت بي ما ازددت فيه سبحانه الاّ حبّا ، ولا ازددت له الاّ شكرا ، وانّ لي اليك حاجة أفتقضيها لي ؟ فقلت نعم قل ما تشاء، فقال بنيّ لي كان يتعاهدني اوقات صلواتي و يطعمني عند إفطاري ، وقد فقد ته منذامس فانظر هل تجده لي ، قال فقلت في نفسي انّ في قضاء حاجته لقربة الى الله عزّ و جل ، وقمت وخرجت في طلبه حتى اذا صرت بين كثبان الرّمال اذا انا بسبع قد افترس الغلام يأكله ، فقلت انّا لله وانّا اليه راجعون كيف آتي هذا العبد الصّالح بخبر إبنه ؛ قال فأتيته فسلّمت عليه فقلت رحمك الله ان سألتك عن شيء أتخبرني به؟ فقال ان كان عندي منه علم أخبرتك ؛ قال قلت انت أكرم على الله تعالى وأقرب منزلة اونبي الله ايّوب عليه السلام ، فقال بل أيّوب أكرم على الله تعالى منّي وأعظم عندالله تعالى منزلة منّي ، فقلت انه إبتلاه الله فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به ، و كان غرضا لمرار الطّريق ، اعلم انّ ابنك الذي أخبرتني به و سألتني أطلبه لك إفترسه السّبع ؛ فأعظم الله أجرك ، فقال الحمدلله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدّنيا ؛ ثمّ شهق شهقة وسقط على وجهه فجلست ساعة ثمّ حرّكته فاذا هو ميّت؛ فقلت انّا لله و انّا اليه راجعون كيف أعمل في أمره ؛ و من يعينني على غسله و كفنه و حفر قبره ودفنه ؛ فبينا انا كذلك اذا أنا بركب يريدون الرّباط ، فأشرت عليهم فأقبلوا نحوي حتى وقفوا عليّ ، فقالوا ما أنت و ما هذا؛ فأخبرتهم بقصّتي ، فعقلوا رواحلهم وأعانوني حتى غسلناه بماء البحر و كفّناه بأثواب كانت معهم، وتقدّمت وصلّيت عليه مع الجماعة ودفناه في مظلّته وجلست عنده قبره أنسابه وأقرء القرآن الى ان مضى من اللّيل ساعات ؛ فغفوت غفوة فرأيت صاحبي في أحسن صورة و أجمل زيّ في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائما يتلو القرآن ، فقلت له ألست صاحبي قال بلى ، قلت فما الذي صيّرك الى ما أرى ؟ فقال اعلم انني وردت مع الصّابرين لله عزّ وجلّ لم ينالوها الاّ بالصّبر والشّكر عند الرّخاء وانتبهت

وروى بينما عمر بن عبدالعزيز ذات يوم جالس اذ أتاه ابنه عبدالملك ، فقال الله

الله في مظالم بني ابيك فلان و فلان وفلان فوالله لوددت ان القدور قد غلت بي وبك فيما يرضى الله وانطلق فاتبعه ابوه بصره وقال انّي لأعرف خير أحواله، قالوا وماخير أحواله؟ قال ان يموت فأحتسبه، و لمّا دخل عليه أبوه في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني في الموت فاحتسبني يا أبه فانّ ثواب الله عزّ و جلّ خير لك منّي، فقال والله يا بنيّ لأن تكون في‌ميزاني أحبّ اليّ من‌ان أكون في‌ميزانك؛ فقال ابنه لئن يكون ما تحبّ أحبّ اليّ من ان يكون ما أحبّ، فلمّا مات وقف على قبره وقال رحمك الله يا بنيّ لقد كنت سارّا مولدا وبارّاناشيا و ما احبّ انّي دعوتك فأجبتني، ومات ابن له آخر قبل عبد الملك فجاء فقعد عند رأسه و كشف الثّوب عن وجهه و جعل ينظر اليه ويستدمع، فجاء ابنه عبدالملك فقال يا ابه ليشغلك ما اقبل من الموت عمّن هو في شغل حلّ لديك؛ فكأن قد لحقت ابنك وساويته تحت التّراب بوجهك فبكى عمر

الامر الرّابع في صبر بعض النّساء روى عن معاوية بن قرّة قال كان ابو طلحة يحبّ ابنه حبّا شديدا فمرض فخافت أمّ سليم على ابي طلحة الجزع حين قرب موت الابن، فبعثته الى النّبي ﷺ فلمّا خرج ابو طلحة من داره توفّي الولد فسجّته (فسبجته خ) (فغطته خ) امّ سليم بثوب وعزلته في ناحية من البيت؛ ثمّ تقدّمت الى اهل بيتها وقالت لهم لاتخبروا اباطلحة بشيء ثمّ انّها صنعت طعاما ثمّ مسّت شيئا من الطّيب فجاء ابو طلحة من عند رسول الله ﷺ فقال ما فعل ابني؟ فقالت له هدأت نفسه، ثمّ قال هل لنا ما نأكل؟ فقامت فقربت اليه الطّعام ثمّ تعرّضت له فوقع عليها فلمّا إطمأنّ قالت له يا ابا طلحة أتغضب من وديعة كانت عندنا فرددنا ها الى اهلها؟ فقال سبحان الله لا؛ فقالت ابنك كان عندنا وديعة فقبضه الله تعالى، فقال ابوطلحة فانا احق بالصّبر منك؛ ثمّ قام من مكانه فاغتسل و صلّى ركعتين ثم انطلق الى رسول الله ﷺ فأخبره بصنيعتها؛ فقال له رسول الله ﷺ بارك الله لكما في وقعتكما؛ ثمّ قال رسول الله ﷺ الحمدلله الذي جعل في امّتي مثل صابرة بني اسرائيل، فقيل يا رسول الله ما كان من صبرها؟ فقال كان في بني اسرائيل امرأة وكان لها زوج ولها منه غلامان؛ فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس، ففعلت واجتمع النّاس

فى داره فانطلق الغلاما ن يلعبان فوقعا فى بئر كان فى الدّار؛ فكرهت ان تنغص على زوجها الضيافة؛ فأدخلتهما البيت وسجّتهما (سجّتهما خ) بثوب فلمّا فرغوا دخل زوجها فقال اين ابناى؟ قالت هما فى البيت و انّها كانت مسّحت بشىء من الطيب و تعرّضت للرجل حتى وقع عليها؛ ثمّ قال اين ابناى؟ قالت هما فى البيت فنادا هما ابوهما فخرجا يسعيان؛ فقالت المرأة سبحان الله و الله لقد كانا ميّتين ولكن الله تعالى أحياهما بالصبرى

وروى فى مناجاة برخ الأسود الذى امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام يسئله يستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين، وخرج موسى عليه السلام ليستسقى لهم فى سبعين الفا فأوحى الله تعالى اليه كيف أستجيب لهم وقد اظلّت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين ويأمنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ يخرج حتى أستجيب له؛ فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينا موسى عليه السلام ذات يوم يمشى فى طريق فاذا هم بعبد الاسود بين عينيه تراب من أثر السجود، فى شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله تعالى فسلّم عليه فقال ما اسمك؟ قال اسمى برخ، فقال انت طلبتنا منذحين، أخرج إستسق لنا؛ فخرج فقال فى كلامه ما هذا من فعالك وما هذا من حلمك و ما الذى بدالك أنقصت عليك غيومك أم عاندت الرياح عن طاعتك؛ أم نفدما عندك أم اشتدّ غضبك على المذنبين، ألست غفّارا قبل خلق الخطّائين، خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا انّك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة؛ فما برح برخ حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر، فلمّا رجع برخ إستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيتنى حين خاصمت ربى؟ كيف انصفنى؟

وعن ابى قدّامة الشامى قال كنت اميرا على الجيش فى بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس ورغبتهم فى الجهاد وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرّق الناس وركبت فرسى الى منزلى و اذا انا بامرأة من أحسن الناس، ينادى يا ابا قدامة فمضيت و لم أجب، فقالت ما هكذا كان الصالحون؛ فوقفت فجاءت فدفعت الىّ رقعة مشدودة و انصرفت باكية، فنظرت فى الرقعة فاذا فيها مكتوب انت دعوتنا الى الجهاد

ورغبتنا فى الثواب ولا قدرة لى على ذلك ، فقطعت أحسنما فىّ ، وهماضفيرتاى وأنفذتهما اليك لتجعلهما قيد فرسك لعلّ الله تعالى يرى شعرى قيد فرسك فى سبيله فيغرلى ، فلمّا كان صبيحة القتال فاذا بغلام بين يدى الصّفوف يقاتل خاسرا ، فتقدّمت اليه فقلت يافتى غلام عزّ راجل ولا آمن ان تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا ؛ فقال أتأمرنى بالرجوع وقد قال الله عزّ وجل:

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذّين كفروا زحفا فلا تولّوهم الأدبار ، وقرأ الاية الى آخرها فحملته على هجين (١) كان معى فقال يا ابا قدامة أقرضنى ثلاثة أسهم ، فقلت هذا وقت قرض ؟ فمازال يلحّ علىّ حتى قلت بشرط إن منّ الله عليك بالشّهادة أكون فى شفاعتك ، قال نعم ، فأعطيته ثلاثة أسهم ؛ فوضع سهما فى قوسه ورمى به فقتل روميّا ، ثمّ رمى بالآخر فقتل روميّا ، و قال السلام عليك يا ابا قدامة سلام مودّع ، فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس سرجه ، فتقدّمت اليه فقلت لاتنسها ؛ فقال نعم ولكن لى اليك حاجة اذا دخلت المدينة فأت والدتى وسلّم خرجى اليها و أخبرها ، فهى الّتى أعطتك شعرها لتقيد به فرسك ، وسلّم عليها فهى العام الاول أصيبت بوالدى و فى هذا العام بى ، ثمّ مات فحفرت له و دفنته فلمّا هممت بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها ، فقال أصحابه ، غلام عزّ ولعلّه خرج بغير اذن امّه فقلت انّ الارض لتقبل من هو شرّ من هذا ، فقمت وصلّيت ركعتين ودعوت الله تعالى فسمعت صوتا يقول يا ابا قدّامة أترك ولىّ الله تعالى ، فما برحت حتى نزلت عليه الطّيور فأكلته ؛ فلمّا أتيت المدينة ذهبت الى دار والدته ؛ فلمّا قرعت الباب خرجت أخته الىّ ، فلمّا رأتنى عادت الى امّها و قالت يا امّاه هذا ابو قدّامه و ليس معه أخى وقد أصبنا فى العام الاول بأبى وفى هذا العام بأخى ، فخرجت امّه فقالت أمعزّيا ام مهنّيا ؟ فقلت ما معنى هذا ؟ قالت ان كان مات فعزّنى ؛ وان كان قتل فهنّنى ، فقلت لابل مات شهيدا ، فقالت له علامة

---

(١) فرس و برذونة هجين اى غير عتيق او الهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصاني عربي جمع هجن وهواجن ايضا

فهل رأيتها ، قلت نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها فقالت الحمدلله ؛ فسلّمت اليها الخرج ففتحه و أخرجت منه مسحا وغلاً من حديد ؛ وقالت انه كان اذا جنّة اللّيل لبس هذا المسح وغلّ نفسه بهذا الغل و ناجي مولاه ، و نادى في مناجاته الهى احشرني من حواصل الطّيور ، فاستجاب الله سبحانه دعاه رحمه الله

وقال ابان بن تغلب (ره) دخلت على امرأة وقد نزل بابنها الموت، فقامت اليه و غمضته (قمصته وسبجّته خ) وسجته ، ثمّ قالت يا بنيّ ما الجزع فيما لا يزول وما البكاء فيما ينزل غدا يا بنيّ تذوق ما ذاق ابوك و ستذوقه من بعدك امك ، وانّ اعظم الرّاحة لهذا الجسد النّوم والنّوم أخو الموت فما عليك ان كنت نائما على فراشك او على غيره وانّ غدا السّؤال والجنة والنّار ، فان كنت من أهل الجنّة فماضرّك الموت ، وان كنت من اهل النّار فما تنفعك الحيوة ولو كنت أطول النّاس عمرا ؛ والله يا بنيّ لولا انّ الموت أشرف الأشياء لابن آدم لما أمات الله نبيّه ﷺ وأبقى عدوّه ابليس

وعن المبرّد انه خرج الى اليمن فنزل على امرأة لها مال كثير ورقيق و ولد وحال حسنة فأقام عندها ، فلمّا اراد الرّحيل قال ألك حاجة؟ قالت نعم كلّما نزلت هذه البلاد فانزل عليّ ؛ ثمّ انه غاب أعواما ثمّ نزل عليها فوجدها قد ذهب مالها ورقيقها ومات ولد ها وباعت منزلها وهي مسرورة ضاحكة ، فقال لها أتضحكين مع ما قد نزلت بك ؟ فقالت يا عبدالله كنت في حال النّعمة في أحزان كثيرة فعلمت انها من قلّة الشكر فأنا اليوم في هذه الحالة أضحك شكرالله تعالى على ما أعطاني من الصّبر

و عن مسلم بن يسار قال قدمت البحرين فأضافتني امرأة لها بنون ورقيق و مال و يسار و كنت أراها محزونة فغبت عنها مدّة طويلة ثمّ أتيتها فلم أرى ببابها إنسانا ، فاستأذنت عليها فاذا هي ضاحكة مسرورة ، فقلت لها ما شأنك ؟ قالت انك لمّا غبت عنّا لم نرسل شيئا في البحر الاّ غرق ؛ ولا في البرّ شيئا الاّ عطب ، وذهب الرقيق ومات البنون ، فقلت لها يرحمك الله رأيتك محزونة في ذلك اليوم ، فقالت نعم انى لمّا كنت فيما كنت فيه من سعة الدنيا خشيت ان يكون الله تعالى قد عجّل لى حسناتي في الدنيا

فلمّا ذهب مالی و ولدی و رفیقی رجوت ان یکون الله تعالی قد ذخرلی عنده شیئا

و روی البیهقی عن ذی النّون المصری قال کنت فی الطّواف فاذا انا بجاریتین قد اقبلتا وأنشأت احدیهما تقول

صبرت و کان الصّبر خیر مغبّة وهل جزع منّی یجدی فأجزع

صبرت علی مالو تحمّل بعضه جبال برضوی أصبحت تتصدّع

ملکت دموع العین ثمّ رددتها الی ناظری والعین فی القلب تدمع

فقلت ممّن ذا یا جاریة ؟ فقالت من مصیبة نالتنی لم تصب أحدا قط؛ قلت و ماهی؟ قالت کان لی شبلان یلعبان أمامی و کان أبوهما ضحّی بکبشین ؛ فقال أحدهما لأخیه یا أخی أریك کیف ضحّی ابوك بکبشه؟ فقام وأخذ شفرة فنحره وهرب القاتل: فدخل ابوهما فقلت انّ ابنك قتل أخاه وهرب ، فخرج فی طلبه فوجده قد افترسه السّبع ، فرجع الأب فمات فی الطّریق عطشا وجوعا

الامر الخامس فی الرضا قد عرفت انّه ثمرة المحبّة بل کلّ کمال فهو ثمرتها فانّها لمّا کانت فرع المعرفة استلزم تصوّر رحمته رجاه و تصوّر هیبته الخشیة ، ومع عدم الوصول الی المطلوب الشّوق ، ومع الوصول الأنس ، ومع افراط الأنس الانبساط ومع مطالعة عنایته التّوکّل ، ومع استحسان ما یصدر عنه الرّضی ، و مع تصوّر قصور نفسه فی جنب کماله و کمال إحاطة محبوبه و قدرته علیه التّسلیم الیه ، والرضی أعظم کلّ المراتب

قال صلی الله علیه و آله اذا کان یوم القیمة أنبت الله لطائفة من امّتی أجنحة فیطیرون من قبورهم الی الجنان یسرحون فیها و یتنعّمون کیف یشاؤون ، فتقول لهم الملائکة هل رأیتم الحساب ؟ فیقولون ما رأینا حسابا ، فتقول هل جزتم الصّراط ؟ فیقولون ما رأینا صراطا ، فتقول هل رأیتم جهنّم ؟ فیقولون ما رأینا شیئا ، فتقول الملائکة من امّة من انتم ؟ فیقولون من امّة محمّد صلی الله علیه و آله ؛ فیقولون نا شدنا کم الله تعالی حدّثونا ما کانت أعمالکم في الدنیا ؟ فیقولون خصلتان کانتا فینا فبلّغنا الله تعالی هذه المنزلة بفضل

رحمته ، فيقولون كنّا اذا خلونا نستحى ان نعصيه ، ونرضى باليسير ممّا قسم لنا، فتقول الملائكة حقّ لكم هذا

وفى بعض الأخبار انّ نبيّا قال له امّتهسل لنا ربّك أمر اذا نحن فعلناه يرضى به عنّا، فأوحى الله تعالى اليه قل لهم يرضون عنّى حتى ارض عنهم ، ونظيره ما روى عن نبيّنا صلى الله عليه وآله انه قال من احبّ ان يعلم ماله عندالله عزّ و جلّ فلينظر ما لله عزّ وجل عنده ، فانّ الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه ؛ وفى اخبار داود عليه السلام مالأ وليائى و الهمّ بالدنيا انّ الهمّ يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم ، يا داود انّ محبّى (محبتى خ) من اوليائى ان يكونوا روحانيّين لا يغتمّون

وروى انّ موسى عليه السلام قال يا ربّ دلّنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله ؛ فأوحى الله تعالى اليه انّ رضائى فى كرهك وانت لاتصبر على ما تكره ، قال يا رب دلّنى عليه قال فانّ رضائى فى رضاك بقضائى ، وفى مناجاة من نبىّ اى ربّ اىّ خلقك أحبّ اليك؟ قال من اذا أخذت حبيبه سالمنى ، قال فأىّ خلق انت عليه ساخط ؟ قال من يستخيرنى فى الأمر فاذا قضيت له سخط قضائى

وروى انّ جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله عنه أبتلى فى آخر عمره بضعف الهرم و العجز فرآ محمد بن على الباقر عليهما السلام فسأله عن حاله ، فقال أنا فى حالة أحبّ فيها الشّيخوخة على الشّباب والمرض على الصّحة والموت على الحيوة ، فقال الباقر عليه السلام امّا أنا فان جعلنى الله شيخا أحبّ الشّيخوخة ؛ وان جلنى شابّا أحبّ الشّيوبة ، وإن أمرضنى أحبّ المرض وان شفانى أحبّ الشفا والصّحة؛ وان أماتنى أحبّ الموت، وأن أبقانى أحب البقاء ، فلمّا سمع جابر هذا الكلام منه قبّل وجهه وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله ، فانّه قال ستدرك لى ولدا اسمه اسمى يبقر العلم بقرا كما يبقر الثّور الارض ، و لذلك سمّى باقر علم الاولين والاخرين أى شاقه

وروى (وورد خ) فى الاسرائيليّات انّ عابدا عبدالله تعالى دهرا طويلا فرأى فى المنام فلانة رفيقتك فى الجنّة ، فسأل عنها واستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت

نايمة ويظلّ صايما وتظلّ مفطرة، فقال لها أمالك عمل غيرما رأيت ؟ فقالت ما هو غيرما رأيت ولا أعرف غيره ، فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى ان كنت فى شدّة لم أتمن ان اكون فى رخاء ؛ وان كنت فى مرض لم أتمنّ ان اكون فى صحّة وان كنت فى الشّمس لم أتمنّ ان اكون فى الظّلّ ، فوضع العابد يديه على رأسه و قال أهذه خصيلة ، هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد

وامّا درجات الرضا فثلاثة ؛ الاولى ان ينظر الى موقع البلا والفعل الذى يقتضى الرضا ويدرك موقعه ويحسّ بألمه ، و لكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له بطبعه طلبا لثواب الله تعالى والفوز بالجنّة الّتى عرضها السّموات والأرض وقدأ عدّت للمتّقين ، و هذا القسم من الرضا هو رضاء المتّقين ، و مثاله مثال من يلتمس الفصد والحجامة من الطّبيب العالم بتفاصيل أمراضه وما فيه صلاحه فانّه يدرك ألم ذلك الفعل الاّ انّه راض به وراغب فيه و متقلّد من الفصاد منّة عظيمة ، و مثله من يسافر فى طلب الرّبح فانّه يدرك مشقّة السّفر ولكن حبّه لثمرة سفره طيّب عنده مشقةالسفر وجعله راضيا به ، ومهما أصابه بليّة من الله تعالى و كان له يقين بانّ ثوابه الذى أدخر له فوق مافاته رضى به ورغب فيه وأحبّه وشكرالله عليه

الثانية ان يدرك الألم كذلك ولكنّه أحبّ لكونه مراد محبوبه ورضاه ، فان غلب عليه الحبّ كان جميع مراده وهواه مافيه رضاء محبوبه ، الثالثة ان يبطل احساسه بالألم حتى يجرى عليه المولم ولا يحسّ ويصيبه جراحة ولا يدرك ألمه ، مثاله الرّجل المحارب فانّه فى حال غضبه او حال خوفه قد يصيبه جراحة وهو لا يحسّ بها حتى اذا راى الدّم استدّل به على الجراحة ، و ذلك لأنّ القلب اذا صار مستغرقا بأمر من الأمور لم يدركما عداه ، والعشق من أعظم المشاغل ؛ و كما يقوى حب الصّور الجميلة الظاهرة المدركة بحاسة البصر كذلك يقوى حب الصّور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة الربوبيّة وجلالها لا يقاس بها جلال ؛ فمن انكشف له شىء منه فقد بهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحسّ بما يجرى عليه

كما روى انّ امرأة عثرت فانقطع ظفرها فضحكت ؛ فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت انّ لذّة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه، و كان بعضهم يعالج غيره من علّة فنزلت به فلم يعالج نفسه ، فقيل له فى ذلك فقال ضرب الحبيب لا يوجع

ولمّا اشتدّ البلاء على ايّوب عليه السلام ؛ قالت امرأته ألا تدعو ربّك فيكشف مابك؟ فقال لها يا امرأة انّى عشت فى الملك والرّخاء سبعين سنة وانا اريدان أعيش مثلها فى البلاء لعلّى كنت أدّيت شكرما أنعم الله علىّ ؛ واولى بالصّبر على ما أبلى ، و روى انّ يونس عليه السلام قال لجبرئيل عليه السلام دلّنى على أعبد أهل الأرض ، فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه و ذهب ببصره وسمعه و هو يقول الهى متّعتنى بها ما شئت و سلبتنى ما شئت ، وأبقت لى فيك الأمل يا برّ يا وصول

و روى انّ موسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بالفالج قد تناثر لحمه من الجذام ؛ و هو يقول الحمدلله الذى عافانى ممّا ابتلى به كثير من خلقه ، فقال له عيسى عليه السلام يا هذا وأىّ شىء من البلاء أراه مصروفا عنك، فقال يا روح الله انا خير ممّن لم يجعل الله فى قلبه ما جعل فى قلبى من معرفته ، فقال له صدقت هات يدك فناوله يده ، فاذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان ، به فصحب عيسى عليه السلام وتعبّد معه

قال بعضهم قصدت عبادان فى بدايتى فاذا أنا برجل أعمى مجذوم قد صرع ، والنّمل تأكل لحمه و وضعته فى حجرى ، وأنا أردّد الكلام ، فلمّا أفاق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربّى ، فوحقّه لوقطعنى اربا إربا ما ازددت له الاّ حبّا

و روى عن بعضهم و كان قاسى المرض ستّين سنة ؛ فلمّا اشتدّ حاله دخل عليه بنوه ؛ فقالوا له أتريد أن تموت حتى تستريح ممّا أنت فيه ، قال لا ، قالوا فما تريد ؟ قال مالى ارادة انّما أنا عبد وللسيّد الارادة فى عبده والحكم فى أمره ؛ وقيل اشتدّ المرض بفتح الموصلى وأصابه مع مرضه الفقر و الجهد ، فقال الهى وسيّدى ابتليتنى بالمرض و الفقر فهذه فعالكم بالأنبياء والرسل فكيف لى ان أؤدّى شكرما أنعمت به علىّ ، و قيل

لرابعة العدوية متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى؟ فقالت اذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة، وقيل لها يوما كيف شوقك الى الجنة؟ فقالت الجار ثم الدار

الامر السادس فى البكاء، إعلم انّ البكاء بمجرّده غير مناف للصبر ولا للرضا بالقضاء وانّما هوطبيعة بشريّة وجبلّة إنسانيّة، فلا حرج فى إبرازها مالم تشتمل على أحوال تؤذن بالسخط وتذهب بالأجر: من شق الثوب ولطم الوجه وضرب الفخذ وغيرها واوّل من بكى آدم عليه السلام على ولده هابيل ورثاه بأبيات مشهورة قد تقدّمت و ان خفى شىء فلا يخفى حال يعقوب عليه السلام فانّه بكى حتّى ابيضّتْ عيناه

وعن مولانا الصادق عليه السلام قال انّ زين العابدين عليه السلام بكى على ابيه أربعين سنة صايما نهاره قائما ليله؛ فاذا حضر الإفطار جاء غلامه بطعامه و شرابه فيضعه بين يديه، فيقول كل يا مولاى، فيقول قتل ابن رسول الله جايعا، قتل ابن رسول الله عطشانا؛ فلا يزال يكرّر ذلك حتّى يبلّ طعامه من دموعه؛ فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجلّ

وروى عن بعض مواليه انّه قال برز يوما الى الصحراء فتبعته، فوجدته قدسجد على أحجار خشنة؛ فوقفت وانا أسمع شهيقه وبكاه و أحصيت عليه ألف مرة وهو يقول: لا اله الاّ الله حقّا حقّا، لا اله الاّ الله تعبّدا ورقّا، لا اله الاّ الله ايمانا وصدقا، ثم رفع رأسه من سجوده وانّ (فاذا خ) لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت يا سيّدى أما آن لحزنك ان ينقضى، ولبكائك ان يقلّ؟ فقال لى ويحك انّ يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كان نبيّا ابن نبىّ وله اثنى عشر ولدا فغيّب الله واحدا منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب من الغمّ و ذهب بصره من البكاء وابنه حىّ فى دار الدنيا و أنا رأيت أبى وأخى وسبعة عشر من أهل بيتى صرعى مقتولين فكيف ينقضى حزنى و يقلّ بكائى

وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عبدالرّحمن بن عوف فأتى ابرهيم و هو يجود بنفسه؛ فوضعه فى حجره فقال له يا بنىّ انّى لا أملك لك

من الله شيئا ، و ذرفت عيناه ، فقال له عبد الرحمن يا رسول الله تبكى أما أنت نهيتنا عن البكاء ؟ فقال انما نهيت عن النوح وعن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لعب و لهو و مزامير شيطان ؛ و صوت عند مصيبة خمش وجوه ، وشق جيوب ورنة شيطان انما هذه رحمة ، و من لا يرحم لا يرحم ، لولا انه أمر حق و وعد صدق وسبيل نائبة (ثابتة خ) وان آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك حزنا أشد من هذا ؛ وإنا بك لمحزونون تبكى العين وتدمع القلب ولا نقول ما يسخط الرب عز وجل

وعن ابى امامة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله حين توفى ابنه و عيناه تدمعان فقال يا نبى الله على هذا السخل ، والذى بعثك بالحق نبيا لقد دفنت اثنى عشر و لدا فى الجاهلية كلهم أشب منه أدسه فى التراب (١) فقال النبى صلى الله عليه وآله فماذا ان كانت الرحمة ذهبت منك ؛ يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يسخط الرب ، و أنا على ابراهيم لمحزون ، وقال صلى الله عليه وآله يوم مات ابراهيم ما كان من حزن فى القلب او فى العين فانما هو رحمة ، و ما كان من حزن باللسان واليد فهو من الشيطان

و روى انه صلى الله عليه وآله لما مات عثمان بن مظعون كشف الثوب عن وجهه، ثم قبله بين عينيه ثم بكى طويلا ، فلما رفع السرير قال طوباك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها ؟ ولما أصيب جعفر بن ابيطالب رضى الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله أسماء رضى الله عنها ، فقال لها أخرجى لى ولد جعفر فخرجوا اليه فضمهم اليه وشمهم و دمعت عيناه فقالت يا رسول الله أصيب جعفر ؟ قال نعم أصيب الندم

قال عبدالله بن جعفر أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على أمى فنعى لها أبى ونظرت اليه وهو يمسح على رأسى و رأس أخى و عيناه تهرقان الدموع حتى تقطر على لحيته ، ثم قال اللهم ان جعفرا قد قدم الى أحسن الثواب فاخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته ، ثم قال يا اسما الا أبشرك قالت بلى بأبى وامى ،

(٥) دس الشيء التراب وفيه أدخله فيه واخفاه

فقال انّ الله عزّ وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة (١)

وعن ابي عبدالله عليه السلام عن ابيه عن النّبي صلى الله عليه وآله لمّا جائته وفات جعفر بن ابيطالب وزيد بن حارثة كان اذا دخل بيته بكى عليهما جدّا و قال كان يحدثاني و يونساني فجاء الموت فذهب بهما ، وعن خالد بن سلمة قال لمّا جاء نعي زيد بن حارثه أتى النّبي صلى الله عليه وآله منزل زيد فخرجت اليه بنيّة زيد ، فلمّا رأت رسول الله صلى الله عليه وآله خمشت في وجهه، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هاه هاه ، فقيل يا رسول الله ماهذا ؟ فقال شوق الحبيب الى حبيبه

---

(١) وقد ورد نظير هذه الكلمة النيرة عن السجاد (ع) في حق سيدنا ابوالفضل العباس (ع) قال (ع) رحم الله عمي العباس فلقد آثر وابلى و افدى اخاه بنفسه حتى قطعت يداه فابدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن ابيطالب و ان للعباس عندالله منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة

غير خفي على القاري الخبير ان تبديل الله تعالى يدى الجعفر الطيار (ع) وكذا يدى العباس (ع) بجناحين يكشف عن تجسم الاعمال كما هو الظاهر المحقق من الايات الشريفة والاحاديث الكثيرة وان لكل عمل في عالم المثال صورة تناسب لذلك العمل وكذا الامر في الاخرة وعالم الخلد

وبما ان اليد من اعضاء البدن الانساني في هذه النشأة الدنيوية آلة للقدرة و القوة والاخذ والاعطاء فقطعها في رضا الله تعالى وفي سبيله وخدمة الدين الالهي واحياء التوحيد واماتة الكفر والزندقة يوجب العجز عن صاحبها في هذا العالم فالصورة المناسبة لهذا العمل في النشأة البرزخية هي ابدال الله تعالى بهما جناحين يطير بهما جعفر الطيار وابن اخيه العباس (ع) في العوالم البرزخية لارادع عنهما عن التجوال في تلك المراتب والمقامات العاليه و لما كانت العوالم البرزخية ايضا كهذه النشأة الفانية منصرمة لا محالة ففي الجنة الخلد يكون الجناحين اشارة الى القرتين العلمية و العملية والصعود فيهما الى الدرجات السامية والمقامات العالية والمنازل الرفيعة التى تغبطه بها جميع الشهداء ويكشف عن هذا قول السجاد: يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة وغير خاف على القارى الفطن ان لفظ (الشهداء) جمع معرف باللام يفيد العموم مضافا الى لفظ (الجميع) الذى هو من الفاظ العموم ايضا فيشمل مثل حمزة وجعفر وغيرهما

ولمّا انصرف النّبى صلى الله عليه وآله من أحد راجعا الى المدينة لقيته حمنة بنت حجش، فنعى لها الناس أخاها فاسترجعت و استغفرت له، ثمّ نعى لها خالها حمزة فاسترجعت واستغفرت له، ثمّ نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت و ولولت؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انّ زوج المرأة منها لبمكان لما رأى صبر ها على(عن) اخيها وخالها وصياحها على زوجها ثمّ مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على دور من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل فسمع البكاء والنّوايح على قتلاهم فذرفت عيناه وبكى، ثمّ قال لكن حمزه لابوا كى له، فلمّا رجع سعد بن معاذ واسيد بن خضير الى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساء هم ان يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بكاء هنّ على حمزة خرج اليهنّ و هنّ على باب مسجده يبكين، فقال لهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ارجعن يرحمكنّ الله فقد آسيتنّ بأنفسكنّ.

وروى الشيخ باسناده الى الصادق عليه السلام انّ ابراهيم خليل الرّحمن سأل ربّه ان يرزقه الله ابنة تبكيه بعد موته، و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس منّا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب، وعن أبى أمامة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الخامشة وجهها والشّاقة جيبها والدّاعية بالويل والثّبور، وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جدّه قال كبر مقتا عند الله الأكل من غير جوع، والنوم من غير سهر، والضّحك من غير عجب، والرّنّة عند المصيبة؛ و المزمار عند النّغمة؛ و عن الباقر عليه السلام أشدّ الجزع الصّراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصّدور وجزّ الشّعر، ومن أقام النّوايح فقد ترك الصّبر ومن صبر واسترجع وحمد الله جلّ ذكره فقد رضى بما صنع الله تعالى و وقع أجره على الله عزّ وجل ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم وأحبط الله عزّ وجل أجره

وقال النّبى صلى الله عليه وآله أربع من كنّ فيه كان فى نور الله الأعظم: من كان عصمة أمره شهادة ان لا اله الاّ الله وانّى رسول الله، ومن اذا أصابته مصيبة قال انّا لله وانّا اليه راجعون؛ و من اذا أصاب خيرا قال الحمدلله، و من اذا أصاب خطيئة قال استغفر الله و أتوب اليه

و قال الباقر عليه السلام مامن مؤمن يصاب بمصيبة فى الدنيا فيسترجع عندالمصيبة و يصبرحين تفجأه المصيبة الاّ غفرالله له ما مضى مـن ذنوبه الاّ الكبائـر الّتى أوجب الله تعالى عليها النّار ، و كلّما ذكر مصيبة فيما يستقبل من عمره فاسترجع عندها و حمدالله عزّ وجل الاّ غفرالله له كلّ ذنب اكتسبه فيما بين الإسترجاعين الا الكبائر من الذنوب رواهما الصدوق ، واسند الكلينى الثانى الى معروف بن خرّبوذ عن الصادق عليه السلام ولم يستثن منه الكبائر

وروى الترمذى باسناده الى النّبى صلى الله عليه وآله قال اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدى ؟ فيقولون حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى أبنوا لعبدى بيتا فى الجنّة و سمّوه بيت الحمد ، ونحوه رواه الكلينى عن الصادق عليه السلام عن النّبى صلى الله عليه وآله

ويجوز النّوح بالكلام الحسن و تعداد الفضائل مع اعتماد الصّدق ، لأنّ فاطمة عليها السلام فعلته فى قولها يا أبتاه مـن ربّه ما أدناه ؛ يا أبتاه الى جبرئيل أنعاه ، يا أبتاه أجاب ربّه لما دعاه .

وروى انّها قبضت قبضة من تراب قبره صلى الله عليه وآله فوضعتها على عينيها و أنشدت

ماذا علـى من شمّ تربة أحمد ألاّ يشم مـدى الزمان غواليا
صبّت علىّ مصائب لـو أنّها صبّت على الأيّام صرن لياليا

وروى ابن بابويه انّ الباقر عليه السلام أوصى ان يندب فى المواسم عشر سنين ، وروى يونس بن يعقوب عن الصادق عليه السلام قال قال لى أبى يا جعفر فرّق من مالى كذا و كذا على نوادب يندبنى عشر سنين بمنى أيّام منى ، قال الأصحاب والمراد بذلك تنبيه الناس على فضائله وإظهارها ليقتدى بها وتعلم ما كان عليه أهل هذا البيت عليهم السلام لتبقى آثارهم لزوال التّقيّة بعد الموت ، وعن ابـى سعيد الخدرى قال لعن رسول الله صلى الله عليه وآله النّائحة والمستمعة

الامر السابع في التّعزية وما شابهها ؛ روي ابن مسعود عن النّبي صلى الله عليه وآله قال من

عزّى مصابافلهمثل أجره من غير أن ينقص الله من أجره شيئا ، ومن كفّن مسلما كساه الله من سندس واستبرق وحرير ، ومن حفرقبرا لمسلم بنىالله عزّ وجل له بيتا فىالجنّة ومن أفطرمعسرا أظلّه الله فى ظلّه يوم لا ظلّ الاّظلّه ، وسئل النّبى صلى الله عليه وآله عن التّصافح فى التّعزية ؛ فقال هو سكن للمؤمن ومن عزّى مصابا فله مثل أجره ، وعن ابى برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عزى ثكلى كسى بردا فى الجنّة

و روى انّ داود عليه السلام قال الهى ما جزاء من يعزّى الحزين و المصاب إبتغاء مرضاتك ؟ قال جزاؤه ان أكسوه رداء من أردية الايمان أستره بـه من النّار و أدخله به الجنّة ، قال يا الهى فما جزاء من شيّع الجنائز إبتغاءمرضاتك ؟ قال جزاؤه ان يشيّعه الملائكة يوم يموتالى قبره؛ وان أصلّى على روحه فىالأرواح ، وقال موسى عليه السلام الهى ما لمعزّى الثّكلى من الأجر قال أظلّه تحت ظلّى يوم لا ظلّ الاّ ظلّى

وامّا كيفيّتها فقد تقدّم خبر المصافحة فيها ، و امّا ما يقال فيها فما يتّفق من بعض الكلمات ، و يروى من الاخبار المؤدّيه الى السّلوة ؛ و كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا عزّى قال آجركم الله ورحمكم ، و اذا هنّا قال بارك الله لكم و بارك عليكم ، و عنه صلى الله عليه وآله انّه قال فى مرض موته أيّها النّاس أيّما عبد من أمّتى أصيب بمصيبة من بعدى فليتعزّ بمصيبة بى عن المصيبته الّتى تصيبه بغيرى ، فانّ أحدا من امّتى ان يصاب بمصيبة بعدى أشدّ عليه من مصيبتى ؛ وروى انّه كان فى بنى اسرائيل رجل فقيه عالم مجتهد و كانت له امرأة و كان بها معجبا ، فماتت فوجد عليها وجدا شديدا حتّى خلى فى بيت وأغلق علىنفسه واحتجب عن الناس ، فلم يكن يدخل عليه أحد؛ ثمّ انّامرأة من بنى اسرائيل سمعت به فجائته ، فقالت لى اليه حاجة استفتيه فيها ليس يجزينى الاّ ان أشافهه بها ، فذهب النّاس ولزمت الباب فأخبر ؛ فاذن لها فقالت أستفتيك فى أمر فقالما هو؟ قالت انّى استعرت من جارة لى حليّا فكنت ألبسه زمانا ثم انّهم ارسلوا الىّ فيه أفأردّه اليهم ؟ قال نعم واللهقالت انّه قدمكث عندى زمانا طويلا قال ذلك أحقّ لردّك ايّاه ، قالت رحمك الله أفتأسّف على ما أعارك الله عزّ وجل ثمّ أخذه منك وهو أحقّ به

منك ، فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها

وعن ابى الدّرداء قال كان لسليمان بن داود عليه السلام ابن يحبّه حبّا شديدا ؛ فمات فحزن عليه حزنا شديدا ؛ فبعث الله عزّ وجل اليه ملكين فى هيئة البشر ، فقال ما أنتما قالا خصمان ، قال اجلسا بمنزلة الخصوم ، فقال أحدهما انّى زرعت زرعا فأتى هذا فأفسده فقال سليمان ما تقول يا هذا ؟ قال أصلحك الله انّه زرع فى الطّريق وانّى مررت به فنظرت يمينا وشمالا فاذا الزرع ، فركبت قارعة الطريق فكان فى ذلك فساد زرعه ، فقال سليمان عليه السلام ما حملك على ان تزرع فى الطّريق ؟ أما علمت انّ الطّريق سبيل النّاس ؟ ولا بدّ للناس من ان يسلكوا سبيلهم ، فقال له أحد الملكين او ماعلمت يا سليمان انّ الموت سبيل النّاس ، ولابدّ للنّاس ان يسلكوا سبيلهم ، قال فكأنّما كشف عن سليمان عليه السلام الغطاء ولم يجزع على ولد بعد ذلك ، ورواه ابن ابى الدنيا

وروى ايضا ان قاضيا كان فى بنى اسرائيل مات له ابن فجزع عليه وصاح ؛ فلقيه رجلان ، فقالا له اقض بيننا ، فقال من هذا فررت ، فقال أحدهما انّ هذا مر بغنمه على زرعى فأفسده ؛ فقال الاخر انّ هذا زرع بين الجبل والنّهر و لم يكن لى طريق غيره ؛ فقال له القاضى أنت حين زرعت بين الجبل والنّهر ألم تعلم انّه طريق النّاس ؟ فقال له الرّجل فأنت حين ولدلك ألم تعلم انّه يموت فارجع الى قضائك ؛ ثمّ عرجا و كانا ملكين

وروى انّه كان بمكّة مقعدان لهما ابن شابّ فكان اذا نقلهما فأتى بهما المسجد فكان يكتسب عليهما يوما ؛ فاذا كان المساء احتملهما فأقبل بهما ، فافتقدهما النّبى صلى الله عليه وآله فسئل عنهما ، فقيل مات ابنهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لو ترك احد ترك ابن المقعدين رواه الطّبرانى ، وروى عن بعض العابدات انّها قالت ما أصابنى من مصيبة فأذكر معها النّار الاّ صارت فى عينى أصغر من تراب

وروى عند الرّحمن بن الحجّاج قال ذكر عند ابى عبدالله عليه السلام البلاوما يختصّ الله عزّ وجل به المؤمن ، فقال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله من أشدّ النّاس بلاء فى الدنيا ؟ فقال

النبيون ، ثم الأمثل فالأمثل ، ويبتلى المؤمن بعد على قدر ايمانه وحسن أعماله ، فمن صح ايمانه وحسن عمله إشتد بلاؤه ، ومن سخف ايمانه وضعف عمله قل بلاؤه

وعن ابى بصير عن ابى عبدالله عليه السلام قال انّ لله عزّ وجل عبادا فى الأرض من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة الى الأرض الاّ صرفها عنهم الى غيرهم ، ولا بليّة الاّ صرفها اليهم ، وعن ابى جعفر الباقر عليه السلام قال انّ الله تبارك وتعالى اذا أحبّ عبداغتّه بالبلاء غتّا ؛ وثجّه (بجّه) بالبلاء ثجا (بجا) فاذا دعاه قال لبّيك عبدى لئن عجلّت لك ما سئلت انّى على ذلك لقادر ولكن ادّخرت لك فما ادّخرت لك خير لك

وعن حمران عن ابى جعفر عليه السلام قال انّ الله عزّ وجلّ ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرّجل أهله بالهدية من الغيبة ؛ و يحميه من الدنيا كما يحمى الطّبيب المريض ؛ وعن ابى عبدالله عليه السلام قال دعى النّبى صلى الله عليه وآله الى طعام فلمّا دخل منزل الرجل نظر الى دجاجة فوق حائط قدباضت ، فوقعت البيضة على وتد فى الحايط فثبتت عليه ولم تسقط ولم تنكسر ، فتعجّب النّبى صلى الله عليه وآله منها ، فقال له الرجل أعجبت من هذه البيضة ؟ فوالذى بعثك بالحق ما رزيت قطّ ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأكل من طعامه شيئا ، وقال من لم يرزفما لله فيه من حاجة

و روينا بالاسناد الى اسحق بن عمّار قال انّ ابا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كتب الى عبدالله بن الحسن (١) حين حمل هو و أهل بيته يعزيه على ما صار بسم الله الرحمن الرّحيم الى الخلف الصّالح والذّريّة الطيّبة من ولد اخيه وابن عمه ، أمّا بعد فلئن كنت قد تفرّدت أنت وأهل بيتك ممّن حمل معك بما أصابكم ما انفردت

(١) هو عبدالله الملقب بالمحض ابن الحسن المثنى بن الامام الحسن المجتبى (ع) وانما سمى المحض لان اباه الحسن بن الامام الحسن (ع) وامه فاطمة بنت الحسين (ع) وكان شيخ بنى هاشم فى زمانه ذكره الشيخ (ره) فى رجاله من اصحاب الصادق (ع) و قال هاشمى مدنى تابعى (ا ه) قتل رضوان الله عليه فى محبس المنصور الدوانيقى بالهاشمية سنة : (١٤٥) ه وهو ابن (٧٥) انظر مقاتل الطالبين لابى الفرج ص ١٨٤ ط مصر

بالحزن والغيظ والكآبة والیم وجع القلب دونی ؛ وقد نالنی من ذلك من الجزع و القلق ومن المصيبة مثل ما نالك ، ولئن رجعت الى الله عزّ وجل به للمتقين من الصبر و حسن العزاء حين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا، وحين يقول فاصبر ولاتكن كصاحب الحوت ؛ وحين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله حين مثّل بحمزة : و ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعاقب ، وحين يقول وأمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك و العاقبة للتقوى ؛ وحين يقول الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ، وحين يقول انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ؛ وحين يقول لقمان لابنه واصبر على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الامور ؛ وحين يقول عن موسى قال موسى لقومه استعينوا بالله و اصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وحين يقول الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ؛ وحين يقول ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، وحين يقول والصابرين والصابرات ، وحين يقول واصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأمثال ذلك من القرآن كثير

واعلم أى عم ان الله جل وعز لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط ولا شيء أحب اليه من الضرر والجهد واللأواء (١) مع الصبر و انه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ؛ و لو لا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخيفونهم (يخيفونهم خ) و يمنعونهم وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ، ولولا ذلك ما قتل زكريا ويحيى بن زكريا ظلما وعدوانا فی بغی من البغايا ؛ ولولا ذلك ماقتل جدك على بن ابيطالب عليه السلام لما قام بأمر الله جل وعز ظلما وعمك الحسين بن فاطمة صلى الله عليهما ظلما وإضطهادا وعدوانا ؛ ولولا ذلك ما قال الله عز و جل فی كتابه : ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و معارج عليها يظهرون ، ولو لا ذلك

(١) اللاواء الشدة والمحنة

لما قال في كتابه : أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون .

ولو لا ذلك لما جاء في الحديث : لولا ان يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصابة من حديد فلا يصدع رأسه ابدا ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث : انّ الدّنيا لاتساوى عندالله عزّ وجل جناح بعوضة، ولولا ذلك ما سقى كافرا منها شربة ماء ، ولو لا ذلك لما جاء في الحديث: لوانّ مؤمنا على قلّة جبل لبعث الله له كافرا اومنافقا يؤذيه ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث : انّه اذا احبّ الله قوما او أحبّ عبدا صبّ عليه البلاء صبّا فلا يخرج من غمّ الاّ وقع في غمّ ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث : ما من جرعتين أحبّ الى الله عزّ وجل ان يجرعها عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء وإحتساب ؛ ولولا ذلك لما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحّة البدن و كثرة المال والولد ؛ ولو لا ذلك ما بلغنا انّ رسول الله صلى الله عليه وآله اذا خصّ رجلا بالترحّم والاستغفار استشهد، فعليكم ياعمّ وابن عمّ وبني عمومتي وإخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض الى الله عزّ وجل والرضا والصّبر على قضائه ؛ والتمسّك بطاعته والنزول عند أمره أفرغ الله علينا وعليكم الصّبر وختم لنا ولكم بالسعادة ، وأبعدكم وايّانا من كلّ هلكة بحوله وقوّته انّه سميع قريب وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النّبي واهل بيته ، هذا آخر التعزية بلفظها كما في كتاب التتمات والمهمات ؛ وحيث انتهى بنا الحال الى هنا فلابأس بالاشارة الى الداهية العظمى و المصيبة الكبرى و هي واقعة الطّفوف ، فانّ المصائب و ان جلّت فهي بالنّسبة اليها حقيرة

نور فی بعض احوال واقعة الطفوف وشهادة مولانا ابی عبدالله الحسين (ع)

إعلم أيّدك الله انّ البلاء إنمّا كتب على المؤمن وانّ الدنيا ليست بدار ثواب ولا بدار عقاب ، لم يرض سبحانه بأن يجعل ثواب المؤمن فيها ولا عقاب الكافر فيها و ذلك لقلّة أيّامها ونقصان الأعمار فيها ، ومن ثمّ بعث الدّواهي والمصائب فيها الى أحبابه و أقاربه، ولامصيبة مثل مصيبة مولانا الحسين عليه السلام فانّها هدّت أركان الدين وصدّعت قواعد الشّرع المبين ، وابكت الأجفان وأقرحت القلوب، ولعمرى أنّها المصيبة الّتى يتسلّى بها المؤمن عن كلّ مصاب والدّاهية المنسية له مفارقة الخلاّن و الاحباب، واعلم اولاً انّ جماعة من مخالفينا (أورد واهنا شبهة ظ)

بل وربّما قاله بعض الجهّال منّا وهو انّ الحسين عليه السلام كان عالما بأن يجرى عليه ماجرى قبل مسيره الى العراق فلم سار اليها حتّى صار كالمعين على نفسه ؟ و هذه شبهة ركيكة والجواب عنها من وجوه

الأوّل انّ الامام اذا وجد الأعوان وجب عليه القيام بأمر الجهاد ولا يجوز له التّقاعد عنه لظنّه بهم الخذلان له كمالم يجز للأنبياء عليهم السلام ترك الجهاد لهذه المظنّة بل قاموا بالدّعوة حتّى أصيبوا من الأمّة بالمصايب العظام ، كما وقع لأولى العزم و غيرهم إستتماما لحجة الله تعالى على الخلائق ، ومن ثمّ أسدى اليهم مولانا الحسين عليه السلام كمال الحجة فى أثناء المحاربة ؛ والعلم الواقعى الذى ظهر لهم و خفى على غيرهم ممّا لايجوز العمل عليه فى الاحكام الظاهرة ، ولهذا كان النّبى صلى الله عليه وآله يحكم بين المتداعيين بظاهر الشّريعة ويجعل الحق لمن توجه له الحكم فى الظّاهر وان كان يعلم انّ الحق للخصم الاخر فى الواقع ونفس الامر ، و كان يقول انّكم تأتونى وأحدكم يعرب حجّته

ويفصح عنها فآخذ له الحق نظر الى ظاهر الشريعة و لكنى انّما أقطع له جذوة من نار جهنّم

. الوجه الثانى انّه عليه‌السلام لولم يسر الى العراق لما تركوه ولو ذهب الى المكان البعيد ، كما روى انّ اخاه محمد بن الحنفيّة لحقه الى عرفات و أشار عليه بأن يلحق الرّمال من اليمين حتّـى ينظر بواطن أهل العراق ، فقال له يا أخى نعم ما رأيت من الّصلاح و لكن هؤلاء القوم ما يسكتون عن طلبى اينما ذهبت حتى يسفكوادمى ، فعند ذلك يلبسهم الله ذلّ الدنيا والاخرة، وما خرج من مكة الاّ خائفا من القتل (۱)

الثالث انّ الأنبياء والأئمةعليهم‌السلامقد خصّهم‌الله تعالى بأنواع من الّتكاليف فلعلّ هذا و هو الا لقاء الى الّتهلكـة منهانظرا الى الحكم المصالح الالهيّة ؛ و من ثم روى انّه لو لم‌يقم‌عليه‌السلام بالجهادالذى‌قام به‌لمااستتمّ حجّة الّشيعة (۲) وذلك انّ‌المخالفين

---

(۱) وقد امر يزيد لعنه الله بقبضه (ع) او قتله فانه انفذ عمروبن‌سعيد بن‌العاص من المدينة الى مكة فى عسكر عظيم و ولاه امر الموسم و امره على الحاج كلهم فحج بالناس و اوصاه بقبض الحسين (ع) سرا وان لم يتمكن‌منه يقتله وامره ان يناجز الحسين (ع) القتال ان هو ناجزه فلما كان يوم التروية قدم عمروبن سعيد الى مكة فى جندكثيف ثم‌ان يزيد دس مع الحاج‌فى تلك السنة ثلاثين رجـلا من شياطين بنى اميةو امرهم بقبض الحسين (ع) على اى حال اتفق فلما علم الحسين (ع) عزم‌على التوجه الى العراق

(۲) لولا نهضته المقدسة وتلك التضحيةالعظيمة لم تقم للاسلام قائمة وقد احيى الحسين(ع) بشهادته التوحيد فى العالم فان الاحقاد القديمة من بنى امية وتلك الضغائن الخبيثة من تلك الشجرة الملعونة نهضت على محو الدين الاسلامى الذى ظهر من اسرة عريقة بالمجد و الشرف اعنى البيت الهاشمى البازغ منهم شمس الرسالة و النبوة

وقدكان من المقاصد المشومة والنيات الممقوتة لبنى امية هدم الاسلام ونسفه‌عملا بتعاليـم رئيسهم و رئيس المنافقين ابى سفيان ذلك الزنديق الشهير بكفره و عداوته لرسول الله (ص)

وقد دخل ابوسفيان على عثمان بعد ان ولي الخلافة وخاطب بني اميه وقال : ✡

لنا يقولون انّ سكون علىّ عليه السلام عن المتخلّفين دليل على رضاه عنهم والاّ فما يمنعه عن الجهاد وهواشجع الشجعان؟ فنقول لهم انّ الذى منعه هو الخوف على نفسه ، ألاترون الى مولانا الحسين عليه السلام لمّا قام يطلب حقّه كيف جرى عليه من المصائب والبلوى

فان قلت كيف لم يبايع عليه السلام ليزيد حتى لايصل اليه ذلك الضرر ، قلت هذامجرّد كلام والمؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين ، وذلك انّه عليه السلام رأى أخاه الحسن عليه السلام لما سالم معاوية كيف فعل به اولا و كيف غدر به آخرا حتى قتله مسموما ، فما كان يصنع ابنه يزيد مع الحسين عليه السلام الاّ أسوء من هذا ، لأنّ معوية كان فيه الدّها ، وما كان يتجرّى على قتل الحسين عليه السلام ظاهرا ؛ ولهذا اوصى عند موته ليزيد انّك تظفر بالحسين فلا تقتله واذكر فيه القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله

وامّا السير والتّواريخ الواردة بكيفيّة شهادته عليه السلام فهى على تكثّرها لم تستوف المصائب التى جرت عليه وعلى اهل بيته من بعده ، و اصحابه الذين قتلوا معه ؛ ولنشر الى طرف منها فانّا قد استوفيناها فى المجلد الثّانى من كتابنا الموسوم بنوادر الاخبار روى الصدوق طاب ثراه مسندا الى الرضا عليه السلام قال كان أبى صلوات الله عليه واله اذا دخل شهر المحرم لايرى ضاحكا ، و كانت الكأبة تغلبه حتى تمضى منه عشرة ايّام ؛ فاذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، و كان يقول هذا اليوم الذى قتل فيه الحسين عليه السلام

اقول يظهر من هذا الخبر و ممّا روى بمعناه انّ ما يفعله عوامنا فى عشرة أيّام المحرم من اجتناب أكثر الملاذّ والتشبّه بأهل المصيبة فى المأكل والملبس و دخول

☆ (يا بنى امية تلقفوها تلقف الكرة والذى يحلف به ابوسفيان مازلت ارجوها لكم و لتصيرن الى صبيانكم وراثة) وقال لعثمان ادرها كالكرة واجعل اوتادها بنى امية فانما هو الملك ولا ادرى مامن جنة ولانار . و اتى قبر حمزة سيد الشهداء (ص) فركله برجله ثم قال (يا حمزة ان الامر الذى كنت تقاتلنا عليه بالامس قد ملكناه اليوم وكنا احق به من تيم وعدي .

الحمام وترك حلق الرأس وغير ذلك ليس هوبدعة بل هو ثواب جزيل ، واشتراك لأهل البيت عليهم السلام فى مصابهم ؛ و روينا بالاسناد الى ابن محمود قال الرضا عليه السلام انّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرمون فيه القتال فاستحلّت فيه دماؤنا ، وهتكت فيه حرمتنا وسبى فيه ذرارينا ونساؤنا وأضرمت النيران فى مضاربنا ، و انتهب ما فيه من ثقلنا ، و لم يرعوا لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة فى أمرنا ، انّ امر الحسين عليه السلام أسهر جفوننا واسبل دموعنا وأذلّ عزيزنا ، يا أرض كرب و بلاء أورثتنا الكرب والبلاء الى يوم الانقضاء ، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ، فانّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام

وروينا انّ الرّيان بن شبيب قال دخلت على الرضا عليه السلام فى أوّل يوم من المحرم فقال لى يا ابن شبيب أصائم أنت ؟ فقلت لا ؛ فقال هذا هو اليوم الّذى دعا فيه زكريّا عليه السلام ربّه عزّوجل فقال رب هب لى من لدنك ذريّة طيبة انّك سميع الدعاء ؛ فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريّا وهو قائم يصلّى فى المحراب انّ الله يبشّرك بيحيى فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله عزّ وجل استجاب له كما استجاب لزكريّا عليه السلام ، ثم قال يا ابن شبيب انّ المحرم هو الّشهر الذى كان أهل الجاهليّة فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الامّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها لقد قتلوا فى هذا الشهر ذريّته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفرالله ذلك لهم ابدا ، يا ابن شبيب ان كنت باكيا لشيء فابك للحسين بن على بن ابيطالب عليه السلام فانّه ذبح كما يذبح الكبش و قتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم فى الارض شبيه ؛ ولقد بكت السّموات السّبع والارضون لقتله ، ولقد نزل الى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل فهم عند قبره شعث غبر الى ان يقوم القائم فيكونون (فهم يكونون خ) من أنصاره و شيعته و شعارهم يالثارات الحسين عليه السلام

يا ابن شبيب لقد حدّثنى ابى عن ابيه عن جدّه انّه لمّا قتل جدّى الحسين عليه السلام أمطرت السّموات دماً و ترابا أحمر ، يا ابن شبيب ان بكيت على الحسين عليه السلام حتّى تصير دموعك على خدّيك غفرالله لك كل ذنب أذنبته صغيرا كان او كبيرا قليلا كان

أو كثيرا ، يا ابن شبيب ان سرّك ان تلقى الله عزّ وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام ؛ يا ابن شبيب انسرك ان يكون لك من الثواب مالمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ذكرته يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ، يا ابن شبيب ان سرّك ان تكون معنا فى الدرجات العلى فى الجنّات فأحزن لحزننا وافرح لفرحنا ، وعليك بولايتنا فلو أنّ رجلا تولّى حجرا لحشره الله يوم القيمة معه

ورويناه مسندا عن أشياخ لبنى سليم ، قالوا غزونا بلاد الرّوم فدخلنا كنيسة من كنايسهم فوجدنا فيها مكتوبا

أيرجوا معشر قتلوا حسينا شفاعة جدّه يوم الحساب

قال فسألنا كمهذا فى كنيستكم ؟ فقالوا قيل ان يبعث نبيّكم بثلثمائة عام

و روينا مسندا الى هرثمة بن ابى مسلم قال غزونا مع علىّ بن ابيطالب عليه السلام صفين فلمّا انصرفنا نزل بكربلا (١) فصلّى بها الغداة ، ثمّ رفع اليه من تربتها فشمّها

---

(١) فى كتاب الملاحم والفتن للسيد الامام رضى الدين ابن طاوس قدس سره عن كتاب الفتن للسليلى عن شيبان قال اقبلنا مع على بن ابيطالب (ع) من صفين حتى نزلنا كربلا و هو على بغلة له فنزل عن البغلة فاخذ كفا من تحت حافر البغلة فشمها ثم قبلها و وضعها على عينه وبكى و قال واى حبيب يقتل فى هذا الموضع كأنى انظر الى ثقل من آل الرسول (ص) قد اناخوا بهذه الوادى فخرجتم اليهم فقتلتموهم ويل لكم منهم و ويل لهم منكم ما اعلم شهداء افضل منهم الا شهداء خلقهم مع محمد (ص) بيدو ثم ذكر ان اميرالمؤمنين(ع) اوتدشيئا فىموضع حافر البغلة فلما قتل الحسين(ع) جئت فاستخرجت ذلك الشيء من موضع دمه (ع) وان اصحابه لربض حوله

ثم نقل السيد عن الكتاب المذكور باسناده المتصل عن عبدالله بن يحيى الكندى عن ابيه قال كنا مع على بن ابى طالب(ع) فرجعنا من صفين فلما حاذى نينوى نادى على (ع) اصبرا اباعبدالله بشط الفرات فالتفت اليه الحسين(ع) فقال وما ذاك ياامير المؤمنين فقال على دخلت على النبى (ص) وعيناه تدمعان فقلت ما بال عينيك تدمعان بابى وامى فقال قام عندى جبرئيل قبيل فحدثنى ان الحسين (ع) يقتل بشط الفرات ثم قال هل لك ان اشمك من تربته قلت نعم فمديده فقبض قبضة من تراب ثم ناولنيها فلم املك عينى ان فاضتا

انظر الملاحم والفتن ص ٧٩ = ٨٠ ط النجف

ثم قال واهالك ايتها التربة ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب ، فرجع هرثمة الى زوجته و كانت شيعيّة لعلى عليه السلام فقال ألا أحدّثك عن وليك ابى الحسن نزل بكربلا فصلّى ثم رفع اليه من تربتها فشمّها ، ثمّ قال واها لك ايّتها التربة ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب ، قالت المرئة ايّها الرجل فانّ امير المؤمنين عليه السلام لم يقل الاّ حقا ، فلمّا قدم الحسين عليه السلام قال هرثمة كنت فى البعث الذى بعثهم عبيدالله بن زياد ، فلمّا رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث فجلست على بعيرى ثمّ صرت الى الحسين عليه السلام فسلّمت عليه فأخبرته بما سمعت من ابيه فى ذلك المنزل الذى نزل به الحسين عليه السلام ، فقال أمعنا انت أم علينا ؟ فقلت لا معك ولا عليك خلّفت صبية أخاف عليهم من عبيدالله بن زياد ، قال فامض حيث لاترى لنا مقتلا ولا تسمع لناصوتا فوالذى نفس الحسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا الاّ أكبّه الله على وجهه و فى جهنم ؛ وقال عليه السلام انا قتيل العبرة ولا يذكرنى مؤمن الاّ استعبر

و روينا مسندا الى مولانا الصادق عليه السلام قال انّ ام سلمة أصبحت يوما تبكى ؛ فقيل لها ما لك ؟ فقالت لقد قتل ابنى الحسين و ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ مات الاّ اللّيلة ، فقلت بأبى انت وأمّى مالى أراك شاحباً ؟ فقال لم أزل منذ اللّيلة أحفر قبر الحسين عليه السلام وقبور أصحابه ، وقالت أمّ سلمة ماسمعت نوح الجنّ منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله الاّ اللّيلة ؛ ولا أرانى الاّ وقد أصيبت بابنى ، قال وجاءت الجنيّة منهم تقول

الا يا عين فانهملى بجهد	فمن يبكى على الشهداء بعدى
على رهط تقودهم المنايا	الى متحيّر فى ملك عبدى

و روينا مسندا الى مولانا الباقر عليه السلام قال كان النّبى صلى الله عليه وآله فى بيت أمّ سلمة رضى الله عنها فقال لها لا يدخل علىّ أحد ؛ فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئا حتى دخل على النّبى صلى الله عليه وآله ؛ فدخلت أمّ سلمة على اثره ؛ فاذا الحسين على صدره واذا النّبى صلى الله عليه وآله تبكى ؛ واذا فى يده شىء يقلّبه ؛ فقال النّبى صلى الله عليه وآله يا امّ سلمة انّ هذا جبرئيل يخبرنى انّ هذا مقتول و هذه التربة التى يقتل عليها ، فضعيه عندك فاذا صارت

دماً فقد قتل حبیبی ، فقالت ام سلمة یا رسول الله سل الله ان یدفع ذلك عنه ؛ قال قد فعلت فأوحی الله عز وجل الی ان له درجة لا ینالها أحد من المخلوقین ، وان له شیعة یشفعون فیشفعون ، وان المهدی من ولده ، فطوبی لمن کان من أولیاء الحسین علیه السلام و شیعتهم والله الفائزون

وعن کعب الأحبار قال ان فی کتابنا ان رجلا من ولد محمد رسول الله صلی الله علیه وآله یقتل ولا یجف عرق دواب أصحابه حتی یدخلوا الجنة فیعانقوا الحور العین فمر بنا الحسن علیه السلام فقلنا هو هذا ، قال لا ، فمر بنا الحسین علیه السلام فقلنا هو هذا ، قال نعم

و روینا مسندا الی الصادق علیه السلام قال البکاؤن خمسة: آدم ، ویعقوب ، ویوسف وفاطمة بنت محمد ، وعلی بن الحسین علیه السلام ، فاما آدم فبکی علی الجنة حتی صار فی خدیه أمثال الأودیة ، واما یعقوب فبکی علی یوسف حتی ذهب بصره ، و اما یوسف فبکی علی یعقوب حتی تأذی به أهل السجن فقالوا إما تبکی بالنهار وتسکت باللیل و إما تبکی باللیل وتسکت بالنهار فصالحهم علی واحد منهما ، واما فاطمة بنت محمد صلی الله علیه وآله وعلیها السلام فبکت علی رسول الله صلی الله علیه وآله حتی تأذی بها أهل المدنیة وقالوا لها قد آذیتنا بکثرة بکاك ، فکانت تخرج الی مقابر الشهداء فتبکی حتی تقضی حاجتها ثم تنصرف ، و اما علی الحسین علیه السلام فبکی علی مصائب ابیه الحسین علیه السلام عشرین سنة او أربعین سنة ، وما وضع بین یدیه طعام الا بکی حتی قال له مولی له جعلت فداك یا ابن رسول الله انی أخاف علیك ان تکون من الهالکین ، قال انما أشکو بثی وحزنی الی الله و أعلم من الله مالا تعلمون ، انی لم أذکر مصرع بنی فاطمة الا خنقتنی لذلك العبرة

و روینا مسندا الی ابی عمار المنشد عن ابی عبدالله علیه السلام قال قال لی یا ابا عمار أنشدنی فی الحسین بن علی علیه السلام قال فأنشدته فبکی ثم أنشدته فبکی ، قال فما زلت أنشده وهو یبکی حتی سمعت البکاء من الدار ، قال فقال لی یا أبا عمار من أنشد فی الحسین بن علی شعرا فأبکی خمسین فله الجنة ؛ و من أنشد فی الحسین شعرا فأبکی ثلثین فله الجنة ، ومن أنشد فی الحسین فأبکی عشرین فله الجنة ، ومن أنشد فی الحسین

فأبكى عشرة فله الجنّة ، ومن أنشد فى الحسين فأبكى واحدا فله الجنّة ، و من أنشد فى الحسين فتباكى فله الجنّة

و روينا مسندا الى داود الرقى قال كنت عند ابى عبدالله عليه السلام اذا ستسقى الماء فلمّا شربه رأيته قد استعبر و اغرورقت عيناه بدموعه ، ثم قال يا داود لعن الله قاتل الحسين فما أنقص ذكر الحسين للعيش ؛ انّى ما شربت ماءً باردا الّا و ذكرت الحسين وما من أحد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام و لعن قاتله الّا كتب الله له مائة ألف حسنة ، ومحى عنه مائة ألف سيّئة، ورفع لهمأة ألف درجة ؛ و كأنّما أعتق ألف نسمة ، وحشره الله يوم القيمة ثلج الوجه

وروينا مسندا الى ابن ابى نعيم قال شهدت ابن عمر فأتاه رجل فسأله عن دم البعوضة قال من أنت؟ قال من أهل العراق ، قال فانظروا الى هذا يسئلنى عن دم البعوضة وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول للحسن والحسين انتما ريحا نتاى من الدّنيا

و روينا مسندا الى الصادق عليه السلام فى حديث طويل وصف فيه مقتل الحسين عليه السلام قال ثم وثب الحسين عليه السلام بعد مقتل اكثر أصحابه متوكّيا على سيفه، فنادى بأعلى صوته فقال أنشد كم الله هل تعرفونى ؛ قالوا نعم انت ابن رسول الله و سبطه ، قال أنشد كم الله هل تعرفون (تعلمون خ) انّ علىّ بن ابيطالب ابى ؟ قالوا اللّهمّ نعم ، قال أنشد كم الله هل تعلمون انّ امّى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ؟ قالوا اللّهمّ نعم ، قال أنشد كم الله هل تعلمون انّ جدتى خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الامّة إسلاما ؟ قالوا اللّهمّ نعم ، قال أنشد كم الله هل تعلمون انّ سيّد الشهداء حمزة عمّى وعمّ ابى ؟ قالوا نعم اللّهمّ قال أنشد كم الله هل تعلمون انّ الطيّار فى الجنّة عمّى ؟ قالوا اللّهمّ نعم، قال أنشد كم الله هل تعلمون انّ هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وانا متقلّده ؛ قالوا اللّهمّ نعم ، قال أنشد كم الله هل تعلمون انّ هذه عمامة رسول الله وانا متعمّم بها ، قالوا اللّهمّ نعم قال أنشد كم الله تعلمون انّ عليّا كان أولهم اسلاما وأعلمهم علما و أعظمهم حلما ، وانّه ولىّ كلّ مؤمن ومؤمنة قالوا اللّهمّ نعم ؛ قال فبم تستحلّون دمى ؟ وابى الذائد عن الحوض غدا يذود عنه رجالا

كما يذادا لبعير الصار عن الماء؛ ولواء الحمد فى يد جدّى يوم القيمة، قالوا لقدعلمنا ذلك كلّه و نحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشا، فأخذ الحسين عليه السلام بطرف لحيته وهو يومئذ ابن سبع و خمسين سنة ثم قال اشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا النار دون الله؛ واشتدّ غضب الله على اليهود حين قالوا عزير ابن الله، و أشتدّ غضب الله على النصارى حين قالوا المسيح بن الله واشتدّ غضب الله، على قوم قتلوا نبيّهم، واشتدّ غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيّهم

ثمّ قال و نظر الحسين عليه السلام يمينا وشمالا فلم يراحدا، فرفع رأسه الى السماء فقال اللّهمّ انّك ترى ما صنع بولد نبيّك، وحال بنو كلاب بينه و بين الماء ورمى بسهم فوقع فى نحره وخرّ عن فرسه؛ فأخذ السّهم ورمى به، وجعل يتلقّى الدّم بكفه فلمّا امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وهو تقول ألقى الله عزّ وجل وأنا مظلوم متلطّخ بدمى ثمّ خرّ على خدّه الايسر صريعا؛ فأقبل عدوّا لله سنان ابن انس وشمر بن ذى الجوشن العامرى فى رجال من أهل الشّام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض اريحوا الرجل فنزل سنان ابن انس لعنه الله وأخذ بلحية الحسين عليه السلام وجعل يضرب السّيف فى حلقه وهو يقول والله انّى لأجتزّ رأسك وأنا أعلم أنّك ابن رسول الله خير النّاس أمّا وأبا

وأقبل فرس الحسين عليه السلام حتى لطخ عرفه (غرّته خ) و ناصيته بدم الحسين عليه السلام وجعل يركض ويصهل، فسمع بنات النّبى صلى الله عليه وآله صهيله؛ فخرجن فاذا الفرس بلاراكب فعرفن انّ حسينا قد قتل، وخرجت امّ كلثوم بنت الحسين عليه السلام (١) واضعة يدها على

---

(٣) كذا فيما وقفنا عليه من نسخ الكتاب والظاهر ان فى العبارة تصحيفا والصواب: ام كلثوم بنت على (ع) وهى الزينب الكبرى سلام الله عليها كما يظهر من بعض القرائن فانه ليس للحسين (ع) بنت مكناة بام كلثوم

وكذا قوله الاتى: وارسل ابن زياد لعنه الله الى ام كلثوم بنت الحسين (ع) = والصواب ام كلثوم بنت على (ع) وهى الزينب الكبرى (ع) ايضا

رأسها تندب و تقول : وامحمداه هذا الحسين بالعراء قد سلب العمامة والرداء ، و أقبل ابن سنان لعنه الله حتى أدخل رأس الحسين عليه السلام على عبيدالله بن زياد لعنه الله ؛ وهو يترنم و يقول

إملأ ركابى فضة و ذهبا انى قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما و أبا و خيرهم اذينسبون نسبا

فقال له عبيدالله بن زياد و يحك فاذا علمت انه خير الناس أما وأبالم قتلته اذا فأمر بهوضرب عنقه وعجل الله بروحه الى النار ؛ وأرسل ابن زياد لعنه الله الى ام كلثوم بنت الحسين عليه السلام فقال الحمدلله الذى قتل رجالكم فكيف ترون ما يفعل بكم ؟ فقالت يا ابن زياد لئن قرت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطال ما قرت عين جده صلى الله عليه وآله به و كان يقبله ويلثم شفتيه ويضعه على عاتقه ، يا ابن زياد أعد لجده جوابا فانه خصمك

و روينا مسندا الى الباقر عليه السلام أصيب الحسين بن على عليهما السلام و وجد فيه ثلاثمائة و بضع و عشرون طعنة : برمح او ضربة بسيف او رمية بسهم ، و روى انها كانت فى مقدمه لأنه عليه السلام كان لا يولى

و روينا عن فاطمة (١) بنت الحسين عليه السلام قالت دخلت الغارة علينا الفسطاط و

---

(٢) هى جدتنا فانها ام جدنا ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الامام المجتبى (ع) وتوفيت رضى الله تعالى عنها فى سنة : (١١٧) هـ كما ذكره سبط ابن الجوزى فى التذكرة او فى سنة : (١١٠) هـ كما فى الدر المنثور للزينب فواز و نور الابصار للشبلنجى واعلام النساء لكحالة ومرآة الجنان لليافعى و غيرها وفى طبقات الاتقياء لابن حبان انها حين توفيت كانت ابنة سبعين سنة .

فعلى التاريخ الاول فى وفاتها يكون سنها فى وقعة الطف ثلاث عشرة (١٣) و على الثانى يكون عشرين (٢٠) وفى احياء العلوم للغزالى : ان فاطمة بنت الحسين (ع) نظرت الى جنازة زوجها الحسن المثنى فغطت وجهها وقالت :

و كانوا رجاء ثم امسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا و جلت

ونقل الشيخ المفيد (ره) وغيره قصة تزويج الحسن المثنى لها راجع الى الارشاد#

وانا جارية صغيرة وفى رجلى خلخالان من ذهب ، فجعل رجل يفض الخلخالين من رجلى وهو يبكى ، فقلنا ما يبكيك يا عدو الله ؟ فقال كيف لا ابكى و انا أسلب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت لا تسلبنى ، قال أخاف ان يجىء غيرى فيأخذه ، قالت هى وانتهبوا ما فى الأفنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا ، وعن فاطمة بنت على عليها السلام انّ يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبس مع على بن الحسين عليهما السلام فى محبس لايكنهم من حرّ ولا برد حتى تقشرت وجوههم ، ولم يرفع فى بيت المقدس حجر عن وجه الارض الاّ و قد وجد فى تحته دم عبيط ، و نظر النّاس الشّمس على الحيطان حمراء كانّها الملاحف المعصفرة الى ان خرج علىّ بن الحسين عليه السلام بالنّسوة وردّ رأس الحسين عليه السلام الى كربلا (١)

و روينا مسندا الى الصادق عليه السلام قال لمّا ضرب الحسين عليه السلام بالسّيف ثمّ ابتدر ليقطع رأسه نادى مناد من قبل ربّ العزّة تبارك و تعالى من بطنان العرش ؛ فقال أيّتها الأمّة المتحيرة الظالمة بعد نبيّها لا وفقكم الله لأضحى ولا فطر ، ثمّ قال ابوعبدالله عليه السلام لاجرم والله ما وفقوا ولا يوفّقون ابدا حتى يقوم ثائر الحسين عليه السلام ، أقول لعلّ المراد

---

*والاغانى لابى الفرج واعلام الورى وقال المورخ النسابة ابن فندق البيهقى المتوفى (٥٦٥) ه فى كتابه : لباب الانساب = المخطوط = بعد نقل قصة تزويج الحسن المثنى لها ما هذا لفظه : فقال الحسين (ع) فاطمة بنتى اكثر الناس شبها بامى فاطمة بنت رسول الله ص وكان هذا التزويج فى السنة التى قتل فيها الحسين (ع) اه

ولذا يقال لها كما اشتهر فى الالسن : فاطمة العروس لقرب عرسهما حين مجيئهما مع الحسين (ع) الى كربلاء و اما قصة تزويجها من القاسم بن الحسن (ع) فى وقعة الطف فلا مسحة لها من الواقع ولا يجوز نقلها فى المحافل والمنابر وما فى بعض الكتب من نقلها عن بعض الكتب المجهولة المؤلف وكذا ما ذكر فى المنتخب للطريحى (ره) لا يعتمد عليه اصلا و تحقيق المطلب يحتاج الى بسط فى الكلام ولا مجال له فى المقام و قد ذكرنا ترجمة فاطمة (ع) تفصيلا فى بعض مجاميعنا والله الموفق

(١) ان كان لفظ : (رد) بصيغة الماضى كماهو الظاهر يدل الخبر على مجىء اهل البيت (ع) الى كربلاء

انهم لا يوفقون لمثوبات هذين اليومين و ما أعد الله فيها من التوبة للعاصين والتجاوز عن جرم المجرمين وان حملته على إشتباه الأهلّة فى زمن دولة بنى اميه فلا بعد فيه(١)

و روينا مسندا الى الرضا عليه السلام قال قال النبى صلى الله عليه وآله تحشر ابنتى فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلق بقائمة من قوائم العرش تقول يا أحكم الحاكمين احكم بينى وبين قاتل ولدى ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ويحكم لابنتى ورب الكعبة

وبالاسناد الى ابن عباس قال كنت مع امير المؤمنين عليه السلام فى خروجه الى صفين فلما نزل نينوا و هو شط الفرات قال بأعلى صوته يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع ؟ قلت له ما أعرفه يا امير المؤمنين ، فقال على عليه السلام لو عرفته كمعرفتى لم تكن تجوزه حتى تبكى كبكائى ، قال فبكى طويلا حتى اخضلت لحيته و سالت الدموع على صدره وبكينا معه وهو يقول أوه أوه مالى ولآل ابى سفيان ، مالى ولآل حرب حزب الشيطان و أولياء الكفر ؛ صبرا أبا عبدالله فقد لقى أبوك مثل الذى تلقى (تلقاه خ) ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ما شاء الله ان يصلى، ثم ذكر نحو كلامه الأول الا انه نعس عند إنقضاء صلاته و كلامه بساعة ، ثم انتبه فقال يا ابن عباس ، فقلت ها أناذا ، فقال ألا أحدثك بما رأيت فى منامى آنفا عند رقدتى ، فقلت نامت عيناك و رأيت خيرا يا امير المؤمنين ؛ قال رأيت كأنى برجال قد نزلوا معهم أعلام بيض قد تقلدوا بسيوفهم و هى بيض تلمع ، وقد خطوا حول هذه الارض خطة ، ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها والأرض تضطرب بدم عبيط ؛ وكأنى بالحسين عليه السلام سخلى و فرخى و مضغتى و مخى قد غرق فيه ، فيستغيث فلا يغاث ؛ و كأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه و يقولون صبرا آل الرسول فانكم تقتلون على يدى شرار الناس ؛ وهذه

(١) يمكن ان يكون المراد ان الامة قاطبة لايوفقون منذ زمن شهادة الحسين ع الى قيام ثائره لاضحى وفطر يعنى لصلاتهما مع الامام المعصوم(ع) ولا يوفقون لاتيانها معه حتى يقوم القائم المنتظر عجل الله فرجه و كذلك صار الامر بالنسبة لصلاتهما منذ وقعة الطف الفجيعة الى اليوم و كذلك يكون ايضا الى قيام القائم ارواحنا فداه

الجنّة يا أبا عبدالله اليك مشتاقة ، ثمّ يعزونني و يقولون له يا أبا الحسن أبشر فقد أقرّ الله به عينك يوم يقوم الناس لربّ العالمين ثم انتبهت هكذا

و روى انّ النّبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم جالسا و حوله عليّ و فاطمة والحسن و الحسين عليهم السلام فقال لهم كيف بكم اذا كنتم صرعى و قبوركم شتّى ؟ فقال له الحسين عليه السلام أنموت موتا او نقتل قتلا ، فقال بل تقتل يا بنيّ ظلما ويقتل أخوك ظلما و تشرّد ذراريكم في الأرض ؛ فقال الحسين عليه السلام و من يقتلنا يا رسول الله ؟ قال شرار النّاس ؛ قال فهل يزورنا بعد قتلنا أحد ، قال نعم يا بنيّ طائفة من أمّتي يريدون بزيارتكم برّي وصلتي، فاذا كان يوم القيمة جئتها الى المواقف حتى آخذ بأعضادها فأخلّصها من أهواله و شدائده

و روى سالم بن ابي حفصة قال قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام يا ابا عبدالله انّ قبلنا ناس سفهاء يزعمون انّي أقتلك ؛ فقال له الحسين عليه السلام انهم ليسوا بسفهاء و لكنّهم حلماء، أما انّه يقرّ عيني انّك لا تأكل برّ العراق بعدي الاّ قليلا ؛ و روينا عن سعد الاسكاف قال قال ابوجعفر عليه السلام كان قاتل يحيى بن زكريا ولدزنا ؛ و كان قاتل الحسين بن علي عليه السلام ولدزنا ؛ ولم تحمر السّماء الاّ لهما، قال وخرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل لنا (نزلنا خ) منزلا وارتحل عنه الاّ ذكر يحيى بن زكرياء ؛ وقال يوماً من الأيام انّ من هو ان الدنيا على الله عزّ و جل انّ رأس يحيى بن زكريّا أهدي الى بغيّ من بغايا بني اسرائيل، وعن عاصم عن ذر قال أول رأس حمل في الاسلام على رمح رأس الحسين بن علي عليه السلام فلم أر باكيا و باكية أكثر من ذلك اليوم

وعن ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النّوم أشعث أغبر معه قارورتان فيهما دم عبيط ، فقلت يا رسول الله ما هذا؟ فقال دم الحسين وأصحابه ولم أزل ألتقطه منذ اليوم ، قال فحسب ذلك اليوم و اذا هو يوم قتل الحسين عليه السلام ، وعن الكندي قال لمّا قتل الحسين عليه السلام مكثنا سبعة ايّام اذا صلّينا العصر نظرنا الى الشّمس على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها ؛ و ضربت الكواكب بعضها بعضا

و روى انه لما أصبح ابن زياد لعنه الله بعث برأس الحسين عليه السلام فدير به فى سكك الكوفة كلها وقبائلها

فروى عن زيدبن أرقم انه قال مر به و هو على رمح وأنا فى غرفة لى فيها فلما حاذانى سمعته يقرأ ام حسبت انّ أصحاب الكهف والرّقيم كانوا من آياتناعجبا، فوقف والله شعرى وناديت رأسك والله يا ابن رسول الله وأمرك أعجب و أعجب ، وعن ابى حباب قال لقيت رجلا من طى فقلت له بلغنى انكم تسمعون نوح الجن على الحسين ، قال نعم قلت ما الذى سمعت ؟ قال سمعتهم يقولون :

مسح الرسول جبينه فله بريق فى الخدود / أبواه من عليا قريش جدّه خير الجدود

و قال ديك الجن يرثى الحسين عليه السلام

و يكبّرون بأن قتلت و انما / قتلوا بك التّكبير والتّهليلا

و روى عن رجل اسدى قال كنت زارعا على نهر العلقمى بعد إرتحال عسكر بنى امية فرأيت عجائب لا أقدر أحكى الا بعضها؛ وهو اذا هبّت الأرياح تمرّ علىّ نفحات كنفحات المسك و العنبر واذا سكنت أرى نجوما تنزل من السماء الى الارض و ترقى من الأرض الى السّماء وانا منفرد مع عيالى ولا أرى أحدا أسئله عن ذلك ، وقبل غروب الشّمس يقبل أسد من القبلة فأولّى عنه الى منزلى ، فـاذا أصبح الصّباح أراه مستقبل القبلة ذاهبا ، فقلت فى نفسى حكت عساكر ابن زياد انّ هؤلاء خوارج قد خرجوا على عبيدالله بن زياد فأمر بقتلهم وأرى منهم مالم أر من ساير القتلى ، فوالله هذه اللّيلة لابدّ من المساهرة فى هذه الأرض لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث أم لا، فلما صار غروب الشّمس واذا به اقبل فحققته فاذا هو هايـل المنظر ، فأرتعت منه وهممت ان أنهزم عنه فثبطت نفسى وراجعتها وهو يتخطّى القتلى حتى وقف على جسد كأنّه الشّمس اذا طلعت تحت الغمام ، فبرك عليه ، فقلت يأكل منه واذا به يمرغ وجهه على ذلك الجسد وهو يهمهم ويدمدم ودموعه تجرى على خدّيه ، فقلت الله اكبر ما هذه الأعجوبه فجعلت أحرسه حتى اعترك الظّلام واذا الشموع معلّقة فملأت هذه الأرض فزادنى عجبا ، اذا أنا أسمع

بكاء ونحيبا ساعة ، واذا بلطم مفجع لكن لم أر أشخاصا فقصدت تلك الأصوات فخيل لى انّى وقعت عليها فأصغيت سمعى زمانا ، فاذا هو تحت الارض وفهمت من ناع فيهم يقول واحسيناه وا إماماه فاقشعرّ جلدى وطار لبّى؛ فقربت من الباكى واقسمت عليه بالله و برسوله من تكون ؟ فقال إنّا نساء من الجنّ ، فقلت وما شأنكن ؟ فقالت فى كلّ يوم و ليلة هذا عزاؤنا على الحسين العطشان المجدّل على الزملاء، فقلت هذا الحسين الذى يجلس عنده الاسد ، فقالت نعم ، قالت انت تعرف هذا الأسد ؟ قلت لا ؛ قالت هذا ابوه علىّ بن ابيطالب (١) فهممت ان ارجع ودموعى تجرى على خدّى حزنا عليه ، واذا برجال لم أر أطول منهم ذو أسلحة كثيرة ، فكاد فؤادى ان يطير ، و اذا بهم قائل يقول فارجع فرجعت خائفا ؛ وقيل هذا الرّجل هو الذى دفن الحسين عليه السلام

---

(١) هذا الكلام افك عظيم و كلمة خاطئة يدل على ان هذه القصة المنقولة لاتخلو من دس واختلاق فان ظهور اميرالمؤمنين (ع) فى صورة الاسد لايمكن التفوة به من رواد العلم وطلاب الفضيلة فانه محال كما نقل جمع من البسطاء نظير ذلك فى المعراج ايضا وان رسول الله (ص) راى فى ليلة المعراج اسدا قد سد الطريق عليه واخذ الخاتم من يده ثم عرف انه اميرالمؤمنين (ع)

وهذه النقليات من الافائك والمفتريات و من موضوعات الغلات والمفوضة و بعض الصوفية ومن مختلقاتهم ومن خرافات بعض جهال الشعراء الذين نظموا تلك القصة المجعولة فى اشعارهم وينشدونها فى مجالسهم والاعتقاد بهذه الاكاذيب وانشاد الشعر فيها لايصدر عمن كان من اهل الاسلام والايمان

ليت شعرى اية شرافة فى صورة الاسد و هو الحيوان المفترس حتى تنقلب صورة اميرالمؤمنين (ع) = العياذ بالله = عليها وينخلع من هو افضل الخلائق بعد رسول‌الله (ص) عن الصورة الانسانية التى هى افضل صور الموجودات كلها الى الصورة الحيوانية فان الانسان وصورته النوعية اشرف الصور واحسنها وافضلها قال الله تعالى : لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم و قال تعالى : ولقد كرمنا بنى آدم ٠٠٠٠٠ وفضلنا هم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وقال سبحانه: وصوركم فاحسن صوركم. وفى تحسين خلقة الانسان يقول تعالى : فتبارك الله احسن الخالقين ☆

و روينا عن علي بن الحسين عليهما السلام قال لمّا وفدنا على يزيد بن معاوية لعنهما الله تعالى أتوا بحبال وربقونا مثل الاغنام ؛ و كان الحبل بعنقي وعنق امّ كلثوم و بكتف زينب و سكينة والبنات تساق كلّما قصرن عن المشي ضربنا (بن) حتى أوقفونا بين يدي يزيد، فتقدّمت اليه وهو على سرير مملكته، و قلت له ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو يرانا على هذه الصّفة؟ فبكى وبكى كلّ من كان حاضرا في مجلسه فأمر بالحبال فقطعت من أعناقنا و أكتافنا

☆ فليسمح لي القارئ الكريم ان اقول : انه هل انقلاب صورة اميرالمؤمنين ع بصورة الحيوان المفترس كان باختياره (ع) او ان الله تعالى اراد انقلاب صورته (ع) بصورة الاسد ؟

فان كان الاول فنقول كيف رضي اميرالمؤمنين (ع) ان ينخلع عن الصورة التي يقول هو عليه السلام في حقها : الصورة الانسانية هي اكبر حجج الله على خلقه و هي كتابه الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بقدرته وهي صورة مجموع العالمين وهي النسخة المختصرة من اللوح المحفوظ وهي الشاهدة على كل غائب وهي الحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم الى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار ؟

فكيف اختار (ع) الصورة الحيوانية على الصورة الانسانية الشريفة ؟ فهل يستسيغ وجدان عاقل من اهل الايمان ان ينسب هذا القول الشائن المقذع الى اميرالمؤمنين (ع) حاشا و كلا .

وان كان الثاني فيلزم ان يكون الله تعالى = العياذ بالله = مسخ اميرالمؤمنين ع وحول صورته الشريفة الى الصورة الحيوانية فان المسخ عبارة عن تبدل صورة أعلى الى صورة اقبح منها ونسبة هذا الى الله تعالى والى اميرالمؤمنين (ع) كفر والحاد . وأضف الى ذلك ان المسخ اتفق في بعض الامم السالفة كما ينبئ عنه القرآن الكريم من جهة تمرد تلك الامة عن طاعة الله تعالى والايمان به والاصرار على المعاصي وعدم الانقياد منهم لاوامره و نواهيه فغضب الله تعالى عليهم و مسخهم على صورة القردة والخنازير وغيرها ولم يتفق المسخ لاظهار الرحمة والشفقة فان توهم جاهل ان لشرافة الاسد وصولته جعل الله تعالى اميرالمؤمنين (ع) في صورته فيقال لهذا الجاهل اية شرافة لهذا الحيوان المفترس الحرام اللحم الذي يأكل الجيف و اية صولة له في مقابل الانسان وهو مسخر له كسائر الحيوانات. ومايذكر في حقه (ع) لفظ . (اسدالله) وهو من القابه الشريفة يقصد به ☆

وروى عن المنهال بن عمر قال بينما أتمشّى فى السّوق من دمشق و اذا انا بعلىّ بن الحسين عليه السلام يتوكّأ على عصى و رجلاه كأنّهما قصبتان والدّم يسيل من ساقيه ، والصّفرة قد ازدادت عليه، فخنقتنى العبرة فاعترضته وقلت كيف اصبحت يا ابن رسول الله؟ قال فبكى وقال كيف حال من أصبح أسيرا ليزيد بن معوية ، ونسائى الى الان ما شبعن بطهور نهنّ ولا كسين رؤسهن نائحات اللّيل والنّهار ، ونحن يا منهال كمثل بنى اسرائيل

☆ المعنى المجازى الذى يعرفه ويفهمه كل ناشىء من الطلاب وأصاغرهم وليس المراد هو المعنى الحقيقى قطعا وبما ان اميرالمؤمنين (ع) قاتل الكفرة وله الشجاعة المشهورة والمواقف المشهودة فى الحروب والغزوات وفى الجهاد مع الكفار والمشركين ومع الابطال والشجعان فشبهوه بالاسد وقالوا هو اسد الله كما ذكروا ذلك فى حق حمزة سيد الشهداء ايضا

وقد صرح المجتهد المحقق الاكبر والمفسر الاعظم السيد على الحائرى اللاهورى قدس سره فى تفسير لوامع التنزيل : ان الاعتقاد بظهور اميرالمؤمنين (ع) فى المعراج بصورة الاسد وسده الطريق على رسول الله (ص) واخذه الخاتم من يده كفر وزندقة و ومذهب الامامية برى من هذه الاكاذيب والمفتريات وائمة أهل البيت الطاهر (ع) تبرأوا عن هذه الحكايات الموضوعة والقصص المختلقة والاقوال المفتعلة وقد حقق قدس سره هذا المطلب تفصيلا فى ذلك التفسير النفيس انظر الى اللوامع ج ١٥ ص ٣٦ = ٣٧ ط هند

و العجب بعد ذلك كله عن المحدث المتتبع المعاصر النهاوندى نزيل المشهد الرضوى رحمه الله صاحب المؤلفات المحتوية على الصحيح والسقيم والقوى والضعيف و قد ذكر فى كتابه : (انوار المواهب) قصة ظهور اميرالمؤمنين (ع) فى ليلة المعراج بصورة الاسد و نقلها عن بعض الكتب الضعيفة التى لا يعتمد عليها ثم ايدها بهذا الخبر الذى نقله المصنف (ره) عن الزارع الاسدى وقال ان هذا الخبر موجود فى المنتخب الطريحى (ره) ونقله صاحب رياض الشهادة باختلاف فاحش وذكر ان هذا الزارع الاسدى كان يهوديا وانه ذكر هذه القصة للامام السجاد (ع) وانه قال لليهودى ان ذلك الاسد هو اميرالمؤمنين (ع) انظر الى انوار المواهب الجزء الثالث ص ٥٥ = ٥٦

وطالع هذه الاقاويل العجيبة ولا عجب من مسلك صاحب صحيفة الابرار وطريقته حيث نقل فى القسم الثانى فى باب معجزات اميرالمؤمنين (ع) ص ٢٤ عن بعض الكتب ☆

في آل فرعون يذبّحون أبناء هم و يستحيون نساءهم ؛ أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمدا عربيّ ؛ و أمست قريش تفتخر على العرب بأنّ محمدا منهم ، أمسينا معشر اهل البيت مغصوبين مقتّلين مشرّدين؛ ما يدعونا يزيد اليه مرّة الاّ نظنّ القتل انّا لله وانّا اليه راجعون ، قلت سيّدى و الى اين تريد ؟ قال المحبس الذى نحن فيه ليس له سقف والشّمس تصهر نابه ولانرى الهوى فأفرّ منه لضعف بدني سويعة ، وأرجع خشية على النّساء ، فبينما هو يخاطبني وأخاطبه واذا بامرأة تناديه ، فتركني ورجع اليها فحققت النّظر اليها واذا بها زينب بنت على عليها السلام تدعوه الى اين تمضي يا قرّة عيني ؟ فرجع و انحرفت عنه ؛ ولم أزل أذكره و ابكى

و روى عن الطرماح بن عدى رضى الله عنه قال كنت من قتلاء كربلا وقد بقى فيّ رمق الحياة ، ولو حلفت لكنت صادقا اذ رأيت بعد عشرات متتابعات عشرين فارسا لهم نورشعشعاني و كلّهم ذوثياب بيض يفوح منها رائحة المسك والعنبر ، فقلت في نفسى هذا ابن زياد وقد أقبل بطلب جسد الحسين عليه السلام ليمثل به ، فجاؤا حتى نزلوا بين القتلى ثمّ انّ المتقدّم أتى الى الحسين وجلس عنده وأجلسه وسنده بصدره وأومى الى نحو الكوفة بيده فما ردّها الاّ وبها رأس الحسين عليه السلام ، فركّبه على الجسد كما كان اوّلا : فطار عقلي وقلت ليس ابن زياد قادرا على هذا فتأمّلته فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فقال السلام عليك ياولدى فقال و عليك السلام و رحمة الله وبركاته يا جدّاه ، قال كيف يا ولدى قتلوك ؟ أتراهم ما عرفوك ومن الماء منعوك ، وعن حرم جدّك أخرجوك ويلهم ألا أخبرتهم بحسبك عسى يرقوا بحالك ، فبكى وقال يا جدّاه أخبرتهم فقالوا نعرفك حق المعرفة لكن نقتلك ظلما و عدوانا

☆ الضعيفة ان النبى (ص) قال : فعرجت الى عرش ربى فبينا يناجينى الله تعالى ربى و انا أناجيه واذا أنا بأسد واقف قدامى فنظرت واذاهو على بن ابى طالب (ع)

فلينظر القارى الفطن الى هذه الشطحات والاقوال الشنيعة التى ألصقها المؤالف والمخالف الى الامامية وابتلى مجتمعنا المذهبي بهذه الافائك والاباطيل

فقال عليه السلام يا ابى آدم ويا أبي نوح ، ويا ابى ابراهيم ؛ ويا أخي اسمعيل ، و يا أخي موسى ، و يا أخي عيسى ، فأجابوه بالتّلبية : انظروا الى ما فعلت أشقى أمّتي من بعدي بعترتي ، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيمة ، فقالوا آمين اللّهمّ آمين ، فجعلوا يبكون ويعزّون النّبى صلى الله عليه وآله زمانا طويلا ، وهو يحثو التّراب على رأسه وشيبته الطاهرة والحسين يقصّ عليه ما صدر وما عملوه فيه حتى غشى عليه من البكاء وأنا أسمعهم وأشاهدهم، ففارقوه وانطرح كما كان اولا ميتا

وروى انّ النّبى صلى الله عليه وآله كان ذات يوم جالسا و اذا بالحسين عليه السلام مقبلا طفلا ، فأخذه على فخذه الايمن، وأتى بولده ابراهيم فوضعه على فخذه الأيسر وجعل يقبل هذا على فمه وهذا بحلقه وشفتيه وهو مشغوف بهما ، فاذا جبرئيل قد انحدر عليه وقال يا محمّد انّ الله تعالى لم يكن ليجمع لك بينهما لكنّه عزّ وجل يريد يأخذ روح أحدهما فاختر أيّهما شئت ، فقال في نفسه اذا مات ابراهيم بكيت انا وحدي و اذا مات الحسين بكيت عليه انا وعلى وفاطمة، يا اخي جبرئيل موت ابراهيم خير لي فمات بعد ثلاثة ايّام، فكان بعد ذلك كلّما جاء الحسين عليه السلام قال النّبى صلى الله عليه وآله أهلا و سهلا و مرحبا بمن فديته بولدى ابراهيم

و روى انّ الحريم لمّا أدخلن في السّبى الى يزيد بن معوية لعنه الله كان يطلع فيهنّ ويسئل عن كل واحدة بعينها وهنّ مربقات بحبل طويل و زجر بن قيس لعنه الله يجرّهنّ حتى أقبلت امرأة كانت تستر وجهها بزندها لأنّها لم يكن لها خرقة تستر بها وجهها ، فقال من هذه الّتى ليس لها ستر ؟ قالوا سكينة بنت الحسين ؛ فقال انت سكينة؟ فسالت دموعها على خدّها واختنقت بعبرتها فسكت عنها حتى كادت ان تطلع روحها من البكاء ، فقال لها وما يبكيك؟ قالت كيف لاتبكى من ليس لها ستر تستر وجهها و رأسها عنك وعن جلسائك ، فبكى يزيد واهل مجلسه ؛ ثم قال لعن الله عبيدالله بن زياد ماأقسى قلبه على آل الرسول ، ثمّ اقبل اليها و قال ارجعى مع النسوة حتى آمر بكنّ بأمرى فقالت يا يزيد انّ بكائي أكثره من طيف رأيته اللّيلة، قال قصّيه عليّ فأمر السائق

فی الوقوف ، فقالت انّی لم أنم منذ قتل ابی الحسین لأنّی لم أتمكّن من الركوب علی ظهر ادبر أعجف هذا ، و كلما عثربی یقهرنی هذا زجر بن قیس یوشحنی بالسّوط ، فلم أرمن یخلصنی منه؛ فلعنه یزیدوجلساؤه؛ ثمّ قالت رقدت اللیلة واذا أری قصرامن نور شرایفه الیاقوت وأركانه من الزبرجد و أبوابه من العود القماری، فبینااناأنظر الیه واذا ببابه قد فتحت فخرج منهاخمس مشایخ یقدمهم وصیف(١) فتقدّمت الیه فقلت له لمن هذا القصر ؟ فقال لأبیك الحسین ؛ فقلت و من هولاء المشایخ ؟ فقال هذا آدم ، و ذاك نوح ؛ و هذا ابراهیم، و(هذا)موسی و(هذا)عیسی فبینما انا أنظر الی كلامه والی القصر اذ أقبل رجل قمری الوجه قابضا علی لحیته همّا واسفاحزینا كئیبافقلت ومن هذا ؟ قال امّا تعرفینه؟ فقلت لا قال هذا جدّك محمّد المصطفی ، فدنوت منه و قلت یا جدّاه قتلت والله رجالنا ؛ و ذبحت أطفالنا و هتكت حریمنا ؛ یا جدّنا لو رأیتنا علی الاقتاب بغیروطاء ولا غطاء ولا حجاب ینظر الینا البرّ و الفاجر لرأیت أمرا عظیما و خطبا جسیما ، فأحنی علیّ و ضمّنی الی صدره وبكی بكاء شدیدا ، وانا أحكیه (حاكیة خ) بهذا وامثاله ، فقالت لی تلك الأنبیاء غضّی من صوتك یا بنت الصّفوة فقد أوجعت قلوبنا وقلب سیّدنا وأبكیته وأبكیتنا

فأخذ الوصیف بیدی وأدخلنی القصر واذا بخمس نسوة وبینهن امرأة ناشرة شعرها علی كتفیها و علیها ثیاب سود، وبیدها ثوب مضمخ بالدّم ، اذا قامت قمن لقیامها و اذا جلست جلسن معها لجلوسها، لاطمة خدّیها جاریة دمعتها وهی تنوح والنساء تجیبها بذلك فقلت للوصیف ومن هؤلاء النّسوة؟ فقالت یاسكینة هذه حوّی ، وهذه مریم والّتی عندها آسیة بنت مزاحم ، وهذه امّ موسی؛ وخدیجة الكبری، فقلت وصاحبة القمیص المضرّج بالدماء ، قال هذه جدّتك فاطمة الزهرا ؛ فدنوت منها وقلت السلام علیك یا جدّتاه ، ورفعت رأسها وقالت سكینة؟ قلت نعم ، فقامت لاطمة معولة فقالت أدن منی فضمتنی الی صدرها ، فقلت یا جدّتی علی صغر سنّی ایتمت ، فقالت وا ویلتاه و امهجة قلباه من أحنا علیكنّ من بعد القتل ، من جمعكن عن الشّتات آن الرّحیل أخبرینی یاسكینة عن

(١) قد یطلق الوصیف علی الخادم غلاما كان او جاریة

حال العليل ، فقلت يا جدّتاه مرارا كثيرة أراد واقتله فدفعهم منه علّته لأنّه مكبوب على وجهه ، سلبوه ثيابه لا يطيق النهوض ولو تراه عينك حين اركبوه على ظهر أعجف ادبر وقيّدوا عنقه بقيد ثقيل ؛ فبكى فقلناله ما يبكيك ؟ قال اذا رأيت قيدى هذا ذكرت أغلال اهل النّار ، فسألناهم بفكّه فقيدوا رجله من تحت بطن النّاقة واذا بفخذه يسيل دما و قيحا ، باكيانهاره وليله ان نظر الى رأس ابيه و رأوس الانصار مشهرين ، و ان نظر الينا عاريات مكشّفات ، فكلّما راى ذلك ازداد البكاء ، فلطمت على وجهها و نادت واولداه واضيعتاه هكذا صدر عليكم من بعدنا ، ثمّ انّها قالت و بجسد القتيل من غسّله من كفّنه من صلّى عليه من دفنه من زاره ؟ فقلت لم يكن له غسل غير دموعنا، و كفنته السّوافى من رمالها ؛ ورحلنا عنه وزوّارها الطير والوحش ؛ فنادت واحسيناه واولداه واقلّة ناصراه هذا والنّساء باكيات معولات لا عوالها ، ثمّ نظرن الىّ و قلن له مهلا يا بنت الصّفوة لقد أهلكت سيّدتنا وأهلكتنا؛ فانتبهت من رقدتى هذه ويزيد وجلساؤه وأمراء بنى اميّة يبكون ، فأمر هنّ بالانصراف فانصرفن

روينافى تفسير قوله تعالى فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه انّه رأى ساق العرش والاسماء عليه؛ فلقّنه جبرئيل ،فقال قل: يا حميد بحق محمّد يا عالى بحق علىّ يا فاطر بحق فاطمة يا محسن بحق الحسن ، يا صاحب (قديم خ) الاحسان بحق الحسين ؛ فسالت دموعه و انخشع قلبه ، وقال يا اخى جبرئيل فى ذكرى الخامس ينخشع قلبى و تسيل عبرتى ، قال جبرئيل ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب ، فقال يا اخى و ماهى ؟ قال يقتل عطشانا غريبا وحيدا فريدا ؛ ليس له ناصر ولا معين ، ولو تراه يا آدم ينادى وا عطشاه و اقلّة ناصراه حتى يحول العطش بينه و بين السّماء كالدخان فلم يجبه أحد الاّ بالسّيوف وشرب الحتوف فيذبح ذبح (كما يذبح خ) الشّاة من قفاه ويشهر رؤوسهم هو و انصاره فى البلدان ومعهم تؤخذ النّسوان ، سبق يا أخى فى علم الواحد المنّان ، فبكى مع جبرئيل بكاء المشكولة والثّكيل

و روينا حديث الجمال لعنه الله باسناده (نا) الى سعيد بن المسيّب قال لمّا استشهد

مولانا ابو عبدالله الحسين عليه السلام وحج الناس من قابل دخلت على مولاى على بن الحسين عليه السلام فقلت له يا مولاى قد قرب الحج فما تأمرنى؟ فقال إمض على نيتك فحج فحججت فبينما انا أطوف فى الكعبة واذا أنا بزجل مقطوع اليدين و وجهه كقطع الليل المظلم وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم رب هذا البيت الحرام إغفرلى وما أحسبك تفعل ولو تشفعت فى سكان سمواتك وارضك وجميع ما خلقت لعظم جرمى، قال سعيد بن المسيب فشغلت و شغل الناس عن الطواف حتى حف به الناس و اجتمعنا عليه؛ فقلت أيا ويلك لو كنت ابليس لما كان ينبغي لك ان تيأس من رحمة الله فما انت و ما ذنبك؟ فبكى وقال يا قوم انا أعرف بنفسى وذنبى و ما جنيت، فقالوا له تذكره لنا

فقال انا كنت جمالا لأبى عبدالله عليه السلام لما خرج من المدينة الى العراق وكنت أراه اذا أراد الوضوء الصلاة يضع سراويله عندى، فأرى تكة تغشى الأبصار بحسن إشراقها وألوانها، وكنت أتمناها ان تكون لى؛ الى ان صرنا بكربلا فقتل الحسين عليه السلام و هى معه؛ فدفنت نفسى فى مكان من الأرض فلم أطلب أنا و أمثالى، فلما جن الليل خرجت من مكانى فرأيت فى تلك المعركة نورا لاظلمة، ونهارا لاليلا؛ والقتلى مطرحون (حين) على وجه الارض، فذكرت لخيبتى و شقائى التكة فقلت والله لأطلبن الحسين عليه السلام وأرجوان تكون التكة فى سراويله فآخذها. ولم أزل أنظر فى وجوه القتلى حتى أتيت الى الحسين عليه السلام، فوجدته مكبوبا على وجهه وهو جثة بلا رأس ونوره مشرق مرمل بدمائه والرياح سافية عليه، فقلت هذا والله الحسين عليه السلام، فنظرت الى سراويله كما كنت أراها، فدنوت منه فضربت يدى الى التكة لأخذها، فاذا هو قد عقدها عقدا كثيرة، فلم ازل أحلها حتى حللت عقدة منها فمد يده اليمنى و قبض على التكة فلم أقدر على أخذيده عنها ولا أصل اليها، فدعتنى النفس الملعونة الى ان أطلب شيئا أقطع به يده فوجدت قطعة سيف مطروح فأخذتها، فلم أزل أجز يده حتى فصلتها عن زنده، ثم نحيتها عن التكة، فمددت يدى الى التكة لأحلها فمد يده اليسرى فقبض عليها فلم أقدر على أخذها، فأخذت قطعة السيف و قطعتها بها، فمددت يدى الى

التّكة لآخذها فاذا بالارض ترجف والسّماء تهتز، واذا بغلبة (بغلغلة) عظيمة و بكاء ونداء، يقول يا ابناه يامقتولاه واذبيحاه، واحسيناه، واغريباه، يابنى قتلوك وماعرفوك ومن شرب الماء منعوك؛ وما عرفوا جدك وأباك، فلمّا رأيت ذلك صعقت و رميت نفسى بين القتلى واذا بثلاث نفرو إمرأة تقول:

ألا يا نور عينى يا حسينا — فمن قطع اليسار مع اليمينا
و من أرداك فى البيداء طريحا — و من ايتم بناتك والبنينا
و من سلب الثياب أيا حبيبى — و يا ذخرى و يا عينى اليمينا
عفيرا بالتّراب بغير رأس — خضيب النّحر متلول الجبينا
فمن أوصيت بعدك باليتامى — و من لسكينة حصنا حصينا
ومن للثاكلات وللنّضياعا (للصبايا) — لقد أضحوا بأيدى الكافرينا
يعزّ علىّ ان ألقاك ملقى — بلا غسل ولا كفن رهينا
أيا روحى لقد طوّلت حزنى — لقتلك يا ابن خير العالمينا
لمقتله بكت أملاك ربّى — و حور العين يبكى والأمينا
لقد أورثتنى حزنا طويلا — على طول اللّيالى و السّنينا
فآه لما جرى لك يا حبيبى — نساؤك حاسرات مجررينا
فنوحوا و اندبوا مولى قتيلا — حبيب رسول ربّ العالمينا

وقد امتلأت الارض و حولها خلايق وقوفا؛ وقد امتلأت الأرض بصور الناس و أجنحة الملائكة، واذا بواحد منهم يقول يا ابناه يا حسين فدائك جدّك وابوك و أمّك و اخوك، واذا بالحسين عليه السلام ورأسه على بدنه، وهو يقول يا جداه يارسول الله، ويا ابتاه يا امير المؤمنين، و يا اماه يا فاطمة الزهراء، و يا اخاه المقتول بالسّم قبلى، عليكم منّى السلام، ثمّ انه بكى وقال يا جدّاه قتلوا والله رجالنا يا جدّاه سلبوا والله نسائنا يا جداه؛ نهبوا والله رحالنا يا جدّاه ذبحوا والله أطفالنا يا جدّاه، يعزّ والله عليك ان ترى حالنا وما فعل الكفّار بنا واذا بهم قدجلسوا حوله يبكون على ما أصابهم من الكفّار

و فاطمة تقول يا اباه يا رسول الله أما ترى ما فعل امتك بولدى ، أتأذن لى ان آخذ من دم شيبه وأخضب به ناصيتى والقى الله عزّ وجلّ وانا متخضّبة (مختضبة) بدم ولدى الحسين؟ فقال لها خذى ونأخذ يا فاطمة ، فرأيتهم يأخذون من دم شيبه وتمسح به فاطمة ناصيتها والنّبى وعلىّ والحسن يمسحون به نحورهم و صدورهم وأيديهم الى المرافق ، و سمعت فاطمة الزهراء تقول وهى مقروحة الفؤاد يابنىّ من الذى قطع رأسك الشّريف ؟ يا بنىّ من ذا الذى رضّ لصدرك العفيف ، يا بنىّ من ذا الذى أيتم أطفالك، يا بنىّ من ذا الذى قتل رجالك ، قال و سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له فديتك يا حسين يعزّ علىّ والله ان أراك مقطوع الرأس، مرمّل الجبين؛ دامى النحر مكبوبا على قفاك قد كستك الذوارى من الرّمل (مول) وانت طريح مقتول مقطوع الكفّين ، يا بنى من قطع يدك اليمنى وثنى باليسرى؟

فقال يا جدّاه كان معى جمّال من المدينة و كان يرانى اذا وضعت سراويلى للوضوء فيتمنّى ان يكون له ؛ فما منعنى ان أدفعها اليه الاّ لعلمى انّه صاحب هذا الفعل فلمّا قتلت خرج يطلبنى من بين القتلى ، فوجدنى جثّة بلا رأس فتفقّد سراويلى فراى التّكّة و قد كنت عقدتها عقدا كثيرة ، فضرب يده الى التّكّة فحلّ عقدة منها فمددت يدى اليمنى فقبضت على التكة ، فطلب المعركة فوجد قطعة سيف فقطع به يمينى ثمّ حلّ عقدة أخرى فقبضت على التّكّة بيدى اليسرى لئلاّ يحلّها فتنكشف عورتى ، فجزّ يدى اليسرى؛ فلمّا أراد حلّ التّكة حسّ بك فرمى نفسه بين القتلى ، فلمّا سمع النّبى صلى الله عليه وآله كلام الحسين عليه السلام بكى بكاء شديدا وأتى بين القتلى الى أن وقف نحوى وقال : مالى ومالك يا جمال ، تقطع أيديا طالما قبلها جبرئيل عليه السلام وملائكة الله أجمعين و تبرّكت بها اهل السّموات والأرضين ، أما كفاك ما صنع به الملاعين من الذّلّ و الهوان ، هتكوا نساءه بعد الخدور وانسباك السّتور وقد سلبهنّ الأعداء ، سوّد الله وجهك يا جمّال فى الدنيا والاخرة، وقطع الله يديك ورجليك وجعلك فى حزب من سفك دماء نا وجزاؤك على الله ؛ فما استتمّ دعاؤه حتى شلّت يداى و حسبت بوجهى كأنّه ألبس قطعا من اللّيل مظلما ، وبقيت على هذه الحالة ، فجئت الى هذا البيت أستشفع وانا اعلم انّه لايغفر لى أبدا

فلم يبق فی مكة احد الاّ وسمع حديثه و تقرّب الى الله بلعنه ، و كلّ يقول حسبك ما جنيت يالعين

و روينا انّ آدم عليه السلام لمّا نزل الى الارض فلم يرحوّى صار يطوف الأرض فی طلبها ؛ فمرّ بكربلا فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب ، وعثر فی الموضع الذی قتل فيه الحسين عليه السلام حتى سال الدّم من رجله ؛ فرفع رأسه الى السّماء و قال الهی هل حدث منّی ذنب آخر فعاقبتنی به ؟ فانّی طفت جميع الارض فما أصابنی ما أصابنی فی هذه الارض، فأوحى الله اليه يا آدم ما حدث منك ذنب و لكن يقتل فی هذه الأرض ولدك الحسين ظلما فسال دمك موافقة لدم الحسين ، فقال آدم يا ربّ أيكون الحسين نبيّا ؟ قال لا ولكنّه سبط النّبی محمد صلى الله عليه وآله ، قال و من القاتل له ؟ قال قاتله يزيد لعين أهل السّموات و أهل الارض ، قال آدم فأیّ شیء اصنع يا جبرئيل ؟ فقال العنه ، فلعنه آدم أربع مرّات ومشى أربع خطوات الى جبل عرفات بقدرة رافع السّموات فوجد حوّى هناك

وانّ نوحا عليه السلام ركب في السّفينة وطافت بهجميع الدنيا ، فلما مرّت السّفينة بكربلا أخذته الى الارض و خاف نوح من الغرق ؛ فدعاربّه و قال الهی هل حدث منّی ذنب؟ فانّی طفت جميع الدنيا فما أصابنی فزع مثل ما أصابنی فی هذه الارض ، فنزل اليه جبرئيل و قال له يا نوح فی هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الانبياء وابن خاتم الأوصياء ، قال و من القاتل له يا جبرئيل ؟ قال قاتله لعين أهل السّموات السّبع و الارضين السّبع ، فلعنه نوح عليه السلام ، أربع مرّات فسارت السّفينة حتّى بلغت الجودى واستقرّت عليه

و انّ ابراهيم عليه السلام مرّ فی أرض كربلا و هو راكب فرسا فعثر الفرس و سقط ابراهيم وشجّ رأسه و سال دمه ، فأخذ فی الاستغفار وقال الهی أیّ شیء حدث منّی؟ فنزل جبرئيل وقال يا ابراهيم ما حدث منك ذنب ولكن هنا يقتل سبط خاتم الانبياء و ابن خاتم الاوصياء فسال دمك موافقة لدمه . قال يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟ قال قاتله لعين اهل السّموات والأرضين ، والقلم جرى على اللّوح بلعنه بغير اذن ربّه، فأوحى الله تعالى الى القلم انك

استحقت الثناء بهذا اللعن ، فرفع ابراهيم عليه السلام يده ولعن يزيد لعنا كثيرا و أمن فرسه بلسان فصيح ، فقال ابراهيم عليه السلام لفرسه أي شيء عرفت حتى تؤمن على ابراهيم ؟ فقال يا ابرهيم أنا أفتخر بر كوبك علي ؛ فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي و كان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى

وان اسمعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات فأخبره الراعي انها لاتشرب من هذه المشرعة منذ كذا يوما ، فسأل ربه عن سبب ذلك ، فنزل جبرئيل عليه السلام و قال يا اسمعيل اسأل غنمك فانها تجيبك عن سبب إمتناعها من شرب الماء ؛ فقال لهالم لا تشربين من هذا الماء ؟ فقالت بلسان فصيح قد بلغنا ان ولدك الحسين يقتل هنا عطشانا فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزنا عليه ، فسأل عن قاتله ؛ فقالت يقتله ، لعين أهل السموات والارضين والخلايق اجمعين ، فقال اسمعيل عليه السلام اللهم العن قاتل الحسين عليه السلام

وان موسى عليه السلام كان ذات يوم سائرا ومعه يوشع بن نون ، فلما جاء الى أرض كربلا إنخرق نعله وانقطع شراكه دخل الخسك في رجليه وسال دمه ، فقال الهي أي حدث مني ؟ فأوحى الله اليه ان هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه فسال دمك موافقة لدمه ، فقال رب ومن يكون الحسين ؟ فقيل هو سبط محمد المصطفى وابن علي المرتضى فقال ومن يكون قاتله ؟ فقيل هو لعين السمك في البحار والوحوش في القفار و الطيور في الهوى ، فرفع موسى يديه ولعن (قال الهى العن) يزيد ودعا عليه وأمن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه ؛

و ان سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير با لهواء ؛ فمر ذات يوم وهو سائر في أرض كربلا فدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خافوا السقوط ، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلا ؛ فقال سليمان للريح لم سكنت ؟ فقالت ان هنا يقتل الحسين عليه السلام ؛ فقال ومن يكون الحسين ؟ قالت هو سبط محمد المختار و ابن علي الكرار قال ومن قاتله ؟ قالت يقتله لعين اهل السموات والارض ، فرفع يده سليمان ولعن يزيد، وأمن دعائه الانس والجن فهبت الريح وسار البساط

وانّ عیسی علیه‌السلام کان سایحا فی البراری ومعه الحواریّون ، فمرّ بأرض کربلا فرای أسدا کاشرا قد أخذ الطریق ، فتقدّم عیسی الی الأسد وقال له لم جلست فی هذا الطّریق ولا تدعنا نمرّ ؟ فقال الاسد بلسان فصیح انّی لم أدع لکم الطّریق حتی تلعنوا یزید قاتل الحسین علیه‌السلام ، فقال عیسی علیه‌السلام ومن یکون الحسین ؟ قال هو سبط محمّد النّبی الأمّی وابن علیّ الولیّ ، قال ومن القاتل له ؟ قال قاتله لعین الوحوش و الذئاب والسّباع أجمع خصوصا فی أیّام عاشورا ؛ فرفع عیسی علیه‌السلام یده ولعن یزید ودعا علیه وأمّن الحواریّون علی دعائه فتنحّی الأسد عن طریقهم ومضوا لشأنهم

و روی الکلینی طاب ثراه باسناده الی ادریس بن عبدالله الأودی قال لمّا قتل الحسین علیه‌السلام اراد القوم ان یوطئوه الخیل ، فقالت فضة لزینب یا سیّدتی انّ سفینة وهو مولی رسول الله صلی‌الله‌علیه‌وآله انکسرت به سفینة فی البحر فطاف علی خشبة فی الماء فخرج الی جزیرة ، فرای اسدا مقبلا فأتی الاسد وقال یا ابا الحرث انا مولی رسول الله ؛ فهمهم بین یدیه حتی أوقفه علی الطریق ، والأسد رابض فی ناحیة ، فدعینی أمضی الیه واعلمه ماهم صانعون غدا ، قال فمضت الیه ؛ فقالت یا ابا الحرث ؛ فرفع رأسه ثمّ قالت أتدری ما یریدون یعملوا (یفعلوا) غدا بأبی عبدالله علیه‌السلام ؟ یریدون ان یوطئوا الخیل ظهره ، قال فمشی حتی وضع یدیه علی جسد الحسین علیه‌السلام ، فأقبلت الخیل فلمّا نظروا الیه قال لهم عمر بن سعد لعنه الله هذه فتنة لا تثیروها إنصرفوا فانصرفوا

قال مؤلف هذا الکتاب عفی الله عنه قد تقدّم انّهم أو طأوه الخیل ، ولا منافاة بینهما لجواز ان یکون فی یوم مجیء الأسد لم یوطأوه الخیل وأطأوه بعد ذلک ، وفی ارشاد المفید ره ، انّه لمّا لم یبق أحد مع الحسین علیه‌السلام دعا بسراویل یمان یلمع فیه البصر ففزره (ففزره) لیکلا یسلب من بعد قتله ، فلمّا قتل عمد بحر بن کعب فسلبه السّراویل و ترکه مجرّدا ، و کانت یدا بحر بن کعب ییبسان فی الصّیف کأنّهما عودان : و یرطبان فی الشّتاء فینضخان دماً وقیحا الی ان أهلکه الله تعالی ؛ والاخبار الواردة بهذا المضمون کثیرة جدّا

و امّا من قتل مع الحسين عليه السلام من اهل بيته فقال شيخنا المفيد نورالله ضريحه هم ثمانية عشر : وهم العباس وعبدالله و جعفر وعثمان بنو امير المؤمنين عليه السلام ؛ أمّهم أمّ البنين بنت حزام الكلابيّة ؛ و عبيدالله وابوبكر ابنا امير المؤمنين عليه السلام ؛ أمّهما ليلى الثقفيّة ، وعليّ و عبدالله ابنا الحسين بن على عليه السلام ؛ والقاسم وابوبكر وعبدالله بنو الحسن بن على بن ابيطالب عليه السلام ؛ وعبدالله وجعفر وعبدالرحمن بنو عقيل ابن ابيطالب ، وعبدالله بن مسلم بن عقيل ومحمد بن عقيل بن ابيطالب عليه السلام و محمّد وعون ابنا عبدالله بن جعفر بن ابى طالب ، فهؤلاء ثمانية عشر نفسا من بنى هاشم وهم كلّهم مدفونون ممّا يلى رجلى الحسين عليه السلام إلاّ العباس فانّه دفن موضع قتله

وامّا أصحاب الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه فانّهم دفنوا حوله ؛ و لسنا نحصل لهم أجداثا على التحقيق والتّفصيل غير انا لانشكّ فى انّ الحاير محيط بهم، هذا كلامه ره ، أقول قد ترك ره ذكر الحر فانّه من الشهداء و ليس هو ممّا يحيط به الحائر الشّريف بل هو بعيد عن قبر مولانا الحسين عليه السلام بفرسخ وأزيد، وقبره الآن معروف يزوره بعض الناس ، و بعض الخواص من الشيعة والعلماء يترك زيارته ، بل ربّما سمعت عن بعض محدّثى الشيعة لعنه و الطّعن عليه تعويلا على انّه قطع عليه بالارتداد الفطرى ، ومثل هذا المرتدّ عند الأكثر لا تقبل توبته ، وما نقل من قبول الحسين عليه السلام لها منقول بأخبار الاحاد و هو لا يعارض الإجماع ، و أمّا أنا فقد أوردت بعض الكلمات المناسبة لهذا المقام فى شرح تهذيب الحديث ولابأس هنا بالاشارة الى نبذة منه وهو يتمّ ببيان أمور

الاول فى تحقيق معنى المرتد ؛ فنقول الذى قاله أصحابنا رضوان الله عليهم انّ المرتدّ هو ما أنكر ما علم ثبوته من الدين ضرورة او اثبات ما علم نفيه كذلك ، او يفعل ذلك صريحا كالسّجود للصنم ونحوه ، وإلقاء المصحف فى القاذورات ، و على هذا فالمرتد أكثر من غيره ، وذلك انّه ما من يوم الاّ واكثر الناس يتّهم الله فى قضائه وعدله ؛ وغير ذلك ممّا يوجب الإرتداد ، نعم ربّما ظهر من بعض الاخبار انّه يشترط فى مثله العلم بكونه من ضروريات الدين ، و على هذا فلعلّ الجاهل معذور حتى يعرف و يلقى العالم

اليه الحكم الشّرعى لإمكان الجهل بالضروريّات لكثير من الناس ؛ خصوصا اهل القرى والصّحارى ، ويؤيّده قوله عليه السلام الناس فى سعة ممّا لم يعلموا فاذا عرفت هذا فنقول

انّ الحرّ لمّا خرج من الكوفة ما كان قصده القتال مع الحسين عليه السلام وانّما أمره عبيدالله بن زياد لعنه الله بأن يأتى به الى الكوفة ؛ و امّا منعه له عن الرجوع الى المدينة بعد ان طلب الحسين عليه السلام ان يأذن له فيه فقد كان جاهلا بأنّ مثل هذا يخرج من الدّين ويكون الرجل مرتدا به ، ومن ثمّ لمّا رجع الى الحسين عليه السلام وتاب حلف بأنّى ما كنت أعلم انّ القوم يفعلون بك هذا ، وقد كان صادقا فىَ يمينه ، وحينئذفالذى صدر منه نوع من أنواع الكبائرفلمّا تاب منها قبل الحسين عليه السلام توبته منها، ويؤيّده انّ كثيرا من الشّيعة ومن أقارب الأئمةعليهم السلام كانوا يؤذون أئمتّهم عليهم السلام بأنواع الاذى مثل العباس أخو الرضا عليه السلام ومثل أقارب مولانا الصادق عليه السلام ؛ وقد كان جماعة منهم يسعون بقتلهم و إهانتهم عند خلفاء الجور و مع هذا كلّه اذا أراد أحد من الشّيعة ان يذكرهم بسوء فى مجالس الائمةعليهم السلام يغضبون عليهم السلام، ويبالغون فى نفيه؛ ويقولون انّ هؤلاء أقاربنادعونامعهم لاتتعرضوا لهم بسوء من كلام خبيث وغيره ؛ فالذىصدرمن الحرّ على تقدير العلم منهمثل الذى صدر من هؤلاء مع انّ الائمةعليهم السلام قبلوا احالهم قبل التّوبة فكيف لو تابوا

الثانى ان المراد من الدين المأخوذ فى التّعريف انّما هو دين الاسلام على ما صرّحوا به لادين الشيعة فقط ؛ وذلك انّه لو كان المراد بالمرتدّ من انكرما علم ثبوته من دين الشّيعة ضرورة لكان مخالفونا كلّهم مرتدّين فى هذه الدنيا ؛ لأنّ كون على بن ابيطالب عليه السلام هو الخليفة الاوّل بالنّص والاستحقاق ممّا ثبت من دين الشّيعة ضرورة ، فكان يجب ان يحكم على عامّة أهل الخلاف بالارتداد والمصرح به من علمائنا بخلافه فى هذه الدنيا ، وامّا فى الاخرة فعذابهم أشدّ من المرتدّ و غيره ، وحينئذ منع الحسين عليه السلام عن الرجوع الى المدينة وان كان حراما الاّ انّه ليس ضروريّا من دين الاسلام ولا يقول مخالفونا بكفر مثل هذا ، نعم قالوا بكفر كلّ من خرج على إمام عادل وحاربه والحرّ فى وقت الحرب كان للإمام عليه السلام لا عليه ، فلم يصدق عليه من هذه الجهة ايضا

اسم الارتداد

الثالث انّ قولهم انّ المرتدّ الفطرى غير مقبول التّوبة لا نقبله على إطلاقه ، بل نقول انّ توبته مقبولة فيمابينه وبين الله تعالى كما صار اليه شيخنا الشّهيد الثانى طاب ثراه ، وحينئذ فلو لم يقدر على قتلـه او تأخّر قتله فتاب صحّت توبته و قبلت عباداته و معاملاته ؛ لكن لا تعود اليه زوجته بذلك ولاماله على مالا يخفى ، وامّا فيما بينه و بين الناس فبأن يقول انّ ذلك النّاس الذى ثبت عندهم إرتداده ان كان غير الامام لم يجزله العفو عنه بل وجب عليه قتله مع المكنة ، و ان كـان هو الامام كان مخيّرا بين قتله والعفو عنه ؛ كماعفى اميرالمؤمنين عليه السلام عن أهل البصرة وقبل توبة من تاب منهم ، مع انّهم كانوا مرتدّين عن الفطرة ، وكذلك قبل توبة من تاب من أهل النّهروان وصفّين وسائر حروبه وموارده مع صدق تعريف الارتداد عليهم بكلّ الوجوه : و من هذا أجاب مخالفونا بزعمهم عن كل ما أوردناه عليهم الاّ عن محاربة الصّحابة لأميرالمؤمنين عليه السلام فانّهم لم يقدروا عليه ، بل قالوا وامّا عن حرب الصّحابة فنسكت ، وبعضهم أحاله على علم الله تعالى القديم وانّه كان مقدّرا و علم الله بزعمهم هو علّة للمعلول ووقوعه، وآخرون قالوا انّهم تابوا بعد المحاربة الى غير ذلك من الخرافات الباردة والتّمويهات الفاسدة

الرابع قولهم انّ ارتداده قطعى وتوبته ظنّى (ظنيّة) لا يخفى مافيه، وذلك انّ كلّ خبر و اثر تضمّن خروجه على الحسين عليه السلام و منعه له عن الرجوع تضمّن توبته و قبول الحسين عليه السلام لها وانّه عليه السلام رثاه بأبيات من الشّعر وهى مشهورة،وفى كتب الاحاديث والسّير والتّواريخ مسطورة ، وقد ترحّم عليه بعد قتله ، و هذا متواتر نقله الخلف عن السّلف فى كلّ عصر و أوان بحيث لايمكن انكاره ، ولعمرك انّ الطّعن على الحرّ يؤل الى الطّعن على من قبل توبته وهومولانا الحسين عليه السلام ؛ وهذا هو الارتداد الظّاهر الذى لا يقبل التّوبة وأعاذنا الله وإيّاكم من الإقدام على مثله والجرأة عليه

ولقد حدثنى جماعة مـن الثّقات (١) انّ الشّاه اسمعيل لمّا ملك بغداد و أتى الى

(١) نقل شيخنا العلامة المامقانى (ره) فى تنقيح المقال قصة نبش الشاه اسماعيل*

مشهد الحسين عليه السلام وسمع من بعض الناس الطعن على الحر أتى الى قبره وأمر بنبشه ؛ فنبشوه فرأوه نايما كهيئته لما قتل؛ ورأوا على رأسه عصابة مشدودا بها رأسه ؛ فأراد الشاه نورالله ضريحه أخذ تلك العصابة لما نقل فى كتب السير والتواريخ ان تلك العصابة هى دسمال الحسين عليه السلام شد به رأس الحر لما أصيب فى تلك الواقعة ؛ و دفن على تلك الهيئة ، فلما حلوا تلك العصابة جرى الدم (دمه) من رأسه حتى امتلأ منه القبر فلما شدوا عليه تلك العصابة إنقطع الدم فلما حلوها جرى الدم ، وكلما أرادوا ان يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة لم يمكنهم ، فتبين لهم حسن حاله، فأمر فبنى على قبره بناء وعين له خادما يخدم قبره ؛ والذى يجود بنفسه فى ذلك الوقت الضيق ويقدم على القتل وعلى ان يفدى الحسين عليه السلام بنفسه لا شك فى أن حاله من أحسن الأحوال

الخامس ان الذى يظهر من هذه الأخبار المعتبرة الصحيحة كما قاله الشهيد الثانى عطر الله مرقده هو ان الارتداد كله قسم واحد وانه يستتاب صاحبه فان تاب و الا قتل ، وهذا مذهب ابن الجنيد طاب ثراه والاخبار باطلاقها او عمومها دالة عليه ولم يدل على المشهور من التفصيل سوى رواية عمار الساباطى وهى على ضعفها لاتقوم بتقييد الاخبار الصحيحة المتكثرة ، فيكون وقت منع الحر للحسين عليه السلام الى وقت رجوعه اليه هو زمن الاستتابة فتاب وقبلت توبته ، وبالجملة فالقول بأن توبة المرتد الفطرى غير مقبولة حتى بينه وبين الله تعالى مشكل جدا ، والله الهادى الى سواء السبيل

---

* رحمه الله قبر الحر بواسطة الحائرى عن هذا الكتاب وكتب فى الهامش بخطه الشريف عند قول المصنف (ره) : = هى دسمال = هذه كلمة اعجمية و قد كان الاولى ابدالها ونقل فى ترجمته عن الشيخ ابن نما (ره) فى مثير الاحزان ان الحر عند خروجه من الكوفة نودى من خلفه ابشر يا حر بالجنة فعجب من ذلك حيث لم يرخلفه احدا وروى ابن الجوزى فى التذكره انه قص ذلك على الحسين (ع) فقال له ذلك هو الخضر جاء مبشرا لك ثم قال قدس سره ومن سبر سيرته وآدابه مع الحسين (ع) يعلم صدق نيته وخلوص ايمانه حشرنا الله معه ومع اشباهه بحق الحسين (ع) و اقرانه (اه) راجع الى تنقيح المقال تجد تحقيقا حول ترجمة الحر (ره) وجلالة شأنه وان خروجه من اول الامر لم يكن لمحاربة الحسين (ع) ج ١ ص ٢٦١

(نور فی الفقر والزهد والتوكل)

الحمد لله الذی تسبّح له الرّمال ويسجد له الظّلال ؛ ويتدكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطّين اللازب و الصلصال ، وزيّن صورته بأحسن تقويم وأتمّ إعتدال ؛ وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضّلال ، و اذن له فی فرع باب الخدمة بالغدوّ والاصال ، ثمّ كحل بصيرة المخلص فی خدمته بنور العبرة حتی لاحظ بضيائه حضرة الجلال فلاح له من البهجة والفلاح والبهاء والكمال ما استقبح دون مبادی اشراقه كلّ حسن و جمال ، واستثقل ما صرفه عن مشاهدته و ملازمته غاية الاستثقال وتمثّل له ظاهر الدنيا فی صورة امرأة جميلة تميس و تختال ، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزی وضربت فی قالب النّكال ، وهی متلفّقة بجلبابها لتخفی قبائح أسرارها بلطايف السّحر والاحتيال ؛ وقد نصبت حبايلها فی مدارج الرجال فهی تقتنصهم بضروب المكر و الإغتيال ، ثمّ لا تجتری معهم بالخلف فی مواعيد الـوصال بل تقيّدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال ، وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال ، فلمّا انكشف للعارفين منها قبايح الأسرار و الأفعال زهدوا فيما زهد المبغض لها ؛ فتركوا التّفاخر والتّكاثر بالأموال ، و أقبلوا بكنه هممهم علی حضرة الجلال منها بوصال ليس له انفصال ؛ و مشاهدة أبديّة لا يعتريها فناء ولازوال ، والصلاة علی سيّدنا محمد سند الأنبياء وعلی آله وخير آل

امّا بعد فانّ الدنيا عدوّة الله تعالی بغرورها ضلّ من ضلّ ، وبمكرها زلّ من زلّ ، فحبّها رأس الخطيئات والسّيئات ؛ وبغضها أمّ الطّاعات ورأس القربات ، وقد قدّمنا الكلام فی بيان معناها والان نتكلّم فی تحقيق هذه الامور الثلاثة

امّا الفقر فهو عبارة عن إنزواء الدنيا عن العبد ، وامّا الزهد فهو انزواء العبد عن الدنيا ، وامّا التوكّل فهو تفويض العبد أموره الی مولاه بعد ان فعل ما أوجب عليه من الأسباب ، وذلك كقول الصادق عليه السلام التوكّل أن تعقل بعيرك ثمّ تقول توكّلت علی الله في حفظه ، يعنی لا يكون اعتمادك في حفظه علي العقال ، فكم من جمل قد سرق

بعقاله، ولا تترك العقال اعتمادا على التوكّل فانّ العقال جزء من مفهوم التوكّل و من أكمل شروطه؛ فأمّا الفقر فهو فقد ما هومحتاج اليه، فأمّا فقد مالاحاجة اليه فلا يسمّى فقرا ، فدلّك هذا على انّ ما سوى الله فهو فقير لإحتياجه اليه فى دوام الوجود؛ فالغنىّ المطلق ليس الاّ هوتعالى شأنه؛ والذى أردنا بيانه هنا هو الاحتياج الى المال و فاقده يدورعلى خمسة احوال :

الاولى و هى العليا ان يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذّى به وهرب من أخذه مبعضاله ، وهذا هو الزهد ، الثانية ان يكون بحيث لا يرغَب فيه ولا يكرهه وهذا هو الرضا ، الثالثة ان يكون وجود المال أحبّ اليه من عدمه لرغبته له فيه و لكن لم تبلغ رغبته لأن ينهض بل ان أتاه من غير طلب أخذه ، وهذا يسمّى قانعا اذْ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطّلب

الرابعة ان يكون تركه للطّلب لعجزه و الاّ فهوراغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتّعب لطلبه؛ و صاحب هذه الحالة يسمّى الحريص ، الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرّا اليه كالجايع الفاقد للخبز؛ ويسمّى هذه الحالة مضطرّا

فأعلى هذه الأحوال هوالزهد ، نعم اذا أنضم الزهد الى الإضطرار كان هو الاعلى؛ وفوق هذه الحالات كلّها حالة أخرى أعلى من الزهد : و هى ان يستوى عنده وجود المال وفقده ، وتسمّى هذه الحالة غناء النّفس وهى الّتى أشار اليها المسيح عليه السلام بقوله خادمى يداى، ودابتّى رجلاى ، وفراشى الارض ووسادى الحجر ، ودفئى فى الشّتاء مشارق الارض و سراجى باللّيل القمر ، وإدامى الجوع ، وشعارى الخوف ، ولباسى الصّوف ، و فاكهتى وريحانتى ما أنبتت الارض للوحوش والأنعام ، أبيت وليس لى شىء؛ وأصبح و ليس لى شىء ، و ليس على وجه الأرض أحد أغنى منّى ، والزهد الذى هو أعلى درجة الأبرار ذنب بالنّسبة الى صاحب هذه المرتبة السّادسة ، لقول صلى الله عليه وآله حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين

وقد حقّق هذا المعنى بعض ارباب القلوب بأنّ الكاره للدنيا وهي درجة الزهد

مشغول بكراهتها كما انّ الراغب فيها مشغول بها ، والشّغل بما سوى الله حجاب عنه ، لأنّه لا حجاب بينك و بينه سوى شغلك بغيره ؛ كما قال ﷺ يا من كان الحاجب للعباد عنه هم العباد ، يعنى به انّ الحاجب للعباد عن الله سبحانه هو أنفسهم وما اقترفوه من المعاصى وأتوابه من الشّغل بغيره ؛ فبكل مشغول عن الله بغيره سواء كان بحبّ الدنيا اوببغضها يكون ذلك الشّاغل حاجبا له عن ذلك الجناب ، ومثاله مثال الرقيب الحاضر فى مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان إلتفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله فهو فى حالة إشتغال قلبه مصروف عن التّلذّذ بمشاهدة معشوقه ؛ ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه ، فكما انّ النّظر الى غير المعشوق لحبّه عند حضور المعشوق شرك فى العشق و نقص فيه فكذا النّظر الى غير المحبوب لبغضه شرك فيه و نقص ، ولكن أحد هما أخفّ من الاخر ، بل الكمال فى ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب ؛ بغضا و حبّا ، فانّه كما لايجتمع فى القلب حبّان فى حالة واحدة فلا يجتمع ايضا بغض وحبّ فى حالة واحدة؛ فالمشغول ببغض الدّنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبّها إلاّ أنّ المشغول بحبها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق البعد والمشغول ببغضها غافل لكنّه سالك طريق القرب، فالكمال له متوقع؛ ومثالهما كرجلين فى طريق الحجّ مشغولين بعلف النّاقة وركوبها لكن أحدهما مستقبل القبلة والاخر مستدبرها ، فكلاهما محجوب عن الكعبة الاّ انّ الاول يرجى له الوصول بخلاف الثانى فالاوّل حاله محمودة بالنّظر إلى الثانى وان كانت ناقصة بالنسبة الى من هو مقيم على الإعتكاف فى الكعبة، ولذلك قيل من زهد فى الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة ، فظهر من هذا كلّه انّ الزهد الذى هو عدم الرغبة فى الدنيا كمال بالاضافة الى الراضى والقانع والحريص نقصان بالنسبة الى غناء النّفس

واعلم انّ اسم الفقير يطلق على المراتب الخمس الاولى ؛ وأمّا السّادسة فان اطلق عليها إسم الفقير فانّما يراد به الفقر الى الله سبحانه لأنّه معنى من معانى الفقير ، و حينئذ فلا منافاة بين قوله ﷺ اللّهمّ انّي اعوذبك من الفقر ، وقوله كاد الفقر ان

يكون كفرا ؛ وبين قوله اللّهمّ أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين اذ فقر المضطر هو الذى إستعاذ منه ، و الافتقار الى الله عزّ و جلّ هو الذّى سأله ، فلا منافاة

أقول والأولى فى رفع المنافاة التّفريع على ما سبق ؛ وهو انّ من درجات الفقر واطلاقاته وحالاته الإضطرار وهوشدّة الاحتياج الى مايحتاج اليه من الأموال والمعايش ومنه ايضا درجة الرضا ؛ و هو كما عرفت ان يكون بحيث لا يرغب منه ولا يكرهه ، فيكون كلّ واحد من الحديثين منزّلا على درجة من درجات الفقر

امّا حديث الاستعاذة من الفقر فهومنزل على درجة الاضطرار ، فانّ الانسان ربّما لم يقدر معها على القيام بوظائف العبودية كما تقدّم من انّه صلى الله عليه وآله جاع فى بعض أوقاته فاضطجع على قفاه ولم يتمكّن من القيام للصلاة ، فكان يقول اللّهمّ انّى أعوذبك من جوع يضجعنى على الفراش وينسينى ذكرك ، وهذا المعنى هو المراد من قول مولانا امير المؤمنين عليه السلام صارعت كلّ شىء فغلبته ، وصار عنى الفقر فغلبنى

و روى انّه جاء أعرابىّ الى امير المؤمنين عليه السلام فقال انّى مأخوذ بثلاث علل : علّة النّفس ، وعلّة الفقر ، وعلّة الجهل ، فأجابه إمير المؤمنين عليه السلام وقال يا اخا العرب علّة النّفس تعرض على الطّبيب ، وعلّة الجهل تعرض على العالم ؛ و علّة الفقر تعرض على الكريم ؛ فقال الأعرابى يا امير المؤمنين انت الكريم و انت العالم وانت الطّبيب ؛ فأمر له امير المؤمنين عليه السلام بأن يعطى من بيت المال ثلثة آلاف درهم ، و قال تنفق ألفا بعلّة النّفس ، وألفا بعلّة الجهل ، ألفا بعلّة الفقر

و امّا الدرجة الّتى طلبها صلى الله عليه وآله فهى درجة القناعة والرّضا المشار اليها بقوله صلى الله عليه وآله اللّهمّ ارزق آل محمّد الكفاف ، وقوله اللّهمّ لا تعطنى قليلا فأشقى ولا كثيرا فأطغى والشّقاهنا بمعنى التّعب من باب قوله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، نزلت بعد ان كان يصلّى عليه السلام كلّ اللّيل فورمت قدماه وتعب من جهة العبادة ، وهو المراد ايضا من قوله عليه السلام اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ، و اذا رايت الغنى

مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته، وانا لله وانا اليه راجعون

ومن هذا الباب ما رواه شيخنا الكلينى (ره) عن النوفلى (ره) رفعه الى علىّ بن الحسين عليه السلام قال مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله براعى ابل، فبعث يستسقيه، فقال أمّا ما فى ضروعها فصبوح الحى، وامّا ما فى آنيتها فغبوقهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللّهم اكثر ماله وولده ثمّ مرّ براعى غنم فبعث اليه يستسقيه، فحلب له ما فى ضروعها و اكفأ ما فى إنائه فى إناء رسول الله صلى الله عليه وآله وبعث اليه بشاة؛ فقال هذا ما عندنا و ان احببت ان نزيدك زدناك، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللّهم ارزقه الكفاف، فقال له بعض أصحابه يا رسول الله دعوت للذى ردّك بدعاء عامّتنا نحبّه و دعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قلّ و كفى خير من ما كثر و ألهى، اللّهم ارزق محمدا و آل محمّد الكفاف

وروى عن عمران بن حصين انّه قال كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وآله منزلة وجاه فقال يا عمران انّ لك عندنا منزلة و جاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت نعم بأبى انت وامى يا رسول الله؛ فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة عليها السلام فقرع الباب وقال السلام عليكم أدخل، فقالت فاطمة أدخل يا رسول الله؛ قال انا ومن معى؟ قالت ومن معك يا رسول الله؟ قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيّا ما علىّ الّا عباءة قال اصنعى بها هكذا و هكذا أشار بيده؛ فقالت هذا جسدى قدواريته فكيف برأسى؟ فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدّى بها على رأسك، ثم اذنت له، فدخل فقال السّلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت؟ قالت اصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى انّى لست أقدر على طعام آكله فقد أضرّ بى الجوع، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله و قال لا تجزعى يا بنتاه والله ما ذقت طعاما منذ ثلث، وانّى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكنى آثرت الاخرة على الدنيا، ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله انّك لسيّدة نساء اهل الجنّة، قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد؟ قال آسية سيّدة نساء عالمها، ومريم، سيّدة نساء عالمها، وخديجة سيدة

نساء عالمها ، وأنت سيّدة نساء عالمك انكنّ فى بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ولا نصب ، ثم ؛ قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيّدا فى الدنيا وسيّدا فى الاخرة

روى هذا الحديث الغزالى وغيره؛ ومع هذا ذهبوا الى انّ عايشة أفضل من فاطمة عليها السلام ، وهذا ليس بأول قارورة كسرت فى الاسلام

وعن ابى الدّرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يدخل فقراء المسلمين الجنّة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى انّ الرجل من الاغنياء يدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج، وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه ان يقبلها وطلب اليه الرجل ؛ فقال أتريد ان امحو إسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف لا أفعل ، و قال ابو الدّرداء ما من احد الاّ وفى عقله نقص ؛ وذلك انه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظلّ فرحا مسرورا ، واللّيل والنّهار دائبان فى هدم عمره ثمّ لا يحزنه ذلك ، ويح ابن آدم ماينفعه مال يزيد وعمر ينقص ، ويصدّق هذا انّ الرجل اذا كان له عند أحد دين او عطاء مقرّر و يكون موزّعا على الشهور كيف تراه يحبّ يقضى الأشهر والسّنون حتى يحلّ وقت الدين والعطاء مع انّ ما يذهب من عمره لم يرجع اليه أبدا، مفقود المال يمكن رجوعه فهذا ايضا من نقصان العقل

وقال الحسن عليه السلام لعن الله أقواما أقسم الله عزّ وجل لهم ثمّ لم يصدقوه ثمّ قرأ و فى السماء رزقكم وما توعدون فو ربّ السّماء والأرض ، و كان ابوذر رضى الله عنه يوما جالسا فأتته امرأته ، فقالت له تجلس بين هؤلاء والله ما فى البيت هفّة ولا سفّة (١) فقال يا هذه انّ بين ايدينا عقبة كؤدا لا ينجوا منها الاّ كلّ مخفّ ، فرجعت وهى راضية ، و يروى انّ الله عزّ وجلّ قال فى بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الاّ القوت فاذا انا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن اليك

وعن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انّى رسول

---

(١) يقال : مافى بيتك هفة ولاسفة اى لا مشروب فى بيتك ولا ماكول

الفقراء اليك ، فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبّهم ، قال قالوا يا رسول الله انّ الأغنياء ذهبوا بالحسنة يحجّون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ، فقال النّبى ﷺ بلّغ عنّى الفقراء انّ لمن صبر و احتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فانّ فى الجنّة غرفا ينظر اليها اهل الجنّة كما ينظر اهل الأرض الى نجوم السّماء لا يدخلها الاّ نبى فقيرا وشهيد فقير ، اومؤمن فقير ، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم و هو خمسمائة عام ؛ الثالثة اذا قال الغنى سبحان الله والحمدلله ولا اله الاّ الله والله اكبر ؛ و قال الفقير مثل ذلك ام يلحق الغنى بالفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم ؛ و كذلك أعمال البرّ كلّها ؛ فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا

فـان قلت كيف فضل تسبيح الفقراء على تسبيح الأغنياء مع انّ كلاّ منهما طاعة له تعالى كما هو المفروض وليس فى أحدهما رياء ، قلت الجواب عن هذا من وجوه

الأول انّ أفضل أفراد الغنى هوالذى ينفق فى سبيل الله تعالى واجباته ومتسحبّاته و مع هذا فصاحبه فى أمن من الدّنيا مستشعرا راحة بذله و هـو ممّا يورث الأنس بهذا العالم والوحشة من الاخرة ؛ وبقدر ما يستأنس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة لأنّهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تقرب من أحدهما تبعّد من الاخر ؛ ومهما إنقطعت أسباب الانس بالدنيا تجافى القلوب عن الدنيا وزهرتها؛ والقلب اذا تجافى عمّا سوى الله عزّ وجل وكان مؤمنا بالله إنصرف لامحالة الى الله ، اذ لا يتصوّر قلب فارغ ، وليس فى الوجود الاّ الله ، فمن أقبل على غيره تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ؛ فالغنىّ قلبه مشغول بماله ومحبّته كامنة فيه كمون النار فى الأحجار ، فعلاقة الفقير و أنسه بالدنيا أضعف و بقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته و عباداتـه ، فانّ حركات اللّسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكّد بها الانس بالمذكور ، فلايكون تأثيره فى إثارة الانس فى قلب فارغ من غير المذكور كتأثيره فى قلب مشغول ، و لذلك قيل مثل من تعبّد فى طلب الدنيا مثل من يطفى النار بالحلفاء ، ومثل من يغسل يده من الغمر بالسّمك ومن دخل

السوق فراى شيئا يشتهيه فصبر و احتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله عز وجل

الثانى انّ داعى الفقير الى العبادة غايب و داعى الغنىّ حاضر لأنّ من دواعيه الى العبادة إتمام النعمة عليه فهو ناظر الى قوله تعالى ولئن شكرتم لأزيدنّكم؛ فداعى الغنى الذى ينشطه على العبادة حاضر موجود بخلاف الفقير فانّه لاداعى له كذلك ، فاعتماده على غايب دليل على قوّة ايمانه و وفور إخلاصه

الثالث انّ مثل الفقير العابد والغنىّ العابد مثل مولى له مملوكان فخلع على احدهما و كساه ولم يخلع على الاخر ولم يكسه و كلاهما مشغول بخدمته ؛ فلا ريب ان خدمة ذلك العبد الذى لم يخلع عليه ولم يعطه شيئا كثيرا أقبل عند أهل العقل والكمال من خدمة الاخر ؛ وهذا الوجه فى الحقيقة يرجع الى الوجهين الاوّلين

ولنرجع الى الكلام الاوّل فنقول: للفقير قانون شرعىّ فى باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ، امّا الباطن فأن لا يكون فيه كراهة لما أورده الله سبحانه عليه من الفقر يعنى لا يكون كارها له من حيث انّه فعل الله سبحانه ، و ان كان كارها له من حيث التألّم به و ذلك كالحجّام فانّ المحجوم وان كان كره فعله من حيث الالم لكن من حيث انّه فعل الحجّام مراد له ، ويرى انّ للحجّام المنّة عليه بذلك ؛ وهذا المعنى واجب و نقيضه حرام محبط للأجر ، و الى هذا الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم ، و الاّ فلا ؛ وأرفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به ، وأعلى منهما ان يكون طالبا لعلمه بغوائل الغنى

و روى من على عليه السلام انّ لله تعالى عقوبات و مثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه و يطيع به ربّه ولا يشكو حاله و يشكر الله تعالى على فقره ، ومن علامة ان يكون عقوبة ان يسوء عليه خلقه و يعصى ربّه ويكثر الشكاية ، و يتسخّط القضاء ، وهذا يدلّ على انّ الفقر المحمود ذلك الفرد اذ قيل ما أعطى عبد شيئا من الدنيا الاّ قيل له خذه على ثلاثه أثلاث : شغل ، وهمّ ، وطول حساب

واما الظاهر فبأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الفقر والشكوى ؛ ففي الحديث انّ الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال ، و اذا أراد اظهاره فلايظهر الا لأخ في الايمان لأنّ الشكوى اليه ربّما ترتّب عليها بعض الفوايد، ولابدّمن شكوى الى ذي صبابة يواسيك اويسلّيك او يتوجع ، ولأنّ المحن وزحمات القلوب ربّما كان القلب لايطيق تحمّلها كما لا يطيق تحمّل غيرها

روى عن جابر بن يزيد الجعفي قال حدّثني ابوجعفر عليه السلام سبعين ألف حديث لم أحدّث بها أحدا و لن أحدّث بها أحدا ابدا ، قال جابر قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك انّك قد حملتني وقرا عظيما بما حدّثتني به من سرّكم الذي لا أحدّث به أحدا فربّما جاش في صدري حتى يأخذني منه شبه الجنون ، قال يا جابر اذا كان كذلك فاخرج الى الجبّانة فاحفر حفيرة و دلّ رأسك فيها ثم قل حدّثني محمد بن علي بكذا وكذا ؛ فانّ الارض تحمل حديثنا ، فاذا كانت القلوب لا تطيق حمل العلوم مع كونها لذة محضة فكيف تطيق حمل أثقال الهموم والغموم الّتي صرعت مثل امير المؤمنين عليه السلام في قوله عليه السلام صار عني الفقر فغلبني (١)

روى اخطب خوارزم انّ أعرابيا جاء الى الحسين عليه السلام وقال يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائه فقلت في نفسي أسأل اكرم الناس، و ما رأيت اكرم من أهل بيت رسول الله ؛ فقال الحسين عليه السلام يا أخا العرب أسئلك عن ثلث مسائل فان اجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال ، وان أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال ، و ان أجبت عن الكلّ أعطيتك الكلّ ، فقال الأعرابي يا ابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي وانت من أهل بيت العلم والشرف ، فقال الحسين عليه السلام بلى سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول المعروف بقدر المعرفة ؛ فقال الأعرابي سل عمّا بدالك فان اجبت والا تعلّمته

---

(١) ينسب الى اميرالمؤمنين (ع) قوله :

صارعت كل كريهة فغلبتها والفقر صارعني فاصبح غالبي

ان اخفه يقتل ان أبده يفضح فياتعساً لـه من صاحب

منك ، ولا قوة الا بالله ، فقال الحسين عليه السلام فما النجاة عن المهلكة ؟ فقال الأعرابى الثقة بالله ؛ فقال الحسين عليه السلام فما يزين الرجل ؟ فقال الأعرابى علم معه حلم ، فقال فان أخطأ ذلك ، فقال مال معه مبرة ، فقال فان اخطأ ذلك فقال فقر معه صبر ، فقال الحسين عليه السلام فان اخطأ ذلك ، فقال الأعرابى فصاعقة تنزل من السماء و تحرقه فانه اهل لذاك ، فضحك الحسين عليه السلام ورمى اليه بصرة فيها ألف دينار ؛ وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته ما تتا درهم ، وقال يا أعرابى اعط الذهب الى غرمائك واصرف الخاتم فى نفقتك فأخذ الأعرابى وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته

و اما فى مخالطته فبأن لا يتواضع لغنى لأجل غناه بل يتكبر عليه لأجله ؛ روى عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام انه قال ماأحسن تواضع الغنى للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه(١) الفقير على الغنى ثقة بالله عز و جل ، فهذه رتبة و أدون منها ان لا يرغب فى مخالطة الأغنياء لأن ذلك من مبادى الطمع، قال بعضهم واذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم انه مرآء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص

و اما فى أفعاله فبأن لا يفتر عن العبادات بسبب الفقر ولا يمتنع عن التصدق الممكن ، ففى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله درهم من الصدقة أفضل عندالله تعالى من مائة ألف درهم ، قيل و كيف يا رسول الله ؟ فقال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها وأخرج رجل درهما لا يملك غيرهما طيبة به نفسه ؛ فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة الف ، وقد تقدمت الرواية فى ذلك الفقير الذى حمل الى النبى صلى الله عليه وآله تمرة واحدة فوضعها على تمور الصدقة ؛ فأنزل الله سبحانه قرآنا فى مدائحه

وينبغى ان لا يدخره مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقى و الادخار على ثلاث مراتب ؛ احدهما ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهى درجة الصديقين ، والثانية ان يدخر لأ ربعين يوما لأن مازاد داخل فى طول الأمل كما فهمه العلماء من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام وهذه رتبة المتقين : والثالثة ان يدخر لسنة و هى رتبة الصالحين ، قال الصادق

---

(١) تاه تيها تكبر

عليه السلام انّ النّفس اذا أحرزت قوت سنتها إستقرّت وما زاد على ذلك فهو همّ وغمّ وخروج من الوثوق بفضل الله سبحانه

وامّا آداب الفقير فى قبوله للعطاه بغير سؤال فهو ثلثة ايضا ، الاول لا يلاحظ الفقير نفس المال وهو كونه حلالا خاليا عن الشّبهات فانّ البعد عن الشّبهات درجة الصالحين ، الثانى ان يلاحظ غرض المعطى وهو اما ان تطيب قلب الفقير وطلب محبّته و هو الهدية، او الثواب و الصّدقة و الزكوة او الذكر والرّيا والسّمعة امّا على التّجرد او ممزوجا ببقيّة الأغراض ، امّا الاول وهو الهدية فلابأس بقبولها فانّ قبولها سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله : ولكن ينبغى ان لا يكون فيها منّة ؛ فان علم انّ بعضها ممّا يعظم فيه المنّة فليردّ البعض دون البعض

فقد أهدى الى النّبى صلى الله عليه وآله سمن وأقط و كبش ، فقبل السّمن والاقط وردّ الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويردّ على بعض ، حتى قال لقد هممت ان لا اتّهب الاّ من قرشى او ثقفى اودوسى ، وامّا اذا كان غرض المعطى الثواب المجرّد كصدقة اوزكوة فعلى الفقير ان ينظر فى صفات نفسه انه هل هو من اهل الاستحقاق لها أم لا ، وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه ولظاهره من الصّلاح فلينظر هو الى باطن نفسه فان كان مقارفا (متقيا) لمعصية فى السرّ ويعلم انّ المعطى لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرّب الى الله تعالى بالتّصدّق عليه فهذا حرام كما قيل ، و ذلك كما لوا عطى هو لظنّه انه عالم او علوىّ ولم يكن فانّ أخذه لا شك فى حرمته ، وقد يكون غرض المعطى الشّهرة والرياء فينبغى للفقير ان لا يأخذه لئلاّ يكون معينا له على ذلك الغرض الفاسد ، وعوتب بعضهم فى ردّ ما كان يأتيه من صلة ؛ فقال انّما أردّ صلتهم إشفاقا ونصحالهم، لأنّهم يذكرون ذلك ويحبّون ان يعلم به ، فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم ؛ فاذا علم الفقير هذه الامور و خلوّ ذلك المال منها فليأخذ ما أعطوه ؛ كما روى عنه صلى الله عليه وآله قال ما المعطى من سعة بأعظم أجرا من الاخذ اذا كان محتاجا ، و من أتاه شىء من هذا المال من غير مسئلة ولا إستشراف فانّما هو رزق ساقه الله اليه

و قال الصادق عليه السلام تارك أخذ الزكوة وقد وجبت له كتارك دفعها وقد وجبت عليه ، و قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا حقّ لابن آدم الاّ فى ثلاث : طعام يقيم صلبه و ثوب يوارى عورته ؛ وبيت يكنّه ، فمازاد فهو حساب ؛ فاذا انت فى أخذ الحاجة من هذه الثلث مثاب ، و فيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرّض و ان عصيت الله تعالى فأنت متعرّض للعذاب

و اعلم انّ السّؤال من غير حاجة ممّا لا يبعد القول بتحريمه لأنّه لاينفكّ عن ثلاثة أمور محرّمة : الأوّل إظهار الشّكوى من الله تعالى كما انّ العبد المملوك لوسأل لكان سؤاله تشنيعا على سيّده فكذا سؤال العبد تشنيع على الله تعالى ؛ وهذا ينبغى ان يحرم ولا يحلّ الاّ لضرورة كالميتة ، و الثانى انّ فيه إذلال السائل نفسه لغير مولاه و ليس للمولى ان يذلّ نفسه الاّ لله الاّ لضرورة ؛ و كان الباقر عليه السلام اذا أعطى الفقراء أعطاهم من تحت حجاب فقيل له فى ذلك فقال لئلاّ أرى ذلّ السّؤال فى وجوه السائلين

وقال الصادق عليه السلام انّ امير المؤمنين عليه السلام بعث الى رجل خمسة أو ساق من تمر وكان ذلك الرجل ممّن يرجى رفده وكان لا يسأل عليّا عليه السلام ولاغيره شيئا ، فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام والله ما سألك فلان شيئا و لكان يجزيه من الخمسة الاوساق وسق واحد ، فقال له امير المؤمنين عليه السلام لا كثّر الله فى المؤمنين مثلك ، أعطى أنا و تبخل أنت به ، اذا انا لم اعط الذى يرجونى الاّ من بعد مسئلتى ثمّ أعطيته بعد المسئلة فلم أعط الاّ ثمن ما اخذت منه ، وذلك لأنّى عرضته لأن يبذل لى وجهه الذى يعفره فى التراب لربّى و ربّه عزّ وجل عند تعبّده له ، وطلب حوايجه اليه فمن فعل هذا بأخيه المسلم و قد عرف انّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدق الله عزّ وجل فى دعائه له حيث يتمنّى له الجنّة بلسانه و يبخل عليه بالحطام من ماله ، و ذلك انّ العبد قد يقول اللّهمّ اغفر للمؤمنين و المؤمنات فاذا دعى له بالمغفرة فقد طلب له الجنّة فما انصف من فعل هذا بالقول ولم يحقّقه با لفعل

وروي صاحب كشف الغمّة انّ رجلا جاء الي الحسن عليه السلام و سأله حاجة فقال

له يا هذا حق سؤالك يعظم لدىّ ومعرفتى بما يجب لك تكبر لدىّ ، ويدى تعجز عن نيلك بما انت اهله ، والكثير فى ذات الله عزّ وجل قليل، وما فى ملكى وفاء لشكرك ، فان قبلت الميسور و رفعت عنّى معونة الاهتمام لما أتكلّفه من واجبك فعلت ، فقال يا ابن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطيّة وأعذر على المنع ؛ فدعا الحسن عليه‌السلام بوكيله و جعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، فقال هات الفاضل من الثلثمائة ألف درهم فأحضر خمسين الفا ؛ قال فما فعل الخمسمائة دينار؟ قال هى عندى قال أحضرها ؛ فأحضرها فدفع الدّراهم والدّنانير الى الرّجل ، وقال هات من يحملها فأتاه بحمّالين فدفع الحسن عليه‌السلام اليه رداءه لكرى الحمّالين، فقال مواليه ماعندنادرهم ، فقال لكنّى أرجوان يكون لى عندالله أجر عظيم

و روى ايضا عن المداينى قال خرج الحسن و الحسين عليهما‌السلام و عبدالله بن جعفر حجّاجا ففاتهم اثقالهم ؛ فجاعوا و عطشوا فمرّوا بعجوز ، فقالوا هل من شراب ؟ قالت نعم ؛ فأناخوا وليس لها الاّ شويهة فى كسر الخيمة ؛ فقالت احلبوها و امتذقوا لبنها ، ففعلوا ذلك و قالوا لها هل من طعام؟ قالت لا الاّ هذه الشّاة فليذبحها أحدكم حتّى أهيّء لكم شيئا تأكلون ، فذبحوها فهيّأت لهم طعاما فأكلوه ؛ فلمّا ارتحلوا قالوانحن نفر من قريش نريد هذا الوجه ، فاذا رجعنا سالمين فالمّى بنا فانّا صانعون اليك خيرا ثمّ ارتحلوا فأقبل زوجها فغضب على صنعها ، ثمّ بعد مدة ألجأتهم الحاجة الى دخول المدينة ، فجعلا يبيعان البعر و يعيشان منه فمرّت العجوز فى بعض سكك المدينة فاذا الحسن عليه‌السلام على باب داره جالس ، فعرف العجوز وهى له منكرة ، فبعث غلامه فردّها ، فقال يا أمة الله تعرفينى؟ قالت لا، قال اناضيفك يوم كذا ، فقالت العجوز بأبى أنت و امّى فأمر الحسن عليه‌السلام فاشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بألف دينار وبعثمعها غلامه الى اخيه الحسين عليه‌السلام ، فقال لها بكم وصلك اخى الحسن؟ فقالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها بمثل ذلك ؛ ثم بعث بها مع غلامه الى عبدالله بن جعفر ، فقال بكم وصلك الحسن والحسين عليهما‌السلام ؟ فقالت بألفى دينار وألفى شاة فأمر لها عبدالله بألفى شاة وألفى دينار ،

وقال لوبدأ بی لأ تعبتهما فرجعت العجوز الی زوجها بذلك

وفی بعض كتب العربيّة ان شاعرا أتی معن بن زايدة و هو فی قصر أمارته فلم يجد اليه سبيلا، فرأی نهرا يجری الی داخل القصر؛ فكتب هذا البيت بقرطاسة و وضعها علی خشبة و سيرها الماء حتّی أدخلها القصر؛ فاتّفق انّ معنا كان جالسا علی شاطیء النّهر فرای الخشبة وعليها القرطاسة ، فأخذها وقرأما فيها وهو:

أياجود معن ناج معنابحا جتی فليس الی معن سواك شفيع

فخرج من قصره و استدعاه فأتی به فقال انت الذی كتبت هذا الشّعر ؟ فقال فقال نعم ، فأمر له بمائة الف درهم ؛ فأخذها ومضی الی الخان ، فلمّا كان اليوم الثانی طلبه واخرج القرطاسة وقرأ ذلك الشّعر وأمر له بمائة ألف درهم، وبقی علی هذا الحال خمسة ايّام ، ثمّ ان ذلك الشاعر خاف من ندامته علی الدّراهم فأخذها ومضی بها من البلد فطلبه اليوم السادس ، فقيل له انّه سافر ، فقال والله انّ طالع خزانتی أقوی من طالعه فوالله لو بقی فی البلدلأعطيته كلّ درهم و دينار فی خزانتی ؛ فانظر الی هذه السّخاوة الجيّدة

الامر الثالث فی السّؤال انّه لا ينفك عن ايذاء المسئول غالبا ؛ لأنّه ربّما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب منه فان بذل حياء من السائل ورياء فلعلّه يكون حراما علی الأخذ ، وان منع ربّما استحی من المنع اذيری نفسه فی صورة البخلاء ، ففی البذل نقصان ماله وفی المنع نقصان جاهه و كلاهما موذيان والسائل هو السّبب فی الايذاء و الايذاء حرام الاّ لضرورة ، وقد اتّضح بهذه الامور الثلثة معنی قوله ﷺ مسئلةالناس من الفواحش ما أحلّ من الفواحش غيرها فسمّاها فاحشة ، ولا شكّ انّ الفاحشة انّما تباح عند الضرورة فقط

وقال ﷺ من سأل عن غنی فانّما يستكثر من جمر جهنم، ومن سأل وله مايغنيه جاء يوم القيمة و وجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم ، وما احسن قول بعض العارفين بأنّ الفقير اذا أخذ مع علمه بأنّ باعث المعطی هوالحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما

ابتدأه به يكون ذلك الأخذ حراما بلاخلاف فيه بين الامّة ، و حكمه حكم الأخذ من غيره بالضّرب اذ لا فرق بين أن يضرب جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام ، و ضرب الباطن أشدّ نكاية فى قلوب العقلا ؛ ولا يجوز أن يقال هو فى الظاهر رضى به و مدار الاحكام الشّرعية على الظّواهر، لأنّ الفرق بين الصّورتين ظاهر لا يخفى، نعم الاطّلاع على البواطن عسر جدّا لأنّ السّائل ربّما ظنّ انّ المعطى راض وهو غير راض ، ومن جهة هذا ترك المتّقون السّؤال رأسا ؛ ولكن قرائن الأحوال ربّما اطلّعت السائل على بواطن بعض الناس دون بعض ، فاذا احتاج الى السّؤال فلا يسأل الاّ من قامت له القرينة على حسن باطنه وان عطاءه خال من الامور ، امّا اذا علم السّائل اوالوالى بأنّ المعطى انّما أعطاه لفقره أولاضطراره الشّديد كأن لايجد طعام ليلة او اكثر او اقل و كان عنده أزيد ممّا ظنّ به المعطى وأعطاه لتلك الحالة فقد جزم اهل التّحقيق بأنّ ذلك الطّعام او المال حرام على السّائل و يجب عليه او على الوالى أن يرجعه الى اهله ، فان لم يعرفوا تصدّق لهم به على المساكين او صرفه فى وجه من وجوه مصالح المسلمين ، و ينزّل أخذ السّائل مع اظهار الحاجة كاذبا كأخذ العلوىّ بقوله انّى علوىّ وهو كاذب ؛ فانّه لا يملك ما يأخذ ، و كأخذ الصّوفى والصّالح الذى يعطى لصلاحه وهو فى الباطن يقارف معصية لو عرفها المعطى ما أعطاه

وامّا الشّىء الذى يطلبه السّائل فهو دائر بين احوال أربعة امّا ان يكون مضطرّا اليه او محتاجا اليه حاجة شديدة او خفيفة اولاحاجة به اليه، امّا المضطرّ اليه كسؤال الجايع عند الخوف على نفسه فهو واجب الاّ ان يكون قادرا على الكسب و هو غير مشغول بتحصيل العلم بحيث يستغرق وقته فيه، وامّا الذى لاحاجة به الى السّؤال فسؤاله حرام قطعا ، وامّا شدّة الاحتياج كمن له جبّة ولا قميص له تحتها فى الشّتاء وهو يتأذّى بالبرد لكن لا يبلغ تأذيه الضرر فهنا الاولى ترك السّؤال ، و اذا سأل هذا ينبغى له الصّدق فى سؤاله كأن يقول ليس تحت جبّتى قميص والبرد يؤذينى وأنا أطيقه ولكن يشقّ علىّ

واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا يلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس ، ومن يسأل الإدام وهو قادر على الخبز، او ان يسئل كراء الفرس فى الطريق وهو قادر على كراء الحمار فقد قيل ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام ، و ان لم يكن و كان فيه شيء من المحذورات الثلثة من الشكوى او الذل او ايذاء المسئول فهو حرام ؛ لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن يباح بها مثل هذه المحذورات ، و ان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة

فان قلت كيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات ؟ قلت ذكر له بعض أهل السلوك طريقا : و حاصله ان دفع الشكوى ان يظهر الشكر لله عند السؤال و والإستغناء عن الخلق فلا يسأل سؤال محتاج و لكن يقول انا مستغن بما أملكه و لكن نفسى تطالبنى بهذا ؛ فيخرج به عن حد الشكوى ، وأما الخروج عن الذل فبأن يسأل شخصا لاينقصه ذلك فى عينه ولايحتقره بسبب سؤاله ، واما ايذاء المسئول فسبيل الخروج عنه هو ان لا يعين شخصا حين السؤال بل يلقى الكلام مجملا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة و اما اذا سأل معينا فينبغى ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان أراد ؛ فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك دليل على رغبته به وينبغى للسائل ان يسأل من لا يستحى منه لورده او تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذى

اذا عرفت هذا فاعلم انه قد سبق فى الخبر تحريم السؤال عن ظهر غنى فما حد الغنى؟ وتحديده لايخلو من اشكال لاختلاف الأخبار ، فقد ورد فى الحديث استغنوا بغناء الله تعالى ، قالوا وماهو؟ قال غذاء يوم وعشاء ليلة ، وفى خبر آخر من سأل وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا ، و فى حديث آخر أربعون درهما ، وينبغى تنزيل هذه الأخبار على الأحوال المختلفة

و روى عن رسول الله ﷺ لا حق لا بن آدم الا فى ثلاث : طعام يقيم به صلبه ؛

وثوب يوارى به عورته ، وبيت يكنّه ، ومازاد فهو حساب ، وذكر هذه الأجناس الثّلاثة مثالا لكثرة الإحتياج اليها والاّ فما بمعناها حكمه حكمها ايضا

فامّا الثّوب فيراعى فيه ما يليق بدوى الدين و هو قميص ومنديل و سراويل و مداس والثانى مستغنى عنه؛ وليقس على هذا أثاث البيت ، و أمّا الطّعام فى اليوم فقدره فى الشّرع مدّ ، و امّا المسكن فهو ما يحتاج اليه من غير زينة ، و امّا بالاضافة الى الاوقات فمايحتاج اليه من الطّعام فى الحال ممّا لاشكّ فيه

فامّا السّؤال لما سيأتى فالضّابط فيه انه اذا كان عنده طعام سنة فالسّؤال حرام ، وامّا اذا كان اقلّ فله حالات ودرجات فى الفضل والفضيلة حتى يبلغ الأربعين يوما فاذا كان عنده طعامها فلا يسأل ، وأفضل من هذا كلّه ترك السّؤال اذا كان عنده غداء يومه وعشاءه ؛ وفى الحديث القدسى يا ابن آدم كمالا أطلب منك عمل غد فى هذا اليوم فلا تطلب انت منّى رزق غد فى هذا اليوم ، هذا محصّل الكلام فى الفقر

٢. وامّا ما يوجبه فروى عن النّبى صلى الله عليه وسلم انّه قال عشرون خصلة تورث الفقر ، اوله القيام من الفراش للبول عريانا ، والأكل جنبا ، و ترك غسل اليدين عند الأكل ؛ و إهانة الكسيرة من الخبز ، وإحراق الفوم والبصل ، والقعود على أفنية البيت ، وكنس البيت باللّيل وبالثّوب ، وغسل الاعضاء فى موضع الاستنجاء ، ومسح الأعضاء المغسولة بالمنديل والكمّ ، و وضع القصاع والأوانى غير مغسولة ، و وضع أوانى الماء غير مغطّاة الرؤوس ، وترك بيوت العنكبوت فى المنزل ؛ و إستخفاف الصلاة ، و تعجيل الخروج من المسجد ؛ والبكور الى السّوق ؛ و تأخير الرجوع عنه الى العشاء ، و شراء الخبز من الفقراء ؛ واللّعن على الأولاد ، والكذب ، و خياطة الثّوب على البدن ، و إطفاء السّراج بالنّفس ، وفى خبر آخر والبول فى الحمّام ، والأكل على الجشاء ، والتّخلّل بالطّرفاء والنّوم بين العشائين ، والنّوم قبل طلوع الشّمس ، وردّ السائل المذكر باللّيل ، والتّمشّط من قيام ، واليمين الفاجرة ، وقطيعة الرّحم

وامّا الزهد فهو إنصراف الرغبة عن الشّىء الى ما هو خير منه فاذا يستدعى حال

الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه ، و شرط المرغوب عنه ان يكون مرغوبا فيه بوجه من الوجوه ؛ و بالجملة فلا يتصوّر الزّهد الاّ بالعدول غير المحبوب الى الاحبّ والذى برغب عن كلّ ما سوى الله تعالى حتى الفراديس فلا يحب الاّ الله فهذا هو الزهد المطلق واماّ الذى رغب عن الدنيا ولكن طمع فى حور العين وقصورها فهذا ايضا زاهد ولكنّه دون الاوّل

واماّ الذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك التّوسّع فى الأكل ولايترك التّجمّل فى الزينة فلايستحقّ اسم الزهد مطلقًا وان كان زهدا صحيحا كما انّ التّوبة عن بعض المعاصى صحيحة دون البعض الاخر على ما تقدّم ، فاذن الزهد المبحوث عنه هو الرّغبة عن الدنيا عدو لا الى الاخرة او عن غير الله تعالى اليه تعالى ، واشترط بعضهم فى المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فانّ ترك مالا يقدر عليه محال ؛ و وقد يقوى اليقين فى تلك النّشأة حتى يبيع الرجل نفسه كما قال تعالى انّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة ؛ ثم بيّن انّ صفقتهم رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به

و قد ورد فى الأخبار انّ عليّا عليه السلام باع نفسه على الله تعالى ، وقد اشترط الله عليه وقت الشراء الصّبر على ما أصابه بعد النّبى صلى الله عليه وآله من الظّالمين ، والى ما ذكرنا من انّه يشترط فى الزّهد الرّغبة عن محبوب الى أحبّ منه الإشارة بما روى انّ رجلا قال فى دعائه اللّهمّ أرنى الدنيا كما تراها ، فقال له النّبى صلى الله عليه وآله لاتقل هكذا ولكن قل اللّهمّ ارنى الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك ، وذلك انّ الله تعالى يراها حقيرة كما هى ، واماّ العبد فيراها حقيرة فى حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ؛ وهذا هو الزهد فلابدّ فى الثّواب من ان تكون محبوبة له فى نفسها حتّى يتركها الى غيرها ؛ وليس من الزّهد ترك المال وبذله على سبيل السّخاء والفتوّة و على سبيل إستمالة القلوب و ان كان كلّ ذلك من محاسن العادات ولا مدخل له فى العبادات ، وانّما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة ، فأمّا كلّ نوع من التّرك فانّه

يتصوّر ممّن لا يؤمن بالآخرة

وامّا الأخبار الواردة فى فضيلة الزهد فكثيرة جدّاً، ففى الرواية عنه ﷺ من أصبح وهمّه الدنيا شتّت الله عليه أمره وفرّق عليه ضيعته؛ و جعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الاّ ما كتب الله له، و من أصبح وهمّه الاخرة جمع الله همّه و حفظ عليه ضيعته، و جعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا و هى راغمة، وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق بن ابراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك؟ قال تركتهم ان اعطوا شكروا واذامنعوا صبروا؛ وظنّ انّه لما وصفهم بترك السّؤال فقد أثنى عليهم غاية الثّناء، فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا؛ فقال شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق؟ فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا و اذا اعطوا أثروا، فقبّل رأسه فقال صدقت يا استاذ

وامّا تفاصيل الزّهد ودرجاته بالاضافة الى نفسه فثلاث: الاولى ان يزهد فى الدنيا وحولها مشته وقلبه اليها مايل ولكنّه يجاهد نفسه و يكفّها؛ و هذا يسمّى المتزهّد و هو مبدأ الزهد، وهذا هى الدّرجة السّفلى و صاحبها على خطر، فانّه ربّما تغلبه نفسه على العود الى الدنيا

ألثانية الذى يترك الدنيا طوعا لإستحقاره ايّاها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذى يترك درهما لأجل درهمين فانّه لا يشقّ عليه ذلك، و هذا الزّاهد يلتفت الى زهده و يظنّ انّه ترك شيئا له قدر الى ما هو أعظم قدرا منه؛ وربّما أعجب بنفسه و زهده

الثالثة و هى العليا ان يزهد طوعا و يزهد فى زهده ولا يرى انّه ترك شيئا اذا عرف انّ الدنيا لا شيء، فيكون عند نفسه كمن ترك خزفة و أخذ جوهرة فانّه لا يرى انّ هذا معاوضة وانّه ترك شيئا بالاضافة الى الله تعالى والى نعيم الآخرة؛ قيل و مثل من ترك الدنيا للآخرة عند أرباب القلوب وأهل المعرفة مثل من أراد الدّخول على السلطان فمنعه كلبه عن الدخول، فرمى اليه لقمة خبز فشغله بها فدخل على السّلطان ونال أعلى درجات القرب منه، أفتراه يقدر أن يمنّ على الملك بأنّى أعطيت كلبك لقمة خبز حتي

انك بلغتني هذه الدرجة ، فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع ، و الدنيا كلقمة خبز بل أقل بالنسبة الى ما أعدالله تعالى للزاهدين في دار النعيم؛ و كل واحدة من هذه الدرجات لها درجات؛ واما إنقسامه بالاضافة الى المرغوب فيه فثلاث درجات ايضا

الاولى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن ساير الالام كأن يسمع ان في جهنم عقارب كالبغال المعلقة و ان فيها حيات لو نفخت منها حية في الدنيا لأذابت الجبال والأحجار ولما بقي على وجه الارض رطب ولا يابس الا إحترق ، وان الرجل ليوقف بالحساب حتى لووردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرن رواء؛ فهذا زهد الخائفين وسمى الصادق عليه السلام عبادة هؤلاء بأنها عبادة العبيد، وهو الخوف من عقاب المولى وهذه هى الدرجة السفلى

الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله تعالى واللذات الموعودة في الجنة فهذا زهد الراجين ؛ وسمى مولانا الصادق عليه السلام عباداتهم بأنها عبادة التجار ؛ فهؤلاء لاخطوا مع الخلوص من العذاب نيل الثواب

الثالثة وهى العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله تعالى وفي رضائه ولقائه، وهذا هو التوحيد الحقيقي الذي أشار اليه مولانا امير المؤمنين عليه السلام بقوله ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا في جنتك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك، وهذه الدرجة لايمكننا نيلها ولو قلنا بألسنتنا ان هذه الدرجة هى مقصودنا لكذبنا الوجدان ، فلسان الحال يكذب لسان المقال، والى هذه الدرجات الايماء بقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ، ثم قال في ذلك السياق للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، وفي موضع آخر يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ؛ والاشارة الى القريب وفي آية أخرى بعد ان ذكر ماهيأ لهم من مراتب النعيم: ورضوان من الله أكبر؛ وذلك لعلمه سبحانه باختلاف مطالب

خلايقه وتشتت طبايعهم

و روى انّ عيسى عليه السلام جلس فى ظل حايط انسان فأقامه صاحب الحائط، فقال ما أقمتنى انت انّما أقامنى الذى لم يرض لى ان أتنعّم فى ظلّ الحايط

فان قلت ذكرت انّ الزّهد ترك ما سوى الله تعالى فكيف يتصوّر ذلك مع الأكل والشّرب واللّبس و مخالطة النّاس فانّ هذا إشتغال بما سوى الله؟ قلت معنى الانصراف عن الدنيا هو الاقبال بالقلب على الله تعالى ولا يتصوّر ذلك الاّ بضروريّات الحياة ؛ فاذا كان المقصود بتلك الامور التوصّل الى جناب الحق تعالى كان الاشتغال بها مثل اشتغال الحاجى باصلاح أحوال ناقته و علفها فى طريق الحجّ ،فانّ الغرض منه التوصّل الى مكّة فهذا ممّا لا ينافى الزّهد و ضروريّات الانسان فى حيوته كثيرة؛ فمنها المطعم و ذلك لأنّ الانسان لابدّ له من طعام حلال يقيم به صلبه، وللانسان فى هذا أحوال: الأولى و هو الا على (اعلاها) ان يقتصر على قدر دفع الجوع عند شدّة الجوع وخوف المرض فاذا استقلّ بما تناوله لم يدّخر من غدائه لعشائه، الثانية ان يدّخر لشهر اولأربعين يوما الثالثة ان يدّخر لسنة فقط ؛ وهذه رتبة ضعفاء الزهّاد و من ادّخر لأكثر من ذلك فلا يسمّونه زاهدا

وعن واحدة من زوجات النّبى صلى الله عليه وآله قالت كانت تأتى اربعون ليلة وما يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مصباح ولا نار، قيل لها فبم كنتم تعيشون؟ قالت بالأسودين التّمر والماء ، وكان صلى الله عليه وآله يركب الحمار و يلبس الصّوف؛ وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض، ويقول انّما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد ، وقال العيسى عليه السلام بحقّ أقول انّه من طلب الفردوس فخبز الشّعير له و النّوم على المزابل مع الكلاب كثير ، وكان يقول يا بنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرّى وخبز الشّعير ، وايّاكم وخبز البرّ فانّكم لن تقوموا بشكره

ومنها الملبس وأقلّ درجاته مايدفع الحرّ والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به و أوسطه قميص وقلنسوة ونعلان ، وأعلاه ان يكون معه منديل وسراويل ، وما جاوز

هذا من حيث المقدار فهو عندهم مجاوز حدّ الزّهد ، وشرطوا فى الزّاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود فى البيت ، و قيل لسلمان الفارسيّ رحمه الله مالك لا تلبس الجيّد من الثّياب ؟ فقال وما العبد والثّوب الحسن فاذا أعتق فله والله ثياب لاتبلى ابدا

ومنها المسكن وله فيه ثلاث درجات أعلاها ان لا يطلب موضعا خاصّا بل يقنع بزوايا المساجد ؛ وأوسطها ان يطلب موضعا خاصّا مثل كوخ مبنى من سعف أومن خص او ما يشبهه ؛ وأدناها ان يطلب حجرة مبنيّة امّا بشراء او باجارة ، وقد اتّخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت ؟ فقال هذا لمن يموت كثير

ومنها اثاث البيت وللزّهد فيه ايضا درجات و أعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لايصحبه إلاّ مشط و كوز ؛ فراى انسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى المشط ؛ وراى آخر يشرب من النّهر بكفّيه؛ فرمى الكوز ؛ وهذا حكم كلّ أثاث فانّه انّما يراد لمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال فى الدنيا والاخرة ، ومالا يستغنى عنه ينبغى ان يقتصر منه على أقلّ الدرجات وهو الخزف فى كلّ ما يكفى فيه ، ولا يبالى فى ان يكون مكسور الطّرف و أوسطها ان يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح فى نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة فى مقاصد ؛ و أدناه ان يكون له بعدد كلّ حاجة (حالة) آلة من الجنس الخسيس فان تجاوز هذا القدر خرج عن ابواب الزّهد

و دخل رجل على ابى ذر فقال يا اباذر ما ارى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث ، فقال انّ لنا بيتا نوجّه صالح متاعنا اليه ، فقال انّه لابدّ لك من متاع مادمت هيهنا ، فقال انّ صاحب المنزل لا يدعنا فيه ، وفرشت عايشة للنّبى صلّى الله عليه وآله فراشا جديدا وقدكان صلّى الله عليه وآله ينام على عباءة مثنّية فمازال يتقلّب ليلته ، فلمّا أصبح قال لها أعيدى العباءة الخلقة ونحّى هذا الفراش عنّى قد أسهرنى اللّيلة

و منها المنكح وكان أزهد النّاس النبيّ و الأئمة عليهم السلام وقد نكحوا النّساء ، لكن الحقّ انّهم كانوا عالمين بعدم شغل النّساء لهم عن الله سبحانه ، والاولى فى الزهد

الاقتصار على واحدة طلبا للنسل و حرصا على سنته صلى الله عليه وآله و ما ورد فيه من الثواب، وبالجملة فما يحتاج اليه الانسان فى حفظ الحياة مما لا ينافى الزهد بل يؤكده و يحققه، روى ان الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فأوحى الله تعالى اليه لو سئلت خليلك لأعطاك ، فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان أسئلك منها شيئا؛ فأوحى الله تعالى ليس الحاجة من الدنيا

و روى الكلينى طاب ثراه ان رجلا سئل على بن الحسين عليهما السلام عن الزهد فقال عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجات الرضا، ألا وان الزهد فى آية من كتاب الله: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ؛ هذا مجمل الكلام فى الزهد

واما التوكل فهو مقام عظيم ومسلك من مسالك الموقنين، وقد صرحت به الأخبار النبوية والايات القرآنية ، قال صلى الله عليه وآله لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا؛ واما الخليل عليه السلام فروى ان جبرئيل عليه السلام جاء اليه وقد رمى الى النار من المنجنيق فقال له ألك حاجة ؟ فقال اما اليك فلا قال له إسأل ربك حتى ينجيك من نار النمرود ، قال يكفى علمه بحالى عن سؤالى ، فرجع جبرئيل فقال تعالى للنار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ، وهذا كان فائدة توكله على مولاه

و اعلم انه لو ادعى رجل دعوى لبسها على رجل آخر واراد الرجل المدعى عليه ان يوكل وكيلا فى رفع تلبيس دعوى ذلك الرجل الاخر لعلمه اوظنه بأنه هو لا يقدر على جواب تلك الدعوى الملبسة فهو يقصد ان يكون فى الوكيل نهاية الهداية والقوة والفصاحة والشفقة، اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس ، واما القوة فليستجرى على التصريح بالحق ولا يداهن ولا يجبن ، وأما الفصاحة و هى قدرة اللسان فليكون بها قادرا على حل عقدة التلبيس ، واما غاية الشفقة فليكون بها باذلا كل مجهوده فى حقه ؛ فان كان شاكا فى هذه الأربعة او فى واحد او جوزان يكون خصمه أكمل

فى هذه الاربعة من الوكيل ، لم تطمئن نفسه الى وكيله ؛ وتتفاوت أحواله فى شدّة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوّة اعتقاده لهذه الخصال فى وكيله ، و اذا وقع فى يده مثل هذا الوكيل اعتمد عليه وفوّض كشف ذلك التلبيس اليه ، فاذا كان حاله هذا فى حال رجل مثله ربّما يظن فيه مثل هذه الامور وكان الواقع خلافها فكيف لا يوكل من يعلم انّه قد بلغ من هذه الخصال الأربع غايتها وهو جناب الحق سبحانه ، فيجعله وكيله فيما يعتريه من تلبيسات الشيطان و من الأسباب الّتى يحتاج اليها فى عالم حياته فى كلّ أوان، وليفهم معنى قوله لا حول ولا قوّة الاّ بالله فاذا تفهم هذا المعنى قوى باعث توكّله عليه تعالى فى جميع الامور ، وهذا اليقين حاصل لأكثر النّاس ؛ نعم قد يضعف اليقين بانضمام الأوهام اليه فانّ القلب قد ينزعج بتبعيّة الوهم ، فانّ العاقل لو كلّف المنام مع الميّت فى بيت واحد لربّما جبن قلبه وخاف منه مع علمه بأنّه جماد وانّه لا فرق بينه وبين الأحجار الموضوعة فى البيت، واذا عرفت هذا فاعلم انّ لتلك الحالة ثلاث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه ، وهو ان يكون حاله فى الثقة على الله والاعتماد على كفالته كحاله فى الثّقة بالوكيل

الثانية وهى أقوى ان يكون حالــه مع الله كحال الطّفل مع امّه فانّه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى احد سواها ، واذا راها تعلّق بذيلها وان نابه أمر فى غيبتها كان اوّل سابق الى لسانه يا امّاه ؛ فهو قد وثق بشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع ادراك بالتّمييز الذى له ، ويظنّ انّه طبع من حيث انّ الصّبى لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على إحضاره مفصّلا ولكن كلّ ذلك وراء الادراك والفرق بين هذه الدرجة وما قبلها انّ هذا متوكّل و قد فنى فى توكّله عن توكّله اذ ليس قلبه يلتفت الى التّوكّل وحقيقته بل الى الوكيل ، وامّا الاول فمتوكّل بالتّكلّف والكسب و ليس فانيا عن توكّله بل له التفات اليه و ذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكّل عليه وحده

الثالثة وهى القصوى و هى ان يرى نفسه بين يدى الله تعالى كالميّت بين يدى

المغسّل فانّه يقلّبه كيف شاء والاختيار انّما هو اليه لا غير ؛ وهذا يفارق الصّبي فانّ الصّبي يفزع الى امّه و يصيح اليها بل هذا مثاله مثال من علم انّه ان ترك الامّ فهي لم تتركه وتبتدر بجميع أنواع المنافع ، و هذا المقام في التّوكّل يثمر ترك الدّعاء إعتمادا على كرمه وعنايته كما نقلنا عن الخليل عليه السلام ، وصاحب هذه الرّتبة لايبقى له تدبير في أموره بل الله تعالى هو المدبّر لأموره كما قاله ارباب السّلوك

و امّا صاحب الدرجة الثانية فينبغي له تدبير ما امره به الوكيل وان كان قد ترك تدبير ما أمره به غيره ، ومن هنا قال الصادق عليه السلام التّوكّل هو أن تعقل بعيرك و تتوكّل على الله تعالى في حفظه ، و امّا صاحب الدرجة الأولى فهو لايزال في التّدبير من الوكيل وغيره ، فظهر بهذا انّ التّوكّل لاينافيه الاعمال بل ربّما يحقّقه ، نعم اذا سعى الانسان في مجاهدات نفسه حتى بلغ الدرجة الثالثة كان غير محتاج الى التّدبير والأعمال ولكنّه هنا قد عمل أشقّ الأعمال ودبّر فوق كلّ تدبير وهو المجاهدة مع النّفس حتى وطنها على تلك الدرجة ، فهذا غير مناف لما أمر الله سبحانه به من السّعي لطلب الأرزاق ، فانّ مثل هذا السّعي أشدّ من ركوب البحار وقطع القفار كما لا يخفى على من له أدنى إنصاف ، وامّا اعمال المتوكّلين فاعلم انّ الأسباب الّتي بها تجلب المنافع ثلاث درجات ايضا مقطوع به و مظنون ظنّا يوثق به و موهوم و هما لا تثق به النّفس

الدرجة الاولى المقطوع بها و ذلك مثل الأسباب الّتي ارتبطت المسبّبات بها بتقدير الله ومشيّته إرتباطا مطردا لا يختلف ، كما اذا كان الطّعام موضوعا بين يديك وانت جايع محتاج ولكنك لست تمدّ يدك اليه وتقول انا متوكل وشرط التّوكّل عدم السّعي ومدّاليد الى الطعام سعي وحركة ، و كذلك مضغه بالأسنان فهذا سفه وجنون وليس من التّوكّل في شيء بل التوكّل في هذه الصّورة هو ان تمدّيدك وتأكل ويكون توكّلك هذا على فضله سبحانه حتّى لا تجف يدك في الحال ، ولا تفلج ولا يصيبك ما يفزعك في حال الأكل

الدرجة الثانية الأسباب الّتي ليست متعيّنة لكنّ الغالب انّ المسبّبات لا تحصل بدونها كالذى يفارق الأمصار والقوافل ويسافر فى البوادى التى لا يطرقها الناس الاّ نادرا و يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا فى التّوكل بل استصحاب الزّاد فى البوادى سنّة الأولين؛ ومن هذا كان الخواص اذا سافروا فى القفار لا تفارقهم الأبرة والمقراض والحبل والركوة، وذلك لأنّ الأغلب فى البوادى انّها خالية من هذه الأربعة الّتى يحتاج اليها المسافر ، ولو انحاز رجل الى شعب من شعاب الجبل خال من الماء والكلاء والسّاكن وجلس متوكّلا فهو آثم؛ كما روى انّ زاهدا من الزّهاد فارق الأمصار وأقام فى صفح جبل سبعا ؛ وقال لا أسأل أحدا شيئا حتى تأتينى ربّى برزقى ؛ فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته شيء ، فقال يارب إن أحييتنى فأتنى برزقى الذى قسمت لى والاّ فاقبضنى اليك ، فأوحى الله تعالى اليه وعزّتى لا أرزقنّك حتى تدخل الأمصار و تقعد بين الناس ؛ فدخل المصر وأقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل و شرب ، فأوجس فى نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى اليه أردت ان تذهب حكمتى بزهدك فى الدنيا ؛ اما علمت ان أرزق عبدى بأيدى عبادى أحبّ الىّ من ان أرزقه بيد قدرتى، فاذن ترك الأسباب مراغم للحكمة لكنّ الاعتماد على الله سبحانه

كما روى انّ عيسى عليه السلام قال أنظروا الى الّطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدّخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم ، فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيّض الله لها هذا الخلق

الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب الّتى يتوهّم إفضاؤها الى المسبّبات من غير ثقة ظاهرة كالذى يستقصى فى التّدبيرات الدقيقة فى تفصيل الاكتساب و وجوهه و ذلك يخرج عن درجات التّوكّل كلّها كما هو الغالب على الناس؛ فاذا ظهر انّ الاسباب منقسمة الى ما يخرج التّعلّق بها عن التّوكل والى مالا يخرج وانّ الذى لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون والمتوكّلون فى ملابسة هذه الأسباب على ثلاث مقامات ؛ الاول مقام الخواص وقد مثّله أهل السّلوك بالذى يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى

عليه فى تيسير مايمسك حيوته ولو كان من بقول الأرض وحشيشها ، المقام الثانى ان يقعد فى بيته او فى مسجد ولكنّه فى القرى والأمصار فهذا أضعف من الاول ولكنّه ايضا متوكّل لأنّه تارك للكسب و الأسباب الظّاهرة معتمد على فضل الله تعالى فى تدبير أموره

المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا رفيقا جميلا وهذا المقام هو الممدوح الوارد فى الشّريعة الذى أراده ﷺ من قوله الا انّ الروح الامين نفث فى روعى انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتّقوا الله واجملوا فى الطّلب ، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرّزق على ان تطلبوه من الحرام ، فانّ الله سبحانه قسم الأرزاق بين عباده حلالا ولم يقسمها حراما ، نعم من ترك الكسب اذا كان مستغرقا وقته فى العلم او العبادة كان له وجه فى الجملة ، مع انّ الوارد عن الائمّة الطّاهرين عليهم السلام انّ التّكسب للعيال والاخوان أفضل من العبادة ، نعم لايكون اعتماده على الكسب و على آلاته بل على ذلك الكفيل

روى انّ العبد ليهمّ من اللّيل بأمر من أمور التّجارة ممّا لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه ، فيصبح كئيبا حزينا يتظنّن بجاره وابن عمّه من شيّعنى من دهانى وما هو الاّ رحمة رحمه الله تعالى بها ؛ وهذا مجمل الكلام فى هذا المقام والله المستعان

خاتمة هذا البحث فى الرّزق ، اعلم انّ الذى اتّفق عليه أصحابنا رضوان الله عليهم والمعتزلة انّ الرزق هو ما صحّ إنتفاع الحيوان به بالتّغذى اوغيره ؛ وليس لأحد منعه فالحرام على هذا ليس برزق ؛ وعندالاشاعرة كلّما انتفع به حىّ سواء كلّ بالتّغذى او بغيره مباحا كان اوحراما ، وقال الأشاعرة فى الاستدلال لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المغتذى به طول عمره مرزوقا ، وليس كذلك لقوله تعالى ، و ما من دابّة فى الارض الاّ على الله رزقها

والجواب عن هذا ظاهر و هو انّ المغتذى في الدنيا لا يجوز ان يكون مغتذيا

بالحرام طول عمره ، وذلك انّ ايّام الرضاع اللّبن ليس بحرام عليه وفى كل أوقاته المتنفس فى الهوى ليس بمحرّم عليه ايضا مع انّ الرّزق على قسمين : منه ما كان غذاء للأبدان ومنه وهو الاكمل الاعظم ما كان غذاءً للأرواح كالعلوم والكمالات وهذا هو الغذاء الباقى بعد فناء الأبدان وغذائها، وبسببه حرم الأعلام من كثرة الغذاء الأبدانى لوجود الأرواحى عندهم ، وعلى هذا فالعلماء مرزوقون الرّزق الأكمل ؛ وحينئذ فقوله

كم عالم عالم أعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الاوهام حائرة و صيّر العالم النّحرير زنديقا

ممّا لا ينبغى و ذلك لأنّ العالم اكثر رزقا من الجاهل و ان كان لـه ملك كسرى لو قيصر ، ومن كان له حظّ من الانصاف وكان له نوع إطلاع على بعض العلوم يعلم انّه لو أتى اليه جاهل سيّما الاحمق و كان عنده من المال مالا يحصى ، وقال أريد ان أعاوضك هذا المال الوافر بهذا العالم القليل الذى تعرفه لم يقبل ذلك العالم بل يرجع عليه ماله وذلك لأنّ الاموال لذات خياليّة وما يصل الى مالكها منها الاّ تعب الأرواح و الأبدان والعلم لذّة حقيقيّة لا يزال يصعد بصاحبه حتى يرقّيه فوق مراتب الملوك والسّلاطين ، وهل رأيت عالما عزل عن سرير علمه ؟ و كم رأيت سلطانا عزل عن سرير ملكه ؛ وتاجر اغرق ماله او سرق فبقى يتكفّف النّاس

و نظير هذا ما روى من انّ رجلا من فقراء الشّيعة أتى الى الامام ابى عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فشكى اليه الفقر ، فقال له عليه السلام انت من شيعتنا وتدّعى الفقر شيعتنا كلّهم أغنياء ، ثمّ قال له يا فلان انت (انّ) لك تجارة قد أغنتك ؛ فقال و ماهى؟ قال لو انّ رجلا غنيّا قال لك أعطيك ملأ الدنيا فضّة وتحول عن ولاية أهل البيت إلى ولاية غيرهم أكنت فاعلا فقال لا يا ابن رسول الله ولو ملأت الدنيا لى ذهبا ، فقال عليه السلام اذن لست فقيرا وانّما الفقير من ليس له مالك ، ثمّ وصله بمال

وروى انّ النّبى صلى الله عليه وآله قال يوما لأصحابه من الفقير ؟ قالوا الذى لا درهم له ولا دينار ؛ فقال النّبى صلى الله عليه وآله ليس هذا هو الفقير ، وانّما الفقير الذى يؤتى به فى عرصات

القيمة ضاربا لهذا و شاتما لهذا وغاصبا من هذا ؛ فان كان له شيء من الحسنات أخذت منه ودفعت الى المضروب والمغصوب منه والمشتوم، وان لم يكن له حسنات أخذت ذنوبهم وجعلت في عنقه ، أقول وذلك قوله تعالى وليحملنّ أثقالهم واثقالا مع اثقالهم

و لنرجع الى ما نحن بصدده ، فنقول انّ خطبته صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع قدرواها العامّة والخاصّة وهي صريحة فيما ذهبنا اليه غير قابلة للتّأويل ، رواها شيخنا الكليني طاب ثراه باسناده الى الامام ابي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع ألا إنّ الرّوح الأمين نفث في روعي انّه لاتموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتّقوا الله واجملوا في الطّلب ، ولايحملنّكم إستبطاء شيء من الرّزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله ، فانّ الله تعالى قسّم الارزاق بين خلقه حلالا ولم يقسمها حراما ، فمن اتّقى الله وصبر أتاه رزقه من حلّه ، ومن هتك حجاب ستر الله عزّ وجلّ وأخذه من غير حلّه قصّ به رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيمة ، و امّا ما يتراآى من بعض الأخبار التي أطلق فيها لفظ الرزق على الحرام فسبيله التّأويل و إرتكاب المجاز جمعا بين الأخبار ، مع انّ الله سبحانه قال في كتابه العزيز و ممّا رزقناهم ينفقون ، فمدحهم على هذا الانفاق ولا مدح لمن انفق من الحرام

بقي الكلام في انّ الرّزق هل ينقص و يزيد بتفاوت السّعي ونقصانه ام لا ؟ و ظاهر الأخبار المعتبرة انّه اذا ضمّ اليه السّعي القليل المأمور به كان غير قابل لهما بل لايصل اليه الاّ ما قدّر له ، و في دعاء الصّحيفة وجعل لكل أرواح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه لا ينقص من زاده ناقص ولا يزيد من نقص منهم زايد ، وفي الحديث انّ أرزاقكم تطلبكم كما تطلبكم آجالكم فلن تفوتوا الارزاق كما لم تفوتوا الأجال ؛ نعم لو جلس الرّجل في بيته و ترك الطّلب فهل يجب على الله سبحانه ايصال الرّزق اليه ام لا يجب ؟ قال بعضهم بوجوب القدر الضّروري وهو ما يمسك به الحياة ؛ وقال بعضهم لا يجب الاّ لمن ألقى عنان التّوكّل اليه لقول تعالى و من يتوكّل على الله فهو حسبه ، والحقّ انّ مثل هذه الايصال غير واجب عليه سبحانه ، نعم ربّما تفضل به ولاما نع

من التفضل

وفى الحديث انه لما نزل قوله تعالى وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها قال أصحاب النبى ﷺ ان ربنا قد تكفل بأرزاقنا فلا نتعب فى طلبها فغلقوا عليهم الأبواب وجلسوا فى بيوتهم ، فنزلت آية السعى فى مناكب الأرض و أطرافها ، ففتحوا الأبواب وسعوا فى تحصيل الأرزاق ، ومن هنا كان المحدثون من أصحاب النبى والائمة عليهم السلام أهل حرفة و كسب وتجارة؛ نعم ذاك زمان وهذا زمان وذلك ان العلم كان علم الكلام والحديث و كانت عين الحياة موجودة عندهم يردونها فى كل أوقاتهم ولا كانوا مثلنا يحتاجون الى الاجتهاد فى المسائل عند تعارض الأدلة ؛ ولا كانوا يحتاجون الى صرف أكثر اوقاتهم فى الفحص عن أحوال العلوم ومقدماتها من العربية والمنطق واللغة الى غير ذلك من علوم الإجتهاد الاثنى عشر علما ؛ وقد اشتهر ان العلم نقطة كثره الجاهلون وقد قلنا سابقا بدله ان العلم بسيط ركبه العالمون ، فمن هذا لم يسع العلماء فى هذه الاعصار الجمع بين الكسب للمعاش وتحصيل العلوم الكثيرة الى ان يبلغوا درجة الإجتهاد فلا جرم وكلوا أمور معاشهم الى خالقهم وهو رازقهم وعليه فليتوكل المتوكلون ؛ وقد تتبعنا اكثر موارد الرزق و أسبابه فلم نرسببا أجلب للرزق من الصدقة ، فان الوفاء حاضر و هو عشرة او سبعون الى سبعمائة عوض الواحد ، فمن أراد تصديق هذا فليتصدق على فقير بدرهم وينظر كيف يجازيه ربه فى ذلك اليوم او غده مع ما يدخر له من الاجر الجزيل والثواب الجميل ، وما أحسن قول الشاعر فى شأن اكثر ارزاق الجهال وسمو مكانهم ؛ وفقر العقلاء واتضاعهم

الدهر كالبحر يعلو فوقه جيف ... و يستقر بأقصى قعره الدرر
و فى السماء نجوم لاعداد لها ... وليس يكسف الا الشمس والقمر

وهذا هو الذى جلب الدواهى الى العقلاء و نفخ قلوبهم ، وقرقر بطونهم و قال بعض مشائخنا من أهل الظرافة

قلت لنحوى و فى بطنه ... قرقرة ما هذه القرقرة

فقال يا جاهل في نحونا هذاتسمّى الضرطة المضمرة

وقال سيّدنا المرتضى قدس الله روحه فى عتاب الدّنيا

عتبت على الدنيا فقلت الى متى أكابد ضرّاً همّه ليس ينجلى

أكلّ شريف قد علی بجدوده حرام عليه الرّزق غير محلّل

فقالت نعم يا ابن الحسين رميتكم بسهم عنادى حين طلّقنى علىّ

وبالجملة شأن الدنيا ومدارها اعاذنا الله وايّاكم من خدايعها

نور فى احوال الملوك والولاة وكيفية ما ينبغى لهم من السلوك فى انفسهم ومع رعيتهم وما يلحق بهذا

اعلم أيّدك الله و وفقك انّ قوله تعالى تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء؛ دليل على انّ أمور الملك مقدّرة فى عالم الملكوت، وذلك انّا رأينا من أتعب نفسه و بذل ماله فى تحصيل ملك او ولاية فلم يصل اليها وبلغه غيره بلا تعب وبذل مال، هذا ما يقتضيه ظاهر لفظها، وامّا بطن الاية فقدورد فى الخبر انّ المراد بالملك الذى يؤتيه الله من يشاء هو الملك الواقعى الذى يكون الله تعالى به راضيا و هو ملك آل محمّد عليهم السلام و توابعهم، فهو الملك الذى أتاهم ولم يؤته غيرهم

قال الصادق عليه السلام واما ملك بنى اميّة فقد غصبوه من آل محمّد، وذلك كما انّ الرجل له ثوب فيأتى اليه رجل فغصبه ايّاه فالله تعالى لم يؤته ذلك الثّوب و انّما تعدّى فى اخذه وغصبه، وحاصل معنى الاية حينئذ انّ إعطاء الملك بيدك فمن كان فى علمك قابلا له نوهت باسمه فى هذا العالم وقرّرت ان يكون هو الملك والسّلطان كأهل البيت عليهم السلام والمجتهدين من شيعتهم بعدهم؛ ومن لم يكن فى علمك قابلا للملك كأعداء آل محمّد و مخالفيهم نزعته عن الملك وماأعلمت العباد الاّ بعدم إستحقاقه للملك؛ فانّ الخليل عليه السلام

لمّا جعل ملكا وسلطانا واماما لكافّة الناس أراد إبقاء هذا الملك فی ذرّيّته فقال ومن ذرّيّتی ، فأجابه تعالى لا ينال عهدی الظّالمين ، فأسمعه فی القديم انّ من كان ظالما كان معزو لا عن الملك والدّولة الالهيّة ، فلينظر الوالی والملك الموالييّن لأهل البيت عليهم السلام فان كانوا من أهل الظّلم والتّعدّی كانوا فی معزل عن ان يكونوا قد آتاهم الله الملك ، وان كانوا من أهل العدل وفی مقام قضاء حوايج الشّيعة والتّحنن على فقرائهم فليعلموا انّه ملك من الله سبحانه ودولة ساقها الله اليهم فيجب عليهم القيام بشكرها

واعلم انّه ينبغی للولاة والسّلاطين ان يجعلوا لهم وقتا خاصاً مع ربّهم يتضرّعون فيه اليه وينزعون ثياب الملك ويلبسون الثّياب الخشنة ويقرّون له بالعبوديّة ليكون كفّارة ما أظهروه من الجبروت فی حضور الخلايق ، وقد نقل أهل السّير والتّواريخ ان عمر بن عبدالعزيز كان له فی كلّ يوم بيت يدخله وحده ويغلق عليه بابه و يلبث فيه كثيرا ثمّ يخرج منه ، فلمّا توفّی وجلس فی موضعه يزيد بن عبدالملك سأل خواصّ ابن عبد العزيز عن خزانته ؛ فقالوا لانعلم له خزانة و لكن له موضع كان يتفرّد به وحده فلعلّ خزانته تكون هناك ، فلمّا ذهبوا الى ذلك البيت وفتحوا قفله رأوه بيتا خاليا من الفروش أرضا بيضاء وفيه مكان مفروش بالتّراب فوق الأرض مقدار ما يصلّی فيه الانسان عنده ثياب خشنة بعضها من اللّيف وبعضها من الكرباس الغليظ ؛ وفوقها طوق من الحديد كان يضعه فی عنقه ويلبس تلك الثياب وتجلس فوق ذلك التّراب للبكاء والتّضرّع

ونقل مثل هذا وامثاله من أطوار الملك الجليل الشّاه عبّاس الأوّل أسكنه الله بحابيح الجنان (١)

---

(١) جمع من الزعانفة و ارباب السمر و المجون فی طهران عاصمة ايران دأبوا يلعبون بالتاريخ و سيرة الرجال والمشاهير ولا سيما فی تواريخ رجال ايران و نهضوا يؤلفون الكتب المشحونة بالشطحات فی سيرهم و تواريخهم مع نيات فاسدة و تحريكات كاسدة من عمال السياسة الغاشمة وقد كتب فی هذه الاونة الاخيرة احد من يرى نفسه من اساتذة بعض الكليات فی طهران كتابا فی عدة مجلدات بعنوان : (زندگانی شاه عباس اول)☆

وحكى رجل كان يخدمه لما كان ذلك الرجل ولدا صغير السن ، قال أمرني ذات يوم بحمل الأبريق معه ليتطهر به من البول قال ذلك الولد فحملته ومشيت خلفه حتى صعد الى سطح عال في بيوته ، فلما إنتهيت معه الى أول السطح أخذ الأبريق من يدي وقال لي اجلس هنا حتى ارجع اليك ؛ فأجلسني في مكان لا أراه فيه فغاب عني طويلا حتى خفت عليه ؛ فلحقته فرأيته ساجدا وهو يبكي وخده ملصق بالأرض وقد صار تحته شبه الطين من الدموع ، ثم رفع رأسه وغضب علي فأعتذرت اليه انني خفت عليك بطول مقامك على السطح ، فصببت الماء على يديه وغسل وجهه فلوى اذني ، وقال لايخرج منك شيء وان سألك أحد من الخدام والعبيد فقل كان الشاه يلوط بي

وقد عرفت ان العبادة هي التواضع لله سبحانه وأول من سبقهم بهذا ملك الملوك و سلطان السلاطين مولانا امير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام ، فلقد كان له حالات مع ربه في اوقات خاصة يسجد فيها على التراب ويتضرع الى الله تعالى

☆ بالفارسية وقد شحنها من اعاجيب الاكاذيب واباطيل الاقاويل وليس غرضه من صنيعه هذا الا تلويث ساحة ذلك السلطان بلوث الاعمال الشنيعة و الافعال المنافية للشريعة الاسلامية وان يلبس الامر في حق الشاه عباس الكبير للناشئة من ابناء الوطن وان يظهر لهم ان هذا السلطان الذي بقي حبه مندقرون في قلوب الامة الايرانية الى اليوم لم يكن الا رجلا فاسقا صاحب لهو ومجون وطرب غير مبال باحكام الشرع واراد ان يشوه الامر على الامة الايرانية في حق الصفويين ولم يكن كتابة هذا الكاتب تلك الافائك والمفتريات الا بايماز من بعض ارباب الصحف والجرايد السوداء من اهل السنة في طهران و ليس مستنده في نسبة تلك الاباطيل والماجريات الى الشاه عباس في الاغلب الا كلمة فلان المسيحي او حقيبة فلان القسيس الاجنبي و غير خفي على القارى الفطن انا لا ندعي ان الشاه عباس الكبير كان من الاولياء والاتقياء بل نقول ان تلك المفتريات والاكاذيب التي لفقها مؤلف ذلك الكتاب وجمعها فيه لا اصل لاكثرها بل لجلها وليكن النسل الاتي على ذكر من ذلك ويعلموا ان الدولة الصفوية كانت نتاجا ظاهرا للبعث الديني و كان هذا البعث مبنيا على الايمان الشيعي القوى المفعم بالثقافة و المدنية كما صرح به بعض الخبراء في فن التاريخ الصحيح وهذا الامر ثقل في قلب من ليس له حب للدين الاسلامي المقدس

و فى الرّواية عن عروة بن الزّبير قال كنّا جلوساً فى مسجد رسول الله ﷺ فتذاكرنا أعمال أهل بدروبيعة الرضوان ، فقال ابوالدرداء ألا أخبر كم بأقل القوم مالا واكثرهم ورعا وأشدّهم إجتهادا فى العبادة ؟ قالوا من؟ قال علىّ بن ابيطالب ، قال رأيته فى حايط بنى النجّار يدعو بدعوات ، وذكر الدعوات الى ان قال ؛ ثمّ إنغمر فى البكاء فلم أسمع له حسّاً ولا حركة ؛ فقلت غلب عليه النّوم لطول السّهر أوقظه لصلاة الفجر فأتيته فاذا هو كالخشبة الملقاة ؛ فحركته فلم يتحرّك ؛ فقلت انّا لله و انّا اليه راجعون مات و الله علىّ بن ابيطالب ، فأتيت منزله مبادرا أنعاه اليهم ، فقالت فاطمة يا اباالدّرداء ما كان من شأنه و قصّته ؟ فأخبرتها الخبر ، فقالت هى والله يا اباالدّرداء الغشية الّتى تأخذه من خشية الله ، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر الىّ وأنا ابكى ، فقال ما بكاؤك يا اباالدّرداء ؟ فقلت بما أراه تنزله بنفسك فقال يا ابا الدّرداء فكيف اذا رأيتنى ادعى الى الحساب وأيقن أهل الجرايم بالعذاب و احتوشتنى ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدى الملك الجبّار قد أسلمنى الأحبّاء ورفضنى أهل الدنيا لكنت أشدّ رحمة لى بين يدى من لا تخفى عليه خافية ، فقال ابو الدّراء فوالله ما رأيت ذلك لأحد من اصحاب رسول الله ﷺ

ولا يجوز للولاة أن يقولوا نحن ملوك ولم يطلب الله تعالى منّا العبادة وانّما أراد منّا العدالة ، فيدليهم الشّيطان بغروره و يستفزهم ، بل يجب أن يتصوّروا بأن كلّما عظمت النّعمة على العبد عظم تكليفه بالشّكر عليها ، و لا شكر الاّ الطّاعة والعبادة والاحسان الى العباد ، وينبغى ان يعلموا انّ طاعاتهم من الصّلاة والصّوم ونحوها يترتّب عليها من الثّواب الكامل مالا يترتّب على غيرها وذلك لكثرة المشقّة عليهم فى تحمّلها لماتعوّدوا عليه من التّنعّم والتّلذّذ

و روى انّ افضل الأعمال أحمزها ، وينبغى لكلّ و ال من الولاة ان يميل الى حب العلماء والأخيار وان يكثر مصاحبتهم ومجالستهم ويختار له صاحبا منهم ؛ ويكون عالما ورعا سليم النّفس ، راغبا فى قضاء حوايج المؤمنين ليجلب للوالى أسباب الثّواب

امّا حبّ العلماء فلما روى من قوله عليه السلام كن عالما او متعلّما او محبّا لأهل العلم ولا تكن الرّابع فتهلك؛ وفى الحديث انّ من احبّ حجرا حشره الله معه والمرء مع من احبّ، و قال عليه السلام انّ الله يغفر للمؤمنين ولمحبّيهم ولمحبّى محبّيهم، فهذا من أفضل الأعمال للولاة وغيرهم، و امّا مجالستهم فلما ورد فى الخبر من انّ جلوس ساعة واحدة مع العالم يعدل من الثّواب مالا يحصى و انّ النّظر الي العلماء عبادة؛ وامّا اختيار صاحب منهم بتلك الأوصاف فليكون واعظاله مذكّراله فى احوال الغفلات لكثرة مشاغله فيحتاج الى الواعظ و المذكّر، و هكذا كان أحوال الملوك و السّلاطين فى الأعصار الماضية

وينبغى ان يعظه برفق، روى انّ عابدا دخل على معاوية ليعظه؛ فقال له يا فاسق يا كلب هكذا تظلّم النّاس وأطال الكلام معه، فقال لمعاوية يا عابد انت أفضل من موسى نبىّ الله ام هو أفضل منك؟ فقال بل موسى خير منّى؛ فقال له و أنا أشقى ام فرعون؟ فقال بل فرعون؛ فقال انّ فرعون لما ارسل الله اليه واعظين و هما موسى و هرون قال لهما فقولا له قولا ليّنا لعلّه يتذكّر او يخشى، فأمرهما الله سبحانه بالكلام اللّيّن وأنت تعظنى بهذه الخشونة، وليكن همّ المصاحب للوالى ان يقصّ عليه أحوال الملوك والولاة المتقدّمين الذين كانوا أشدّ منه بأسا وأقوى مراسا فأفناهم الزّمان وجار عليهم الدّهر الخوان؛ ومن أعظمهم نبىّ الله سليمان بن داود عليه السلام فلقد طلب من الله تعالى الملك بقوله ربّ هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انّك انت الوهاب، حتى قال نبيّنا عليه السلام رحم الله اخى سليمان ما كان أبخله

وقال الصّادق عليه السلام لمّا سئل عن معنى الآية والحديث، فقال امّا معنى الآية فهو انّ سليمان أراد ملكا لاينبغى لأحد من بعده ان يقول انّ ملك سليمان قد حصّله سليمان بالغلبة والجنود مثل سلاطين الدنيا؛ فسخّر الله له الرّيح والطّير والوحش وميّز ملكه عن ملك الملوك حتى عرف النّاس انّ ملك سليمان قد أعطاه الله ايّاه. وامّا معنى الحديث فقال عليه السلام معناه رحم الله أخى سليمان ما كان أبخله بعرضه، أورحم الله اخى سليمان

ما كان أبخله لو كان معنى الآية ما ذهب اليه عوام الناس من الأخذ بظاهرها ، وقد منح الله سبحانه سليمان عليه السلام ملكا عظيما حيث سخر له ما في الكونين فأمر سليمان عليه السلام الجنّ فنسجوا لهبساطا من الأبريسم والذهب ، وكان يجلس عليه مع خاصّته ، وكان في مجلسه على البساط ستّمائة ألف كرسيّ ، و لسليمان عليه السلام سرير مرصّع في وسط الكراسي يجلس عليها العلماء والأنبياء ، وسخّر له ريح الصّبا غدوّها شهر و رواحها شهر ، و كان يسير في أول النّهار من مكّة و يتغدّى في الكوفة ثمّ يسير من الكوفة و يتعشّى في الشّام

وقد زاد الله في ملكه بأنّه ما يتكلّم أحد كلمة أين ما كان الا ألقتها الريح في أذنه حتى يسمعها، ومع هذا الملك كان لم يأكل مامسّته النار بل كان يعمل من سعف (١) الخوص زنبيلا ويشتري بثمنه شعيرا فيضعه بين صخرتين حتى يصير جريشا و يجعله في الشّمس حتى يجف فيأكله، فاذا جنّه الليل نزع ثياب الملك ولبس ثيابا من ليف النخل وغلّ يديه الى عنقه فقام باكيا الى الصّباح

و في الرواية عن الصّادق عليه السلام قال انّ سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه ان الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي سخّر لي الريح والانس والجنّ والطّيور والوحوش ؛ وعلّمني منطق الطّير وأتاني من كلّ شيء ومع جميع ما أوتيت الملك ماتمّ سروري يوما الى اللّيل ؛ وقد أحببت ان أدخل قصري في غد فأصعد الى أعلاه وأنظر الى ممالكي ولا تؤذنوا لأحد عليّ لئلاّ يرد عليّ ماينقّص عليّ يومي ، فقالوا نعم، فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد الى أعلى موضع من قصره ؛ ووقف متّكيا على عصاه ينظر الى ممالكه مسرورا بما أوتي فرحا بما أعطى ، اذ نظر الى شابّ حسن الوجه واللّباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره ، فلمّا بصر به سليمان قال له من أدخلك الى هذا القصر وقد اردت ان أخلو فيه اليوم ؟ وباذن من دخلت؟ قال الشّاب أدخلني هذا القصر ربّه وباذنه دخلت ، فقال ربّه أحقّ منّي فمن أنت؟ قال أنا ملك الموت

---

(١) محركة جريد النخل او ورقه

قال وفيم جئت ؟ قال جئت أقبض روحك ، قال إمض لما أمرت به فهذا يوم سروری وابى الله عزّ وجل ان يكون لى سرور دون لقائه ؛ فقبض ملك الموت روحه وهومتّكيء على عصاه ، فبقى سليمان متّكيا على عصاه و هو ميّت ماشاء الله والناس ينظرون اليه وهم يقدّرون (يعتقدون) انّه حيّ فافتتنوا فيه واختلفوا

فمنهم من قال انّ سليمان قدبقى متّكيا على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب انّه لربّنا الذى يجب علينا ان نعبده ، و قال قوم انّ سليمان ساحر ؛ وقال المؤمنون انّ سليمان عبدالله ونبيّه يدبّر الله أمره بما شاء ، فلمّا اختلفوا بعث الله عزّ وجل الارضة فدبّت فى عصا سليمان ، فلما أكلت جوفها إنكسرت العصا و خرّ سليمان من قصره على وجهه ، فشكرت الجنّ للأرضة صنيعها ، فلأجل ذلك لا توجد الأرض فى مكان الاّ وعندها ماء و طين ؛ وذلك قول الله عزّ و جلّ فلمّا قضينا عليه الموت مادلّهم على موته الاّ دابّة الأرض تأكل منسأته ، يعنى عصاه ، فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين

ثمّ قال الصادق عليه السلام و الله ما نزلت هذه الأية هكذا و انّما نزلت فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ انّ الانس لوكانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ، ثمّ لينظر العاقل الى قوله صلى الله عليه وآله لو كانت الدنيا تسوى عندالله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربةماء ، والى قول جبرئيل عليه السلام يامحمد انّ الله يقول لك عش ما شئت فانّك ميّت ، و احبب من شئت فانّك مفارقه ؛ و اعمل ما شئت فانّك مجزىّ به ، و لمّا دخل يزيد الرّقاشى على عمربن عبد العزيز قال عظنى يا يزيد ؛ قال يا اميرالمؤمنين اعلم انّك لست اول خليفة تموت ؛ فبكى عمروقال زدنى يا يزيد ، فقال يا اميرالمؤمنين ليس بينك وبين آدم الاّ أب ميّت ، فبكى وقال زدنى يا يزيد ، فقال ياامیرالمؤمنين ليس بين الجنّة والنار منزل ، فسقط مغشيّا عليه ، وليتلو الواعظ انّ الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ؛ وعليها يعادى من لاعلم له ؛ وعليها يحسد من لافقه له ، ومن صحّ فيها سقم ، ومن سلم فيها هرم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها

فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ، ومتشابهها عذاب ، من سعى اليها فاتته ، ومن قعد عنها أتته ، لا خيرها يدوم ولا شرّها يبقى

واعلم انّ الذى أصبحت فيه من النّعيم انّما صار اليك بموت غيرك و هو خارج من يدك بمثل ما صار اليك و هل الدنيا الاّ كما قال الأوّل قد ريغلى وكنيف يملأ

ولقد سئلت الدّار عن أخبارهم فتبسّمت عجبا و لم تبدى

حتى مررت على الكنيف فقال لى أموالهم و نوالهم عندى

وقال الرشيد لابن السّماك عظنى و بيده شربة من ماء ؛ فقال يا امير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشّربة أكنت تشتريها بملكك ؟ قال نعم ، قال أرأيت لو حبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك ؟ قال نعم ، قال فما (فلا) خير في ملك لايسوى شربة ولابولة

و حكى الأصمعى انّ النّعمان لمّا بنى الخورنق و أشرف عليه يوما و قد أعجبه ملكه وسعته ونفوذ أمره ، فقال لأصحابه هل أوتى أحد مثل ما اوتيت ؟ فقال له حكيم من حكماء أصحابه هذا الذى أوتيت شيء لم يزل ولا يزول أم شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك ؟ قال بل شيء كان لمن قبلى زال عنه وصار الىّ وسيزول عنّى ، قال فسررت بشيء تذهب عنك لذّته وتبقى تبعته ، قال فاين المهرب ؟ قال امّا ان تقيم و تعمل بطاعة الله او تلبس أمساحا و تلحق بجبل تعبد ربّك فيه و تفرّ من الناس حتى يأتيك أجلك ؛ قال فاذا فعلت ذلك فمالى ؛ قال حيوة لاتموت و شباب لا يهرم ، وصحّة لا تسقم و ملك جديد لا يبلى ؛ قال فاى خير فيما يفنى والله لأطلبنّ عيشا لا يزول ابدا ؛ فانخلع من ملكه ولبس الأمساح و سار فى الأرض وتبعه الحكيم ، وجعلا يسيحان فى الأرض و يعبدان الله حتى ماتا

وهذا القصر قد بناه رجل اسمه سنمّار ، فلمّا فرغ من بنائه دخله النّعمان و خواصّه وتعجّبوا من عظم بنائه و ارتفاعه ، فقال لهم ذلك البانى وأعجب من هذا انّى أريك آجرة فى حايطه اذا قلعتها تهدم هذا القصر العظيم كلّه فدلّه عليها ، فأمر به فرموه من أعلى القصر ، وقيل انّما رماه لئلا يبنى لغيره من الملوك مثله ؛ وقد صار جزاء سنمّار

مثلا بين الناس يضرب لمن يقابل الإحسان بالإسائة، و وجدت هذه الأبيات على مدينة سيف بن ذى يزن وهو من اعظم الملوك :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من معالى على (عن) معاقلهم فأسكنوا حفرا يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد مادفنوا أين الأسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التى كانت محجبة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا يوما وماشربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

وقد رأيت مدينة عظيمة فى فارس و هى على جبل ولها مصعد تصعد منه الدوابّ والحيوانات ، و هو من صخرة واحدة ؛ و فيه درجات كثيرة وفوق تلك المدينة مجلس عظيم قد كان له سقف والآن ليس هو بموجود ، و انّما الموجود منه أسطواناته و كلّ واحدة منها صخرة سوداء تقرب من المنارة إرتفاعا ، و فيها حمّام من صخرة واحدة ، و امّا طرقاتها فوضعها عجيب وهوانّ الطّريق وان طال قد صنعوه من اربعة أحجار ، فحجر هى أرضه و حجر فى يمينه و الاخرى عن شماله ، و الرابعة سقفه ، وله فرج من الجانب الفوقانى للضّوء ، و حدّثنا أهل تلك البلاد انّ تلك المدينة من بنيان الجنّ لسليمان عليه السلام ورأيت على بعض أحجارها مكتوبا هذين الشّعرين :

أين الملوك التى كانت مسلّطة حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
كم من مداين فى الافاق قد بنيت أمست خرابا ودار الموت أهليها

وفى الأخبار انّ إسكندر عليه السلام اجتاز يوما فى عسكره على رجل جالس فى مقبرة وبين يديه عظام رميمة وجماجم بالية وهو ينظر اليها ؛ فقال له الاسكندر ما تصنع فى هذه العظام ؟ فقال انّ هذه المقبرة. قد دفن فيها جماعة من الملوك فبعثنى الله سبحانه ان أعزل عظام الملوك عن عظام الفقراء فأنا أنظر فى هذه الجماجم والعظام ولا أعرف هذا من هذا ،فمضى الاسكندرعنه وقال والله ماعنى غيرى، وهذا كان السّبب فى طلبه الموضع

الذى مات فيه

و فى الرواية انّ داود عليه السلام اجتاز على غار فدخله فوجدفيه رجلاميتا عظيم الخلقة واذا عند رأسه حجر مكتوب فيه انادوسم الملك ؛ ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش وافترعت ألف بكر من بنات الملوك ثمّ صرت الى ماترى (رميما كما ترى) فصار التّراب فراشى والحجارة و سادتى ؛ والدّيدان جيرانى فمن رآنى فلا يغترّ بالدنيا كما غرّتنى

و روى انّ عيسى عليه السلام مرّ ذات يوم مع جماعة من أصحابه ، فلمّا ارتفع النّهار مرّوا بزرع قد أمكن من الفرك، فقالوا يا نبىّ الله انّا جياعٌ ، فأوحى الله تعالى اليه ان إئذن لهم فى قوتهم ؛ فأذن لهم فتفرّقوا فى الزّرع يفركون ويأكلون ، فبينما هم كذلك إذ جاء صاحب الزّرع و هو يقول زرعى و أرضى ورثتها من آبائى فباذن من تأكلون ؟ قال فدعى عيسى عليه السلام ربّه ، فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الأرض من لدن آدم الى ساعته ، فاذا عند كلّ سنبلة او ماشاء الله رجل او امرأة ينادون زرعى و أرضى و رثته عن آبائى ؟ ففزع الرجل منهم و كان قد بلغه أمر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه ؛ فلمّا عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله انّى لم أعرفك زرعى و مالى حلال لك ؛ فبكى عيسى عليه السلام و قال ويحك هؤلاء كلّهم قد ورثوا هذه الأرض وعمروها ثمّ ارتحلوا عنها ، و انت مرتحل عنها ولا حق بهم ليس لك ارض ولا مال ، و فى الدّيوان المنسوب الى مولانا امير المؤمنين عليه السلام انّه لمّا راى فاطمة عليها السلام مسجّاة بثوبها بكى فرثاها ثمّ قال:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة	و انّ الذى دون الممات قليل
أرى علل الدّنيا علىّ كثيرة	و صاحبها حتى الممات عليل
وانّ افتقادى فاطما بعد احمد	دليل على ان لايدوم خليل
الاأيّها الموت الذى لست تاركى	أرحنى فقد أفنيت كلّ خليل
أراك بصيرا بالذين أحبّهم	كأنّك تنحو نحوهم بدليل

و لمّا نفض يديه من ترابها تمثّل بقول بعض بنى ضبّة :

أقول وقد فاضت دموعى حسرة	أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخلاّى لوغير الحمام أصابكم عتبت ولكن ماعلى الموت معتب

و روى انّ عيسى عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان ، فأصابهما الجوع فانتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاشتر لنا طعاما، وقام عيسى عليه السلام يصلّى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة، فأبطأ عليه انصراف عيسى عليه السلام ، فأكل رغيفا ، فانصرف عيسى عليه السلام فقال اين الرّغيف الثالثة ؟ فقال ما كان الاّ رغيفين ، قال فمرّا على وجوههما حتّى مرّا بظباء ، فدعى عيسى عليه السلام ظبيا منها فنحروه وأكلوا منه ؛ فقال عيسى عليه السلام للظبى قم باذن الله فقام حيّا ؛ فقال الرّجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالّذى أراك هذه الاية من صاحب الرّغيف الثالث ؟ فقال ما كانا الاّ إثنين فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة ؛ فاذا قريب منها ثلاث لبنات من ذهب ، فقال الرجل هذا مال ؟ فقال عيسى عليه السلام أجل هذا مال واحدة لى وواحدة لك و واحدة لصاحب الرّغيف الثالث، فقال الرجل أنا صاحب الرّغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هى لك كلّها ففارقه ، فأقام عليها ليس معه ما يحمله عليه فمرّ عليه (به) ثلاثة نفر فقتلوه و أخذوا اللّبن ؛ فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فاتنا بطعام ؛ فذهب فقال أحد الباقين للاخر تعالى نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا ، وقال الذى ذهب أجعل فى الطّعام سمّا فاقتلهما وآخذ اللّبن : ففعل فلمّا جاء قتلاه و أكلا من الطّعام الذى جاء به فماتا ، فمرّ بهم عيسى عليه السلام وهم حولها مصروعون ؛ فقال الدنيا هكذا تفعل بأهلها ، و وجد مكتوبا على قبر سيف بن ذى يزن

من كان لايطأ التّراب برجله وطأ التّراب بصفحة الخدّ

من كان بينك فى التّراب وبينه شبران كان بغاية البعد

لو بعثرت للناس أطباق الثّرى لم يعرف المولى من العبد

و وجد مكتوبا على قصر بعض الملوك :

هذى منازل أقوام عهدتهم يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذّمم

تبكى عليهم ديار كان يطربها ترنّم المجد بين الحلم والكرم

و لبعضهم :

تروح لك الدنيا بغير الذى غدت ويحدث من بعد الامور أمور
وتجرى الليالى باجتماع وفرقة و تطلع فيها أنجم و تغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره فذاك محال لا يدوم سرور
عفى الله عما صيرالهم واحدا و أيقن ان الدايرات تدور

وفى الرواية ان رجلين تنازعا فى دار فأنطق الله لبنة من جدار تلك الأرض فقالت انى كنت ملكا من ملوك الأرض ملكت الدنيا ألف سنة ، فلما صرت ترابا أخذنى خزاف بعد ألف سنة فصيرنى خزفا ، فبقيت الف سنة ثم أخذنى لبان فصيرنى لبنة وانا فى هذا الجدار منذ كذا و كذا فلم تنازعا فى هذه الأرض

و روى انه سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شىء رأيته؟ فقال أعجب مارأيته انى مررت على مدينة ولم أرعلى وجه الأرض أحسن منها ، فسئلت بعضهم متى بنيت هذه المدينة ؟ فقالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا وأجدادنا متى بنيت ، و ما زالت كذالك من عهد الطوفان ؛ ثم غبت عنها نحوا من خمسمائة سنة وعبرت عليها بعد ذلك ، فاذا هى خاوية على عروشها ولم أراحد أسأله ، واذا رعاة غنم فسألتهم عنها؛ فقالوا لا نعلم، فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر، و اذا غواصون يخرجون منها اللؤلوء فقلت لبعض الغواصين منذ كم هذا البحر هيهنا ؟ فقالوا سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان ، ثم غبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه أجمة ملتفة بالقصب والبردى و السباع ، و اذا صيادون يصيدون السمك فى زوارق صغار ، فقلت لبعضهم اين البحر الذى كان هيهنا ؟ فقال سبحان الله ما يذكر آباؤنا واجدادنا انه كان هيهنا بحر قط ؛ فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم أتيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينة على حالته الأولى والحصون و القصور والأسواق قائمة ؛ فقلت لبعضهم اين الأجمة التى كانت هيهنا ومتى بنيت هذه المدينة ؟ فقال سبحان الله ما يذكر آباؤنا واجدادنا الا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان ، فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا

عاليها سافلها وحى تدخن بـدخان شديد فلم أراحدا أسأله عنها ؛ ثمّ رأيت راعيا فسألته أين المدينة التي كانت هيهنا ؟ و متى حدث هذا الدخان ؟ فقال سبحان الله ما يذكر آباؤنا وأجدادنا الاّ انّ هذا الموضع كان هكذا منذكان ، فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتى في الدنيا فسبحان مبيد العباد

ولمّا ثقل عبد الملك بن مروان راى غسّالا يلوى بيده ثوبا ، فقال وددت انّى كنت غسّالا لا أعيش الاّ بما اكتسبته يوما فيوما ، فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمدلله الذى جعلهم عند الموت يتمنّـون ما نحن فيه ولانتمنّى عنده ماهم فيه ؛ وكانت العرب لاتعرف الا لوان انّما طعامهم اللّحم يطبخ بماء و ملح حتى كان زمن معوية ، فاتّخذ الألوان و اسرف فيها وما شبع مع كثرة ألوانه حتى مات

وقيل ان السّبب الموجب لنزول معوية بن يزيد بن معوية عن الخلافة انّه سمع جاريتين يتلاحيان وكانت احديهما بارعة الجمال ، فقالت لها الأخرى لقد أكسبك جمالك كبر الملوك ، فقالت الحسناء واى ملك يضاهى ملك الحسن و هو قاض على الملوك وهو الملك حقّا ؛ فقالت لها واىّ خير فى الملك وصاحبه امّا قائم بحقوقه و عامل بالشّكر فيه فذاك مسلوب اللّذّة والقرار منغّص العيش ، وامّا منقاد لشهواته و مؤثر للذّته ومضيّع للحقـوق و منصرف عن الشّكر فمصيره الى النار ؛ فوقعت الكلمة من نفس معاوية موقعا مؤثّرا وحملته على الانخلاع عن الخلافة فقال له أهله أعهدت الى أحد يقوم بها مكانك ؟ فقال كيف أتجرّع مرارة فقدها وأتقلّد تبعة عهدها ، ولو كنت مؤثرا بها أحدا لآثرت بها نفسى ، ثمّ انصرف واغلق بابه ولم يأذن لأحد ؛ فلبث بعد ذلك خمسا وعشرين ليلة ثمّ قبض ؛ وقالت له امّه عند ما سمعت منه ذلك ليتك كنت حيضة ، فقال ليتنى كنت حيضة كما تقولين ولا اعلم انّ للناس جنّة ولا نارا ولا للنار اناسا ، ونحوذلك من الموعظ والنّصايح

و ينبغى للوالى ان لا يتأنق فى الملبس فى غير ايّام أعياده بل يلبس الأوسط من الثّياب ليرغب الناس فى لبس الادنى ، فتتوفر الأموال بين الرّعية ويكثر أسباب الخير عندهم ، وليعلم الوالى انّ كلّ رداء يرتديه فهو جميل و انّ الثّياب يعلو قدرها

بلبسه لا انها هى الّتى ترفع قدره ، و كان ملك السّلاطين مولانا امير المؤمنين عليه السلام قد رفع جبّة عند الخياط و وضع فيها سبعين رقعة حتى قال والله انى لأستحى من راقعها ان يرقعها لى مرّة اخرى ، والولاة لا يقدرون على هذا لكن لا يفوتهم الا قرب اليه ، وامّا المطعم فان تأنقوا فيه فينبغى لهم ان يحضروا طعاما مخصوصا بهم و يكون على المائدة طعام خال من التّكلّف لتأكله الولاة ، حتى انهم لو لم يأكلوا منه فلا أقلّ من ان يكون حاضرا معهم على الموائد وهو طعام الفقراء لتقتدى الناس به وليسهل على الفقير فقره ، وليكون مذكّر اللوالى واهل خاصّته احوال الفقراء والمساكين ومشبّههم فى بعض الأحوال فانّ من تشبّه بقوم كان منهم و ان لم يعمل عملهم كما جاء فى الرواية

و روى انّ فرعون كان له مضحكة يضحك من كلامه ، فأتى يوما الى باب فرعون ليدخل عليه فراى رجلا واقفا على باب فرعون رثّ الهيئة عليه عباءة سملة وبيده عصاء فقال له من أنت ؟ قال أنا موسى نبىّ الله أرسلنى الى فرعون أدعوه الى التّوحيد ، فرجع ذلك الرجل ولبس ثيابا مثل ثياب موسى عليه السلام ودخل على فرعون يحكى له قول موسى على طريق الاستهزاء ، فاغتاظ موسى عليه السلام من إستهزائه به ثمّ لما انتهى حال فرعون الى ان أغرقه الله تعالى اياه و جنوده فى شطّ النّيل فنجا الله سبحانه ذلك الرجل الذى استهزىء بموسى ، فقال يا رب كيف لاتغرق هذا و هو قد أذانى ؟ فأوحى الله تعالى يا موسى انى لا أعذّب من تشبّه بأحبابى وان كان على غير طريقهم (١)

(١) هذا الخبر لايخلو من تأمل فان الله تعالى ذم المستهزئين للانبياء (ص) و وبخهم فى كتابه الكريم وقال : ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن والاستهزاء على الانبياء (ص) كفر وزندقة وتلبس الرجل ثيابا مثل ثياب موسى (ع) على طريق الاستهزاء كيف يكون موجبا لعدم عذابه مع كون من تشبه باحباب الله تعالى على غير طريقة الانبياء (ص) فهل يمكن ان يقال : ان عبادة المخنث الذى كان رجلا مضحكا غريب الشكل و كان المتوكل العباسى يرقصه فى مجلس لهوه مشبها له بامير المؤمنين (ع) لايعذبه الله تعالى لكونه تشبه بافضل احباب الله واوليائه ؟ = حاشا وكلا. نعم والذى يهون الخطب ان ظاهر الخبر هو عدم عذاب الله تعالى من تشبه *

وروى انّ امير المؤمنين عليه السلام لمّا صار واليا منع نفسه من ان يبات شبعانا ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال ينبغى للوالى ان يكون فى مطعمه مثل أفقر رعيّته ، وأنا اخاف ان يكون رجل فى اليمامة قدبات جايعا فكيف أشبع انا من الطّعام

وينبغى للوالى ان يرفع حجابه وأهل أبوابه فى وقت الغداء والعشاء ؛ ويأمر بفتح الأبواب لتدخل الايتام واهل السّؤال فينالوا من طعامه شيئا ، ولا يكون أهل السّؤال يصيحون من وراء الجدران والأبواب حتى لو أمر لهم بطعام بيد أحد غلمانه فربّما أخذه الغلام لنفسه وربّما أعطاه الفقير وأعقبه بالاهانة و الضرب حتى لا يجيء مرّة اخرى ، امّا لأنّ ما يأخذه الفقير نقص من غداء الغلمان و عشائهم وامّا لأنّ الغلام اذا مشى الى الفقير الذى يكون واقفا خارج الأبواب فات على ذلك الغلام شيء من مقرّره من المائدة واما لغير ذلك ، بل ينبغى للوالى واهل الثّروات ان يعاينوا ويطلعوا على إعطاء السّائلين من موائدهم وان هم أعطوا بأيديهم فيالها من مكرمة لا يعد لها ثوابها شيء

و كان الصادق عليه السلام اذا أعطى السّائل درهما او نحوه أخذه من يد السّائل فقبّله و وضعه على عينه ، ثمّ دفعه اليه مرّة اخرى ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال لأنّ درهم السؤال اول ما يقع فى يدى الله تعالى فأحبّ ان أتشرّف به و أعظمه لمكان يدى الرحمة ، و كان الكاظم عليه السلام يتصدّق بالسكّر والحلوى فقيل له فى سببه ؟ فقال انّ الله تعالى يقول لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبّون وأنا أحبّ السّكر والحلوى فأحبّ ان أتصدّق

☆ باحبابه فى الدنيا واما فى الاخرة فله عذاب اليم

ثم لايخفى على القارى العزيز ان هذا الخبر صريح بان الله تعالى غرق فرعون وجنوده فى شط النيل وهذا دليل على ان هذا الخبر لايخلو من دس واختلاق فان الصحيح المتحقق ان الله تعالى غرق فرعون وجنوده فى خليج السويس من البحر الاحمر وعرضه بحسب اختلاف مواقعه من نحو عشرة اميال الى نحو عشرين ميلا انظر تفسير آلاء الرحمن للعلامة البلاغى ص ٩٢ ط صيدا

وقد غلط الشاعر الفارسى حيث ذكر النيل فى قوله :

گلستان کند آتشی بر خلیل گروهی بآتش برد ز آب نیل

بهما ، وفي الرواية انّ الله تعالى انّما أمهل فرعون ومدّ له في الملك مع ما كان عليه من الكفر انّه كان اذا حضرت موايده أمر بفتح الأبواب ورفع الحجاب ، وكان كلّ من يمرّ على بابه من الفقراء و الأيتام يأكل من طعامه ، و في رواية اخرى انّه كتب على باب قصره بسم الله الرحمن الرحيم ، فلمّا تعجّل موسى عليه السلام نزول العذاب عليه أوحى الله سبحانه اليه يا موسى أنت تنظر الى كفره وأنا أنظر الى ما كتبه على باب قصره

و روى انّ رجلا من اهل مصر رفع الى فرعون عنقود عنب ، و قال له أنت ربّنا فأطلب منك إن تحوّل هذا العنب لئالي كبارا ، فأخذ العنقود من يده ودخل بيتا من بيوته وغلق عليه الأبواب و جلس يتفكّر كيف يصنع في ذلك الأمر ، فأتى اليه الشيطان ودقّ عليه الباب ، فقال فرعون من بالباب ؟ فقال ابليس ضرطتي بلحية ربّ لا يدري من بالباب ، فعرفه فرعون (١) فقال أدخل يا ملعون ، فقال ابليس ملعون يدخل على ملعون فدخل عليه فرآه متحيّرا متفكّرا فأخذ العنقود وقرأ عليه اسما فصيّره عنقودا من اللؤلؤ قال له يا فرعون أنصف من نفسك أنا في هذا العلم والكمال و ما قبلوني ان اكون عبدا وأنت في هذا الجهل والحماقة تريد ان تكون ربّا ، فقال له فرعون لم لا سجدت لآدم حين أمرت بالسجود له ؟ فقال له ابليس لأنّي علمت انّ مثلك في صلبه

وما احسن مراسلة وقعت بين كسرى و قيصر وهو انّ قيصر ملك الرّوم بعث الى كسرى ملك الفرس ممّاذا انتم أطول منّا أعمار او أدوم ملكا؟ فأجابه كسرى أمّا بعد أيّها السّيد الكريم والملك الجسيم ؛ امّا سبب الملك وإعزازه في مغرزه ورسوخه في مركزه فلأمور أنتم عنها غافلون ولستم لأمثالها فاعلون ، منها ان ليس لنا نوّاب يرشي ويمنع ولا بوّاب يدفع ويردع لم تزل ابوابنا مشرعة و نوّابنا لقضى الحوائج مسرعة ، لا أقصينا صغيراً ولا أدنينا اميرا ولا احتقرنا بذوي العقول (الاصول) ، ولا قدّمنا الشّبّان على الكهول ولا كذبنا في وعد ولا صدقنا في ايعاد ولا تكلّمنا بهزل ولاسمنا وزيرا الى عزل ؛

(١) كيف عرف فرعون ابليس وتكلمه ولذا اظن ان هذه القضية أسطورة ذكروها من باب المطايبة والامثال

موائدنا مبسوطة و عقولنا مضبوطة لا نقطع فى أمـل ولا لجليسنا نمل ، خيرنا مضمون وشرّنا مأمون وعطاؤنا غير ممنون ؛ لا نحوج احدا الى باب بل نقضى بمجرّد الكتاب ، نرقّ للباكى ونستقصى قول الحاكى ما جعلنا همّنا بطوننا ولا فروجنا، امّا البطون فلقمة وامّا الفروج فأمـة ، ولا نؤاخذ على قدر غيظنا بل نؤاخذ على قدر الجناية ، ولا نكلّف الضّعيف المعدم ما يتحمّله الشّريف المنعم ولا نؤاخذ البرىء بالسّقيم ولا الكريم باللّئيم النّمام عندنا مفقود والعدل فـى جانبنا موجود الظّلم لانتعاطاه والجور أنفسنا تأباه ، لا نطمع فـى الباطل ولا نأخذ العشر قبل الحاصل ؛ لا ننكث العهود ولا نحنث فى الموعود الفقير عندنا مدعوّ والمفتخر لدنيامقصوّ ، جارنا لا يضام وعزيزنا لا يرام رغبتنا مرعيّة وحوائجهم لدنيا مقضيّة صغيرهم عندنا خطيروزريهم لدنيا كبير، الفقيربيننا لا يوجدوالغنى بما لديه يسعد العالم عندنا مكرم معظم والتّقى عندنا (لدنيا خ) موقّرمقدّم ، ولا يسدّ بمملكتنا باب ولا يوجد عندنا سارق ولا مرتاب سماؤنا ممطرة ر أشجارنا لم تزل مثمرة ، لا نعامل بالشّهوات ولانجازى بالهفوات، الطّيراالينا شاكى والبعيرأتانا متظلّم وباكى عدلنا قد عمّ القاصى والدّانى وجودنا قد غمر الطّايع والعاصى ، عقولنا باهرة و كنوزنا ظاهرة و فروجنا عفايف و ذيـولنا نظايف ؛ أفهامنا سليمة حلومنا جسيمة كفوفنا سوامح بحورنا طوافح نفوسنا أبيّة وطوالعنا المعيّة ، ان سئلنا أعطينا وان قدرنا عفينا (عفونا) وان وعدنا اوفينا وان غضبنا اغضينا ، فلمّا وصل الكتاب الى قيصر قال يحقّ لمن يكون هذه سياسته ان تدوم رياسته

وينبغى للوالى ان لا يشعر قلبه التّكبّر وان أظهره فى حضور الرّعيّة لمصلحة الملك واذا جلس اوركب ورأى العساكر حافّة به فليذكر ذلك الوقت عظمة الله سبحانه وليذكر حقارته وهو انه ، وانّ الملك زايل عنه الى غيره وأنّه يصل الى طبقات الأرض ويصاحب الدّيدان ، فاذا خطر بخاطره مثل هذا عرف قدر نفسه

و فى كتب السّير انّ عمر بن عبد العزيز كان له ابن وقد صاغ خاتما من ألف درهم ، فحكوا له ما صنع ابنه ؛ فكتب اليه يابنىّ بع الخاتم بألف درهم واشبع بها ألف

مسكين وصغ خاتما من اربعة دراهم و اكتب على فصّه رحم الله امرا عرف قدره ، فصنع ما أمره ؛ و في الحديث القدسى : العزّ إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنيهما أدخله نارى ولا أبالى

وقال عليه السلام يابن آدم أنّى لك والفخر فانّ أوّلك جيفة و آخرك جيفة وفي الدنيا حامل الجيف ؛ وقد سبق تحقيق هذا في باب التّكبّر

وينبغي للوالى ان يجعل لأمواله ثلثة من الوكلاء ، واحد منها يكون وكيله في قبض الأموال الحلال مثل مداخل أملاكه وتجاراته الحلال ونحو ذلك ليصرفها على نفسه وعلى تصدّقاته وعطاياه للعلماء والفقراء والأخيار ، وثانيها ان يكون وكيله في قبض الخراج والأموال الّتى تجبى اليه كلّ سنة ويكون قانونا سلطانيّا على الرعيّة فانّ مثل هذه تقرب من الحلال ان لم تكن حلالا ، وذلك انّ الوالى اذا كان عالما عاملا من عمّال السّلطان وأولاه تلك البلاد فكأنّه أعطاه مال خراجها ومقرّراتها و يكون الوزر على السّلطان ؛ فبهذا يكون داخلا تحت الشّبهات ولا يكون حراما محضا ، وثالثها ان يكون وكيله في قبض المحرّمات المحضة فانّ ولاة هذه الاعصار لا يتركون مثله ويكون مصرف هذا أهله فانّهم أحقّ به من الغير والاّ فلا يكون مصرف مثل هذا الاّ في الامور الحقيرة البعيدة من الشرع

ويجب على الوالى الوجوب العينى وهو أهمّ ما يجب عليه العدل وحياطة الرعيّة قال انوشيروان حصّن البلاد بالعدل فهو سور لا يغرقه ماء ولا يحرقه نار ولا يهدمه منجنيق وكان كسرى اذا جلس في مجلس حكمه أقام رجلين عن يمينه وشماله و كان يقول لهما اذا زغت (١) فحرّكونى ونبّهونى ، فقالا له يوما والرعيّة تسمع ايّها الملك انتبه فانّك مخلوق لا خالق وعبد لا مولى ، وليس بنيك وبين الله قرابة انصف الناس وانظر لنفسك

وقال بعض الحكماء اذا ولّيت ولاية فايّاك وان تسعين في ولايتك بأقاربك فتبتلى بما ابتلى به عثمان بن عفان واقض حقوقهم بالمال لا بالولاية ، وحمل بعض عمّال انوشيروان

---

(١) اى ملت عن الحق

إليه فی بعض السنين ثمانين الف درهم زيادة على الموظّف المقرّر، فسأله عن ذلك؟ فقال وجدت فی أيدی قوم فضلا فأخذته منهم؛ فقال ردّوا هذا المال على من أخذ منه فانّ مثلنا فی ذلك كمثل من طيّن سطحه بتراب أساس بيته، فيوشك ان يكون ضعف الأساس و ثقل السطح مسرعين فی خراب بيته

وفی الحديث من ولیّ من أمور المسلمين شيئا ثمّ لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوّأ مقعده من النّار؛ وروی ايضا انّه اذا كان يوم القيمة يؤتی بالوالی فيقذف على جسر جهنّم فيأمر الله سبحانه الجسر فينتفض به انتفاضة فيزول كلّ عظم منه عن مكانه، ثمّ يأمر الله تعالى العظام فترجع الى اماكنها ثمّ يسائله فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته و ان كان لله عاصيا أخرق به الجسر فهوی به جهنّم مقدار سبعين خريفا

وفی الرواية انّه كان فی زمن بنی اسرائيل سلطان ظالم فأوحی الله سبحانه الى نبیّ من أنبيائه أن قل لهذا الظّالم ما جعلتك سلطانا الاّ لتكفّ أصوات المظلومين عن بابی؛ فو عزّتی وجلالی لأطعمنّ لحمك الكلاب، فسلّط عليه سلطانا آخر حتى قتله فأطعم لحمه الكلاب

وروی انّ كسری صنع طعاما فدعی النّاس اليه، فلمّا فرغوا ورفعت الآلات وقعت عينه على رجل وقد أخذ جاما له قيمة كثيرة، فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الالات فلم يجدوا الجام؛ فسمعهم كسری يتكلّمون فقال ما لكم؟ قالوا فقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم أخذه من لا يردّه و أبصره من لاينمّ عليه فلمّا كان بعد ايّام دخل الرجل على كسری وعليه حلية جميلة و حال مستجدة، قال له كسری هذا من ذاك؟ قال نعم، ولم يقل له شيئا

وروی اهل السّير والتواريخ انّ كسری انوشيروان قد ظلم فی أوّل حكمه كثيرا حتى بلغ ظلمه الى رجل راهب كان يعبدالله فی صومعته، فكتب العابد اليه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم ملكتم فأسأتم، و وسّع عليكم فضيّقتم، نسيتم سهام الأسحار و هی

صائبة خصوصا اذا خرجت من قلوب قد اقترحتموها و اكباد قد اوجعتموها و اجساد قد أعريتموها و أجفان عين قد أجريتموها ، فاعملوا ماشئتم فأنا صابرون وجوروا فانّا بعزّة الله واثقون ، وسيعلم الذين ظلموا اىّ منقلب ينقلبون

وينبغي يعلم انّ نيّات الملوك والولاة لهمدخل في زيادة معايش الرعيّة ونقصانها ، و روى الكليني عن ابيه قال خرج كسرى فى بعض ايّامه للصيد فعنّ له صيد فتبعه فانقطع عن اصحابه ، فرفع له كوخ فقصده فاذا عجوز بباب الكوخ جالسة ، فقالت له أنزل فنزل ودخل الكوخ فاذا ابنة العجوز قد جاءت و معها بقرة ، فأدخلتها الكوخ و كسرى ينظر وقال فى نفسه

ينبغى ان نجعل على كلّ بقرة اتاوة فهذا حلاب كثير ، فلمّا مضى من اللّيل شطره قالت العجوز يا فلانة قومى الى البقرة فاحلبيها فقامت الى البقرة فوجدتها حايلا فنادت امّها يا امّاه قد اضمرلنا الملك شرّا قالت وما ذلك؟ قالت لأنّ هذه البقرة حائل وما تدرّ بقطرة ؛ فقالت لها امّها امكثى فانّ عليك ليلا ؛ فقال كسرى فى نفسه من أين لها انّى أضمرت فى نفسى الشرّاما انّى لا أفعل ذلك ؛ قال فمكثت قليلا ثمّ نادتها يا بنيّة قومى احلبى البقرة ، فقامت اليه فوجدتها حاملا فنادت يا امّاه قد ذهب والله ما كان فى نفس الملك من الشّر فهذه البقرة حاملا ، فحلبتها وأقبل الصّبح وتتبّع الرجال كسرى أثره حتى أتوه ، فركب وامر بحمل العجوز وابنتها اليه فحملتا فأحسن اليهما ، وقال كيف علمت انّ الملك قدأضمر شرّاوان الشّر الذى قد اضمره قد عدل عنه ؟ قالت العجوز أنا بهذا المكان من كذا و كذاما عمل فينا بعدل الاّ أخصب بلادنا واتّسع عيشنا ، وماعمل فينا بجور الاّ ضاق عيشنا وانقطعت موادّ النّفع عنّا

و فى كتاب عجائب المخلوقات انّ ريحان الفارسى وهو الأخضر لا الذى يميل الى الحمرة لم يكن قبل كسرى انوشيروان وانما وجد فى زمانه؛ وسببه انّه كان ذات يوم جالسا للمظالم اذا قبلت حيّة عظيمة تنساب تحت سريره فهمّوا بقتلها ، فقال كسرى كفوّا عنها فانّي أظنّها مظلومة ، فمرّت تنساب حتي استدارت علي فوهة بئر ؛ فنزلت فيها ثم أقبلت

تتطلع فنظروا فاذا فى قعر البئر حيّة مقتولة و على ظهرها عقرب أسود ، فأدلى بعضهم رمحه الى العقرب فنخسها به وأتى الملك فخبّره بحال الحيّة ، فلمّا كان فى العام القابل أتت الحيّة فى اليوم الذى كان كسرى جالسا فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت ولفظت من فيها بذرا أسود ، فأمر الملك ان يزرع فنبت منه الرّيحان ، و كان الملك كثير الزكام وأوجاع الدماغ فاستعمل منه ونفعه جدّا ، فانظر الى عدل هذا الملك اين بلغ؛ على انّ النّبى صلى الله عليه وآله قال ولدت فى زمن الملك العادل يعني به كسرى

ورووا انّه لمّا اراد بناء قصره الذى فى المداين أمر بشراء ما حوله و رغب الناس فى الثمن الوافر الاّ عجوز كان لها بيت صغير ، قالت ما أبيع جوار السلطان بالدنيا كلّها ، فاستحسن أنوشيروان منها هذا القول و أمر بترك ذلك البيت على حاله و إحكام عمارته وبنى الأيوان محيطا به و كان فى جانب الأيوان قبّة محكمة العمارة يعرفها أهل تلك النّاحية بقبّة العجوز ، و كان على الأيوان نقوش وصور بالتّزاويق ، وقد شكوا غلمان الدار الى انوشيروان وقالوا انّ العجوز تدخن فى بيتها و دخانها يفسد نقوش الأيوان ، فقال كلّما أفسدت أصلحوها ولا تمنعوها من التدخين ، و كان للعجوز بقرة تأتيها آخر النّهار لتحلبها ؛ فاذا وصلت الى الأيوان طووا فرشه لتمشى البقرة الى باب قبة العجوز فاذا فرغت من حلبها رجعت البقرة و سوّوا الفرش و كان هذا مذهبه فى العدل

و روى انّ المأمون ارق ليلة فاستدعى سميره (١) تحدّثه بحديث، فقالت يا اميرالمؤمنين كان بالبصرة بومة و بالموصل بومة فخطبت بومة البصرة الى بومة الموصل بنتها لا بنها فقالت بومةالبصرة لا أنكحك ابنتى الاّ ان تجعل فى صداقها مائة ضيعةخراب فقالت بؤمة الموصل لاأقدرعليها الان ولكن ان دام والينا سلّمه الله تعالى علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك فاستيقظ المأمون وتفقّد أمر الولاة

وروى شيخنا الكلينىره باسناده الى الامام ابى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

(١) الذى يحدث بالليل

قال انّ الله عزّ وجل جعل لمن جعل له سلطانا أجلا ومدّة من ليالى وايّاما وسنين وشهور فان عدلوا فى الناس أمرالله عزّ و جلّ صاحب الفلك فأبطأ بادارته فطالت ايّامهم ولياليهم و سنونهم و شهورهم و ان جاروا فى الناس ولم يعدلوا امر الله تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرع بادارته فقصرت لياليهم وايّامهم وسنونهم و شهورهم و قدوفى الله عزّ وجلّ بعدد اللّيالى والشّهور

قال شيخنا المعاصر ادام‌الله ايّامه لعلّ المراد بسرعة ادارة الفلك و بطؤها تعجيل زوال اسباب الملك و عكسه، ويجوز ان يكون لكلّ دولة فلك غير الأفلاك المعروفة الحركات فيكون سرعة الادارة وبطؤها عارضين لذلك الفلك انتهى و كانّه ايّده‌الله تعالى اراد دفع الاعتراض على ظاهر الحديث من وجهين

الاوّل ما ذهب اليه الحكماء والمنجّمون من انّ الفلك لا يمكن ان يزول عن الحركة الّتى هى عليها الان وبرهنوا بزعمهم على هذا

الثانى انّه ربّما كان سلطان جائر فى بلاد من البلدان وسلطان عادل فى بلاد اخرى فكيف يكون جور هذا وظلمه سببا فى زوال ملك الاخر و نقص عمره مع انّ رعيّة الجائر ايضا ممّا ليس لهم ذنب فى الجور فكيف تنقضى ايّام اعمارهم على طريق السرعة

والجواب عن الاول انّه قد ورد فى الاخبار المستفيضة وقد تقدّم بعضها انّ ايّام دولة المهدى عليه السلام انّما تكون كلّ سنة منها تعادل سبع سنين من هذه السّنين فقيل له يابن رسول الله انّ الفلك لاتزول عن حركته هذه؛ ولوزال لفسد؟ فقال عليه السلام هذا قول الزنادقة والمنجّمين؛ والمراد بالزنادقة الحكماء

و امّا الاشكال الثانى فالجواب عنه انّ غير الجاير من الرعيّة والملوك ان قدروا على إزالته عن الملك و سكتوا عنه مداهنة فالذى يصيبهم من قصر الاعمار والملك انّما هو بسبب المداهنة وقد عذّب الله تعالى فى الأمم السّابقة من اذنب و من داهن وجعلهم فى العذاب سواء، ومن لم يقدر على إزالته عن الملك فكان ينبغى له ان يفرّ عن بلاده و يطلب بلاد الله العريضة لأنّ السّكنى مع الظالمين ذنب حتى انّه ورد فى الحديث لو انّ الجمل

يبنى بيتا فى محلّة الظّالمين لعذّبه الله تعالى بعذابهم، وامّا من لم يقدر على الفرار وكان الظّلم قد عمّ البلاد والعباد فيجوز ان يكون سبحانه وتعالى يضيف الى أعمار هؤلاء الذين لم يذنبوا بوجه من الوجوه بقيّة ايّامهم الّتى اسرع اليها الظّلم بحركته فيعوّضهم بدلها ايّاما وليالى فى دولة من يأتى من الملوك، ويظهر من هذا الخبر وغيره انّ ايام دولة الولاة مكتوب عن الله تعالى لا يزيد ولا ينقص الّا بالجور والعدل ولو اراد النّاس والرعيّة والعساكر زواله ما قدروا عليه بوجه من الوجوه كما هو المشاهد حتى تنقضى الأيّام و ويأذن الله بزوال ذلك الملك فعند ذلك يزول بأنقص الاسباب وأدناها

فلا ينبغى ان يخطر بخاطر احد من الولاة انّنى اذا فعلت الفعل الفلانى كان سببا لزوال ملكى الّا ان يكون ظالما فى ذلك الفعل فحينئذ يجب على الوالى دفع الظالمين الذين يظلمون الرعيّة ويخيفون الطّرقات و يمنعون المتردّدين و يغيرون القوافل ونحو ذلك فان لم يدفعهم عن ظلمهم كان له الحظّ الاوفر من العذاب والعقاب ويكون مداهنته معهم هى السّبب الاقوى فى زوال ملكه مع انّه قد ظنّ انّه سبب لبقاء ملكه

وفى بعض الأخبار انّ عدل الحاكم يوما يعادل عبادة العابد خمسين سنة وليس العدل هو انّ القضيّة اذا بلغت اليه حكم بها على طريق الحقّ وانّما العدل وروده هو على القضايا لا ورود القضايا عليه بأن يكون له اطّلاع على بلاده و محاله ويكون له العيون والجواسيس فى أقطار ممالكه حتى يتعرّفوا القضايا و يوردوها عليه؛ وهكذا كان أحوال السّلف من الملوك، ولا يجوز للوالى ان يضرب الأستار و يغلق الأبواب فى وجوه المسلمين، ولينظر الى قول الصادق عليه السلام من ضرب بينه وبين أخيه حجابا ضرب الله بينه و بين الجنّة سبعين حجابا مسير كلّ حجاب منها سبعون عاما او أكثر، وليجعل له وقتا خاصا لتفرّده بنفسه ومع عياله واهل بيته كما كان يصنع النّبى صلى الله عليه وآله

وقد كتب مولانا امير المؤمنين عليه السلام لعامله مالك الأشتر قانونا للأمارة والولاية نقلها علماؤنا رضوان الله عليهم فى الكتب المعتبرة وهذا لفظها: هذا ما امر به علىّ عبدالله

امیر المؤمنین مالك بن الحرث الاشتر فی عهده الیه (١) حین ولاه مصر جبایة خراجها و جهاد عدوها واستصلاح اهلها و عمارة بلادها ، أمره بتقوی الله وایثار طاعته واتباع ما أمره به فی کتابه من فرایضه وسننه التی لا یسعد أحد الا باتباعها ولا یشقی احد الا مع جحودها واضاعتها ، وان ینصر الله سبحانه بیده و قلبه و لسانه فانه جل اسمه قد تکفل بنصرة من نصره وإعزاز من أعزه ، وأمره ان یکسر من نفسه عند الشهوات وتزعه عند الجمحات فان النفس أمارة بالسوء الا ما رحم الله

ثم اعلم یا مالك انی قد وجهتك الی بلاد وقد خرجت علیها دول قبلك من عدل وجور ، وان الناس ینظرون من أمورك فی مثل ما کنت تنظر فیه من أمور الولاة قبلك ؛ ویقولون فیك ما کنت تقول فیهم ، و انما یستدل علی الصالحین بما یجری الله لهم علی ألسن عباده ، فلیکن أحب الذخائر الیك ذخیرة العمل الصالح ، فاملك هواك و شح بنفسك عما لا یحل لك فان الشح بالنفس الانصاف فیما احبت او کرهت ، واشعر قلبك الرحمة للرعیة والمحبة واللطف بهم ولا تکونن علیهم سبعا ضاریا تغتنم أکلهم ؛ فانهم صنفان اما أخ لك فی الدین ، و اما نظیر لك فی الخلق یفرط منهم الزلل و تعرض لهم العلل و یؤتی علی أیدیهم فی العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذی تحب ان یعطیك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم و والی الامر علیك فوقك والله فوق من ولاك وقد استکفاك أمرهم وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا یدی لك بنقمة ولا غنی بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن علی عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الی بادرة وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولن انی مؤمر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فی القلب ومنهکة للدین وتقرب من الغیر ، واذا أحدث لك ما انت فیه من سلطانك ابهة او مخیلة فانظر الی اعظم ملك الله فوقك وقدرته منك علی مالا تقدر علیه من نفسك فان ذلك یطامن الیك من طماحك ، ویکف عنك من غربك ویفی الیك بما عزب عنك من عقلك ، ایاك و مسامات الله فی عظمته والتشبه به فی جبروته فان الله یذل کل جبار و یهین کل مختال ؛

(١) لهذا العهد شروح کثیرة نثراً ونظماً یطول الکلام بذکرها

انصف الله وانصف من نفسك و من خاصّة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك فانّك الاّ تفعل تظلم ؛ ومن ظلم عبادالله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب ، وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله و تعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فانّ الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظّالمين بالمرصاد

وليكن أحبّ الامور اليك أوسطها فى الحقّ وأعمّها فى العدل و أجمعها لرضى الرّعية ، فـان سخط العامّة يجحف برضا الخاصّة ، و أنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة ، وليس أحد من الرعيّة أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء و أقلّ معونة له فى البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالالحاف وأقلّ شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عندالمنع وأضعف صبرا عند ملمّات الدّهر من اهل الخاصّة ؛ وانّما عمود الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء العامّة من الامّة، فليكن صغوك لهم و ميلك معهم ، وليكن أبعد رعيّتك منك و أشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فانّ فى الناس عيوبا الوالى أحقّ من سترها فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها ؛ فانّما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك ؛ فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ماتحبّ ستره من رعيّتك ، اطلق عن الناس عقدة كلّ حقد واقطع عنك سبب كلّ وتر وتغاب عن كلّ مالا يصحّ لك ، ولا تعجلنّ الى تصديق ساع فانّ السّاعى غاش وان تشبّه بالنّاصحين

ولاتدخلنّ فى مشاورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر ، ولاجبانا يضعفك عن الامور ، ولا حريصا يزين لـك الشّره بالجور فانّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله ، شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ، ومن شركهم فى الاثام فلا يكونن لك بطانة فانّهم أعوان الاثمة واخوان الظّلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم و نفادهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممّن لم يعاون ظالما على ظلمه ولاآثما على اثمه؛ اولئك أخفّ عليك مؤنة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفا واقلّ لغيرك الفا ، فاتّخذ اولئك خاصّة لخلواتك وحفلاتك ، ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ و أقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه

واقعا ذلك من هواك حيث وقع ، والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فانّ كثرة الاطراء تحدث الزّهو وتدنى من الغرّة

ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فانّ فى ذلك تزهيدا لأهل الاحسان فى الاحسان و تدريبا لأهل الاسائة على الاسائة والزم كلاّ منهم ما ألزم نفسه واعلم انّه ليس شيء بأدعى الى حسن ظنّ وال (راع خ) برعيّته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات عنهم وترك استكراهه ايّاهم على ما ليس له قبلهم؛ فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظّن برعيّتك فانّ حسن الظنّ يقطع عنك نصبا طويلا، وانّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده و انّ أحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده ؛ ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الامّة و اجتمعت بها الالفة و صلحت عليها الرعيّة ، ولا تحدثنّ سنة بشيء يضرّ بشيء من ماضى تلك السّنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها ؛ واكثر مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك

و اعلم انّ الرعيّة طبقات لا يصلح بعضها الاّ ببعض ؛ ولا غنى لبعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتّاب العامة والخاصّة و منها قضاة العدل ؛ ومنها عمّال الانصاف والرفق ؛ و منها اهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة النّاس ، ومنها التجّار وأهل الصّناعات ؛ ومنها الطّبقة السّفلى من ذوى الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمّى الله سهمه و وضع على حده و فريضته فى كتابه او سنّة نبيه ﷺ عهدا منه عندنا محفوظا

فالجنود باذن الله حصون الرعيّة وزين الولاة وعزّ الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعيّة الاّ بهم ، ثمّ لا قوام للجنود الاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به فى جهاد عدوّهم ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكون من وراء حاجاتهم ؛ ثمّ لا قوام لهذين الصّنفين الاّ بالصّنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب لما يحكمون من المعاقد و يجمعون من المنافع و يؤتمنون عليه من خواصّ الامور وعوامها ، ولا قوام لهم جميعا الا بالتجّار وذوى الصّناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم

من التّرفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ، ثمّ الطّبقة السّفلى من أهل الحاجة و المسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى الله لكلّ سعة ولكلّ على الوالى حقّ بقدر مايصلحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ما الزمه الله تعالى من ذلك الاّ بالاهتمام و الاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحقّ والصّبر عليه فيما خفّ عليه او ثقل ، فولّ من جنودك أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولامامك أنقاهم جيباً وافضلهم حلماً ممّن يبطىء عن الغضب ويستريح الى العذر، ويرأف بالضّعفاء و ينبو على الاقوياء ، و ممّن لا يثير العنف ولا يقعد به الضّعف ، ثم الصق بذوى الاحساب و أهل البيوتات الصّالحة والسّوابق الحسنة

ثمّ اهل النجدة والشّجاعة والسّخاء والسماحة فانّهما جماع للكرم و شعب من العرف ، ثمّ تفقّد من أمورهم ما تتفقده الوالدة من ولدها ولا يتفاقمن فى نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرنّ لطفا تعاهدتهم به وان قلّ فانّه داعية الى بذل النّصيحة لك وحسن الظّنّ بك ، ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فانّ لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لايستغنون عنه وليكن آثر رؤوس جندك عندك(١) من ساواهم فى معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم من ورائهم من خلوف أهليهم حتى يكون همّهم همّا واحدا فى جهاد العدوّ ؛ فانّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، ولا تصحّ نصيحتهم الاّ بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلّة استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم وافسح فى اموالهم و اوصل من حسن الثّناء عليهم وتعديل ما أبلى ذو البلاء منهم ، فانّ كثرة الذكر لحسن أفعالهم يهزّ الشّجاع و يحرّض النا كل ان شاء الله

ثمّ اعرف لكلّ امرء منهم ما أبلى ولا تضمّن بلاء أحد الى غيره ، ولا تقصرنّ

---

(١) آثر اى افضل واعلى منزلة فليكن افضل رؤساء الجند من واسى الجندى ساعدهم بمعونته لهم وافضل عليهم اى افاض و جاد من جدته والجدة ـ بكسر ففتح : الغنى والمراد ما بيده من ارزاق الجند وما سلم اليه من وظائف المجاهدين لايقتر عليهم فى الفرض ولاينقصهم شيئامما فرض لهم بل يجعل العطاء شاملا لمن تركوهم فى الديار من خلوف الاهلين : جمع خلف ـ بفتح فسكون ـ من يبقى فى الحى من النساء والعجزة بعد سفر الرجال (عبده)

به دون غاية بلائه ، ولا يدعونّك شرف امرء الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرء الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما ، واردد الى الله ورسوله ما يطعلك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور ، فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ ارشادهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شيء فردّوه الى الله ورسوله ، فالرادّ الى الله الاخذ بمحكم كتابه ، والراد الى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة

ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك فى نفسك ممّن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم (١) ولا يتمادى فى الزلّة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه، ولا تشرق نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه أو قفهم فى الشّبهات وآخذهم بالحجج وأقلّهم تبرّما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشّف الأمور ؛ واصرمهم عند اتّضاح الحكم ممّن لا يزهيه اطراء ولا يستميله إغراء ، واولئك قليل ، ثمّ اكثر تعاهد قضائه و افسح له فى البذل ما يزيل علّته و تقلّ معه حاجته الى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر فى ذلك نظرا بليغا فانّ هذا الدّين قد كان أسيرا فى أيدى الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدّنيا

ثمّ انظر فى أمور عمّالك فاستعملهم فى أمورك اختيارا ولا تولّهم محاباة واثرة فانّهما جماع من شعب الجور والخيانة ؛ وتوخّ منهم أهل التّجربة والحياء من البيوتات الصّالحة والقدم فى الاسلام المتقدّمة ؛ فانّهم اكرم أخلاقا وأصحّ أغراضا وأقلّ فى المطامع اشرافا ؛ وابلغ فى عواقب الامور نظرا ، ثم اسبغ عليهم الأرزاق فانّ ذلك قوّة لهم على إستصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجّة عليهم ان خالفوا أمرك او ثلموا أمانتك ، ثمّ تفقّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصّدق والوفاء عليهم فانّ

(١) امحكه جعله محكان اى عسر الخلق اواغضبه اي لاتحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه

تعاهدك فى السّر لأمورهم جذوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعيّة ، و تحفظ من الأعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا وبسطت عليه العقوبة فى بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ؛ ثمّ نصبته بمقام المذلّة و وسمته بالخيانة وخلّدته عار التّهمة

وتفقّد امر الخراج بما يصلح أهله فانّ فى صلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الاّ بهم، لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى إستجلاب الخراج ، لأنّ ذلك لا يدرك الاّ بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة وأخرب البلاد وأهلك العباد لم يستقم أمره الاّ قليلا ، فان شكوا ثقلا أوعلة اوانقطاع شرب اوبالّة او احالة ارض اغتمرها غرق او أحجف بهاعطش خففت عنهم بما ترجوا ان يصلح به أمرهم فلا يثقلنّ عليك شىء خفّفت به المؤنة عنهم فانّه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلادك و تزيّن ولايتك مع استجلاب حسن ثنائك و تبجّجك باستفاضة العدل فيهم متعمّد أفضل قوّتهم بما ذخرت عندهم من إجمالك لهم والثّقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربّما حدث من الامورما اذاعوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيّبة أنفسهم به فانّ العمران محتمل ما حمّلته و انّما يؤتى خراب الأرض من إعواز اهلها و انّما يعوز اهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنّهم بالبقاء وقلّة انتفاعهم بالعبر

ثمّ انظر فى حال كتّابك فولّ على أمورك خيرهم وأخصص رسائلك الّتى تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممّن لا تبطره الكرامة فيجترى بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك و إصدار جواباتها على الصّواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطى منك ؛ ولا يضعف عقدا عقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولايجهل مبلغ قدرنفسه فى الأمور ؛ فانّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ، ثمّ لايكن إختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك وحسن الظّنّ منك ، فانّ الرجال يتعرّفون لفراساة الولاة بتصنّعهم وحسن خدمتهم ،

وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ، و لكن آختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعهد لأحسنهم كان في العامة أثر او أعرفهم بالأمانة وجها ، فانّ ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره ، و اجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهرها كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ، و مهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته ثمّ استوص بالتجار و ذوي الصناعات و أوص بهم خيرا ؛ المقيم منهم والمضطرب بما له و المترفق بيديه ، فانّهم موادّ المنافع و أسباب المرافق وجلاّبها من المباعد والمطارح في برّك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترؤن عليها فانّهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته ؛ وتفقّد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك ، و اعلم مع ذلك انّ في كثير منهم ضيقا فاحشا و شحاً قبيحا واحتكارا للمنافع و تحكّما في البياعات ، وذلك باب مضرّة للعامّة وعيب على الولاة ؛ فامنع من الاحتكار فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه و ليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل و أسعار لا يجحف بالفريقين من البايع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد نهيك ايّاه فنكّل و عاقب في غير إسراف

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم و المساكين و المحتاجين والبؤسى و الزمنى ، فانّ في هذه الطبقة قانعا و معترّا واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلاّت صوافي الاسلام في كلّ بلد فانّ للأقصى منهم مثل الذى للأدنى ، و كل قد استرعيت حقّه فلا يشغلنّك عنهم بطر فانّك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم فلا تشخص همّك عنهم ولا تصعّر خدّك لهم ، وتفقّد أمور من لا يصل اليك منهم ممّن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع اليك أمورهم ، ثمّ اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فانّ هؤلاء من بين الرّعيّة أحوج الى الانصاف من غيرهم ؛ و كلّ فاعذر الى الله في تأدية حقّه اليه ، وتعهّد اهل اليتم وذوي الرقّة في السنّ ممّن لاحيلة له ولا ينصب للمسئلة نفسه ؛ و ذلك على الولاة ثقيل والحقّ كلّه ثقيل وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم و وثقوا بصدق موعود الله لهم

و اجعل لذوی الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عامّا فتواضع فيه لله الذی خلقك و تقعد عنهم جندك و أعـوانك من أحراسك و شرطك حتی يكلّمك مكلّمهم غير متتعتع ، فانّی سمعت رسول الله ﷺ يقول فی غير موطن لن تقدّس أمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوی غير متعتع ؛ ثم أحتمل الخرق منهم والعیّ و نحّ عنك الضّيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته و أعط ما أعطيت هنيئا و امنع فـی اجمال و اعذار ؛ ثم أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها منها إجابة عمّالك بما يعيی عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك ممّا تحرج منه صدور أعوانك، وامض لكلّ يوم عمله فانّ لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك و بين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الاقسام وان كانت كلّها لله اذا صلحت فيه النّيّة و سلمت منها الرعيّة

وليكن فی خاصّة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه الّتی هی له خاصّة فاعط الله من بدنك فی ليلك و نهارك ، ووفّ ما تقرّبت به الی الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغامن بدنك مابلغ ، و اذا أقمت فی صلوتك للناس فلا تكوننّ منفّرا ولا مضيّعا(١) فانّ فی الناس من به العلّة وله الحاجة ، وقد سئلت رسول الله ﷺ والحين وجّهنی الی اليمن كيف أصلّی بهم؟ فقال صلّ بهم كصلاة أضعفهم و كن بالمؤمنين رحيما

وامّا بعد هذا فلا تطولنّ إحتجابك عن رعيّتك فانّ احتجاب الولاة عن الرعيّة شعبة من الضّيق وقلّة علم بالامور ؛ والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصّغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشابه الحق بالباطل وانّما الوالی بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق مـن الكذب وانّما انت أحد رجلين امّا امرء وسخت نفسك بالبذل فی الحق ففيم احتجابك من واجب حقّ تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلی بالمنع فما اسرع كـفّ الناس عن مسألتك اذا أيسوا من بذلك ، مع انّ اكثر حاجات

(١) التنفير بالتطويل والتضييع بالنقص فی الاركان والمطلوب التوسط

الناس منك لغيرك وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الامور وينتصف منك للمظلوم ، املك حميّة أنفك و سورة حدّك وسطوة يدك و عزب لسانك واحترس من كل ذلك بكفّ البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربّك ، والواجب عليك ان تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك من حكومة عادلة او سنّة فاضلة او أثر عن نبيّنا صلى الله عليه وآله فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدته مما علمنا به فيها وتجتهد نفسك فى اتباع ما عهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجّة لنفسى عليك لئلاّ تكون لك علّة عند تسرّع نفسك الى هواها ؛ وان ظنّت الرعيّة بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك ، فانّ فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيّتك واعذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحقّ ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوّك لله فيه رضى فانّ فى الصّلح دعة لجنودك و راحة من همومك وأمنا لبلادك؛ ولكنّ الحذر من عدوّك بعد صلحه فانّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل فخذ بالحزم و اتّهم فى ذلك حسن الظّن ، وان عقدت بينك وبين عدوّك عقدة او ألبسته منك ذمّة فحطّ عهدك بالوفاء وارع ذمّتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنّة دون ما اعطيت فانّه ليس من فرايض الله سبحانه شيء الناس أشدّ عليه اجتماعا مع تفريق اهوائهم وتشتّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر ، فلا تغدرنّ بذمّتك ولا تخيسنّ بعهدك ولا تختلن عدوّك فانّه لا يجترىء على الله الاّ جاهل شقىّ وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتّوثقة ، ولا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب إنفساخه بغير الحق فانّ صبرك على ضيق أمر ترجوا انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله فيه طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك

ايّاك والدماء وسفكها بغير حلّها فانّه ليس شيء أدعى لنقمته ولا أعظم لتبعة ولا

أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها ، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ؛ فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فانّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عندالله ولا عندي في قتل العمد لأنّ فيه قود البدن ، وان أبتليت بخطأ، وافرط عليك سوطك او سيفك او يدك بعقوبة فانّ في الوّكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن ان تؤدّى الى اولياء المقتول حقّهم

و ايّاك والاعجاب بنفسك والثّقة بما يعجبك منها وحبّ الاطراء فانّ ذلك من أوثق فرص الشّيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسن، وايّاك والمنّ على رعيّتك باحسانك والتزيّد فيما كان من فعلك أو ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فانّ المنّ يبطل الاحسان والتزيّد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عندالله و الناس قال الله سبحانه كبر مقتا عندالله ان تقولوا مالا تفعلون

وايّاك والعجلة بالامور قبل او انها والتّساقط (١) فيها عند امكانها او اللّجاجة فيها اذا تنكرت(٢)(تنكرت خ)اوالوهن عنها اذا استوضحت،فضع كلّ أمر موضعه وأوقع كلّ عمل موقعه؛ و ايّاك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتّغابي عمّا يعنى به ممّا قد وضح للعيون فانّه مأخوذ منك الناس اليك بلا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة

ثمّ انّ للوالي خاصّة و بطانة فيهم استئثار و تطاول و قلّة انصاف فاحسم مؤنة (مادة خ) اولئك بقطع أسباب تلك الاحوال ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك و خاصتك (حامّتك)قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضرّ بمن يليها من الناس في شرب اوعمل

---

(١) التساقط - بمدالسين - من ساقط الفرس عدوه اذا جاء مسترخيا و في نسخة نهج البلاغة المطبوعة مع شرح عبده :

التسقط من قولهم في الخبر يتسقط اذا اخذه قليلا قليلا يريد به هنا التهاون .

(٢) قال عبده تنكرت لم يعرف وجه الصواب فيها واللجاجه الاصرار على منازعة الامر ليتم على عسر فيه

مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك فى الدنيا والاخرة؛ والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد و كن فى ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان بغية (مغبة) ذلك محمودة وانا اسئل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقنى واياك لمافيه رضا من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد و جميل الاثر فى البلاد و تمام النعمة وتضعيف الكرامة ؛ وان يختم لى ولك بالسعادة و الشهادة وانا اليه راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا هذا آخر رسالته عليه السلام وهى كافية لمن اراد العمل بها من الحكام والولاة ، وفيها سلطان الدنيا وملك الاخرة؛ فمن قصد العمل بها أوتى خير الدنيا والاخرة ، وهذه الوصية تحتاج الى شرح حسن منقح لا يخلو من بعض الطول لأنها كلام من قيل فيه انّ كلامه فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق ، وحيث انّ شرحها هنا يحتاج الى بسط فيطول الكتاب فان وفق الله سبحانه جعلناه كتابا منفردا و بالله الاستعانة فى كل الأمور

وقد بقى رسالة اخرى رويناها بأسانيد (١) متعددة الى عبدالله بن سليمان النوفلى قال كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فاذا بمولى لعبدالله النجاشي فدورد عليه فسلّم وأوصل اليه كتابا ففضه وقرأه فاذا اول سطر فيه بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاء سيدى و جعلنى من كل سوء فداه ولا أرانى فيك مكروها فانه ولى ذلك و القادر

---

(١) هذه الرسالة رواها شيخنا الشهيد الثانى (ره) فى كشف الريبة فى احكام الغيبة ونقلها شيخنا الاعظم الانصارى (ره) فى كتاب المكاسب و عبدالله النجاشى كان واليا فى اهواز من قبل المنصور الدوانقى العباسى و هو جد استاذ فن الرجال الشيخ الثقة المعتمد احمد بن على بن احمد بن العباس النجاشى صاحب كتاب الرجال المشهور المعتبر المتوفى بمطير آباد ج ١ = ٤٥٠ هـ . وكان مولده فى صفر = ٣٧٢ وسرد نسبه فى كتاب رجاله الى جده النجاشى والى الاهواز وله ترجمة مفصلة مشحونة بالفوائد فى تنقيح المقال لشيخنا المقامقانى (ره) انظر ج ١ باب أحمد ص ٧٠ رقم ٤٠١

عليه اعلم سيدي ومولايي أنّي بليت بولاية الأهواز فان راى سيدى ان يحدّ لى حدّاً و يمثّل لي مثالاً لأستدلّ به على ما يقرّبني الى الله عزّ وجل والى رسوله ، ويلخّص لى فى كتابه ما يرى لى العمل به وفيما ابتذله واين اضع زكاتي وفيمن أصرفها ؟ وبمن آنس والى من أستريح و الى من اثق و امن وألجأ اليه فى سرّى؟ فعسى الله ان يخلّصنى الله بهدايتك ودلالتك (و ولايتك) فانّك حجّة الله على خلقه وأمينه فى بلاده لازالت نعمته عليك

قال عبدالله بن سليمان فأجابه ابو عبدالله عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم حاطك الله بصنعه ولطف بك بمنّه ، وكلاءك برعايته فانّه ولىّ ذلك ؛ امّا بعد فقد جائنى رسولك بكتابك وقرأته و فهمت ما ذكرته وسألت عنه و زعمت (و ذكرت) انّك بليت بولاية الاهواز فسرّنى ذالك وسائنى ، وسأخبرك بماسائنى من ذالك وما سرّنى انشاء الله تعالى ، فامّا سرورى بولايتك فقلت عسى ان يغيث الله بك ملهو فاخائفا من اولياء آل محمد صلى الله عليه وآله ويعزّ بك ذليلا ، ويكسو بك عاريهم ، و يقوّى بك ضعيفهم ، ويطفى بك نار المخالفين عنهم ، و امّا الذى سائنى من ذلك فانّ أدنى ما أخاف عليك ان تعثر بولىّ لنا فلا تشمّ حظيرة القدس فانّى ملخّص لك جميع ما سألت عنه ان انت عملت به ولم تجاوزه رجوت ان تسلم إن شاء الله تعالى أخبرنى يا عبدالله ابى عن آبائه عن علىّ بن ابيطالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال من استشاره اخوه المؤمن فلم يمحّضه النّصيحة سلبه الله لبّه عنه ؛ واعلم انّى سأشير عليك برأى ان أنت عملت به تخلّصت ممّا انت متخوفه (تخافه خ) واعلم انّ خلاصك و نجاتك فى حقن الدماء و كف الاذى عن اولياء الله ، والرفق بالرعيّة و التّأنى وحسن المعاشرة مع لين فى ضعف وشدّة فى غير عنف ومداراة صاحبك و من يرد عليك من رسله ؛ و ارتق فتق رعيّتك بأن توقفهم على ما وافق الخير والعدل ان شاء الله تعالى

ايّاك والسّعاة و اهل النمائم فلا يلتزقنّ بك منهم أحد ولا يراك الله يوما وليلة وانت تقبل منهم صرفا ولا عدلا (١) فيسخط الله عليك ويهتك سترك ؛ واحذر مكر خوز

(١) يقال لايقبل منه صرف ولاعدل اى توبة وفدية اونافلة وفريضة والمراد *

الأهواز فانّ ابى أخبرنى عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام انّه قال انّ الايمان لا يثبت فى قلب يهودى لا خوزى أبدا ، فأمّا من تأنس به وتستريح اليه وتلجى أمورك اليه فذلك الرجل الممتحن المستبصر الأمين الموافق لك على دينه؛ وميّز أعوانك وجرّب الفريقين فان رأيت هنالك رشدا فشأنك وايّاه ، وايّاك ان تعطى درهما اوتخلع ثوبا او تحمل على دابّة فى غير ذات الله لشاعر او مضحك او ممتزح الاّ أعطيت مثله فى ذات الله ، وليكن جوايزك وعطاياك وخلعك للقوّاد والرّسل والأجناد وأصحاب الرسايل واصحاب الشّرط والأخماس، وما أردت أن تصرفه فى وجوه البرّ والنّجاح والفتوّة والصّدقة والحج والمشرب والكسوة الّتى تصلّ فيها وتصل بها والهدية الّتى تهديها الى الله عزّ وجلّ والى رسوله صلى الله عليه وآله من أطيب كسبك

يا عبدالله اجهد ان لا تكثر ذهبا ولا فضّة فتكون من أهل هذه الاية الّتى قال الله عزّ وجل الذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها فى سبيل الله الاية ، ولا تستصغرنّ من حلو او فضل طعام تصرفه فى بطون خالية تسكن بها غضب الرب تبارك وتعالى ، و اعلم انّى سمعت أبى يحدث عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام انّه سمع النّبى صلى الله عليه وآله يقول لأصحابه يوما ما آمن بالله واليوم الاخر من بات شبعانا و جاره جايع ، فقلنا هلكنا يا رسول الله ؟ فقال من فضل طعامكم ومن فضل تمركم ورزقكم وخلقكم وخرقكم تطفئون به غضب الرب ، وسأنبّئك بهو ان الدنيا وهو ان شرفها على من مضى من السّلف والتّابعين ؛ فقد حدّثنى أبى محمد بن علىّ بن الحسين عليهم السلام لما تجهّز الحسين عليه السلام الى الكوفة أتاه عبدالله ابن عباس فنا شده الله والرحم ان يكون هو المقتول بالطّف ؛ فقال انّى أعرف بمصرعى منك و ما وكدى من الدنيا الاّ فراقها ؛ ألا أخبرك يا ابن عباس بحديث امير المؤمنين عليه السلام والدنيا ؟ فقال له بلى لعمرى انّى أحبّ ان تحدّثنى بأمرها، فقال قال ابى قال على بن الحسين عليهما السلام سمعت اباعبدالله الحسين عليه السلام يقول حدّثنى امير المؤمنين عليه السلام قال انّى كنت بفدك فى بعض حيطانها و قد صارت لفاطمة عليها السلام ، فاذا انا بامرأة قد

* الكذب والصدق اى لايراك الله يوما وليلة وانت تقبل منهم صدقا وكذبا

قحمت (١) عليّ و فـي يدي مسحاة وانا أعمل بها ، فلمّا نظرت اليها طار قلبي ممّا تداخلني من جمالها ، فشبّهتها ببثينة بنت عامر الجمحي وكانت من اجمل نساء قريش؛ فقالت يا ابن ابيطالب هل لك ان تتزوّج بي فاغنيك عن هذه المسحاة ؟ وأدلّك على خزاين الأرض فيكون لك الملك ما بقيت و لعقبك من بعدك ؟ فقال لها عليه السلام من انت حتى أخطبك من أهلك ؟ قالت انا الدنيا ؛ قال لها فارجعي واطلبي زوجا غيري فأقبلت على مسحاتي و انشأت اقول

لقد خاب من غرّته دنيا دنيّة / وما هي ان غرّت قرونا بنائل

أتتني على زيّ العزيز بثينة / وزينتها في مثل تلك الشمائل

فقلت لها غرّي سواي فانّني / عزوف (٢) عن الدنيا ولست بجاهل

و ما أنا و الدنيا فانّ محمدا / أحلّ صريعا بين تلك الجنادل

و هبها اتتني بالكنوز ودرّها / و أموال قارون وملك القبايل

أليس جميعا للفنـاء مصيرها / و يطلب من خزّانها بالطوائل

فغرّي سوائي انّني غير راغب / بما فيك من ملك وعزّ ونائل

فقد قنعت نفسي بماقد رزقته / فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل

فانّي أخاف الله يوم لقائه / و أخشى عذابا دائما غير زائل

فخرج من الدنيا وليس فـي عنقه تبعة لأحد حتى لقي الله محمودا غير ملوم ولا مذموم، ثم اقتدت به الائمّة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطّخوا بشيء من بوايقها عليهم السلام أجمعين وأحسن مثواهم ، وقد وجهت اليك بمكارم الدنيا والاخرة عن الصادق المصدق رسول الله صلى الله عليه وآله فان انت عملت بما نصحت لك في كتابي هذا ثمّ كانت عليك من الذنوب والخطايا كمثل اوزار الجبال وأمواج البحار رجوت الله ان يتحامى عنك جلّ وعزّ بقدرته

---

(١) الاقحام الدخول في الشيء بشدة وقوة

(٢) عزفت نفسي عنه تعزف عزوفا بالزاء المعجمة زهدت فيه وانصرفت وبالفارسية (رو برتافتن)

يا عبدالله ايّاك ان تخيف مؤمنا فانّ ابى محمد بن علىّ حدّثنى عن ابيه عن جدّه علىّ بن ابيطالب عليه السلام انّه كان يقول من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله يوم لا ظلّ الاّ ظلّه ؛ وحشره الله فى صورة الذّر لحمه وجسده وجميع اعضائه حتى يورده مورده و حدّثنى ابى عن آبائه عن علىّ عليه السلام عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال من أغاث لهفانا من المؤمنين أغاثه الله يوم لا ظلّ الاّ ظلّه وآمنه يوم الفزع الأكبر وآمنه من سوء المنقلب ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوايج كثيرة احديها الجنّة، ومن كسى أخاه المؤمن من عرى كساه الله من سندس الجنّة و استبرقها وحريرها و لم يزل يخوض فى رضوان الله مادام على المكسوّ منه سلك، ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيّبات الجنّة ، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرّحيق المختوم ريّه ، ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلّدين وأسكنه مع اوليائه الطاهرين ، ومن حمل أخاه المؤمن من رجله (على راحلة) حمله الله على ناقة من نوق الجنّة و باهى به الملائكة المقربين يوم القيمة ومن زوّج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها ويشدّ عضده ويستريح اليها زوّجه الله من الحور العين وآمنه بمن أحبّ من الصّدّيقين من أهل بيت نبيّه واخوانه وآنسهم به، ومن أعان اخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على اجازة الصّراط يوم زلّت الأقدام، ومن زار اخاه المؤمن الى منزله لا لحاجة منه اليه كتب من زوّار الله و كان حقيقا على الله ان يكرم زائره

يا عبدالله و حدّثنى ابى عن آبائه عن على عليه السلام انّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول لأصحابه يوما معاشر الناس انّه ليس بمؤمن من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه فلا تتبّعوا عثرات المؤمنين فانّه من تتبع عثرة مؤمن تتبّع الله عثراته يوم القيامة و فضحه فى جوف بيته ، و حدّثنى ابى عن آبائه عن على عليه السلام انّه قال أخذالله ميثاق المؤمن ان لا يصدق فى مقالته ولا ينتصف من عدوّه ؛ وعلى ان لا يشفى غيظه الاّ بفضيحة نفسه(١)

---

(١) اى بتعييبها وتعجيزها عن ان يفعل شيئا للعدو لشفاعة نفسه بل تشفى المؤمن بملامة نفسه واظهار عجزه وذله

لأنّ كلّ مؤمن ملجم و ذاك لغاية قصيرة و راحة طويلة ؛ أخذ الله ميثاق المؤمن على أشياء أيسرها عليه مؤمن مثله يقول بمقالته (١) يبغيه و يحسده و شيطان يغويه و يفتنه (يضله) و سلطان يقفو أثره ويتتبّع عثراته و كافر بالله الذى هو به مؤمن يرى سفك دمه دينا واباحة حريمه غنما فما بقاء المؤمن بعد هذا، يا عبدالله وحدّثنى ابى عن آبائه عن علىّ عليه السلام عن النّبى صلى الله عليه وآله قال نزل جبرئيل عليه السلام فقال يا محمّد انّ الله يقرئك السلام و يقول اشتققت للمؤمن اسمامن أسمائى سمّيته مؤمنا فالمؤمن منّى وانا منه من استهان بمؤمن فقد استقبلنى بالمحاربة

يا عبدالله وحدّثنى ابى عن آبائه عن على عليه السلام عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال يوما يا على لاتناظر رجلا حتى تنظرفى سريرته فان كانت سريرته حسناء فانّ الله عزّ وجلّ لم يكن ليخذل وليّه ، وان كانت سريرته رديّة فقد يكفيه مساويه ، فلوجهدت ان تعمل به اكثر ممّا عمله من معاصى الله عزّ وجلّ ما قدرت عليه ، يا عبدالله وحدّثنى ابى عن آبائه عن علىّ عليه السلام عن النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال أدنى الكفر ان يسمع الرجل عن أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريدان يفضحه بها اولئك لاخلاق لهم

يا عبدالله وحدّثنى ابى عن آبائه عن على عليه السلام انّه قال من قال فى مؤمن ما رأت عيناه وسمعت أذناه ما يشينه ويهدم مروّته فهو من الذين قال الله عزّ و جلّ انّ الذين يحبّون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم ، يا عبدالله و حدّثنى ابى عن آبائه عن على عليه السلام انّه قال من روى عن اخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروّته وشينه أوثقه الله بخطيئته يوم القيامة حتى يأتى بالمخرج ممّا قال و لن يأتى بالمخرج منه ابدا ومن ادخل على اخيه المؤمن سرورافقد أدخل على اهل البيت عليهم السلام سرورا ، ومن أدخل على أهل البيت سرورا فقد أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله سرورا ، و من أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله سرورا فقد سرّ الله ومن سرّ الله فحقيق عليه ان يدخله الجنّة

ثمّ انّى أوصيك بتقوى الله وايثار طاعته والاعتصام بحبله فانّه من اعتصم بحبل

---

(١) اى يعتقد مثل ما اعتقده فى الدين ومع ذلك يبغيه

الله فقد أهدی الی صراط مستقیم ؛ فاتّق الله ولا تؤثر احدا علی رضاه و هواه فانّه وصیّة الله عزّ وجلّ الی خلقه لا یقبل منهم غیرها و لا یعظّم سواها ، وأعلم انّ الخلایق لم یوکلوا بشیء أعظم من التّقوی فانّه وصیّتنا اهل البیت فان استطعت ان لا تنال من الدنیا شیئا تسئل عنه غدا فافعل ؛ قال عبدالله بن سلیمان فلمّا وصل کتاب الصادق عليه السلام الی النّجاشی نظر فیه وقال صدق والله الذی لا اله الاّ هو مولای فما عمل أحد بما فی هذا الکتاب الاّ نجا ، فلم یزل عبدالله یعمل به ایّام حیوته ، هذا تمام الرسالة بلفظها وقد اشتملت علی قوله عليه السلام ما نبت الایمان فی قلب یهودی ولا خوزی ابدا ولعل ظاهره لا یخلو من اشکال ، اذقوله ابدا یدلّ بظاهره علی استغراق الأزمنه المستقبلة بالنّظر الی زمن مولانا امیر المؤمنین عليه السلام معانّ الأهواز قد کان منها المؤمنون فی کلّ الأعصار سیّما هذه الازمان (الاعصار)، وحینئذ فمامعنی هذا النّفی المؤکّد بالدّوام ؟ قلت یمکن الجواب عنه من وجوه

اوّلها انّ المراد من قوله خوزیّ کفّارهم بقرینة ذکرهم مع الیهودی ، فیکون اشارة الی انّ کفّارهم قد طبعوا علی الکفر بحیث لا یقبلون دخول الایمان فی قلوبهم ، وکأنّهم ینشأوا علی الفطرة الّتی قال فیها علیّ عليه السلام کلّ مولود یولد علی الفطرة حتی انّ أبویه یهوّدانه وینصّرانه

وثانیها انّ نبات الایمان مغایر لحصوله و استقراره بعد الحصول وذلك انّ نبات الایمان فی القلب عبارة عن تأصّله فیه واستحکام ثباته فیه کاستحکام نبات الشّجرة فی الأرض وحینئذ فمعناه انّ ایمان غیرهم فی القلوب نابت کنبات الشّجر فی اعماق الأرض وامّا ایمان اهل الأهواز فهو کشجرة زرعت علی وجه الأرض ودخلت عروقها فی الارض للبقاء لکن این لا ستحکام هذه الشّجرة الّتی نبتت فی الأرض وطلعت أغصانها خارج القلب بعد ان کان مستقرّها القلب ، و بالجملة فایمان غیرهم قد خرج من داخل القلب وجری علی ظاهره وایمان اهل الأهواز قدأتی الی القلب من الاعضاء الخارجة عنه ، فیکون کنایة عن عدم کمال استقراره و ثباته فی القلب کما قال عزّ من قائل فی قسمی الأیمان

فمستقرّ و مستودع

و ثالثها انّ قوله عليه السلام لا يثبت الايمان المراد به الايمان الكامل لما تقدّم من انّ الايمان عشر درجات ، ولا ريب انّ امير المؤمنين عليه السلام اذا أطلق لفظ الايمان لا يريد به غالبا الاّ الدرجه العالية منه او ما قاربها كايمان سلمان او ابی ذرّ والمقداد و عمّار و نحوهم من اكابر الصّحابة ، فمثل هذا الايمان لا يثبت ولا يدخل فی قلوبهم فلا ينافيه دخول الايمان بأقسامه الاخرى ، ولا تظنّ انّ هذا الجواب هو عين الجواب الثانی بل هو غيره وحينئذ فيكون الثّابت فی قلوبهم اقلّ درجاته

و اما الحويزة فهی داخلة فی الأهواز ؛ وقد ذكر صاحب كتاب غرايب البلدان مذمة البلدين (الحويزة) قال الحويزة و ما ادريك ما الحويزة (١) دار الهوان و منزل الحرمان ، ثمّ ما ادريك ما الحويزة أرضها رغام و سماؤها قتام وسحابها جهام و سمومها شهام ومياهها سمام و طعامها حرام واهلها لئام ، وخواصها عوام وعوامها طغام ؛ لا يدری ريعها ولا يرجی نفعها ولا يعری ضرعها ولا يرعی ذرعها ، و لقد صدق الله قوله فيها و لنبلونّكم بشیء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثّمرات الآية ، وهم يتّخذون الغمز والزور الی أرزاقهم سببا ويأكلون الدنيا سلبا ويعدّون الدين لهوا ولعبا ولو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وفيهم يقول الشاعر :

اذا سقى الله أرضا صوب غادية ... فلاسقاها سوى النّيران تضطرم

(١) ألحق ان اخلاق اهل البلاد وسكان الامصار واوصافهم تتغير وتتبدل وتختلف فی القرون والادوار بسبب الدعايات المشومة او التبليغات المستحسنة و بكون السلطة والغلبة من اهل الخير والعدل او الشر والظلم كما يتغير بعض اوضاعها الطبيعية بمرور القرون والدهور فی اثر السير والحركات فلابد من ملاحظة اخلاق سكان البلاد وحالات اهلها واطوارهم واوصافهم فی كل عصر و زمان و عدم القياس الی عصر سابق او زمن لاحق وان غفل الاكثر من ذلك ولم يراعوا ما ذكرناه ويشهد لما قلناه انك ترى ان صاحب غرائب البلدان يذم الحويزة بتلك الكلمات والمصنف (ره) يمدحها بتلك العبارات وكلام كل منها حق بالنظر الی عصرهما

وينسب اليها ابوالعباس احمد بن محمد الحويزى و كان اذا عزل عن الدولةشرع فى العبادة والزهد ومطالعة الكتب حتى يظهر للنّاس انّه كان يتمنّى العزل ؛ واذا أقبلت عليه الدّولة كان من أظلم الظّلمة ؛ فصعد اليه جماعة وشقوّا بطنه

قال مؤلّف هذا الكتاب عفى الله عنه قد كان أوايل تحصيلنا العلوم فيها فى أوّل زمان حكومة الوالى المرحوم السّيّد على خان و رأينا انّ الغالب على أهلها العبادة و الزهادة ومطالعة العلوم و كتابة الكتب وأهلها فى غاية الذكاء ؛ و ذلك انّ الرعيّة تبع للوالى و كان واليها المذكور قد حاز الحظّ الأوفر من العبادة والزهادة والتّبحّر فى فنون العلوم ونظم الأشعار والقصايد الرّائقة وقد اكثر من التّصانيف العالية فى أنواع العلوم وقد كان فى الحلم والعفو عمّن أساء اليه بمكان لا يدانى فيه ، وامّا شجاعته و قوّة قلبه فقد كانت تضرب بها الأمثال ، وقد اتصلنا بملازمة مجلسه العالى أوقاتا كثيرة وما كان عيب مجلسه الاّ ذكرفنون العلوم والآداب فيه كما قال الشّاعر:

ولا عيب فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلول عن قراع الكتائب

وقد ذكرنا فيما تقدّم مكاتبة أرسلها الينا أكثر فيها الملاطفة و إظهار المحبّة ، وفى وقت تأليف هذا الكتاب صار الوالى ولده المبارك الذى اقتفى أثر ابيه فى مكارم الاخلاق السّيّد حيدر خان ، و بالجملة فالولاة اذا جعلوا هذا النّور قانونا لأعمالهم و أحكامهم فازوا بالنّشأتين و وفّقوا للدّولتين

(نور فى احوال العالم والمتعلم و كيفية ادابهما)

وهذا النّور يشتمل على فوايد ، الفايدة الاولى آدابهما فى أنفسها وهى على أمور: الاول فى نيّة التّعليم والتعلّم فانّك قد عرفت انّ مدار قبول الأعمال على النّيّة وبسببها يكون العمل تارة خزفة لاقيمة لها وتارة جوهرة لاقيمة لها وتارة وبال على صاحبه مكتوب فى ديوان

السيئات وان كان فى صورة الواجبات

روى عنه صلى الله عليه وآله انه قال انّ اول الناس يقضى يوم القيمة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت ؛ قال كذبت و لكنّك قاتلت ليقال جرى فقد قيل ذلك ثمّ أمر به فسحب على وجه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرء القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلّمت العلم وعلّمته و قرأت فيك القرآن قال كذبت و لكنّك تعلّمت ليقال انّك قارى فقد قيل ثمّ امر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار

وهذه الدرجة و هى درجة الإخلاص عظيمة المقدار كثيرة الاخطار ، و ذلك انّ الانسان لو فكّر فى نفسه لعلم انّ الباعث الأكثرى سيّما فى الإبتداء لطالب العلم طلب الجاه والمال او الشّهرة وانتشار الصّيت ولذة الاستيلاء وإستثارة الحمد والثّناء وربّما لبّس الشّيطان عليه مع ذلك ويقول لهم غرضكم نشر دين الله

وهذه المقاصد تظهر عند ظهور واحد من الأقران اكثر علما منه و أحسن حالا بحيث يصرف الناس عنه فلينظر حينئذ فان كان حاله مع الموقّر له و المعتقد لفضله احسن وهو له اكثر احتراما و تلقى به أشدّ إستبشارا ممّن يميل الى غيره مع كون ذلك الغير مستحقا للموالاة فهومغرور عن دينه مخدوع وهو لا يدرى ، و ربّما انتهى الامر بأهل العلم الى ان يتعايروا تعاير النساء فيشقّ على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انّه ينتفع بغيره ويستفيد فى دينه ، ولو كان الباعث له على العلم هو الإخلاص لكان اذا ظهر غيره شريكا او مستبدّا او معينا على التّعليم لشكر الله تعالى اذ كفاه او اعانه على هذا المهمّ بغيره ، وايضا فيه تكثر المرشدين الهادين وأوتاد الأرض وربّما لبّس عليه الشّيطان وقال انّما غمّك من ظهور هذا العالم لانقطاع الثّواب عنك ووصوله الى غيرك لا لأجل إنصراف الناس عنك ولم يعلم انّ انقياده للحقّ أفضل من انفراده بهذا المعنى بل قد ينخدع الانسان و يحدث نفسه بأنّه لو ظهر من هو أولى منه و اعلم لفرح به و اختاره على نفسه ، ثمّ اذا ظهر ذلك العالم كذب عليه فى الذى حدّثته به نفسه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله انّ الله يؤيّد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم فيه ، وقال ايضا انّ الله يؤيّد هذا

الدين بالرجل الفاجر

الامر الثانى إستعمال ما علماه فانّ العاقل همّه الرعاية و الجاهل همّه الرواية وجاء رجل الى علي بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل ، فأجاب ثمّ عاد ليسئل مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام مكتوب فى الانجيل لا تطلبوا علم مالا تعلمون، ولمّا تعملوا بما علمتم ، فانّ العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الاّ كفرا ولم يزدد من الله الاّ بعدا ومثال الفقيه المتقن للعلوم من غير عمل مثل مريض به علّة لا يزيلها الاّ دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها الاّ حذّاق الاطباء فسعى فى طلب الطّبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق ، فعلّمه الدّواء و فصل له الأخلاط و أنواعها ومقاديرها و معادنها الّتى منها يجلب وعلّمه كيفيّة دقّها وعجنها ؛ فتعلّم ذلك منه و كتب منه نسخا حسنة بحسن خطّ و رجع الى بيته و هو يكررها ويقرأها ويعلّمها المرضى. ولم يشتغل بشربها و إستعمالها افترى انّ ذلك يغنى عنه من مرضه شيئا ؟ هيهات لو كتب منه ألف كتاب وعلّمه ألف مريض حتى شفى جميعهم و كرّره كلّ ليل الف مرّة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الى ان يزن الذّهب ويشترى الدّواء ويخلطه كما تعلّم و يشربه و يصبر على مرارته ويكون شربه فى وقته بعد تقديم الاحتماء و جميع شروطه ، واذا فعل جميع ذلك كلّه فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا ، هكذا الفقيه اذا أحكم علم الطاعات ولم يعمل بها ، و أحكم علم المعاصى و لم يجتنبها ؛ وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها ، وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتّصف بها فهو مغرور فى نفسه مخدوع عن دينه ؛ وقد يعزّه الشّيطان فيقول له ما انت وهذا المثال لأنّ مطلبك القرب من الله تعالى و يتلوا عليه الأخبار الواردة فى فضايل العلم ولم يعلم ما وصف الله به العالم التّارك لعلمه كقوله تعالى فى وصف بلعم بن باعور الذى كان فى حضرته إثنا عشر الف محبرة يكتبون عنه العلم مع ما آتاه الله من الايات المتعدّدة التى كان من جملتها انّه كان بحيث اذا نظر يرى العرش ، كما نقله جماعة من العلماء : فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، فانّ المطلوب من العالم انّما هو العلم والعمل

واما طلب الرزق فقد ورد فی الحدیث عن النبی صلى الله عليه وآله ان الله قد تکفل لطالب العلم برزقه خاصة عما ضمنه لغیره ؛ بمعنی ان غیره یحتاج الی السعی علی الرزق حتی یحصل غالبا وطالب العلم لا یکلفه بذلك بل کفاه مؤنة الرزق ان احسن الظن به وعندی فی ذلك من الوقایع من ألطاف الله تعالی بی من أول إشتغالی بالعلم و هو اوایل سنة الستین بعد الألف الی هذا الوقت وهو عام التاسع والثمانین بعد الألف من أنواع الأرزاق و کیفیة التسبب الیها مالا یحصیه الا الله تعالی

الامر الثالث حسن الخلق زیادة علی غیرهما من الناس والتواضع و بذل الوسع فی تکمیل النفس، وذلك ان المتلبس بالعلم ینظر الناس الی أوصافه فتتعدی أوصافه الی غیره من الرعیة فیکون فی حسن أخلاقه انتظام النوع کما ان فی فساده فسادها وبالیته اذ هلك انقطعت مفاسد اعماله بل هی باقیة بعده فیمن استن بأخلاقه وأفعاله ، قال بعض العارفین ان عامة الناس ابدا دون المتلبس بالعلم بمرتبة : فاذا کان و رعاً تقیا صالحا تلبست العامة بالمباحات ، واذا اشتغل بالمباح تلبست العامة بالشبهات ، فان دخل بالشبهات تعلق العامی بالحرام ، فان تناول الحرام کفر العامی ، وهذا مما هومشاهد بالعیان فلا یحتاج الی النقل من الأعیان

الأمر الرابع ان یکون عالی الهمة منقبضا عن الملوك و اهل الدنیا لا یدخل الیهم طمعا ماوجد الی الفرار منهم سبیلا صیانة للعلم عما صانه السلف ؛ ومن فعل ذلك فقد خان أمانته وعرض نفسه ، وفی اغلب الأحوال لم یبلغ بغیته، قال صلى الله عليه وآله الفقهاء أمناء الرسل مالم یدخلو فی الدنیا ، قیل یا رسول الله و ما دخولهم فی الدنیا ؟ قال اتباع السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذورهم علی دینکم ؛ اما لو اتبع السلطان لیجعله وسیلة الی إعلاء کلمة الحق وترویج الدین وقمع أهل البدع والامر بالمعروف والنهی عن المنکر ونحو ذلك فهو من افضل الأعمال ، و بـه یجمع بین الأخبار وقد فعل ذلك جماعة من الأعیان کعلی بن یقطین وعبدالله النجاشی وابی القسم بن روح احد الأبواب الشریفة ومحمد بن اسمعیل بن بزیع ، و نوح بن دراج و غیرهم من أصحاب الأئمة الطاهرین ،

ومن الفقهاء مثل السّيدين الأجلّين المرتضى والرضى و ابيهما ، و خواجا نصيرالدين الطوسى والعلامةالحلّى، ومن المتأخرين شيخنا الشيخ بهاء الدين محمد العاملى والفاضل الورع المولى عبدالله التّسترى ، والمحقّق الكاشى وفى هذا العصر استادنا الخونسارى

روى الصدوق ره باسناده الى الرضا عليه السلام انه قال انّ لله تعالى بأبواب الظالمين من نوّرالله به البرهان ومكّن له فى البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ويصلح الله به امور المسلمين لأنّه ملجأ المؤمنين من الضّرر واليه يفزع ذو الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن الله روعة المؤمن فى دار الظلمة اولئك المؤمنون حقّا اولئك أمناء الله فى ارضه؛ اولئك نورالله فى رعيّتهم يوم القيمة و يزهر نورهم لأهل السّموات كما يزهر الكواكب الزّهريّة لأهل الأرض، اولئك من نورهم نور القيامة تضيء منهم القيامة خلقوا والله للجنّة وخلقت الجنّة لهم فهنيئا لهم ما على أحدكم ان لوشاء لنال هذا كلّه ، قال الراوى و هو محمد بن أسمعيل بن بزيع بماذا جعلنى الله فداك ؟ قال تكون معهم فتسرّنا بادخال السّرور على المؤمنين من شيعتنا فكن منهم يا محمد ، و لكن الحقّ انّ هذا موضع خطر فانّ حبّ الرياسة ربّما حجب القلب عن طرق الصّواب ، ومن هذا بعد عنه العلماء الاعلام و قد حدّثنى اوثق مشايخى انّ السيّد الجليل محمد صاحب المدارك والشيخ المحقق الشيخ حسن صاحب المعالم قد تركا زيارة المشهد الرضوى على ساكنه أفضل الصّلوات خوفا من ان يكلّفهم الشّاه عباس الاول بالدخول عليه مع انّه كان من اعدل سلاطين الشّيعة (١) فبقيا فى النّجف الأشرف ولم يأتيا الى بلاد العجم احترازاً من ذلك المذكور

---

(١) هومن اعدل سلاطين الشيعة ومتشرعيهم فى الدولة الصفوية التى كانت نتاجا للبعث الدينى الشيعى ولم يؤسس بعد غلبة الاسلام على ايران اكبر دولة فيها مثلها و كان الشاه عباس الكبير لبيبا عاقلا متدينا صحيح العقيدة متشرعا فان صدرمنه بعض الفجور فعلى فرض صحته لم يكن ذلك من جهة عدم التدين والاعتقاد الدينى و لكن بعض الاقلام المستأجرة فى عصرنا يريد ان يعرف الشاه عباس الى الجامعة الايرانية بصورة مشوهة فاللازم لكل مثقف متدين حي والكل من له عرق من حب وطنه وقومه التيقظ و☆

الامر الخامس ان يحافظ على القيام بشعائر الاسلام و ظواهر الأحكام كاقامة الصّلوات في الجماعات وافشاء السلام للخاص والعام والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والصّبر على الأذى بسبب ذلك صادعا بالحق متكلّما باذلا نفسه لله لا يخاف لومة لا ئم متأسّيا في ذلك بالنّبي صلى الله عليه وآله وغيره من الانبياء ، متذ كّرا لما نزل بهم من المحن عند القيام بأوامر الله تعالى ، فانّ العلماء هم القدوة ويقتدي بهم من لا ينظرون اليه ولا يعلمون به وبالجملة فهم قد ورثوا الأنبياء عليهم السلام ووارث النّبي الأخذ عنه يجب عليه ان يراعي نسبة من اخذ عنه الميراث

الفايدة الثانية آدابهما في درسهما واشتغالهما وهو يشتمل ايضا على امور ؛ أولها ان لا يزال كلّ منهما مجتهدا في الاشتغال قراءة ومطالعة وتعليقا ومباحثة ومذاكرة و حفظا و فكرا واقراءً وغيرها ؛ و ان يكون ملازمته للعلم هي رأس ماله ، ومن هنا قيل أعط العلم كلّك يعطك (يعطيك) بعضه ؛ وعن الباقر عليه السلام رحم الله عبدا أحيا العلم فقيل وما احياؤه ؟ قال ان يذاكر به أهل الدين والورع

وثانيها ان لا يسأل احدا تعنّتا او تعجيزا بل سؤال متعلّم لله او معلّم له منبّه على الخير قاصدا للارشاد او الاسترشاد فهناك تثمر شجرة العلم ، فامّا اذا قصد المراء و الجدال وأحبّ ظهور الفلج والغلبة فانّ ذلك يثمر في النّفس ملكة رديّة ويستحقّ المقت من الله تعالى ومع ذلك فهو منقّص للعيش(١) فانّك لا تماري سفيها الاّ ويؤذيك ولا حليما الاّ ويقليك (يغلبك خ) وفي تركه ثواب جزيل قال صلى الله عليه وآله من ترك المراء وهو محقّ بنى له بيت في

☆ عدم الاصغاء لتلك الاصوات المنكرة و تلك المفتريات والافائك التي الصقوها الى الشاه عباس الكبير في بعض الكتب المؤلفة في هذا العصر بغير دليل ومستند كما اشرنا الى ذلك سابقا ايضا

(١) بل يوجب قصر العمر كما نقلنا في هذا المعنى قضية في سلوك احد الفضلاء في النجف الاشرف مع آية الله العظمى العالم الرباني الشيخ محمد حسن المامقاني قدس سره انظر ص ٩١ج٣ من هذا الكتاب.

أعلى الجنّة ، ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربط الجنّة (١) وحقيقة المراء الإعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه لفظا او معنى او قصدا لغير غرض دينى أمرالله تعالى به ؛ فامّا اللّفظ فهو كاظهار خلل فيه من جهة النحو او اللّغة او النّظم او التّرتيب بسبب قصور المعرفة او طغيان اللسان ؛ وامّا في المعنى كأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه لكنّه كذا، واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحقّ و ما يجرى مجراه وعلامة فساد مقصد المتكلّم يتحقّق بكراهة ظهور الحقّ على غير يده

وثالثها ان لا يستنكف من التّعلّم والاستفادة ممّن هو دونه فى منصب او شهرة او سنّ (٢) اوفى علم آخر، بل يستفيد من كلّ من يفيده لقوله ﷺ الحكمة ضالّة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها ، وليس العمى طول السّؤال وانّما تمام العمى طول السّكوت

---

(١) قوله : (فى ربط الجنة) كذا فى اكثر النسخ وفى هامش انسخة المخطوطة هكذا فى الاصل بخطه ره . وفى بعض النسخ : (وسط الجنة) وفى الخصال للصدوق (ره) باسناده عن رسول الله (ص) قال انا زعيم ببيت فى ربض الجنة وبيت فى وسط الجنة و بيت فى اعلا الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا ولمن ترك الكذب وان كان هازلا و لمن حسن خلقه (اه) ربض الجنة اسافلها وما قرب من بابها وسورها قال ابن الاثير فى النهاية . فيه انـا زعيم ببيت فى ربض الجنه هو بفتح الباء ما حولها خارجا عنها تشبيها بالابنية التى تكون حول المدن وتحت القلاع (اه) المراء والجدل المنهى عنه هو ماكان الغرض منه الغلبة واظهار الكمال والفخر او التعصب وترويج الباطل واما ما كان لاظهار الحق ودفع الباطل ورفع الشبهة عن الدين وارشاد المضلين فهو من اعظم اركان الدين و من اكبر اشغال علماء المذهب ولكن بعد كون الكبرى من المسلمات انما الاشكال فى الصغريات فان التميز بين الامرين فى غاية الصعوبة و كثيرا ما يشتبه احدهما بالاخر فى بادى النظر وللنفس فيه تسويلات خفية لايمكن التخلص منها الا بفضل الله تعالى و توفيقه كما صرح به بعض الاعلام

(٢) هنا قضايا وقصص عجيبة عندنا يطول الكلام بشرحها وحبسنا القلم عن نقلها على مضض حفظا لشأن القوم وحرصا على كيانهم

على الجهل ؛ ومن هذا الباب ان يترك السّؤال استحياء فانّه كما قال الصادق عليه‌السلام من رقّ وجهه رقّ علمه ؛ وقال عليه‌السلام هذا العلم عليه قفل و مفتاحه السّؤال

؛ رابعها وهى أهمّها الانقياد للحقّ بالرّجوع عند الهفوة ولو ظهر على يد من هو أصغر منه، فانّه هو الكبر المذكور فى الأخبار الذى هو ردّ الحق على اهله و عدم قبوله منهم ، وما أحسن الانصاف من العالم ، وقد كان لى شيخ جليل قرأت عليه كثيرا من العربيّة والاصول فما وجدت احدا أنصف منه ، وذلك انّه ربّما أشكلت المسئلة علينا وقت الدرس فاذا طالعتها انا و كنت اصغر الشّركاء سنّا قال لى ذلك الشيخ هذا الحقّ و غلطت انا و جميع هؤلاء فيغلّط نفسه والطّلبة لأجل معرفته بصحة كلامى ، ثمّ يقول لى امل علىّ ما خطر بخاطرك حتّى أعلّقه حاشية على كتابى ، فأملى أنا عليه و هو يكتبه حاشية ،وهو وقت تأليف هذا الكتاب فى بلاد حيدرآباد من بلاد الهند واسمه الشيخ جعفر البحرينى مدّالله ايّام سعادته ، و من جملة أخلاقه انّ استادنا الشيخ عبد على الحويزى قد ألّف تفسيرا غريبا بالأحاديث وحدها سمّاه نور الثّقلين ؛ فسألت الشيخ جعفر سلّمه الله تعالى عن ذلك التّفسير و كيف هـو ؟ فقال لى يا فلان هذا التّفسير فى حيوة مؤلّفه ما يسوى عندنا شيئا ولا هو جيّد فاذا مات مؤلفه فأوّل من يكتبه بماء الذهب أنا ؛ ثمّ تلى علىّ هذين الشعرين :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى	مـادام حيّا فاذا ما ذهب
لجّ بـه الحرص على نكتة	يكتبها عنـه بماء الذهب

ولقد صدق فى هذا ؛ وقد كان فى اصفهان رجل فاضل فصنّف كتابا مليحا فلم يكتبه احد ولم يلتفت اليه، فقال لهرجل من الطّلبة لم لايشتهر كتابك ؟ فقال لأنّ له عدوّا فاذا أزال الله سبحانه ذلك العدوّ اشتهر كتابى ، فقال له ومن هو ؟ فقال انا (١) وقدصدق فى كلامه هذا

---

(١) والقارى الكريم جد خبير بان ما ذكره المصنف (ره) حق وصدق و يعلم مما ذكره ان التصنيف الذى اشتهر فى ايام حياة مصنفه ومرصفه واخذ رواجا كبيرا و ☆

و بالجملة فارتكاب طريقة الانصاف طريقة الحكماء الإلهيين كيف لا وقد روى انّ الله سبحانه أمر نوحا عليه السلام بالرجوع الى قبول كلام الشيطان حين نصح نوحا ، وقال له وهو فى السّفينة يا نوح ايّاك والحرص فانّه الذى أخرج اباك آدم من الجنّة حين أباح الله له جميع ثمارها ونهاه عن شجرة الحنطة فدعاه الحرص الى الأكل منها، وايّاك والتكبّر فانّه الذى بلغ بى الى ماترى بعد ما كنت طاووسا للملائكة ، و ذلك انّه أمرنى بالسجود لأبيك آدم فتكبّرت عنه ، وأبيت ؛ و ايّاك ان تخلو بامرأة أجنبيّة فى بيت واحد فانّك اذا خلوت بها أكون أنا الثالث فأوقعك بوساوسى فى الفتنة ، فأوحى الله سبحانه الى نوح ان اقبل كلام الشيطان فانّى اجريت الحق على لسانه

و خامسها ان يتأمّل و يهذّب ما يريدان يورده او يسأل عنه قبل ابرازه و التفوه به ليأمن من صدور هفوة اوزلّة او انعكاس فهم فيصير له بذلك ملكة

و سادسها ان لا يحضر مجلس الدرس الاّ اذا كان متطهرا من الحدث والخبث متنظّفا متطيّبا فى بدنه وثوبه لابسا أحسن ثيابه قاصدا بذلك تعظيم العلم وترويح الحاضرين من الجلساء والملائكة سيّما اذا كان فى مسجد

الفايدة الثالثة آداب يختصّ بها المعلّم وهو يشتمل على بيان أمور : الاوّل

☆ اقبالا عظيما عليه من فقهاء الامة جمعاء وما من فقيه الا ولديه نسخة منه وتلقته الاوساط العلمية بكل اكبار واعجاب وتداولته اندية العلم بكل شغف و تقدير مع كون مؤلفه فى الدرجة القصوى والقمة العليا من الشهرة والرياسة والمرجعية للشيعة فى التقليد والفتوى ليس الا ان لهذا السفر القيم مزايا ونكات و لرواجه علل وجهات وانه اصبح نافعا من شتى النواحى ومفيدا من كل الضواحى وقد احتاج العلماء والفقهاء الى مطالعته والاخذ من اثماره و فوائده وقد اتفق هذا الامر الذى وصفناه فى هذا العصر فى حق كتاب: مستمسك العروة الوثقى من تصانيف استادنا الامام المرجع الاعلى للشيعة سيدنا الطباطبائى الحكيم دام ظله الوارف : وللعلامة الشيخ محمد جواد مغنية مقال قيم فى هذا الموضوع وقداتى فيه بالحقائق الراهنة وكشف فيه عن علة رواج المستمسك و هو حقيق بالمطالعة وامعان النظر نشره فى مجلة العرفان انظر المجلد (٤٤) ج ٧ ص ٧٦٧ = ٧٧٠

ان لا ينتصب للتدريس حتى يكمل اهليته و يظهر استحقاقه لذلك و يشهد له صلحاء مشايخه ففى الخبر المشهور: المتشبّع بما لم يعط كلابس ثوب زور، واذا نصب نفسه للتدريس و كان محتاجا الى قراءة الدّرس (دروس) عسر عليه جدّا فلا ينبغى له ان يتصدّى للتدريس الّا بعد قضاء الوتر من قراءة الدرس

الثانى ان لا يبذل العلم ببذله لغير أهله و يذهب الى بيوت الأكابر لتعليم العلم الّا ان تدعوا اليه ضرورة و تقتضيه مصلحة دينيّة ، الثالث ان يكون عاملا بعلمه زيادة على ما تقدّم فى الامر المشترك ، قال سبحانه كبر مقتا عندالله ان تقولوا مالا تفعلون ؛ وقال مولانا امير المؤمنين عليه السلام قصم ظهرى رجلان عالم متهتّك وجاهل متنسّك فالجاهل يغشّ الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتّكه

الرابع زيادة حسن الخلق فيه و تكميل النفس فانّ العالم الصالح فى هذا الزمان بمنزلة نبىّ من الأنبياء كما جاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وآله علماء امّتى كأنبياء بنى اسرائيل (۱) بل قيل انّ العالم أعظم فى هذا الزمان ، وذلك لأنّ انبياء بنى اسرائيل كان يجتمع

(۱) هذا الحديث مذكور فى كثير من الكتب المتداولة و مذكور فى الالسنة و لكن لم يوجد فى الجوامع الحديثية للامامية من روايته وسنده عين ولا اثر بل صرح جمع من مهرة المحدثين واساتذتهم انه من موضوعات العامة قال المحدث الاكبر السيد عبدالله الشبر ره فى كتابه مصابيح الانوار: روى عن النبى ص قال : علماء امتى انبياء بنى اسرائيل اوكانبيا بنى اسرائيل او افضل من انبياء بنى اسرائيل

وهذا الحديث لم نقف عليه فى اصولنا واخبارنا بعد الفحص والتتبع والظاهر انه من موضوعات العامة و ممن صرح بوضعه من علمائنا المحدث الحر العاملى فى الفوائد الطوسية والمحدث الشريف الجزائرى و كيف كان فيمكن توجيهه بوجهين الخ انظر ج ۱ ص ۴۳۴ ط بغداد وما نسبه الى الشيخ الحر ره موجود فى الفوائد الطوسية = النسخة المخطوطة الموجودة فى مكتبتنا

و فى كلام معالى العلامة الشهير الشهرستانى الذى كتبه فى جواب سؤال صديقى العلامة الواعظ الچرندابى التبريزى دام بقاه بعد ان ذكر مدظله ان حديث : علماء امتى كانبياء بني اسرائيل مروى عن رسول الله (ص) قال ما هذا لفظه : (وفي اكثر الروايات#

منهم فى العصر الواحد ألوف ؛ وامّا العلماء فى هذه الأعصار فلا يوجد منهم الاّ واحد بعد واحد.

الخامس ان لا يمتنع من تعليمه لأحد لكونه غير صحيح النّيّة فربّما أشكل تصحيح النّيّة على كثير من الطّالبين ابتداء الطّلب لقلّة أنسهم بموجبات تصحيح النّيّة فيؤدّى الى تفويت كثير من العلم مع انّه يرجى اذا توسّع فى العلم النّية الصّحيحة منه ، قال بعض العلماء طلبنا العلم لغير الله فأبى ان يكون الاّ لله، ومعناه انّه صارت عاقبته ان صارلله ، لكن يجب على العالم اذا عرف من المتعلّم مثل هذا ان يرشده الى نية الخير بتلاوة الأخبار والآيات الواردة فيه فان لم ينجع ذلك فيه فليتركه ، وقد أشار الى هذا مولانا امير المؤمنين عليه السلام بقوله لا تعلّقوا الجواهر فى أعناق الخنازير ، و عن الصّادق عليه السلام قال قام عيسى بن مريم خطيبا فى بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل لاتحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم

السادس بذل العلم عند وجود المستحق فانه تعالى قد أخذ على العلماء فى شأن تعليم الجهّال ما أخذه على الانبياء ، وقال مولانا الصادق عليه السلام قرأت فى كتاب على عليه السلام انّ الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال لأنّ العلم كان قبل الجهل ؛ فان قلت بناء على ما تقدّم من أخذ العهد على العلماء أيجب عليهم تعليم الجهّال قبل ان يبتدأوهم ام لا يجب الاّ بعد السّؤال ؟

☆ افضل من انبياء بنى اسرائيل) انظر اوائل المقالات ص ٤٤ ط ٢ تبريز

ان كان مراده من تلك الروايات التى اشاراليها هى الروايات المروية المسندة فى الجوامع الحديثية فليت شعرى اين تلك الروايات التى فى اكثرها لفظ (افضل) و لعل مراده مدظله غيرما يترای من ظاهر كلامه والمقصود من تلك الروايات هى الدائرة فى الالسنة والمذكورة فى كثير من كتب الفريقين من نسبة الحديث المذكور الى رسول الله (ص) مرفوعا ومرسلا من دون بيان سنده و مستند من كتب الاحاديث و الجوامع الحديثية كما ذكرناه والا فليس فى جوامعنا منه عين ولا اثر كما عرفت

قلت هذه مسئلة غامضة و ما رأينا من تعرّض لها و لكن الذى يظهر من ممارسة الأخبار وأطوار الائمة الاطهار عليهم السلام مع جهّال شيعتهم انّ وجوب بذل العلم لايكون الاّ بعد السؤال بشرط ان يعرفوا الجهال ان أخذ العلم واجب عليكم ، فاذا ألقى العالم مثل هذا الكلام المجمل الى الجهال وجب على الجهّال التفحص والسؤال وعلى العلماء الجواب

نعم اذا راوا جاهلا بحكم ظهر جهله عندهم وجب عليهم ارشاده ، وعلى هذا ينحلّ معنى الحديث الذى نقله المشايخ رضوان الله عليهم و هو انّ سائلا سئل الصادق عليه السلام عن النساء أيحتلمن ؟ فقال نعم ولكن لا تحدّثو هنّ به فيتخذنه علة ؛ حيث أشكل ظاهره بانّ ارشاد الضال و تعليم الجهّال واجب فكيف لم يوجب عليه السلام هذا الحكم ؟ حتى انّه ذهب شيخنا المعاصر أدام الله ايّامه الى انّ هذا الحديث مخصّص لذلك العامّ ، وبيان دفع الإشكال انّه عليه السلام قال لا تحدّثو هنّ يعنى لا تخبروهنّ به ابتداء منكم لما عرفت من عدم وجوب مثله ولم يقل عليه السلام لا تجيبو هنّ عن هذه اذا سألنكم ، وهذا ظاهر من قوله لا تحدّثو هنّ فانّ ظاهره ابتداؤهنّ به على مالا يخفى ، وقال الباقر عليه السلام زكاة العلم ان تعلّم عباد الله

السابع ان يحترز عن مخالفة أفعاله لأقواله وان كانت على الوجه الشّرعى مثل أن يأمر بشيء من المستحبّات وهو لايأتى بها لاشتغاله بما هو أهمّ منها ، فانّ هذا وان كان جايزا الاّ انّ العوام ربّما توهّموا انّه تلبيس عليهم ، فانّه ينبغى للعالم كشف ما يلتبس حاله على الناس كما اتّفق للنّبى صلى الله عليه وآله حين رآه بعض أصحابه يمشى ليلا مع بعض زوجاته الى منزلها ، فخاف ان يتوهم انّها ليست من نسائه فقال له انّ هذه زوجتى فلانة ؛ ونبّهه على العلّة لخوفه من تلبيس ابليس عليه

الثامن اظهار الحق بحسب الطاقة من غير مجاملة لأحد ولذلك قال النّبى صلى الله عليه وآله اذا ظهرت البدع فى أمّتى فليظهر العالم علمه و من لم يفعل فعليه لعنة الله ، و ما جاءت الغفلة فى الغالب واستيلاء الجهالة والتقصير عن معرفة الفرايض والقيام بالواجبات والسّنن الاّ من تقصير العلماء عن إظهارا لحق على وجهه وإتعاب النّفس فى اصلاح الخلق وردّهم

الى سلوك سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بل لا يكتفى علماء السوء بهذا حتى يوافقون العوام والفساق على ما يصنعون ، فعند ذلك ينزل من السماء الويل والثبور ؛ قال بعض العلماء انّ كل قاعد فى بيته اين ما كان فليس خاليا عن المنكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم معالم الدين وحملهم على المعروف سيما العلماء ، فانّ اكثر الناس جاهلون بالشرع فى الواجبات العينية كالصلاة وشرايطها سيما فى القرى و البوادى فيجب كفاية ان يكون فى كلّ بلد و كلّ قرية واحد يعلّم الناس دينهم باذلا نفسه للارشاد والتعليم ، وقد سبق الكلام فيه امّا اذا احتاج العالم الى كتمان العلم للضرورة فلا بأس بكتمانه وان كان فى بلاد الايمان ، فانّا رأينا انّ الضرر الذى يحصل من عوام الشيعة لعلمائهم لا يقصر عن الضرر الذى يحصل للعلماء من المخالفين فى المذهب

الفايدة الرابعة فى آداب المعلّم مع تلاميذه وهو يشتمل ايضا على أمور :

اولها ان يؤدّبهم على التدريج بالاداب السنيّة والشيم المرضيّة ؛ واول ذلك ان يحرص الطالب على الاخلاص لله تعالى فى سعيه ومراقبة الله تعالى ؛ و ان يعرّفه انّ ذلك يفتح عليه أبواب العلم وينابيع الحكمة

وثانيها ان يرغّبهم فى العلم ويذكرهم فضائله وفضائل العلماء وانّهم ورثة الانبياء وانّهم على منابر من نور يغبطهم الانبياء والشهداء ، ونحو ذلك ممّا ورد فى فضايل العلم والعلماء من الايات والأخبار والأشعار والأمثال ، ففى الادلّة الخطابيّة والأمارات الشعريّة (حظّ) هزّ (١) عظيم للنّفوس الانسانيّة

وثالثها ان يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر فانّ ذلك من تمام الايمان و مقتضى المواساة ؛ ففى صحيح الأخبار لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ، ولاشكّ انّ المتعلّم أفضل الإخوان بل الأولاد فانّ العلم كما عرفت قرب روحانى وهو أجلّ من الجسمانى

و رابعها ان يزجره عن سوء الأخلاق وارتكاب المناهى او ترك الاشتغال اواسائة ادب او كثرة كلام لغير فايدة او معاشرة من لا يليق به معاشرته او نحو ذلك بطريق

(١) هزاى تحريك

التعریض لا التصریح ؛ لأنّه یهیّج الحرص علی الاصرار ، وقد ورد لو منع النّاس عن فتّ البعر لفتّوه و قالوا ما نهینا عنه الاّ وفیه شیء ؛ فان لم ینته بالتّعریض فبا لتّصریح و الاّ فیغلظ علیه القول فان لم ینته یطرده ؛ وبالجملة فکما یعلّمهم مصالح دینهم یعلّمهم مصالح دنیا هم لیکمل لهم فضیلة الحالتین

و خامسها ان لا یتعاظم علی المتعلّمین بل یتواضع لهم ، قال تعالی واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنین ، و فی الخبر عنه ﷺ علّموا ولا تعنفوا فانّ المعلم (العلم) خیر من المعنف (العنف) وعنه ﷺ لینوا لمن تعلّمون و لمن تتعلّمون منه ، و ینبغی ان یخاطب کلاّ منهم سیّما الفاضل المتمیّز بکینة و نحوها من أحبّ الأسماء الیه ، فلقد کان رسول الله ﷺ یکنی اصحابه إکراما لهم ؛ وقال ﷺ انّ رجالا یأتونکم من أقطار الأرض یتفقّهون فی الدین فاذا أتوکم فاستو صوابهم خیرا

و سادسها اذا غاب أحد منهم او من ملازمی الحلقة زایدا علی العادة یسأل عنه و عن أحواله وموجب انقطاعه فان لم یخبر عنه أرسل الیه او قصد منزله بنفسه و هو افضل کما کان یفعله رسول الله ﷺ ، فان کان مریضا عاده او فی غمّ فرجّه عنه او مسافرا تفقّد أهله وتعرّض لحوائجهم و وصلهم بما امکن

و سابعها ان یستعلم اسماء طلبته وحاضری مجلسه وأنسابهم و کنائهم و مواطنهم واحوالهم ویکثر الدّعالهم

وثامنها ان یکون سمحا ببذل ماحصّله من العلم متلطّفا فی إفادته طالبیه ، ولا ینبغی ان یدخّرعنهم شیئا من انواع العلوم الّتی یحتاجون الیها او یسألون عنها اذاکان الطّالب أهلا لذلك ، ولیکتم عنهم مالم یتأهّلوا له من المعارف لأنّ ذلك ممّا یفرّق الهمّ ، فان سأله عن شیء من ذلك نبّهه علی انّ ذلك یضرّ . وانّه لم یمنعه منه شحّا بل شفقة و لطفا

وتاسعها منع المتعلّم ان یشتغل بغیر الواجب قبله وبفرض الکفایة قبل فرض العین و من فرض العین إصلاح قلبه و تطهیر باطنه بالتّقوی و کذلك یمنعه من علم الأدب قبل

علم السنّة و هكذا

و عاشر ها ان يكون حريصا على تعليمهم باذلا وسعه فى تقريب الفوائد الى أفهامهم مهتمّا بذلك مؤثرا له على حوائجه و مصالحه مالم يكون ضرورة الى ماهو ارجح منه ؛ ويفهم كلّ واحد منهم بحسب فهمه فلا يلقى اليه مالا يحتمله فهمه ؛ ويخاطب كلّ واحد على قدر درجة فهمه ، ويكرّر المسئلة لمن يحتاج الى تكريرها ويوضحها بالامثلة والتّمثيلات ، ويذكر لهم ما فى المسئلة من الأقوال والدّلائل القوّية والضّعيفة وينبّه على وجه ضعفه

و حادى عشر ها ان يذكر فى تضاعيف الكلام ما يناسبه من قواعد الفنّ الكليّة الّتى لا تنخرم او يضبط مستثنيا تها ان كانت كقوله كلّ ركن يبطل الصلاة بزيادته و نقصانه مطلقا الاّ مواضع مخصوصة و يذكرها مفصّلة

وثانى عشرها ان يحرصهم على الاشتغال فى كلّ وقت ويطالبهم باعادة محفوظاتهم ويسألهم عمّا ذكر لهم من المهمّات و المباحث فمن وجده حافظا مراعيا اكرمه و أثنى عليه وأشاع ذكر ذلك ، ومن وجده مقصّرا عنفه فى الخلوة ، و ان راى مصلحة فى الملأ فعله فانّه طبيب

و ثالث عشرها ان يطرح على أصحابه ما يراه مستفاد المسائل الدّقيقة و النكت الغريبة يختبر بذلك أفهامهم ليتدبّروا بذلك ويعتادوه ، وقدروى انّ النّبى ﷺ قال انّ من الشّجرة شجرة لا يسقط ورقها وانّها مثل المسلم حدّثونى ما هى ؟ فوقع الناس فى شجر البوادى ، قال ابن عمر و وقع فى نفسى انّها النّخلة فاستحيت ، ثمّ قالوا حدّثنا ماهى يا رسول الله ؟ فقال هى النّخلة ؛ فقال له ابوه لو قلتها لكان احبّ الىّ من كذا و كذا

و كذلك اذا فرغ من شرح الدرس فلابأس بأن يطرح مسائل تتعلّق به على الطّلبة و اعادة ذكر ما اشكل منه ليمتحن بذلك فهمهم وضبطهم لما شرح لهم ؛ فمن ظهر استحكام فهمه له شكره ومن لم يفهمه تلطّف فى إعادته له ، وينبغى للشيخ ان يأمر الطّلبة بالاجتماع فى الدرس لما يترتّب عليه من الفايدة الّتى لا تحصل مع الانفراد واعادة ما وقع من التّقرير

بعد فراغه فيما بينهم ليثبت فى أذهانهم

ورابع عشرها ان ينصفهم فى البحث فيعترف بفايدة يقولها بعضهم وان كان صغيرا فانّ ذلك من بركة العلم ؛ وقد قدّمنا الكلام فيه

وخامس عشرها ان لا يظهر للطّلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده فى مودّة او اعتناء مع تساويهم فى الصّفات من سنّ او فضيلة او ديانة فانّ ذلك ممّا ينفر القلوب وان كان بعضهم اكثر تحصيلا وأشدّ اجتهادا فلابأس بترجيحه بشرط ان يذكر لهم انّ ترجيحه وإكرامه انّماهو لهذه الفضيلة ، وذلك لينشط باقى الطّلبة فيحصّلون صفاته

وسادس عشرها ان يقدّم فى تعليمهم اذا ازدحموا الأسبق ولا يقدّمه بأكثر من درس الاّ برضاء الباقين ؛ و يختار اذا كانت الدّروس فى كتاب واحد باتفاق منهم و هو المسمّى بالتّقسيم ان يبدأ فى كل يوم بدرس واحد منهم فانّ الدرس المبدأبه ربّماحصل فيه من النّشاط فى التّقرير مالا يحصل فى غيره الاّ اذا علم من نفسه عدم الملالة و بقاء النّشاط فيرتّب الدرس ترتيب الكتاب ، فيقدّم درس العبادات على درس المعاملات و هكذا ، وان رأى مع ذلك تقديم الأسبق ليحرص المتأخّر على التّقدّم كان حسنا ؛ و ينبغى ان لا يقدّم احدا فى نوبة غيره ولا يؤخّره عن نوبته الاّ اذا راى فى ذلك مصلحة كما عرفته ، وان جاؤا معاوتنازعوا أقرع بينهم بشرطه الآتى

وسابع عشرها اذا سلك الطّالب فى التّحصيل فوقما يقتضيه حاله وخاف ضجره أوصاه بالرّفق بنفسه وذكره قول النّبى صلى الله عليه وآله انّ المنبتّ (المنبث) لا أرضاقطع ولا ظهرا أبقى ، و كذلك اذا ظهر لـه منه نوع ملالة او ضجر أمره بالرّاحة وتخفيف الإشتغال و ليزجره عن تعلّم مالا يفهمه فان استشاره من لايعرف حاله فى الفهم فى قراءة فن او كتاب لم يشر عليه حتى تجرّب ذهنه ويعلم حاله

وثامن عشرها اذا كان عالما ببعض العلوم لا ينبغى له ان يقبّح الطالب غيره من العلوم كما يتّفق ذلك لكثير من جهلة المعلّمين ، فانّ المرء عدوّ ما جهل حتى اذا كان غيره أعرف منه بذلك وجب عليه هداية المتعلّم اليه بأن يقول له هذا العلم الذى

تقرأه عندى فلان أعرف منّى به، لأنّ هذا نصح أخيه المسلم بل ولده الروحانى كما عرفت

وتاسع عشرها ان لا يتأذّى ممّن يقرأ عليه اذا قرأ على غيره لمصلحة راجعة الى المتعلّم فانّ هذه مصيبة يبتلى بها جهلة المعلّمين ومن لا يريد بعلمه وجه الله تعالى وهو من أوضح الدّلائل على فساد النّية فانّه عبد مأمور بأداء رسالة ملك الى بعض عبيده؛ فاذا ارسل الملك عبدا آخر لأداء الرسالة لا ينبغى للاوّل الغضب فانّ ذلك لا ينقصه عند السيّد بل يزيده قدرا و رفعة عنده اذا وجده راضيا؛ فالواجب على المعلّم اذا راى المتعلّم قابلا لقراءة درسين وهو يمل من الدرس الآخران يهديه على معلّم آخر، امّا لو كان جاهلا او فاسقا او مبتدعا او كثير الغلط بحيث يفيد الطالب ملكة رديّة وكان الطالب جاهلا بحاله فالتّحذير من الاغترار به حسن مع مراعاة المقصد الصحيح

العشرون اذا تكمل الطالب وتأهّل للاستقلال بالتّعليم وأراد ان يصير مدرّسا فينبغى ان تقوم المعلّم بنظام أمره فى ذلك و يمدحه فى المحافل و يأمر الناس بالأخذ عنه، ولينبّه الناس على قدر معلوماته و تقواه وصلاحه كما انّه لو راى منه ميلا الى الاستقلال بالتّعليم ولم يبلغ درجته ينبغى له ان يقبح له ذلك عنده و يشدّد التّنكير عليه فى الخلاء فان لم ينجع فليظهر ذلك على وجه صحيح حتى يرجع الى الاشتغال

الفايدة الخامسة آدابه فى درسه و هى امور، الاول ان لا يخرج الى الدرس الاّ كامل الهيئة من الثّياب الّتى توجب له الوقار واقبال القلوب عليه؛ وأفضلها البيض وهذا مذكور فى كتاب التّجمل من الكافى، وليقصد بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة وليتطيّب ويسرح لحيته ويزيل عنه كلما يشينه، وكان بعض المحدّثين اذا جلس لتعليم الحديث لبس أحسن ثيابه ولا يزال يبخر بالعود الى ان يفرغ، ويقول أحبّ تعظيم حديث رسول الله ﷺ

الثانى ان تدعو عند خروجه للدرس بالدعاء المروى عن النّبى ﷺ اللّهمّ انّى أعوذ بك ان أضلّ او أضلّ، وأزلّ او أزلّ وأظلم او أظلم او أجهل او يجهل علىّ عزّ جارك وجل

ثناؤك ولا إله غيرك ، ثمّ يقول بسم الله حسبي الله توكّلت على الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، اللّهمّ ثبّت جناني وأدر الحق على لساني ، ويديم ذكر الله الى ان يصل المجلس

الثالث ان يسلّم على من حضر اذا وصل المجلس ويصلّي ركعتين تحيّة المسجد ان كان مسجدا والاّ نوى بهما الشّكر لله تعالى على توفيقه وتأهيله لذلك ، او الحاجة الى تسديده و عصمته عن الخطاء اومطلقتين ، فانّ الصلاة خير موضوع ، وامّا استحبابها لذلك بخصوصه فلم يثبت وان استحبّه العلماء ثمّ يدعو بعدهمابالتوفيق والاعانة والعصمة

الرابع ان يجلس على سكينة و وقار مطرقا ثانيا رجليه او محتبيا غيرمتربّع ولا مقع ولا غير ذلك من الجلسات المكروهة مع الاختيار كلّ ذلك في حال الدرس امّا في غيره فلابأس بمدّ رجليه او احدهما او إتّكائه فانّ الطّلبة بمنزلة أولاده

الخامس قيل يجلس مستقبل القبلة لأنّه أشرف واقوله ﷺ خير المجالس ما استقبل بهاالقبلة،ويمكن ان يقال باستحباب استدباره لها ليخصّ الطّلبة بالاستقبال لأنّهم اكثر وكذا من يجلس اليهم للاستماع

السادس ان ينوي حين خروجه من منزله تعليم العلم و نشره و تبليغ الأحكام الدّينيّة الّتي أوتمن عليها ؛ وأمر بتبيانها والازدياد في العلم بالمذاكرة والاجتماع على ذكرالله تعالى، والدعاء للعلماء الماضين وغيرذلك من المقاصد الّتي يزيد بهاجزيل الثواب وليس المراد بنيّة هذه المطالب الجليلة ان يقول افعل كذا لأجل كذا بل ما عرفت في تحقيق النّيّة من ان يكون تلك المقاصد هي الباعثة والمحرّكة له على ذلك الفعل

السابع ان يصون بدنه عن الزّحف و التّنقّل عن مكانه والتّقلقل ، و يديه عن البعث والتّشبيك ؛ و عينيه عن تفريق النّظر بلاحاجة ، ويتّقي كثرة المزاح والضّحك فانّه يقلّل الهيبة ، وامّا القليل من المزاح والضّحك فمحمود كما كان يفعله النّبي ﷺ فقد كان يضحك حتى تبدو نواجده ولكن لا يعلو الصّوت

الثامن ان يجلس في موضع يبرز وجهه فيه لجميع الحاضرين ويفرق النظر بينهم

و يخص من يكلمه او يسئله ؛ وان يقدم على الشروع فى البحث والتدريس الاستعاذة من الشيطان وحمدالله والصلاة على محمد وآله والدعاء للعلماء الماضين ولمشائخه خاصة ولوالديه وللحاضرين ؛ وان كان فى مدرسة دعى للواقف ولم يرد فى هذا نص لكن فيه خير عظيم ، و اذا تعددت الدروس فليقدم منها الأشرف والاهم فالأهم ، فيقدم أصول الدين ثم التفسير ثم الحديث ثم اصول الفقه ثم النحو ثم المعانى وعلى هذا القياس باقى العلوم بحسب مرتبتها والحاجة اليها ؛ و ان لا يشتغل بالدرس وفيه ما يزعجه و يشوش فكره من مرض او جوع او مدافعة حدث او خبث او غضب او نعاس او برد او حر او نحو ذلك ؛ وان لا يكون فى مجلسه ما يؤذى الحاضرين من دخان او غبار وصوت يزعج او شمس حارة او نحو ذلك

التاسع ان يتودد لغريب حضر عنده وينبسط عنده فان للقادم دهشة سيما بين يدى العلماء ، ولا يكثر النظر و الالتفات اليه إستغرابا باله فانه يخجله ، واذا أقبل بعض الفضلاء وقد شرع فى مسئلة أمسك عنها حتى يجلس ، وان جاء و هو يبحث أعادها له ، واذا أقبل وقد بقى للفراغ و قيام الجماعة بقدر ما يصل الى المجلس فليؤخر تلك البقية وليشتغل عنها الى ان يصل ثم يعيدها اويتم تلك البقية كيلا يخجل المقبل بقيامهم عند جلوسه

العاشر وهو الأهم منها اذا سئل عن شىء لا يعرفه او عرض فى الدرس مالايعرفه فليقل لا أعرفه اولا أتحققه او حتى اراجع النظر ولايستنكف عن ذلك فيمن (لمن) علم العالم ان يقول فيما لا يعلم لا أعلم والله أعلم ، قال على عليه السلام اذا سألتم عما لا تعلمون فاهربوا قالوا و كيف المهرب ؟ قال تقولون الله أعلم ، وعن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم ، ان الرجل ليشرع بالاية من القرآن يخر فيها أبعد ما بين السماء والأرض ، و عن ابن عباس رضى الله عنه اذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله ، وقال ابن مسعود لا أدرى ثلث العلم ، وقال بعض الفضلاء ينبغى للعالم ان يورث أصحابه لا أدرى يعنى يقولها كثيرا حتى يعتادوها ، وقول العالم لا أدرى مما يزيد فى

قدره ومحلّه ، وهودليل واضح على تقواه وانّما يمتنع من لا أدرى من قلّ علمه و عدمت تقواه حتى لا يسقط من العيون

الحادى عشر اذا اتفق له تقرير او جواب فتوهّمه صوابا ثمّ ظهر له خطاؤه فيجب عليه ان يبادر الى التّنبيه على فساده ويبيّن لهم خطاءه قبل تفرّق الحاضرين ولا يمنعه الحياء عن ذلك فيؤخّره الى وقت آخر ؛ لأنّ فيه استقرار الخطاء في قلوب الطّلبة وتأخير بيان الحق مع الحاجة اليه وخوف عدم حضور اهل المسجد فيستمرّ على فهم الخطأ وفيه طاعة الشّيطان في الاستمرار على الخطأ ؛ مع انّ في رجوعه تعليم للطلبة هذه الخصلة الحميدة ويرفعه الله تعالى بذلك على خلاف ما يظنّه الأحمق ويتوهّمه الجاهل ، وينبغي ان ينبّه المتعلّم عند فراغ الدرس بما يدلّ عليه ان لم يعرفه القارىء و قد جرت عادة السّلف ان يقولوا أجدوالله اعلم ، وينبغي ان يختم الدرس بذكر شيء من الدقايق والحكم والمواعظ وتطهير الباطن ليتفرّقوا على الخضوع و الاخلاص ، فانّ البحث يورث في القلب قوّة و ربّما أعقب قسوة فليحركه في كل وقت الى الإقبال ؛ وان يختم المجلس بالدعاء لماقدغشيهم من الرحمة، و كان النّبي صلى الله عليه وآله اذا أرادأن يقوم من مجلسه يقول اللّهمّ اغفرلنا ماأخطأنا اوما تعمّدنا؛ وماأسررناومااعلنا وماانت أعلم به منّا وانت المقدّم انت المؤخّر لااله الاّ انت

وينبغي ان يمكث قليلا بعد قيام الجماعة فانّ فيه فوائد وآدابا له ولهم : منها ان كان في نفس أحدهم بقايا سؤال تأخر ، ومنها ان كان لأحد به حاجة قد صبر عليها حتى فرغ يذكرها له ، و منها عدم خفقان النّعال خلفه ، و منها عدم ركوبه بينهم ان كان يركب

و ينبغي ان ينصب لهم نقيبا فطنا يرتّب الحاضرين و من يدخل عليه على قدر منازلهم ويوقظ النايم وينبّه الغافل ويأمر بسماع الدروس و الانصات اليها لمن لا يعرف و كذلك ينصب لهم رئيسا آخر يعلّم الجاهل ويعيد درس من أراد ويرجع اليه في كثيرممّا يستحى ان يلقى به العالم من مسئلة او درس فانّ فيه ضبطا لوقت العالم ؛ واذا قام من مجلسه فينبغي له ان يقول سبحانك اللّهمّ وبحمدك اشهد ان لا اله الاّ انت استغفرك و

و أتوب اليك سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين والحمدلله رب العالمين رواه جماعة من فعل النبي ﷺ، وفى بعض الروايات ان الثلاث آيات كفارة المجالس ؛ و كما يستحب للعالم يستحب لكل قائم

الفايدة السادسة فى آداب المتعلم وهى أمور: أولها ان يحسن نيته ويطهر قلبه من الادناس ليصلح لقبول العلم وحفظه، وان يغتنم التحصيل فى أيام الشباب وقبل الاتسام بالعلم والفضل ، قال بعضهم تفقهوا قبل ان تسودوا و فى الخبر مثل الذى يتعلم العلم فى الصغر كالنقش على الحجر، ومثل الذى يتعلم العلم فى كبره كالذى يكتب على الماء و هذا باعتبار الغالب ، ولا ينبغى لمن كبر ان يمنع نفسه عن الطلب فان فضل الله واسع ؛ وقد اشتغل جماعة من السلف فى حال كبرهم فتفقهوا وصاروا أساطين فى الدين ومصنفين فى الفقه و غيره

و ثانيها ان يقطع ما قدر عليه من العوائق الشاغلة و العلائق المانعة عن تمام الطلب و كمال الاجتهاد ويرضى بما تيسر من القوت وبما يستر مثله من اللباس وان كان خلقا ، فبا لصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم ويجمع شمل القلب عن متفرقات الامال لينفجر عنه ينابيع الحكمة والكمال ؛ قال بعض السلف لا يطلب أحد هذا العلم بعز النفس فيفلح ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح ، وقال بعضهم لاينال هذا العلم الا من عطل دكانه وخرب بستانه و هجر إخوانه ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته ، وهذا كله وان كان فيه مبالغة فالمقصود انه لابد فيه من جمع القلب وإجتماع الفكر ، وبالغ بعض المشايخ لبعض تلامذته اصبغ ثوبك حتى لا يشغلك فكر غسله ، و من أقوى موانع الطلب التزويج فينبغى تركه ايام التحصيل لأنه قلما يجتمع مع العلم حتى قال بعضهم ذبح العلم فى فروج النساء؛ وعن ابراهيم بن أدهم من تعود أفخاذ النساء لم يفلح ، يعنى اشتغل بهن عن الكمال ؛ و فى المثل السائر لو كلفت بصلة ما فهمت مسئلة، ولا يغتر الطالب بما ورد فى النكاح من الترغيب فان ذلك حيث لا يعارضه واجب أولى منه ولاواجب أضيق من العلم سيما فى هذا الزمان فانه كما قيل وان وجب

على الاعيان و الكفاية على تفصيل فقد وجب فى هذا الزمان على الأعيان مطلقا ، لأنّ فرض الكفايه اذا لم يقم بـه من فيه كفاية يصير كالواجب العينى فى مخاطبة الكلّ وتأثيمهم (١) وينبغى له ان يترك المعاشرة مع من يشغله عن مطلوبه فانّ تركها من أهمّ ما ينبغى لطالب العلم ولا سيّما لغير الجنس و خصوصا لمن كثرت بطالته فانّ الطبع سرّاق ، فاذا خالط فلا يخالط الاّ من يفيده اويستفيد منه فان لم يتّفق فالوحدة ولاقرين السّوء ، قال مؤلّف هذا الكتاب عفى الله عنه سنذكر ان شاء الله تعالى فى نور آخر أحوالنا وماجرى علينا من ضيق المعاش أيّام تحصيل العلم و كيف تنقّلنا لأجل العلم من بلاد الى بلاد فمن راجعه سهل عليه الصّبر على مضايق العلم وعلى الله التوكّل

و ثالثها ان يكون حريصا على التّعلّم مواظبا عليه فى جميع اوقاته ليلا ونهارا سفرا وحضرا و لا يذهب شيئا من أوقاته فى غير العلم الاّ بقدر الضرورة لما لابدّ منه من أكل ونوم واستراحة يسيرة لازالة الملل و موانسة زاير وتحصيل قوت وغيره فانّ بقيّة العمرلاثمن لها ومن استوى يوماه فهو مغبون ؛ وليس بعاقل من أمكنه الحصول على درجة ورثتها(ورثة)الأنبياء ثمّ فوتها ولا بدّدون الشّهد من ألم النّحل وقيل:

لاتحسب المجد تمرا انت آكله | لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

و أن يكون عالى الهمة فلا يرضى باليسير مع إمكان الكثير ، ولا يؤخّر فايدة الى وقت آخر يرجو فيه إزالة الموانع فانّ هذا الوقت لم يخلق واذا خلق فله فائدة أخرى وفى الخبر الوقت سيف فان قطعته والاّ قطعك ؛ وينبغى ان يأخذ فى ترتيب العلم بماهو الاولى ، و اذا اشتغل فى فنّ فلا ينتقل عنه حتى يتقن فنه كتابا او كتبا ان امكن ، و ليحذر التنقل من كتاب الى كتاب ومن فن الى غيره من غير موجب فانّ ذلك علامة الضجر وعدم الفلاح ، فاذا تحقّقت أهليّته فالأولى له ان لا يدع فنّا من العلوم المحمودة الاّ

---

(١) غير خفى على القارى العزيز انه اذا كان تحصيل العلم الدينى من الواجبات العينية فى زمان المصنف ره ففى زماننا هذا يكون من اوجبها بلا اشكال ومن جهه وضوح الامر لاحاجة الى البيان واطالة الكلام .

و تنظر فيه نظر تطلّع ، ثمّ ان ساعده العمر طلب التّبحّر فيه فانّ العلوم متقاربة و بعضها مرتبط ببعض

الفائدة السابعة آدابه مع شيخه، قال الصادق عليه السلام كان امير المؤمنين عليه السلام يقول انّ من حق العالم ان لا تكثر عليه السّؤال ، ولا تأخذ بثوبه واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم وخصّه بالتّحيّة دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينك وانّما مثل العالم مثل النّخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها شيء ؛ والعالم أعظم أجرا عندالله من الصّائم القائم الغازى فى سبيل الله ، وفى الحديث المروى عن مولانا زين العابدين عليه السلام وحق سائسك بالعلم التّعظيم له والتّوقير لمجلسه وحسن الاستماع اليه والاقبال عليه وان لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب احدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذى يجيب ولا تحدث فى مجلسه أحدا ، ولا تغتاب أحدا ؛ وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء ، و ان تستر عيوبه وتظهر مناقبه ، ولا تجالس له عدوّا ولا تعادى له وليّا ، فاذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله عزّ و جلّ بأنّك قصدته و تعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس وفى هذه الفائدة أمور

اولها وهو الأهمّ ان يقدّم النّظر فيمن يأخذ عنه العلم فانّ تربية الشّيخ لتلميذه ممّا تكسبه جميع أخلاقه بل ودينه ايضا على ما شاهدناه ، مع انّ العالم نايب عن الرسول صلى الله عليه وآله وليس كلّ عالم يصلح لهذا ، فليختر من كملت أهليته وظهرت ديانته و عرفت عفّته واشتهرت صيانته وسيادته ، وظهرت مروّته وحسن تعليمه، ولا يغتر الطالب بمن زاد علمه مع نقص فى ورعه او دينه او خلقه؛ وليحترز ممّن أخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءة على الشّيوخ خوفا من وقوعه فى التّصحيف والغلط والتحريف؛ قال بعض السّلف من تفقّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام (١) وقال آخر ايّاكم والصّحفيّين الذين

---

(١) لاشك ان هذا الكلام من الحكم الصادرة عن ارباب العلم والحكمة فانا نشاهد فى هذا العصر التعيس مصداقا كثيرا لمعنى هذه الكلمة النيرة و قد حبسنا القلم عن ذكره خوفا من الازراء على بعض المعاصرين

يأخذون علمهم من الصحف فانّ ما يفسدون اكثر ممّا يصلحون . وليحذر من التقييد بالمشهورين وترك الأخذ من الخاملين فانّ ذلك من الكبر على العلم وهو عين الحماقة لأنّ الحكمة ضالّة المؤمن يلتقطها حيث وجدها

و ثانيها ان يعتقد فی شيخه انه الأب الحقيقی والوالد الروحانی و هو أعظم من الوالد الجسمانی فيبالغ فی حقّه أعظم من رعايته فی حقّ ابيه ، وسئل الأسكندر عليه السلام ما بالك توقر معلّمك اكثر من والدك؟ فقال لأنّ المعلّم سبب لحياتی الباقية ووالدی سبب لحياتی الفانية ؛ وايضا فالأب لم يقصد حال الجماع وجود الولد ولا كمال وجوده و انّما قصد لذّة نفسه وامّا المعلّم فقصد تكميل وجوده وسببه وبذل فيه جهده ؛ وقد روی انّ السيّد الرضی قدّس الله روحه كان عالی الهمّة أبیّ النّفس عن ان يقبل من أحد شيئا ، فقال له يوما بعض مشايخه انّ دارك ضيّقة لا تليق بحالك ولی دار واسعة و هيّئتها لك فانتقل اليها ، فأبی فأعاد عليه الكلام ، فقال يا شيخ أنا لم أقبل برّ أبی قطّ فكيف أقبل من غيره فقال له الشيخ انّما حقی عليك أعظم من حقّ ابيك لأنّی أبوك الروحانی و هو أبوك الجسمانی : فقال السيّد رحمه الله قد قبلت الدار ، ومن هنا قال بعض الفضلاء

من علّم العلم كان خير أب ذاك ابو الروح لا أبو النّطف

وثالثها ان يعتقد انّه مريض وشيخه طبيب وذلك لأنّ المرض هو إنحراف الروح عن المجری الطّبيعی وطبيعة النّفس العلم وقد خرجت عنه بسبب اشتغال القوی البدنيّة وأخلاطها فلا ينبغی ان يخالفه فيما يشير عليه كأن يقول له أقرء الكتاب الفلانی واكتف بهذا القدر من الدرس ، فاذا خالفه كان بمنزلة المريض الذی يردّ على الطبيب و قد قيل فی الحكمة مراجعة المريض طبيبه يوجب تعذيبه ، و كما انّ الواجب على المريض ترك تناول الموذيات والاغذية المفسدة والدّواء فی حضرة الطّبيب وغيبته كذلك المتعلّم

و ينبغی ان ينظر الى الشيخ بعين الاجلال والاحترام ويضرب صفحا عن عيوبه ، وقد كان بعض السّلف اذا ذهب الى شيخه تصدّق بشیء وقال اللّهمّ استر عيب معلّمی عنّی ولا تذهب ببركة علمه منّی ، و قال آخر كنت أصفح الورقة بين يدی شيخی صفحا

رفيقا هيبة له لئلاّ يسمع وقعها ، وقال آخر والله ما اجترأت ان أشرب الماء وشيخي ينظر الىّ هيبة له ؛ وقال حمد أن الاصفهانى كنت عند شريك فأتاه بعض أولاد الخليفة المهدى فاستند الى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت اليه ، و أقبل علينا ثم عاد فعاد شريك لمثل ذلك، فقال أتستخف بأولاد الخلفاء ؟ قال لا ولكن العلم أجلّ عندالله من ان أضيعه فجثى على ركبتيه ؛ فقال شريك هكذا يطلب العلم، وقال النّبى صلى الله عليه وآله من علّم احدامسئلة ملك رقه ، قيل أيبيعه ويشتريه ؟ قال بل يأمره و ينهاه

ونقل بعض الأفاضل قال حكيت لشيخي مناما لى فقلت رأيت انّك قلت لى كذا وكذا فقلت لك لم ذاك؟ فهجرنى شهرا و لم تكلّمنى ؛ وقال لولا انّه كان فى باطنك تجويز المطالبة وانكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك فى المنام ، والأمر كما قال ، قال مؤلف الكتاب عفى الله عنه قد كان حالى مع شيخي صاحب كتاب بحارالأنوار (١) لما كنت أقرأ عليه فى اصفهان انّه خصنّى من بين تلامذته مع انهم كانوا يزيدون على الألف بالتّأهّل عليه والمعاشرة معه ليلا ونهارا ، وذلك انّه لمّا كان يصنّف ذلك الكتاب كنت أبات معه لأجل بعض مصالح التّصنيف و كان كثير المزاح معى والضّحك والظّرائف حتى لا أملّ من المطالعة ، و مع هذا كلّه كنت اذا أردت الدخول عليه أقف بالباب ساعة حتى أتأهّب للدخول عليه و يرجع قلبى الى إستقراره من شدّة ما كان يتداخلنى من الهيبة والتّوقير والاحترام حتى أدخل عليه ، ولقد كنت وحقّ جنابه الشريف والأيّام الّتى قضيناها فى صحبته و نرجو من الله ان تعود استسهل لقاء الأسود على الدخول عليه هيبة له وإجلالا ، وينبغى ان يعظمه فى حال الخطاب ولايخاطبه بتاء الخطاب وكافه ولا يناديه من بعد بل يقول ياسيّدى ويا استادى وما أشبه ذلك ويخاطبه بصيغ الجمع ،

---

(١) هو العلامة المحدث شيخ الاسلام و المسلمين المولى محمد باقر المجلسى رحمه الله المتوفى (١١١١) هـ وقد صنف المحدث النورى (ره) كتاب فيض القدسى فى احواله و ترجمة حالاته ولكن له فيه عثرات فى مقايسته بين المجلسى (ره) وبين العلامة الحلى قدس سره ليس هنا محل ذكرها وذكرنا بعضها فى ها مش نسخة فيض القدسى التى عندنا.

وينبغي ان يرد غيبته زيادة على ما يجب رعايته في غيره فان عجز عن ذلك قام و فارق المجلس ، ويرعى ذريته وأقاربه و أوداءه ومحبيه في حيوته وبعد موته

و رابعها ان يصبر على جفوة تصدر من شيخه او سوء خلق ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته ويتأول أفعاله التي ظاهرها مذموم على أحسن تأويل وأصحه فما يعجزه عن ذلك الا قليل التوفيق ، و يبدأ هو عند جفوة شيخه بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار وينسب الموجب اليه ويجعل العتب فيه عليه فان ذلك أبقى لمودة شيخه وعن بعض السلف من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة ، ومن صبر عليه آل امره الى عز الدنيا والاخرة ، واما نحن فسنذكر ان شاء الله تعالى الذل الذى أصابنا في تحصيل العلم في النور الآتي و بحمد الله وتوفيقه آل أمرنا الى عز الدنيا و نرجو منه تعالى عز الاخرة وهو المطلوب ، و بقيت أمور أخرى كثيرة تركناها حذراً من التطويل وبما ذكرناه كفاية للعامل

الفائدة الثامنة آدابه في درسه وقراءته وهي أمور : الاول ان يبتديء اولا بحفظ كتاب الله العزيز حفظا متقنا فهذا أصل العلوم و أجلها و كان السلف لا يعلمون الفقه والحديث الا لمن حفظ القرآن

الثاني ان يقتصر من المطالعة على ما يحتمله فهمه ولا يمجه طبعه و ليحذر من تحير الذهن في مطالعة الكتب الكثيرة فانه يضيع زمانه، وليعط الكتاب الذى يقرأه و الفن الذى يأخذه كليته حتى يتقنه حذرا من الخبط ، ومن هذا الباب الاشتغال بكتب الخلاف في العقليات و نحوها قبل ان يصح فهمه ويستقر رأيه على الحق

وينبغي ان يعتني بتصحيح درسه الذى يحفظه قبل حفظه تصحيحا متقنا ثم يحفظه حفظا محكما ، ثم يكرره وان يحضر معه الدواة والقلم للتصحيح ؛ واذا رد عليه الشيخ لفظة فظن او علم ان رده خلاف الصواب كرر اللفظة مع ما قبلها لينبه بها الشيخ او يأتي بلفظها الصواب على وجه الاستفهام ، فربما وقع ذلك سهوا ولا يقل بل هي كذا ، فان رجع الشيخ الى الصواب فذاك والا ترك تحقيقها الى مجلس آخر بتلطف ولا يبادر الي

اصلاحها على الوجه الذى عرفه مع اطلاع الشيخ والحاضرين ، وكذلك اذا تحقق خطأ الشيخ فى جواب مسئلة . وكان لا يفوت تحقيقه فان كان كذلك كالكتابة فى رقاع الاستفتاء وكون السائل غريبا او بعيد الدار او مشنعا تعين تنبيه الشيخ على ذلك فى الحال بالاشارة ثم بالتصريح ؛ فانّ تركه ذلك خيانة للشيخ فيجب نصحه بما أمكن من تلطف وغيره ؛ فاذا وقف على مكان فى التصحيح كتب قبالته بلغ العرض او التصحيح

وينبغى له ان يقسم أوقات ليله ونهاره على ما يحصله فانّ الاوراد توجب الازدياد وأجود الاوقات للحفظ الأسحار وللبحث الأبكار وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل وبقايا النهار ، ومما قالوه و دلّت عليه التجربة انّ حفظ الليل أنفع من حفظ النهار؛ ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع والمكان البعيد عن الملهيات انفع ، وان يباكر بدرسه لخبر بورك لأمّتى فى بكورها ، ولخبر اغدوا فى طلب العلم فانّى سألت ربّى ان يبارك لأمّتى فى بكورها ؛ ويجعل إبتداء ه يوم الخميس، وفى رواية يوم السبت أو الخميس وفى آخر عنه صلى الله عليه وآله أطلبوا العلم يوم الاثنين فانّه ميسّر لطالبه ؛ وروى فى يوم الاربعا خبر ما من شىء بدء به يوم الأربعا الا وقد تمّ، وربّما اختار بعض العلماء الابتداء يوم الاحد ولم نقف على مأخذه

الثالث اذا حضر مجلس الشيخ فليسلّم على الحاضرين ثمّ يخصّ الشيخ بزيادة تحيّة وإكرام، وعدّ بعضهم حلق العلم حال أخذهم فى البحث من المواضع التى لا يسلّم فيها ؛ واختاره جماعة من الأفاضل وهو متّجه حيث يشغلهم ردّ السلام عمّا فيه من البحث وحضور القلب كما هو الغالب ، سيّما اذا كان فى أثناء تقرير مسئلة فانّ قطعه عليهم أضرّ من كثير من الموارد التى ورد انّه لا يسلّم فيها ، لكن متى أريد ذلك فليجلس الداخل عليهم على بعد من مقابلة الشيخ بحيث لا يشعر به حتى يفرغ ان أمكن جمعا بين حق الأدب وحق البحث فى دفع الشواغل، وينبغى له اذا سلم ان لا يتخطى رقاب الحاضرين الى قرب الشيخ ان لم يكن منزلته كذلك بل يجلس حيث ينتهى به المجلس كما ورد في الحديث ؛ فان صرح له الشيخ او الحاضرون بالتقدّم او كانت منزلته او كان يعلم

ایثار الشیخ والجماعة لذلك او کان جلوسه بقرب الشیخ لمصلحة کأن یذاکره مذاکرة ینتفع بها الحاضرون او لکونه کبیر السّن او کثیر الفضیلة والصّلاح فلابأس ، قال شیخنا الشیخ زین الدین طاب ثراه و اعلم انّه متی سبق الی مکان من مجلس الدرس کان أحقّ به فلیس لغیره ان یزعجه منه وان کان أحقّ به بحسب الاداب ، قیل ویبقی بعد ذلك أحقّ به کالمحترف اذا ألف مکانا من السّوق او الشّارع فلا یسقط حقه منه بمفارقته وان انقطع عن الدرس یوما او یومین اذا حضر بعد ذلك انتهی؛وفیه مالا یخفی

و ینبغی ان لایجلس بین اخوین اواب وابن؛ او قریبین او متصاحبین الاّ برضاهما معا لما روی انّ النّبی صلی الله علیه وآله نهی ان یجلس الرجل بین الرجلین الاّ باذنهما ، وینبغی ان لا یقرأ الاّ باذن الشیخ ذکره جماعة من العلماء ، فاذا أذن له إستعاذ بالله من الشیطان الرجیم ثمّ سمی الله تعالی وحمده وصلّی علی النّبی وآله ثمّ یدعوا للشیخ ولوالدیه و لمشایخه و للعلماء ولنفسه ، وینبغی ان یتذاکر مع من یوافقه من مواظبی مجلس الشیخ بما وقع فیه من الفوائد فانّ فی المذاکرة نفعا عظیما و قدم علی نفع الحفظ و ینبغی الاسراع بها قبل تفرّق أذهانهم فان لم یجد من یتذاکر معه ذاکر نفسه بأن یکرّر معنی ما سمعه و لفظه علی قلبه لیتعلّق ذلك بخاطره ؛ و قد اشتهر انّ الأخفش کان له عنز یتذاکر الیه

الفائدة التاسعة فی آداب الفتوی والمفتی و المستفتی اعلم اولا انّ الإفتاء وان کان کثیر الاجر لکنّه عظیم الخطر لأنّ المفتی وارث النّبی و هو موقع عن الله تعالی ونائبه ولسانه الناطق عنه فلیعرف کیف یکون ، قال سبحانه فی التّحذیر:ولا تقولوا لما تصف ألسنتکم الکذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علی الله الکذب ، وانظر الی خطابه لرسوله صلی الله علیه وآله: ولو تقوّل علینا بعض الأقاویل لأخذنا منه بالیمین ثمّ لقطعنا منه الوتین، فکیف یکون حاله مع غیره اذا تقوّل علیه (١) وقال صلی الله علیه وآله أشدّ الناس عذابا یوم القیمة

---

(١) ولذلك اهل الورع والتقوی من فقهائنا فی الزمن الغابر وکذا اهل التقی منهم فی الزمن الحاضر یتورعون عن الفتوی کما نقل ان السید العالم الربانی السید ☆

رجل قتل نبيّاً او قتله نبيّ او رجل يضلّ الناس بغير علم او مصوّر يصوّر التماثيل ، وعن ابى عبيدة الحذاء قال سمعت ابا جعفر الباقر عليه السلام يقول من أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه

واعلم انّه يجب فى المفتى ان يكون مكلّفاً مسلما عادلا مجتهدا و من لم يكن مجتهدا فلا يجوز له الاقدام على الافتاء (الفتوى) والفتوى فرض كفاية فاذا سئل و ليس هناك غيره تعيّن عليه الجواب ، و ينبغى ان لا يفتى فى حال تغيّر أخلاقه من الغضب و الجوع والعطش والحزن والفرح والنّعاس والحرّ والبرد و مدافعة الاخبثين ، واذا افتى فى واقعة ثمّ تغيّر اجتهاده وعلم المقلّد برجوعه من مستفت او غيره عمل بقوله الثانى ،

---

* رضى الدين على بن طاوس الحسنى ره مع غزازة علمه وتبحره فى العلوم و مكانته العالية فى الفقاهة والاجتهاد كان متورعا عن الفتوى لعظم خطرها كما صرح به قدس سره فى كتاب اجازاته وقال ما هذا لفظه : و اعلم اننى انما اقتصرت على تأليف كتاب غياث سلطان الورى لسكان الثرى من كتب الفقه فى قضاء الصلاة عن الاموات و لم اصنف غير ذلك من الفقه وتقرير المسائل والجوابات لاننى كنت قد رايت مصلحتى ومعاذى فى دنياى و آخرتى فى التفرغ عن الفتوى فى الاحكام الشرعية لاجل ما وجدت من الاختلاف فى الرواية بين فقهاء اصحابنا فى التكاليف الفعلية وسمعت كلام الله جل جلاله يقول عن اعز موجود من الخلائق عليه محمد صلى الله عليه واله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين،فلو صنفت كتبا فى الفقه يعمل بعدى عليها كان ذلك نقضا لتورعى عن الفتوى و دخولا تحت خطر الاية المشار اليها لانه جل جلاله اذا كان هذا تهديده للرسول العزيز الاعلم لو تقول عليه فكيف يكون حالى اذا تقولت عليه جل جلاله وافتيت اوصنفت خطاء او غلطا يوم حضورى بين يديه الخ

اقول هذا حال هذا الرجل العظيم فى التورع عن الفتوى مع انه من اكبر رجال الدين واغزر عيالم العلم واركان حملة الفقه والحديث وقد كفتنا مؤنة التعريف بهشهرته فى جميع الفضائل فكيف يكون حال المتفقهة من ابناء هذا الزمان تريهم يتصدون للفتوى بمجرد تعلم مقدمات الفقه واصوله وليس حالهم هذا الا من حب الشهرة والجاه وقلة الورع والتقوى وجلب حطام الدنيا والله العاصم.

فان لم يكن عمل بالقول الاوّل لم يجز العمل به وان كان قد عمل به قبل علمه لم ينقض ولم لو يعلم المستفتي رجوع المفتي فكأنّه لم يرجع في حقّه ويلزم المفتي اعلامه برجوعه قبل العمل وبعده ليرجع عنه في عمل آخر (عمله الاخر) ولو افتى في حادثة ثمّ حدث مثلها فان ذكر الفتوى الاول و دليلها افتى بذلك ثانيا بلا نظر، وان ذكرها ولم يذكر دليلها ولاطرى ما يوجب رجوعه ففي جواز افتائه بالاولى أووجوب إعادة الاجتهاد قولان، ومثله تجديد الطّلب في التّيمم والاجتهاد في القبلة ؛ و القاضي اذا حكم بالاجتهاد ثمّ وقعت المسئلة وليس للمفتي ان يكتب السّؤال على علمه من صورة الواقعة اذا لم يكن في الرقعة تعرض له بل على ما في الرقعة ، فان أراد خلافه قال ان كان الامر كذا فجوابه كذا ، و استحبّوا ان يزيد على ما في الرقعة ما له تعلّق بها ممّا يحتاج اليه السائل لحديث ما هو الطّهور ماؤه أيحلّ ميتته ؟

ويستحبّ ان يكتب في اول فتواه الحمدلله او الله الموفق اوحسبنا الله او حسبي الله ، او الجواب و بالله التوفيق او نحو ذلك ؛ و احسنه الابتداء بالتّحميد للحديث ، و ينبغي ان يقوله بلسانه و يكتب ثمّ يختمه بقوله والله اعلم او بالله التّوفيق ويكتب بعده قال او كتبه فلان بن فلان الفلاني فينتسب الى ما يعرف به من قبيلة اوبلد اوصفة ونحوها ؛ و ينبغي ان يقتصر (يختصر) جوابه غالبا ويكون بحيث يفهمه العامة فهما جليّا ، حتى كان بعضهم يكتب تحت ايجوز: يجوز اولا يجوز، وتحت امْلا: لا او نعم ونحوها ، واذا راى المفتي رقعة الاستفتاء وفيها خطّ غيره ممّن هو اهل للفتوى فان كان دونه و وافق ما عنده كتب تحت خطه الجواب صحيح او هذا جواب صحيح او جوابي كذلك او مثل هذا او بهذا أقول ونحو ذلك ؛ وامّا اذا راى فيها خطّ من ليس أهلا للفتوى فلا يفتي معه لأنّ في ذلك تقريرا منه لمنكر بل له ان يضرب عليه و ان لم يأذن له صاحب الرقعة لكن لا تحبسها عنده الاّ باذنه ، و له نهي السائل وزجره وتعريفه قبح ما فعله ، وان راى فيها إسم من لا يعرفه سأل عنه فان لم يعرفه فله الامتناع من الفتوى معه خوفا ممّا قلناه ، ولو خاف؛ فتنةً من الضرر على فتيا عادم الاهليّة ولم يكن خطأ عدل الى الامتناع من الفتيا معه

واما اذا كانت خطاء وجب التنبيه عليه وحرم عليه الامتناع من الافتاء تاركا للتنبيه على خطائها

ولو اجتمع مفتيان فاكثر ممن يجوز استفتاؤهم فان اتفقوا فى الفتوى أخذ المستفتي بها ؛ وان اختلفوا وجب عليه الرجوع الى الأعلم الاتقى، وان اختلفوا فى الوصفين رجع الى أعلم الورعين وأورع العالمين، فان تعارض الاعلم والاورع قدم الأعلم فى التقليد اما لو كان المفتي ميتا فهل يجوز تقليده مع وجود الحي اولا معه ؟ للجمهور أقوال اصحها عندهم جوازه مطلقا (١) لأن المذاهب لا تموت بموت اصحابها ولهذا يعتدبها

(١) لا يجوز تقليد الميت ابتداء لعدم دليل على جوازه وجواز التقليدحكم شرعى لابدله من دليل والاصل عدمه مضافا الى ان الاجماع قائم من علمائنا الامامية على عدم جواز تقليد الميت ابتداء وخالف فى ذلك جماعة من علمائنا الاخباريين على ما نسب اليهم و لكن استاذنا المجتهد الاكبر فقيه العصر دام ظله الوارف قال فى مستمسك العروة الوثقى : على تأمل فى صحة النسبة لظهور كلمات بعضهم فى كون ذلك نى التقليد بمعنى آخر غير ما هو محل الكلام انظر المستمسك (= ج ١ ص ١٦ ط ٢ النجف =) و كيف كان فعلى تقدير صحة النسبة لايعباء بخلافهم لانه غير قادح فان الاجماع سابق عليهم ولا اعتداد برای الميت فانه بعد الموت ليس له راى مستنبط من الادلة الاربعة المتعارفة بل آرائه بعد الموت بانكشاف الواقع له فى عالم البرزخ والواجب على المقلد بحسب ادلة وجوب التقليد هو العمل بآراء المجتهد التى استنبطها من الادلة المتعارفة و لذا يصح ان يقال ان المذاهب تموت بموت اصحابها وضبطها فى الكتب انما هو لبيان الفتوى و ارائة مستنده حتى يستند اليه من ياتى بعده من المجتهدين ان اطمئن بصحة دليل من سبقه والاعتداد بالاجماع والخلاف بعدهم انما هو على الدليل اعنى الاجماع لا على المذاهب والاراء فان المتبع عند المجتهد هو الدليل دون اى مذهب فقهى حتى ان المتبع عند المجتهد فى صورة موافقة ما استنبطه من الحكم مع احد المذاهب الفقهية هو مافهمه من الدليل وادى ظنه منه دون قول فلان ولا راى فلان و فى صورة المخالفة يستحيل فى حقه القطع و الاذعان او الظن والاطمينان لقول من يخالفه والعمل على رأيه كما فصلنا هذا المطلب فى محله وماذكره المصنف ره ان موت الشاهد قبل الحكم الخ فهو لا دخل له بما نحن فيه ولايقاس عليه تقليد الميت كما هو واضح.

بعدهم في الاجماع والخلاف، و انّ موت الشاهد قبل الحكم بشهادته لا يمنع الحكم بشهادته بخلاف فسقه

. والثاني لا يجوز مطلقا لفوات أهليّته بالموت ولهذا ينعقد الاجماع بعده ولاينعقد في حياته على خلافه و هذا هو المشهور بين أصحابنا خصوصا المتأخّرين منهم؛ والذي استوجهناه في تضاعيف هذا الكتاب هو جواز تقليد المجتهد الميّت لأنّ كلّ مادلّ على جواز تقليد المجتهد الحيّ يدلّ على جواز تقليد المجتهد (١) الميّت خصوصا شيخنا

---

(١) الادلة الدالة على جواز تقليد المجتهد الحي لا دلالة فيها على جواز تقليد المجتهد الميت ابتداء فانها ان كانت ادلة لفظية من العموم والاطلاق فعلى تقدير تسليم وجودها في المقام وتمامية دلالتها فهي منصرفة الى احياء الفقهاء

وان كانت ادلة لبية كالاجماع القائم على جواز تقليد المجتهد وهو العمدة في هذا الباب فالقدر المتيقن منه هو المجتهد الحي الاعلم الجامع لشرائط الفتوى لان الاجماع دليل لبي يؤخذ بالمتيقن منه و وظيفة المقلد بالنسبة الى جميع الاوصاف المعتبرة في المجتهد هو الاخذ بالمتيقن من الحياة والاعلمية والذكورية وغيرها للشك في صحة تقليد فاقد واحدة منها واما المجتهد الميت فلا دلالة في الاجماع على جواز تقليده فعلى مدعي الجواز البيان وقول المصنف ره ان كل مادل على جواز تقليد المجتهد الحي يدل على جواز تقليد المجتهد الميت كلام خال عن التحقيق ليت شعري اي دليل من ادلة جواز تقليد الحي يدل على جواز تقليد الميت ايضا وما ذكره من الفرق بين المحقق ره في الشرايع والمعتبر وبين آية الله العلامة (ره) من غرائب الكلام فان كل واحد منهما مجتهد اصولي افتى في كتابه بحسب ما ادى اليه ظنه واجتهاده فما معنى ان العلامة ره كان كثير الاجتهاد والفتوى والحق ان مسلك هؤلاء الاخباريين مختلف وآرائهم متشتتة شتان ما بين ما ذكره المصنف (ره) في حق كتاب الشرايع هنا وبين ما نقل عن بعض الاخباريين انه تناول كتابا لينظر اليه ما هو فقيل له قبل ان يفتحه انه كتاب الشرايع فطرحه من يده مسرعا كانه عقربة لدغته ثم اشار الى كتاب آخر فقيل انه كتاب المفاتيح ففتحه وجعل ينظر فيه وحكى العلامة الوحيد البهبهاني (ره) ان اوائل قدومه العراق كان يرى الرجل منهم اذا اراد ان ينظر الى كتاب من كتب فقهائنا (رض) كان يحمله مع منديل انظر تنقيح المقال الفائدة ٢١ ج ١ ص ٢٠٩ وتعجب من تشتت الاراء في مسلك الجمود الماخوذ من الظاهريين*

المحقق قدس الله روحه فى كتابه الشرايع والمعتبر فانّه نقل (ينقل)متون الأخبار فى اكثر المسائل بخلاف العلامة طاب ثراه فانّه كثير الاجتهاد والفتوى

الفايدة العاشرة فى المناظرة و آدابها؛ إعلم أنّ المناظرة فى احكام الدّين من الدين ؛ وينبغى ان يقصد بها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتّفق لا ظهور غزارة علمه وصحّة نظره فانّ ذلك من أقبح القبايح ؛ ومن آيات هذا القصدأن لا يوقعها الاّ مع رجاء المباشرة ، فأمّا اذا علم عدم قبول المناظر للحق و انّه لا يرجع عن رأيه و ان تبيّن خطاؤه فمناظرته غير جايزة ، وشرط المناظر في الدين ان يكون مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب أحد حتى اذا بان له الحق على لسان خصمه انتقل اليه ، فأمّا من لا يجتهد فليس له مخالفة مذهب من يقلّده فأىّ فايدة له فى المناظرة

وينبغى ان يناظر فى واقعة مهمة او فى مسئلة قريبة من الوقوع والمهمّ ان يبيّن الحق ولا يطول الكلام زيادة على مايحتاج اليه فى تحقيق الحق ، وان يكون المناظرة فى الخلوة أحب اليه منها فى المحفل والصدور فانّ فى حضور الخلق ما يحرك دواعى الريا والحرص على الافحام ولو بالباطل، و ينبغى ان لا يمنع مفتيه من الإنتقال من دليل الى دليل ومن سؤال الى سؤال بل يمكنه من ايراد ما يحضره و يخرج من كلامه ما يحتاج اليه فى إصابة الحق ، فان وجده فى جملته او استلزمه وان كان غافلا عن اللزوم فليقبله ويحمدالله تعالى فانّ الغرض إصابة الحق ، و ان كان فى كلام متهافت اذا حصل منه المطلوب ، وامّا قوله قد تركت كلامك الأول وليس لك ذلك ونحو ذلك من أراجيف المناظرين فهو محض العناد ، وأمّا آفات المناظرة فهى اكثر من ان تذكر فلا ينبغى الوقوع فيها وقبولها الاّ عند الاضطرار اليها

الفايدة الحادية عشر فى آداب الكتابة وما يتعلّق بها إعلم انّ الكتابة من أجل المطالب الدينيّة وهو تابع للعلم فان كان واجبا عينيّا كان الكتابة كذلك اذا توقّف

من مذاهب اهل السنة ولا تغفل من مطالعة ومراجعة كتاب (الوحيد البهبهانى) للخطيب المعاصر الدوانى دام بقاه

الحفظ عليه وان كان واجبا كفائيّا كانت الكتابة كذلك؛ روى عن النّبى صلى الله عليه وآله انه قال قيّدوا العلم، قيل وما تقييده؟ قال كتابته. قال الصادق عليه السلام لعبيد بن زرارة احتفظوا بكتبكم فانّكم سوف تحتاجون اليها؟؛ وروى الصدوق فى اماليه باسناده الى النّبى صلى الله عليه وآله انّه قال انّ المؤمن اذا مات و ترك ورقة واحدة عليها علم كانت الورقة سترا فيما بينه وبين النّار، وأعطاه الله تعالى بكلّ حرف مدينة أوسع من الدّنيا وما فيها، ومن جلس عند العالم ساعة ناداه الملك جلست الى عبدى و عزّتى و جلالى لأسكنتك الجنّة معه ولا أبالى؛ ويجب على الكاتب إخلاص النيّة لله تعالى كما يجب إخلاصها فى طلب العلم لأنّها عبادة وضرب من تحصيل العلم بل هو فى بعض الموارد أكثر ثوابا من العلم بسبب كثرة الإنتفاع به ودوامه، و من هنا جاء تفضيل مداد العلماء على دماء الشهداء حيث انّ مدادهم ينتفع به بعد موتهم ودماء الشهداء لا ينتفع به بعد موتهم

و ينبغى لطالب العلم ان يعتنى بتحصيل الكتب بأىّ نوع كان لأنّه قد حصل بها نوف زايدا لمن حصلها على من لم يحصلها، و ينبغى ان لا يشتغل بنسخها ان امكنه تحصيلها بشراء ونحوه، ويستحبّ اعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممّن لا ضرر منه بها استحبابا مؤكّدا لما فيه من الاعانة على العلم والمساعدة على البرّ والتّقوى، وقال بعض السّلف من بخل بالعلم ابتلى باحدى ثلث: ان ينساه اويموت فلا ينتفع به اوتذهب كتبه، وهذا شيء شاهدناه مرارا كثيرة، وقد كان لنا شيخ يحصل منه بعض البخل بالكتب فبقيت كتبه بعده فدباعها بناته في الأسواق بأبخس قيمة؛ و كان لنا شيخ آخر اذا طلبنا نحن او غيرنا منه كتابا و كان له حاجة اليه قلع الاوراق الّتى يحتاج اليها وأعطى الباقى فنمت كتبه وانتفع العلماء بها و أعطاه الله تعالى اولادا قابلين للعلم و فهمه، واذا قضى حاجته من الكتاب فلا يحبسه لئلا يمنع صاحبه من اعارة غيره؛ أمّا اذا طلبه المالك حرم عليه حبسه ويصير ضامنا له، ولا يجوز ان يصلح كتاب غيره المستعار او المستأجر بغير اذن صاحبه فلا يحسّنه ولا يكتب له شيئا فى بياض فواتحه الا اذا علم رضاء مالكه ولا ينسخ منه بغير اذن صاحبه فانّ النسخ إنتفاع زايد على الانتفاع بالمطالعة

وينبغي ان يراعى الادب في وضع الكتب باعتبار علومها و شرفها وشرف مصنّفها فيضع الأشرف على الكلّ ثم يراعى التّدريج ؛ فان كان فيها المصحف الكريم جعل أعلى الكلّ ؛ والاولى ان يكون في خريطة ذات عروة في مسمار او وتد في حايط طاهر نظيف في صدر المجلس ؛ثم كتب الحديث الخالص، ثم تفسير القرآن؛ ثم تفسير الحديث ثم اصول الدّين ، ثم اصول الفقه ، ثم العربيّة ، ولا يضع الكبير فوق الصّغير لئلاّ يكثر تساقطها

وينبغي ان يكتب اسم الكتاب في جانب آخر الصّفحات ، وفايدته معرفة الكتاب وتيسّر إخراجه ، ولا ينبغي ان يجعل الكتاب خزانة الكراريس او غيرها ؛ ولا مخدّة ولا مروحة ولا مسندا ولا مقتلة للبراغيث ،ولا يطوى حاشية الورقة اوزاويتها ، وكان شيخنا صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله ايّام سعادته يعير تلامذته كتب الحديث فاذا ارجعوها يخرج من تحت الاوراق من فتات الخبزما يزيد على شبع الرجل . ثمّ انّه سلّمه الله تعالى صار اذا أراد أن يعير كتابا لواحد من الطّلبة يقول ان كان عندك طبق تأكل فيه الخبز والاّ أعرناك طبقا مدّة كون الكتاب عندك

وينبغي لمن استعار كتابه ان يتفقده عند أخذه وردّه ؛ واذا اشترى كتابا تعهّد أوّله وآخره و وسطه ويصفح أوراقه ويعتبر صحّته وممّا يغلب على ظنّه صحّته اذا ضاق الزمان تفتيشه ان يرى الحاقا او اصلاحا فانّه من شواهد الصّحة ، حتى قال بعضهم لايضىء الكتاب حتى يظلم ، يريد اصلاحه بالضّرب والكشط والالحاق و نحوه ؛ وينبغي له اذا نسخ شيئا من الكتب الشرعيّة ان يكون على طهارة مستقبلا طاهر البدن و الحبر والورق ويبتدى الكتاب بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم والحمدلله والصّلوة على رسوله واله ، و كلّما كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتّعظيم مثل تعالى او عزوجل او تقدّس او نحو ذلك ويتلّفظ بذلك و كلّما كتب اسم النّبي ﷺ كتب بعده الصّلاة عليه وعلى آله ؛ بل قال بعضهم والسلام ايضا ، ويصلّي هو بلسانه ايضا ، ولا يختصّ الصّلاة في الكتاب ولا يسأم من تكريرها ولو وقعت في السّطر مرارا كما يفعله بعض المحرومين من الثّواب لطلب الإختصار ،

فيكتبون صلعم ؛ اوصل أوصه او نحوذلك ، فانّ ذلك كلّه كما قال شيخنا الشهيد الثانى طاب ثراه خلاف الاولى والمنصوص ؛ بل قال بعض العلماء انّ أول من كتب صلعم قطعت يده ، وأقلّ ما فى الاخلال بها تفويت الثواب العظيم عليها،فقد ورد عنه ﷺ انّه قال من صلّى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام إسمى فىذلك الكتاب ، و اذا مرّ بذكر أحد من الصّحابة الأكابر كتب رضى الله عنه او رضوان الله عليه او بذكر احد من السّلف الأعلام كتب رحمه الله او تغمّده الله برحمته ونحو ذلك، وينبغى ان لا يكتب الكتب بالكتابة الدقيقة ؛ قال بعض السّلف لكاتب و قدرآه يكتب خطّا دقيقا: لا تفعل فانّه يخونك أحوج ما تكون اليه

وامّا القلم فقالوا لا ينبغى ان يكون صلبا جدّا فيمنع من سرعة الجرى او رخواً جدا فيسرع اليه الحفاء ، قال بعضهم اذا أردت ان يجود خطّك فأطل جلفتك و اسمنها ، وحرف قطّتك وأيمنها، وليكن السّكين حادةلبرائةالاقلام و كشطالورق خاصّةولاتستعمل فى غير ذلك ، وليكن ما يقطّ عليه القلم صلبا ؛ وقالوا الأحسن ان يكون القصب الفارسى اليابس جدا ، و ينبغى ان لا يقرطم (يقرمطخ) الحروف ولا ياتى بها مشبهة بغيرها بل يعطى كلّ حرف حقّه و كلّ كلمة حقّها ويراعى من الأداب الواردة مطلقا فى ذلك ما روى عن النّبى ﷺ انّه قال لبعض كتّابه الف (الق) الدّواة وحرّف القلم وانصب الباء وفرّق السّين ولا تعور الميم وحسّن الله ومدّ الرحمن وجوّد الرحيم ، وضع قلمك على أذنك اليسرى فانّه أذكر لك

وعن زيد بن ثابت انّه قال قال رسول الله ﷺ اذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبيّن السّين فيه ؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لاتمدّ الباء الى الميم ترفع السّين ، وعن انس قال قال رسول الله ﷺ اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدّ الرحمن ؛ و عنه من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوّده تعظيما غفر الله له ، و عن علىّ عليه السلام انّه قال تنوّق رجل فى بسم الله الرحمن الرحيم فغفرله ، وقد كرهوا فى الكتابة فصل مضاف إسم الله تعالى منه كعبدالله او رسول الله ﷺ فلا يكتب

عبدا ورسول فى آخر سطر والله مع ما بعده أول سطر آخر لقبح الصورة ، وهذه الكراهة للتنزيه، وذكروا انّ الضرب على الغلط هو اجود من الكشط والمحو لاسيّما فى الحديث لأنّ كلاّ منهما يضعف الكتاب وربّما أفسد الورق ، وعن بعض المشايخ انّه كان يقول كان الشيوخ يكرهون حضور السّكين مجلس السّماع، وفى كيفية الضرب خمسة أقوال

احدها ان يصل بالحروف المضروب عليها ويخطّ عليها ممتدّ او يسمى عند المغاربة بالشق، وأجوده ما كان دقيقا بيّنا يدل على المقصود ؛ ولا يسود الورق ولا يطمس الحروف ولا يمنع قراءة ما تحته

وثانيها ان يجعل الخطّ فوق الحروف منفصلا منعطفا طرفاه على اول المبطل و اخره و مثاله هكذا

و ثالثها ان يكتب لفظة لا او لفظة «من» أوله و لفظة «الى» فوق آخره، ومعناه من هنا ساقط الى هنا ومثل هذا يحسن فيما صحّ فى رواية وسقط فى أخرى

و رابعها ان يكتب فى أول الكلام المبطل وفى آخره نصف دايرة و مثاله (هكذا) فان ضاق المحلّ جعله فى أعلا كل جانب، وخامسها ان يكتب فى اول المبطل وفى اخره صفرا و هو دايرة صغيرة سميّت بذلك لخلوّ ما أشير اليه بها من الصّحة كتسمية الحساب لها بذلك لخلوّ موضعها من عدد ؛ و اذا صحّح الكتاب على الشيخ اوفى المقابلة علم على موضع وقوفه يبلغ او بلغت او بلغ العرض او نحو ذلك ممّا يفيد معناه

و ينبغى ان يفصل بين كلّ كلامين او حديثين بدائرة او قلم غليظ ولا يوصل الكتابة كلّها على طريقة واحدة لما فيه من عسر استخراج المقصود ، ورجحوا الدّايرة على غيرها وعمل عليها غالب المحدثين وأختار بعضهم اعتمال الدّايرة حتى تقابل ، فكلّ كلام يفرغ منه ينقط فى الدّايرة الّتى تليه نقطة و فى المقابلة الثانية ثانيه و هكذا

الفائدة الثانية عشر فى أقسام العلوم الشرعيّة ومايتوقّف عليه من العلوم العقليّة والأدبيّة، إعلم انّ العلوم الشرعيّة الأصليّة اربعة : علم الكلام ، وعلم الكتاب العزيز

وعلم الأحاديث النّبويّة، وعلم الأحكام الشرعيّة، وهو المعبّر عنه بالفقه، فامّا علم الكلام وهو أصول الدّين فهو أساس العلوم الشرعيّة لأنّ معلومه أشرف المعلومات وقد ورد الحث على تعلّمه، قال ابن عباس جاء أعرابى الى النّبى صلّى الله عليه وآله فقال يا رسول الله علّمنى من غرايب العلم، قال ما صنعت فى رأس العلم حتى تسئل عن غرائب العلم؟ قال الرّجل ما رأس العلم يا رسول الله؟ قال معرفة الله تعالى حقّ معرفته، قال الأعرابى وما معرفة الله حق معرفته؟ قال تعرفه بلا مثل ولا شبيه بلا ندّ و انّه واحد أحد ظاهر باطن أوّل اخر لا كفوله ولا نظير فذاك حق معرفته

وامّا علم الكتاب فقد استقرّ الاصطلاح فيه على ثلثة فنون قد افردت بالتّصنيف وأطلق عليها إسم العلم: احدها علم التجويد وفايدته معرفة اوضاع حروفه و كلماته مفردة ومركّبة، فيدخل فيه معرفة مخارج الحروف وصفاتها و مدّها وإظهارها و إخفائها و إدغامها وإمالتها وتفخيمها و ترقيقها ونحو ذلك، وثانيها علم القراءة، و فايدته معرفة الوجوه الإعرابيّة و البنائيّة الّتى نزل القرآن بها وادّعوا نقلها عن النّبى صلّى الله عليه وآله تواترا ويندرج فيه بعض ما سبق فى الفنّ الاول؛ وقد يطلق عليهما واحد ويجمعهما تصنيف واحد وثالثها علم التّفسير وفايدته معرفة معانيه واحكامه؛ وامّا علم الحديث فهو من اجلّ العلوم قدرا و أعلاها رتبة و أعظمها مثوبة بعد القرآن، و امّا الفقه فهو العلم بالحكم الشّرعى المأخوذ عن الدليل فهذه الأربعة هى اصول العلوم وهى المقصودة بالذات

وامّا العلوم الفرعيّة و هى الّتى يتوقّف هذه الاربعة عليها امّا معرفة الله تعالى وما يتبعه فلا يتوقّف أصل تحقّقه على شىء من العلوم بل يكفى فيه مجرّد النّظر و هو أمر عقلى يجب على كلّ مكلّف، وهو أول الواجبات بالذات وان كان الخوض فى مباحثه وتحقيق مطالبه ودفع شبه المبطلين فيه يتوقّف على بعض العلوم العقليّة كالمنطق وغيره وامّا الكتاب العزيز فانّه بلسان عربى مبين فيتوقّف معرفته على علوم العربيّة من النّحو والتّصريف والاشتقاق والمعانى والبيان والبديع ولغة العرب وأصول الفقه ليعرف به حكم عامّه وخاصّه ومطلقه ومقيّده ومحكمه ومتشابهه الى غير ذلك

واما الحديث النبوى فالكلام فيه كالكلام فى الكتاب وعلومه ويزيد الحديث عليه بمعرفة رواته من حيث الجرح والتعديل ؛ واما الفقه فيتوقف معرفته على جميع ما ذكر من العلوم الفرعية والأصلية ، والمنطق آلة شريفة لتحقيق الأدلة مطلقافهذه عشرة علوم يتوقف عليها العلوم الشرعية و جملة ما يتوقف عليه الفقه اثنى عشرة و هى ترجع بحسب ما استقر عليه تدوين العلماء الى ثمانية فانّ علم الاشتقاق قد أدرج فى أصول الفقه غالبا وفى بعض علوم العربية وعلم المعانى والبيان والبديع قد صار علما واحدا فى اكثر الكتب الموضوعة لها ، والتصريف داخل فى النحو فى اكثر الكتب و قل من افرده علما خصوصا المتقدمين

الفايدة الثالثة عشر فى بيان العلم الشرعى وما ألحق به على ثلاث مراتب فرض عين، وفرض كفاية، و سنة ، فالاول مالا يتأدى الواجب عينا الا به و عليه حمل حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم ، واما فرض الكفاية فمما لابد للناس منه فى إقامة دينهم من العلوم الشرعية كحفظ القرآن والاحاديث وعلومهما والفقه والاصول والعربية و ما يحتاج اليه فى قوام أمر المعاش كالطب و الحساب ؛ و تعلم الصنايع الضرورية كالخياطة والفلاحة حتى الحجامة ونحوها ، و قال بعض العلماء فرض الكفاية أفضل من فرض العين لأنه يصان بقيام البعض به جميع المكلفين عن إثمهم المترتب على تركهم له بخلاف فرض العين فانه انما يصان به عن الاثم القائم به فقط؛ و اما السنة فكتعلم نفل العبادات والاداب الدينية ومكارم الأخلاق وشبه ذلك وهو كثير ومنه تعلم الهيئة للإطلاع على عظمة الله تعالى و ما يترتب عليه من الهندسة وغيرها

وبقى علوم آخر بعضها محرم مطلقا كالسحر والشعبدة وبعض الفلسفة وكل ما يترتب عليه إثارة الشكوك ، وبعضها محرم على وجه دون آخر كأحكام النجوم والرمل فانه يحرم تعلمها مع اعتقاد تأثيرها وتحقيق وقوعها و يباح مع اعتقاد كون الأمر مستندا الى الله تعالى وانه اجرى بالعادة كونها سببا فى بعض الاثار و على سبيل التفاول كما قاله بعض الأصحاب ؛ وقدتقدم انّ الاولى هو القول بتحريم تعلم علم النجوم وتعليمه

مطلقا ، و بعضها مكروه كاشعار المولّدين المشتملة على الغزل وترجية الوقت بالبطالة وتضييع العمر بغير فايدة ، و بعضها مباح كمعرفة التواريخ والوقايع والأشعار الخالية عمّا ذكر ممّا لا يدخل في الواجب كأشعار العرب العاربة الّتى تصلح للاحتجاج بها فى الكتاب والسّنة فانّها ملحقة بـ اللغة ، و باقى العلوم من الطّبيعى والرّياضى والصّناعى اكثره موصوف بالاباحة بالنّظر الى ذاته وقد يمكن جعله منه (مستحبّاً لتكميل النفس خ) وبالتّكميل للنّفس واعدادها لغيره من العلوم الشّرعيّة بتقويتها فى القوّة النظريّة ، وقد يكون حراما اذا استلزم التّقصير فى العلم الواجب عينا او كفاية كما يتّفق كثيرا فى زماننا هذا لبعض المحرومين الغافلين عن حقائق الدين

الفائدة الرابعة عشر فى ترتيب العلوم بالنّظر الى المتعلم ، أعلم أنّ لكل علم من هذه العلوم مرتبة من التعلّم لابدّ لطالبه من مراعاتها لئلاّ يضيع سعيه و ليصل الى بغيته بسرعة ، وكم قد رأينا طلاّبا للعلم سنين كثيرة لم يحصلوا منه الاّ القليل ، وآخرين حصلوا منه كثيرا فـى مدة قليلة بسبب مراعاة ترتيبه ، فينبغى ان يشتغل فى أول أمره بحفظ كتاب الله تعالى وتجويده على الوجه المعتبر ليكون مفتاحا صالحا ومعينا ناجحا فاذا فرغ منه اشتغل بتعلّم العلوم العربيّة فانّها أول آلات الفهم و أعظم أسباب العلم الشّرعى ، فيقرأ اولا علـم التّصريف و يتدرّج فى كتبه من الأسهل الى الأصعب حتى يتقنه ويحيط به علما ، ثمّ ينتقل الى النحو فيشتغل فيه على هذا النّهج ويزيد فيه بالجدّ والحفظ ؛ ثمّ ينتقل منه الى بقيّة العلوم العربيّة ، فاذا فرغ منها أجمع إشتغل بالمنطق و حقّق مقاصده علـى النّمط الأوسط ولا يبالغ فيه مبالغته فى غيره لأنّ المقصود منه يحصل بدونه

وحدّثنى جماعة مـن الثّقاة انّ السّيد المحقق السيّد محمّد صاحب المدارك و خاله الشّيخ الأجلّ الشيخ حسن بن الشّهيد الثانى ره كانا يقرء ان فى النجف الاشرف عند الزاهد الورع المولى احمد الأردبيلى فقرءا عليه من شرح الشّمسيّة ما يتوقّف عليه الاجتهاد من مباحث الألفاظ وبعض احوال القضايا والقياسات والظّاهر انه لا يزيد على

عشرة دروس وقرءا من شرح مختصر ابن الحاجب للعضدى ما يتوقّف عليه ايضا الاجتهاد وهى دروس معدودة ، وكان الجماعة اللّذين يقرأون عند المولى الأردبيلى يهزؤن بهما على هذا النمط من القراءة، فقال لهم المولى لاتهزؤا بهما فعن قليل يصلون الى درجة الاجتهاد و احتاج أنا الى ان آخذ تصديق اجتهادى عنهم (١) فكان الحال كما قال ، فانّهم بلغوا رتبة التّصنيف والاجتهاد فى مدّة ثمان سنين ، ثمّ اذا فرغ من المنطق انتقل الى علم الكلام و يتدرّج فيه كذلك ، ثمّ ينتقل منه الى اصول الفقه متدرجا فى كتبه و مباحثه وهذا العلم أولى بالعلوم تحريرا فلا يقتصر منه على القليل فبقدر ما تحقّقه يتحقّق عنده المباحث الفقهيّة؛ ثمّ ينتقل منه الى علم دراية الحديث فيطالعه و يحيط بقواعده و ليس هو من العلوم الدقيقة و انّما هو من مصطلحات مدونة وفوائد مجموعة ، فاذا وقف على مقاصده انتقل الى قراءة الحديث بالرواية والتّفسير والبحث والتّصحيح على حسب ما يقتضيه الحال ويسعه الوقت، ولا أقلّ من أصل منه يشتمل على أبواب الفقه واحاديثه

و كان شيخنا المعاصر أدام الله عزّه يقول يكفى من الاصول الاربعة كتاب التهذيب ثمّ ينتقل منه الى البحث عن الايات القرآنيّة المتعلّقة بالأحكام الشرعيّة فقد أفردها العلماء رضوان الله عليهم بالبحث وخصّوها بالتّصنيف فليطالع فيها كتابا و أحسنها فى هذه الأيّام الايات الأحكاميّة الّتى صنّفها شيخنا الشيخ جواد الكاظمى تغمّده الله برحمته (٢) فاذا فرغ منها انتقل الى قراءة كتب الفقه فيقرأ منها اولا كتابا يطّلع فيه على مطالبه ورأوس مسائله وعلى مصطلحات الفقهاء وقواعدهم فانّها لاتكاد تستفاد الاّ من أفواه المشايخ بخلاف غيرها من العلوم ، ثمّ يشرع ثانيا فى قراءة كتاب آخر بالبحث والاستدلال

(١) هذا الكلام من المحقق الاردبيلى ره من باب التواضع

(٢) هو تلميذ الشيخ البهائى قدس سره وكتابه فى آيات الاحكام يسمى المسالك الجوادية و مسالك الافهام فى آيات الاحكام و هو كتاب جليل من نفائس الاثار و فى مكتبتنا نسخة مخطوطة منه

واستنباط الفروع من الأصول و استفادة الحكم من كتاب او سنّة من جهة النّص او الاستنباط من عموم لفظ او اطلاقه و من حديث صحيح او حسن او غيرهما ليتدرّب على هذه المطالب على التدريج ؛ و هذا لا يحصل الاّ بقوّة قدسيّة يمنحها الله سبحانه لعبده ولا حيلة للعبد فيها نعم للجد والمجاهدة والانقطاع الى الله سبحانه أثر بيّن فی تحصیلها كما قال : والذين جاهدو افينا لنهدينهم سبلنا و انّالله لمع المحسنين ؛ فاذا فرغ من ذلك كلّه شرع في تفسير الكتاب العزيز بأسره فكلّ هذه العلوم مقدّمة له ، فاذا وفق له فلا يقتصر على ما استخرجه المفسّرون بأنظارهم فيه بل يكثر من التّفكّر في معانيه ويصفي نفسه للتّطلع على خوافيه ويبتهل الى الله تعالى في ان يمنحه من لدنه فهم كتابه واسرار خطابه ، فحينئذيظهر عليه من الحقايق ما لم يصل اليه غيره من المفسّرين، لأنّ الكتاب العزيز بحر لجيّ فی قعره درر وفی ظاهره خبر ، والناس فی التقاط درره والاطّلاع على بعض حقايقه على مراتب و من ثمّ ترى التّفاسير مختلفة حسب اختلاف اهلها فيما يغلب عليهم

فمنها ما يغلب عليه العربيّة ككشّاف الزّمخشرى؛ ومنها ما يغلب عليه الحكمة والبرهان الكلامى كمفاتح الغيب للرازى ، ومنها ما يغلب عليه القصص كتفاسير الثعلبى و منها ما يسلّط على تأويل الحقائق دون التّفسير الظّاهر كتفسير عبدالرزاق الكاشى(۱)

(۱) الكاشى فی النسبة الى كاشان من اغلاط العوام تخفيفا والاولى ان يقال فی النسبة الى كاشان من مشاهير مدن ايران بالعجمية كاشانی وبالعربية معربا قاشانی بالشين المعجمة لا القاسانى بالمهملة كما فعله بعض الاكابر لئلا يشتبه الامر فی النسبة الى كاشان وقاسان التى قرية من قرى جبل عامل و مدينة بماوراء النهر خربت بغلبة الترك عليها .

هذا آخر ما وفقنا الله تعالى من كتابة التعليقات على الجزء الثالث من كتاب الانوار النعمانية واكتفينا فی كتابتها بما سنحت الفرصة و وسمت الظروف ويليه الجزء الرابع ان شاء الله تعالى

وانا العبد محمدعلى القاضى الطباطبائى

الى غير ذلك من المظاهر فاذا فرغ من ذلك وأراد الترقّى و تكميل النفس فليطالع كتب الحكمة من الطّبيعى والرياضى والحكمة العمليّة المشتملة على تهذيب الأخلاق فى النّفس و ما خرج عنها من ضرورات دار الفنا ، ثم ينتقل بعده الى العلوم الحقيقيّة والفنون الخفيّة فانّها الباب لهذه العلوم ونتيجة كلّ معلوم وبها يصل الى درجة المقربين ويحصل على مقاصد الواصلين ، هذا كله ترتيب من هو أهل لهذه العلوم و له استعداد لتحصيلها ونفس قابلة لفهمها ، فأمّا القاصرون عن درك هذا المقَام والممنوعون بالعوايق عن الوصول الى هذا المرام فليقتصروا منها على ما يمكنهم الوصول اليه متدرّجين فيه حسب ما دللنا عليه ، فان لم يكن لهم بدّ من الاقتصار فلا أقل من الاكتفاء بالعلوم الشّرعيّة والأحكام الدينيّة ؛ فان ضاق الوقت وضعف النفس عن ذلك فالفقه أولى من الجميع فبه قامت النبوّات و انتظم امر المعاش والمعاد مضيفا اليه ما يجب مراعاته من تهذيب النّفس و اصلاح القلب ليترتّب عليه العدالة التّي بها قامت السّموات والأرض والتقوى الذى هو ملاك الأمر

فاذا فرغ عمّا خلق له من العلوم فليشتغل بالعمل الذى هو زبدة العلم وعلة الخلق قال الله تعالى وماخلقت الجنّ والانس الاّ ليعبدون ، وما أجهل وأخسرو أحمق من متعلّم صنعة لينتفع بها فى أمر معاشه ثمّ يصرف عمره ويجعل كدّه فى تحصيل آلاتها من غير ان يشتغل بها اشتغالا لا يحصل به الغرض منها و كم قد رأينا فى شيراز واصفهان من طالب اشتغل بالمقدّمات و أمعن النّظر فيها حتى انقضى عمره و لم يعرف شيئا من العلوم الشّرعيّة ، وربّما آل الامر الى احتقارها واحتقار من يعرفها بل يعدّون الفقيه حمارا وليس هذا الاّ من عدم ثبات الايمان فى قلوبهم

واعلم انّ ترتيب العلوم على نحو ما ذكرنا مأخوذ من كلام شيخنا الشهيد الثانى نورالله ضريحه بل اكثر فوايد هذا النّور مأخوذة من كلامه ولا عيب علينا فى أخذ كلامه لأنّه البحر الذى غرف منه المتأخّرون بأسرهم ، وحيث انّك قد عرفت اولاً انّ الأذهان

تحتاج الى تشحيذ لأنّها تكلّ كما تكلّ الأبدان وتشحيذها انّما يكون بلطايف العلوم و غوامض الفنون و هو الذى فهمه المحقّقون من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ روّحوا أرواحكم ببدايع الحكمة فانّها تكل كما تكل الأبدان، فلابأس بذكر نور يشتمل على بعض ما فى الفنون من العربيّة وغيرها والله الموفق

كان من قصد الناشرين للكتاب بهذه الحلّة الرائقة اتمام طبعه فى ثلاثة اجزاء على حسب تجزئتهم فى الطبع كما ذكروا ذلك فى اعلان نشر الكتاب وقبوضه ولكن الكتاب لم يتمّ و احتاج الى جزء آخر فانتظروا الجزء الرابع وبه يتمّ الكتاب وسيصدر عن قريب ان شاء الله تعالى

بسمه تعالى

تجزّ الجزء الثالث من الكتاب على حسب تجزئتنا فى الطبع ويليه الجزء الرابع و أوّله : (نورفى بعض التراكيب المشكلة والأخبار الدقيقة) و نسأل الله تعالى التوفيق لإتمامه والحمدلله أوّلاً و آخرا وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين و قد تصدّى لتصحيحه و بذل الجهد فيه : عمران بن على حسين ال (غريبدوستى) عفى‌الله عنه ووفقنا الله تعالى لإتمامه فى اوائل شهرمحرم الحرام سنة : (١٣٨٠) هـ ق المطابق (١٣٣٩) هـ ش

فهرست موضوعات الكتاب

الصفحة

الموضوع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحه
طعن المصنف ره على اكثر الاصحاب	١٢٩
توهماته فى تعارض الدليل العقلى والنقلى	١٣٣
اللذات المحرمة	١٣٤
فخوخ الشيطان	١٣٦
رسول الله صلى الله عليه وآله فى ليلة الاسراء	١٣٨
توبة الشيعة بعد المعصية	١٣٨
زوجةالسوءأخت الشيطان	١٣٩
المسألة الشيطانية	١٤٠
المجلد الثانى على حسب تجزئة المصنف ره	١٤٣
فى التوبة وما يتعلق بها	١٤٤
الخلاف فى وجوب قبول التوبة	١٤٧
فى حقيقة التوبة	١٤٨
للتوبة درجات	١٥٠
كلام ابو سليمان الدارانى	١٥٢
مرور ذا النون المصرى ببعض الأطباء	١٥٣
فى قبول التوبة للتجزى وعدمه	١٥٥
فى الأسباب الموجبة لعظم الصغيرة	١٥٦
فى موجبات الاصرار على الذنوب وعلاجها	١٥٧
كلام حسن لسيدنا المرتضى ره	١٥٨
قضاء الفوائت واداء الحقوق وغيرها لادخل لها فى حقيقه التوبة	١٦٠
فى الحب ودرجاته وعلاماته وتوابعه	١٦٠
مراتب الحب	١٦٢
شبهة والجواب عنها	١٦٤

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرست تعليقات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة
مرور أمير المومنين عليه السلام الى كربلاء على نقل السيد فى كتابه الملاحم والفتن	٢٤٠
تصحيف فى نسخ الكتاب	٢٤٤
جدتنا فاطمة بنت الحسين عليه السلام وتاريخ وفاتها	٢٤٥
تاريخ تزويجها من الحسن المثنى	٢٤٦
قصة تزويجها من القاسم عليه السلام لا يجوز نقلها فى المنابر	٢٤٦
خبر يدل ظاهره على مجىء اهل البيت الى كربلاء	٢٤٦
معنى لا وفقكم الله لأضحى ولافطر	٢٤٧
ظهور أمير المؤمنين عليه السلام فى صورة الاسد فى المعراج و فى كربلاء محال انظر من صفحة ٢٥٠ = الى = ٢٥٣	
قصة نبش الشاه اسماعيل ره قبر الحر ره نقلها فى تنقيح المقال عن المصنف ره	٢٦٦
شعر منسوب الى امير المؤمنين عليه السلام	٢٧٥
ارباب السمر والمجون فى طهران دأبوا يلعبون بالتاريخ	٢٩٨
خبر لايخلو من تأمل	٣١٠
البحر الذى غرق فرعون فيه	٣١١
قضية ذكروها من باب المطايبة	٣١٢
نقل شرح قوله ع وليكن آثر رؤوس جندك الخ عن عبده	٣٢٣
معنى قوله ع منفرا ولا مضيّعا	٣٢٧
شرح بعض فقرات العهد	٣٢٩
النجاشى والى الأهواز جد أستاذ فن الرجال	٣٣٠
معنى لا يقبل منه صرف ولا عدل	٣٣١
معنى عزوف	٢٣٣
معنى (الا بفضيحة نفسه)	٣٣٤

الموضوع	الصفحه

الموضوع	الصفحة

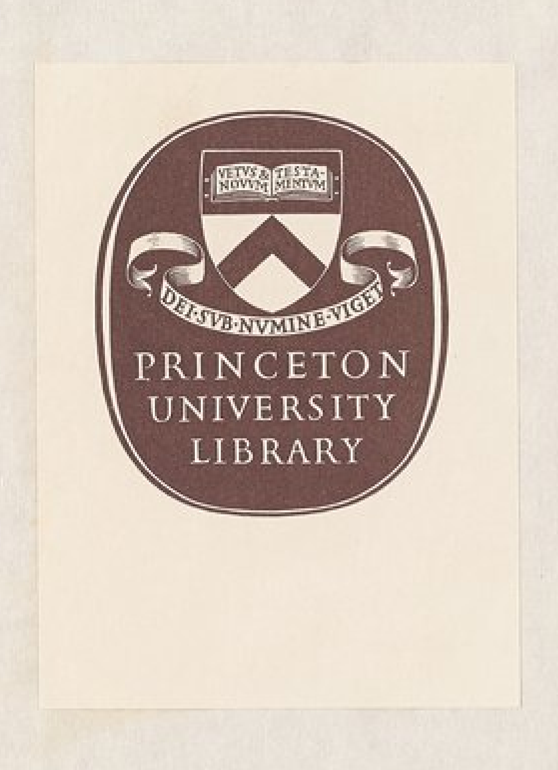
نحمده علی ما وفّقنا لکتابة هذه الحواشی والتعلیقات علی الجزء الثانی -فی الطبع من کتاب الأنوار النعمانیّة للعلامة الکبیر المحدّث الجزائری رحمه الله وغیر خفیّ علی القاری الخبیر انّ هذا الکتاب فی أشدّ الحاجة الی التعلیق والتحقیق والتحلیل بالنسبة الی بعض الموضوعات والمطالب المندرجة فیه اکثر ممّا کتبنا وعلّقنا علیه من التعالیق ولکن الإهتمام فی انجاز الطبع والتسریع فیه أوجب الإکتفاء بهذا المقدار و الاقتصار بماسنحت الفرصة.

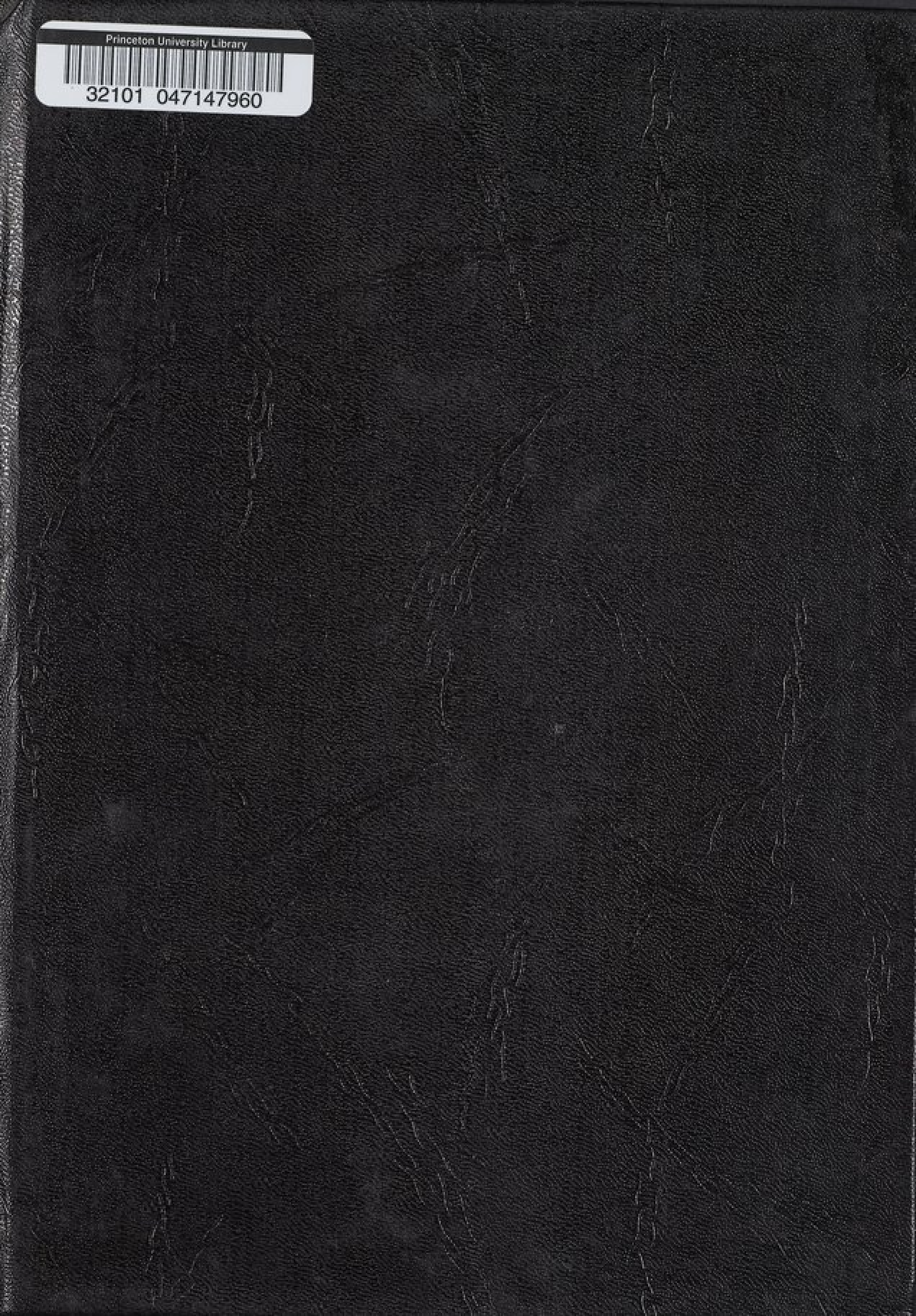
والله الموفق وهو المعین ولاحول ولاقوّة الّا بالله علیه توکّلت والیه أنیب.

تبریز　　　　محمدعلی القاضی الطباطبائی

الصفحة	السطر	الخطاء	الصواب
١٥١	٢١	فليزم	فيلزم
١٥٢	٤	اجرى	أجزى
١٥٢	٢٢	هذا	هذه
١٥٤	٢١	غروة	غزوة
١٩٧	١٧	كانو	وكان
١٩٧	٢١	هذه	هذا
١٩٩	١٥	(٥)	(٢)
٢٠٠	٢	يتا كدا	تتا كد
٢٠٠	٢٣	يفعلول	يفعلون
٢١٤	٢٢	مختليفين	مختلفين
٢٢٠	١	الما	لما
٢٢٠	٩	أسجدلبشر	ءأسجد لبشر
٢٢٠	١٦	أحذ	أخذ
٢٢١	٦	الرزيّة	الرزيّة كل الرزيّة
٢٢٢	٨	هؤلائهم	هؤلاء هم
٢٢٥	١٦	تة	تة
٢٢٧	١١	بل جميع الجهات لا تعدد فيه اصلا	زائد
٢٢٨	١	ورد	ورود
٢٢٨	١٦	انّها	انّه
٢٢٨	١٦	علي	على
٢٣١	٤	كافرلابس	كافر
٢٣٢	٢	الغام	الغمام
٢٣٣	٥	لفلاسفة	الفلاسفة
٢٣٣	٢٣	المتكلم	التكلم

الصفحة	السطر	الخطاء	الصواب
٢٣٥	٢٢	ذفى لك	فى ذلك
٢٣٥	٢٥	الموضاعات	الموضوعات
٢٣٥	٢٥	موضاعاته	موضوعاته
٢٣٧	٦	غرى	عزى
٢٣٨	٢١	الشعره	الشعر
٢٤٤	١٦	القومى	القرمى
٢٤٤	٢١	معنى	مضى
٢٤٦	١٩	ص	ض
٢٤٩	١	المجهولية	الثامنة المجهولية
٢٥٢	١٧	ر	و
٢٥٣	٥	النادوسيّة	الناووسيّة
٢٥٣	١٦	نحطو	نحتو
٢٥٣	٢٤	طة	تة
٢٥٥	١٣	دارا	دار
٢٦٣	٣	متقيناً	متيقناً
٢٧٤	٢	بيغير	بتغير
٢٨٤	٢	غربا	عزبا
٢٨٤	١٣	شديدا	شديد
٢٩٨	٢٥	مذب	مذهب
٣٠٠	٢٤	الكافر	لكافر
٣١٢	٢	فقاب	فقال
٣٢٤	٥	واقف	اوقف
٣٢٦	٢٤	كرار	كراراً
٣٥٧	١١	ليست	ليت
٣٥٨	١٧	ج٤	ج١
٣٥٩	٢٠	الصور	السور
٣٥٩	٢٤	بقصص	بنقص
٣٦١	٢٣	المصنف	المنصف
٣٦٣	٢٥	شئى	شتى
٣٦٤	٣٤	االتى	التى .


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


Princeton University Library
32101 047147960